

دار الكتب المصرية

القسم الأدبي

نهاية تراجم

في

فنون الأدب

تأليف

شهاب الدين محمد بن عبد الله بن يوسف

السفر الثامن عشر

نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب
مع استدلالات وفهارس جامعة

المطبعة

مطبعة دار الكتب المصرية

١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م

جزء
معين التاريخ
لأهل التاريخ

الطبعة الأولى بمطبعة دارالكتب المصرية

جميع الحقوق محفوظة لدارالكتب المصرية

فهرست

السفر الثامن عشر

من

كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري

صفحة

- وفادات العرب على رسول الله صلى الله عليه وسلم
- ١ من وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة قبل الهجرة ...
- وفد غفار ، وقصة أبي ذر الغفاري ، وسبب إسلامه وإسلام أخيه
- ٢ وأمه ، ثم إسلام غفار
- طعام أبي ذر من ماء زمزم ، وظهور فائدته وبركته ، وما قال فيه
- ٤ رسول الله صلى الله عليه وسلم
- ٧ وفد أزد شنوءة ، وكيف كان إسلام ضماد
- ٨ وفد همدان
- ١١ عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لحمدان
- وفادة الطقيّل بن عمرو الدوسي وإسلامه ، وذكر إحدى معجزاته
- ١٣ صلى الله عليه وسلم
- وفادة نصارى الحبشة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما نزل
- ١٥ فيهم من القرآن
- ١٦ من وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة وقبل الفتح
- ١٧ وفد عبس
- ١٨ وفد سعد العشيرة ، وذكر صنمها قرّاص وتحطيمه

صفحة

١٨	وفد جُهَيْنَة
١٩	وفد مُرَيْسَة
٢٠	وفد سعد بن بكر، وذكر ما كان من ضَمَام بن ثعلبة، رسول سعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
٢٢	وفد أَشْجَع
٢٣	وفد خُثَيْن والأشعرين وسُلَيْم وإسلام الخنساء
٢٦	وفد دَوْس
٢٧	وفد أَسْلَم
٢٨	وفد جَدَام

من وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد فتح مكة

٣٠	وفد ثعلبة وأسد، وما نزل في ذلك من القرآن
٣٢	وفد تميم، وما وقع في ذلك من مفاخرة بين تميم والأنصار بالخطب والشعر، وما نزل في وفد تميم من القرآن
٤١	وفد قَزَارَة، وأسْتِسْقَاء رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم
٤٢	وفد مُرَّة
٤٣	وفد مُحَارِب، وكِلَاب
٤٤	وفد رُؤَاس بن كِلَاب
٤٥	وفد عُقِيل بن كعب، وكتاب رسول الله لهم
٤٧	وفد جَعْدَة، وقُشَيْر بن كعب
٤٨	وفد بني الْبَكَاء، وما ظهر في ذلك من بركة رسول الله لبشر بن معاوية
٤٩	وفد كَنَانَة وبني عبد بن عدى
٥٠	وفد باهلة، وهلال بن عامر، ووفود زياد بن عبد الله

صفحة

- وفد عامر بن صعصعة ، وخبر عامر بن الطفيل وأريد بن قيس ،
ومحاولة عامر وأريد أغتيال رسول الله ، وما ظهر في ذلك من
عصمة الله رسوله ، ونزول القرآن في ذلك ٥١
خبر أحد طواغيت العرب ٥٧
وفد ثقيف وإسلامها وهدم اللات ، وما في ذلك من حصار الطائف ،
وآستخدام الدبابات ٥٩
عهد رسول الله لثقيف ، وإرساله أبا سفيان لهدم اللات ٦٣
قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ديناً من مال اللات ٦٥
وفد عبد القيس ٦٥
وفد بكر بن وائل ٦٧
خبر أعشى قيس ، وذكر قصيدته التي مدح بها رسول الله صلى الله
عليه وسلم ٦٨
وفد تغلب ، وحنيفة ٧٢
خبر مسيلمة الكذاب ، وأدعائه النبوة ٧٣
وفد شيان ، وخبر قبيلة بنت محرمة مع حريث بن حسان في شأن الدهناء ٧٤

وفادات أهل اليمن

- وفد طي وخبر زيد الخيل ، وعدى بن حاتم ٧٦
خبر عدى بن حاتم ، وبعث رسول الله علياً لهدم صنم طي وأسر
سفانة بنت حاتم ٧٧
وفد نجيب ٨١
وفد خولان ٨٢
وفد جعفي ، وخبر الموعودة والوائدة التي سألوا عنهما رسول الله صلى
الله عليه وسلم ٨٣
وفد مُراد ، وخبر قروة بن مسيك المرادي ٨٤

صفحة	
٨٥	وفد زُبَيْد، وأخبار عمرو بن معدى كرب
٨٧	وفد كِنْدَةَ والهيئة المتأزة التي ظهرُوا بها
٨٩	وفد الصِّدْف وسعد هُذَيْم
٩٠	وفد بِلَى وبَهْرَاء
٩١	وفد عُدْرَة
٩٢	وفد سَلَامَان
٩٣	وفد كَلْب، وعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل دُومَة الجَنْدَل
٩٤	وفد جَرَم، وخبر عمرو بن سَلِمة، وأنه كان يتلقى القرآن من المسافرين وهو ابن ست
٩٦	وفد الأزْد وأهل جُرَش
٩٨	وفد غَسَان، ووفا الحارث بن كعب
١٠٠	عهد رسول الله لعمرو بن حزم
١٠٣	وفد عَنَس
١٠٤	وفد الدَارِيَّين وما كتب لهم به رسول الله، وما أختص به تميم الدَارِيَّ وإخوته
١٠٥	وصف المؤلف للعهد النبوي الذي كتبه لتميم كما رآه في بيت التميميين، ونص العهد
١٠٧	وفد الرَّهَآوِيِّين
١٠٨	وفد غَامِد والنَّخَع، وذكر رؤيا رآها زُرارة بن عمرو فسرها له رسول الله صلى الله عليه وسلم
١١٠	وفد بَيْمَيْلَة، وبعث رسول الله جرير بن عبد الله البجلي لهدم ذي الخَلَصَة وما ظهر من بركة رسول الله صلى الله عليه وسلم
١١١	وفد خَثْعَم
١١٢	وفد حَضْرَمَوْت، وذكر وائل بن عُجْجَر الحضرمي ملك الحضارم

صفحة	
...	كتاب رسول الله لوائل بن حُجْر ، وما فيه من جوامع الكلم ، وأصول
١١٣	الأحكام
١١٤	وفد يَحْوس بن معدى كرب أحد أقبال كندة
...	وفد أزد عُمَان ، وإرسال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعلاء بن
١١٤	الحضرمي إلى عمان ليعلمهم الشرائع
١١٥	وفد غافق وبارق ، وكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لبارق
١١٦	وفد ثُمالة والحُدان
١١٧	وفد مَهْرَة ، وعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم
...	وفد حَمِير ، وعهد رسول الله لهم ، وذكر رسول الله إلى زُرعة
١١٨	ذِي يَزَن
١٢٠	وفد جَيْشَان ، وسَلُول
١٢١	وفد نجران وسؤالهم رسول الله ، وما أنزل الله فيهم من القرآن
١٢٣	ما يتوارثه رؤساء نجران من ذكريننا صلى الله عليه وسلم في كتبهم
١٢٤	تفسير آيات من أوائل سورة آل عمران
١٣٤	ذكر آية المباحلة وتفسيرها ، وما كان من تخوف النصارى من المباحلة
١٣٧	كتاب أمير المؤمنين عمر لنجران
١٣٨	خبر إسلام الحق ودعائهم قومهم إلى الإيمان عند سماعهم القرآن
١٤١	ذكر إخبار الحق أصحابهم بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
...	خبر سواد بن قارب ، وإخبار الحق له بمبعث رسول الله ، وإنشادهم
١٤٢	الشعر في ذلك
١٤٦	خبر حُفَاف بن نَفْضلة الثقفي
...	أول خبر قدم المدينة عن مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
١٤٧	من الحق

صفحة	
١٤٧	خبر تميم الداري بما سمع من الجن
١٤٧	خبر أبي نحریم فانك ، وما سمع من الجن عن مبعث رسول الله ...
١٤٩	خبر مالك بن نقيع
	خبر ذباب وكلام الصنم قراض - أو نواض - وظهور جني له
١٥٠	في صورة كلب وحديثه له
	ما روى عن ربيعة بن أبي براء من إخبار الجن برسول الله صلى الله
١٥٤	عليه وسلم
١٥٦	ذكر رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الملوك وكتبه إليهم ...
١٥٧	ما نقش في خاتمه عليه والسلام
	ذكر تكلم رسله بلغة من أرسلوا إليهم بإلهام من الله ، وخطبته في رسله
١٥٧	حين بعثهم
١٥٧	إرسال عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي ملك الحبشة
	ترويح النجاشي رسول الله صلى الله عليه وسلم أم حبيبة ، وإصدافه
١٥٨	إياها عنه
	إرسال دحية الكلبي إلى قيصر ملك الروم ، وكتاب رسول الله صلى الله
١٥٨	عليه وسلم إليه
١٥٩	حديث هيرقل مع ركب قريش في أمره عليه السلام
	ما حصل من الروم عند سماعهم قراءة الكتاب النبوي ، وقول ابن
١٦١	الناطور صاحب إيلياء
١٦٣	إرسال عبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى
١٦٤	إرسال حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس
١٦٥	إرسال شجاع بن وهب الأسدي إلى الحارث الغساني ملك البلقاء
١٦٦	إرسال سليط بن عمرو العامري إلى هوزة بن علي ملك اليمامة ...
١٦٦	إرسال العلاء بن الحضرمي إلى المنذر ملك البحرين ، ومعه أبوهريرة

- ١٦٧ بعثه صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص إلى ملكي عُثْمَان
- ١٦٨ بعثه المهاجرين أمية إلى ملك اليمن
- ١٦٨ بعثه أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل إلى اليمن، وجرير بن عبد الله
- ١٦٨ البَجَلِيّ إلى ذى الكُلاع وذى عمرو
- ١٦٩ ذكر كتابه إلى جبلة بن الأيهم
- ١٦٩ إرساله الأمراء والعمال إلى الأفطار الإسلامية

أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم

- ١٧٠ أم المؤمنين خديجة أول أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم
- ١٧٣ سَوْدَةُ بنت زَمْعَةَ
- ١٧٤ عائشة بنت أبي بكر الصديق
- ١٧٥ حكيم من سبّ أبا بكر أو سبّ عائشة
- ١٧٦ حفصة بنت عمر بن الخطاب
- ١٧٨ زينب بنت خُرَيْمَةَ
- ١٧٩ أم سلمة هند بنت أبي أمية
- ١٨٠ زينب بنت جحش بن رثاب
- ١٨١ ثناء عائشة على زينب بنت جحش
- ١٨٢ جُوَيْرِيَّة بنت الحارث
- ١٨٤ رَيْحَانَةُ بنت زيد بن عمر
- ١٨٤ أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان ، وذكر زواجها وهي بالحبيشة
- ١٨٦ صفية بنت حيّ بن أخطب
- ١٨٧ رؤيا صفية قبل زواجها برسول الله صلى الله عليه وسلم
- ١٨٨ ميمونة بنت الحارث

صفحة

ذكر من تزوجهن صلى الله عليه وسلم ولم يدخل بهن
ومن دخل بهن وطلقهن ، ومن وهبت نفسها له

فاطمة بنت الضحاك	١٩٠
عمرة بنت يزيد بن الحوّن	١٩٢
العالية بنت ظبيان، وأسماء بنت النعمان	١٩٢
أميمة بنت سراحيل	١٩٤
قتيلة بنت قيس	١٩٥
عمرة بنت معاوية الكندية ، وأسماء بنت الصلت	١٩٦
مليكة بنت كعب الليثي	١٩٧
أبنة جندب بن ضمرة الجندعي	١٩٧
الغفارية، وخولة بنت الهذيل، وشراف بنت خليفة الكليلة	١٩٨
خولة بنت حكيم، وليلي بنت الخطيم	١٩٩
ليلي بنت حكيم الأنصارية، وأم شريك غزيرة	٢٠١
السّناء	٢٠٣

من خطبن صلى الله عليه وسلم ولم يتفق تزويجهن

أم هانئ بنت أبي طالب ، وضباعة بنت عامر بن قُرط	٢٠٤
صفية بنت بشامة، وجمرة بنت الحارث، وسودة القرشية	٢٠٥
أمامة بنت عمه حمزة	٢٠٦
أزواجه صلى الله عليه وسلم من العرب وأزواجه من غيرهم	٢٠٦
الخلاف في عدد من تزوجهن	٢٠٧
سراريه صلى الله عليه وسلم	٢٠٧

صفحة

أولاد رسول الله صلى الله عليه وسلم

٢٠٨	إبراهيم
٢١٠	وفاة إبراهيم وتأثره عليه السلام وما قاله حينئذ
٢١١	زينب
٢١٢	رقية
٢١٣	فاطمة
٢١٤	أم كلثوم

ذكر أعمام رسول الله صلى الله عليه وسلم

٢١٥	الحارث
٢١٦	قُثم بن عبد المطلب، والزبير، وحزمة، والعباس
٢١٧	أستسقاء عمر بالعباس
٢١٨	دعاء الأستسقاء
٢١٩	أولاد العباس
٢٢٠	أبو طالب، وأبو لهب
٢٢١	عبد الكمية، وحجل، وضرار، والغيداق

ذكر عمات رسول الله صلى الله عليه وسلم

٢٢١	صفية
٢٢٢	عاتكة بنت عبد المطلب، وأروى، وأسمية
٢٢٣	برّة بنت عبد المطلب، وأم حكيم البيضاء

خدم رسول الله الأحرار وعددهم

٢٢٣	أنس بن مالك
٢٢٤	هند وأسماء أبنا حارثة، وربيع بن كعب

صفحة

٢٢٥	عبد الله بن مسعود
٢٢٦	عُقبة بن عامر، وبلال بن رباح، وسعد مولى أبى بكر
٢٢٧	ذو نَجَسْر بن أنحى النجاشى، وبُكَيْر بن شَذَاخ، وأبو ذَرَّ الغِفَارَى
٢٢٨	أسلم بن شريك، وأبو سلام الهاشمى

موالى رسول الله صلى الله عليه وسلم

٢٢٩	زيد بن حارثة، وأسامة بن زيد، وثوبان بن بُجْد
٢٣٠	أبو كبشة، وأنسة، وشُقْران، ورَبَاح، ويسار
٢٣١	أبو رافع، وأبو موهبة، ورافع، وقُضالة، ومدغم، وكركرة
٢٣٢	زيد، وعبيد، وطهمان، ومأبور، وواقد، وأبو ضُمَيْرَة، وحُثَين
٢٣٣	أبو عسيب، وسفينة، وأبو هند، وأنجشة
٢٣٤	أنيسة، وأبو لبابة، ورويفع، وسعد
٢٣٤	ذكر جماعة أحر من الموالى
٢٣٥	موالى رسول الله من النساء
٢٣٦	حراسه وكتابه
٢٣٧	رفقاؤه النجباء
٢٣٧	صفاته الذاتية
٢٤٢	وصف خاتم النبوة
٢٤٢	صفة شعره وطوله
٢٤٣	عدد شيبه
٢٤٤	ما كان يخطب به
٢٤٥	صفاته المعنوية
	ما ورد فى أكله وشربه ونومه والأصناف التى أكل منها، وأحب
٢٤٦	ما كول إليه

صفحة	
٢٤٨	نومه صلى الله عليه وسلم وضحكه
٢٤٩	نكاحه صلى الله عليه وسلم وما يتصل به
٢٥٠	خلقه، وحابه، وأحتماله، وعفوه، وبعض من عفا عنهم
٢٥٣	جوده، وكرمه، ومخاؤه، وسماحته
٢٥٤	شجاعته، ونجدته
٢٥٦	حياؤه، وإغضاؤه
٢٥٦	حسن عشرته وأدبه وبسط خلقه صلى الله عليه وسلم
٢٥٨	عمله مع أصحابه
٢٥٩	شفقته ورأفته ورحمته لجميع الخلق
٢٦٠	وفاؤه وحسن عهده وصلته للرحم
٢٦٢	تواضعه صلى الله عليه وسلم
٢٦٤	قصيدة في شيء من صفاته
٢٦٥	عدله وأمانته وعفته وصدق لهجته
٢٦٦	وقاره وصمته وتؤدته ومروءته وحسن هديه
٢٦٧	زهده في الدنيا
٢٦٨	خوفه من الله وطاعته له وشدة عبادته
	نظافة جسمه، وطيب ريحه وعرقه، ونزاهته عن الأقدار، وعورات
٢٧٠	الجلسد
٢٧١	حديث هند بن أبي هالة وما تضمنته من أوصافه الذاتية والمعنوية
٢٧٧	مجلسه وما كان يصنع فيه
٢٧٨	سيرته في جلسائه
٢٧٩	أحواله وما ناله من شدة العيش في دنياه

صفحة

٢٨٣	تطيهه ولباسه وألوانه وأصنافه ، وطوله وعرضه
٢٨٤	الثياب الصفر
	الثياب الخضراء والسود من ثيابه ، وأصناف لباسه وطولها وعرضها ،
٢٨٥	والصوف وما ورد فيه
٢٨٦	الحبرة من برود اليمن والسندس والحرير ، وما ورد أنه لبسها ثم تركها
٢٨٧	ما ورد في ثيابه — صلى الله عليه وسلم — القطنية وأنواعها
٢٨٨	صفة إزرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعائه عند لبسه جديدا
٢٨٩	فراشه ووسادته
٢٩٠	ما لبسه من الخواتم ، والخلاف في ذلك
٢٩٢	نعله وخفاه ومرآته وقدحه وغير ذلك من أئانه
٢٩٤	ما ورد في حجامته وحجامة ، وما قال في الحجامة
٢٩٦	سلاحه وأصنافه وأسمائه
٢٩٩	ذكر دوابه من الخيل والبغال والحمير وأسمائها
٣٠١	ذكر أنعامه من إبل وغنم وأسمائها وعددها
٣٠٢	معجزاته
٣٠٣	أعظم معجزاته صلى الله عليه وسلم وهي القرآن ، ووجوه إعجازه
٣٠٨	الكلام على أنشقاق القمر
٣١٠	رجوع الشمس بعد غروبها ، وحبسها
٣١١	نبح الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم
٣١٢	تفجير الماء وأنبعاثه وتكثيره ببركته ودعائه
٣١٤	تكثير الطعام ببركته ودعائه
٣١٨	كلام الشجرة وشهادتها له بالنبوة

صفحة	
٣٢٠	قصة حنين الجذع إليه
٣٢١	نطق الجمادات له
٣٢٣	كلام الحيوانات وسكوئها إذا رآته صلى الله عليه وسلم
٣٢٧	تسخير الأسد لسفينة مولاه صلى الله عليه وسلم
٣٢٨	كلام الأموات والأطفال له
٣٣٠	إبراء المرضى وذوى العاهات بريقه صلى الله عليه وسلم
٣٣٢	شفاء الجراحات بتقله
٣٣٣	إجابة دعائه
٣٣٥	أقرب الأعيان بلمسه ومباشرته
٣٣٧	إخباره بالغيوب
٣٤٢	عصمته من الناس
٣٤٤	ما جمعه الله له من العلوم والمعارف
٣٤٧	الفريدة الشقراطيسية في معجزاته ، وصفاته صلى الله عليه وسلم
٣٥٩	ما أنزل عليه عند اقتراب أجله
٣٦١	استغفاره صلى الله عليه وسلم لأهل البقيع
٣٦٣	ذكر ابتداء وجعه وأستئذانه نساءه أن يمرض في بيت عائشة
٣٦٤	خطبته وأمره بسد الأبواب إلى مسجده إلا باب أبي بكر
٣٦٦	ما قاله في مرضه لأبي بكر
٣٦٧	أمره أبا بكر أن يصلى بالناس في مرضه
٣٧٢	ما أتفق في مرضه ولده
٣٧٣	الكتاب الذى أراد أن يكتبه ثم تركه لما وقع عنده من التنازع
٣٧٤	وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم عند المرض
	ما قاله عمر عند ما كثر اللفظ ، والاختلاف في حضرته صلى الله
٣٧٤	عليه وسلم

صفحة

- ذكر أقوال العلماء في الاعتذار عن عمر ... ٣٧٥
- أختلاف العلماء في معنى الحديث : « أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده أبدا » ... ٣٧٦
- ما وصّى به رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي مات فيه ... ٣٧٨
- الدنانير التي قسمها في مرضه الذي مات فيه ... ٣٨٠
- تخيير رسول الله بين الدنيا والآخرة عند الموت ... ٣٨٢
- ما قاله رسول الله عند نزول الموت به ... ٣٨٣
- ذكر وفاته ... ٣٨٣
- وفاته في حجر عائشة ... ٣٨٤
- ما حدث عند وفاته في الناس من شك في وفاته وطلع البعض ، وخطبة أبي بكر فيهم ... ٣٨٥
- غسل رسول الله ، وتعزية الخضر عليه السلام فيه ... ٣٨٨
- تكفينه ... ٣٩١
- الصلاة عليه ... ٣٩٢
- قبره ولحده وفرشه ، ومن دخل قبره ، ووقت دفنه ، ومدة حياته وقت دفنه ومدة مرضه ، وسنه ... ٣٩٥
- ميراثه وما روى فيه ... ٣٩٦
- ما نال أصحابه من الحزن على فقده ... ٣٩٨
- رثاؤه صلى الله عليه وسلم والقصائد في رثائه ... ٣٩٩

الحج
 تَمَّ النَّاسُ الْخَامِسَ مِنَ النَّاسِ
 قَمَّةَ الْقَمَةِ الْخَامِسَ مِنَ النَّاسِ الْخَامِسَ مِنَ النَّاسِ الْخَامِسَ مِنَ النَّاسِ
 لَمَّا دَلَّ الْأَدْلُ مِنَ الْقَمَةِ الْخَامِسَ مِنَ النَّاسِ الْخَامِسَ مِنَ النَّاسِ الْخَامِسَ مِنَ النَّاسِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه توفيقى

ذكر وفادات العرب على رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وما يتصل بذلك

كانت أكثر وفادات العرب على رسول الله صلى الله عليه وسلم في السنة التاسعة
 من الهجرة ؛ ولذلك سُمِّيَتْ سَنَةُ الْوُفُودِ . وذلك أن العرب إنما كانوا ينتظرون
 فتح مكة وإسلام هذا الحى من قريش ؛ فلما فتح الله عز وجل على رسوله
 صلى الله عليه وسلم مكة - شرفها الله تعالى - وأسلم من أسلم من قريش ، وقَدَّت
 عند ذلك وفادات العرب من كل قبيلة وجهة ، ودخلوا في دين الله أفواجا ، كما قال
 الله تعالى : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ . وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا .
 فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۝ ﴾ .

وقد رأينا إيراد ذلك على نحو ما أورده أبو عبد الله محمد بن سعد بن مَنِيع
 في طبقاته الكبرى ، ونذكر ما أورده ابن سعد ممن ذكرهم أبو محمد عبد الملك
 ابن هشام رحمه الله ، إلا أننا نبدا من ذلك بذكر من وقَدَّ على رسول الله صلى الله عليه وسلم
 عليه وسلم وهو بمكة قبل هجرته إلى المدينة ، ثم نذكر من وقَدَّ عليه صلى الله عليه وسلم
 بعد هجرته إلى المدينة وقبل فتح مكة ، نقدمهم على حسب السابقة ، ثم نذكر من
 عدا هؤلاء من الوفود الذين وقَدُوا في سنة تسع وابعدها ؛ نرتبهم على مراتبهم محمد
 ابن سعد في طبقاته في التقديم والتأخير ، ونستثنى منهم من تقدم ذكره ؛ فنقول
 وبالله التوفيق :

ذَكَرَ مَنْ وَقَدَّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وَهُوَ بِمَكَّةَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ

وَقَدَّ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ بِمَكَّةَ غَفَّارٌ ، وَأَزْدُ شَنْوَةَ ، وَهَمْدَان ،
وَالطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو الدَّوْمِيُّ ، وَنَصَارَى الْحَبَشَةِ .

ذَكَرَ وَقَدَّ غِفَارٍ وَقِصَّةَ أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ فِي سَبَبِ إِسْلَامِهِ

رَوَى الشَّيْخُ الْإِمَامُ أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْبَيْهَقِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ الْمُرْتَجَمِ
بِ«دَلَائِلِ النَّبَوَةِ» بِسَنَدِهِ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِتِ ، قَالَ قَالَ أَبُو ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

خَرَجْنَا عَنْ قَوْمِنَا غِفَارًا ، وَكَانُوا يُحِلُّونَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ ، فَخَرَجْتُ أَنَا وَأَخِي أُتَيْسُ
وَأُمْنَا ، فَأَنْطَلَقْنَا حَتَّى نَزَلْنَا عَلَى خَالٍ لَنَا ذِي مَالٍ وَذِي هَيْئَةٍ ، فَأَكْرَمَنَا وَأَحْسَنَ إِلَيْنَا ،

فَحَسَدْنَا قَوْمَهُ ، فَقَالُوا لَهُ : إِنَّكَ إِذَا خَرَجْتَ عَنْ أَهْلِكَ خَالَفَ إِلَيْهِمْ أُتَيْسٌ ، قَالَ :

بِغَاءٍ خَالِنَا فَتَنَّا عَلَيْنَا مَا قِيلَ لَهُ ؛ فَقُلْتُ لَهُ : أَمَّا مَا مَضَى مِنْ مَعْرُوفِكَ فَقَدْ كَدَّرْتَهُ ، وَلَا جَمَاعَ

لَكَ فِيهَا بَعْدَ . قَالَ : فَفَرَرْنَا صِرْمَتًا فَأَحْتَمَلْنَا عَلَيْهَا [وَيُغَطِّي خَالِنَا ثَوْبُهُ لِيَجْعَلَ يَبْكِي]

وَأَنْطَلَقْنَا حَتَّى نَزَلْنَا بِحَضْرَةِ مَكَّةَ ، فَنَافَرَ أُتَيْسٌ عَنْ صِرْمَتِنَا وَعَنْ مِثْلِهَا ، فَأَتَيْنَا الْكَاهِنَ

نُخَيْرَ أُتَيْسَا ، فَأَتَانَا بِصِرْمَتِنَا وَمِثْلِهَا مَعَهَا . قَالَ أَبُو ذَرٍّ : وَقَدْ صَلَّيْتُ يَابْنَ أَخِي قَبْلَ

أَنْ أَلْقَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِنِثْلٍ سَنِينَ . قَالَ ابْنُ الصَّامِتِ : فَقُلْتُ

لِمَنْ ؟ قَالَ : لِلَّهِ . قُلْتُ : فَأَيْنَ تَوَجَّهَ ؟ قَالَ : أَتَوَجَّهَ حَيْثُ وَجَّهَنِي اللَّهُ ؛ أَصَلَّيْتُ عِشَاءً

(١) فِي الدَّلَائِلِ : « هَيْبَةٌ » . (٢) تَنَا عَلَيْنَا : أَيْ أَظْهَرَ إِلَيْنَا وَحَدَّثَنَا بِهِ . وَفِي الدَّلَائِلِ :

« فَتَنَّا » . (٣) جَمَاعَ : أَجْتَمَعَ . (٤) الصِّرْمَةُ : الْقِطْعَةُ مِنَ الْإِبِلِ ، وَارْتَخَلَفَ فِي عِدَدِهَا ، فَقِيلَ :

هِيَ مِنَ الْعِشْرِ إِلَى الْأَرْبَعِينَ ، وَقِيلَ غَيْرَ ذَلِكَ . (٥) الزِّيَادَةُ مِنَ الدَّلَائِلِ . (٦) فِي الْأَصْلِ :

« فَفَرَرْنَا أُتَيْسَا » . وَفِي الطَّبَقَاتِ : « نُخَيْرَ أُتَيْسَا بِمَا هُوَ عَلَيْهِ » . (٧) فِي الدَّلَائِلِ : « يُوَجَّهَنِي » .

حتى إذا كان من آخر الليل أُلْقِيَتْ كَأَنِّي خَفَاءً^(١) — يعني الثوب — حتى تعلقني الشمس . فقال أنيس : إن لي صاحباً بمكة فَأَكْفِنِي حتى آتيك . فَأَنْطَلِقُ أَنَيْسُ^(٢) حتى أتى مكة فراث علي^(٣) ، ثم أتاني فقلت : ما حبسك ؟ قال : لَقِيتُ رجلاً بمكة يزعم أن الله أرسله على دينك^(٤) . قال : قلت ماذا يقول الناس فيه ؟ قال : يقولون إنه شاعرٌ وساحرٌ وكاهنٌ . قال : وكان أنيس أحد الشعراء — وفي رواية عنه : والله ما سمعت بأشعر من أنى أنيس — لقد ناقض أنى عشر شاعراً في الجاهلية أنا أحدهم . قال فقال أنيس : لقد سمعتُ قول الكهنة فما هو بقولهم ، ولقد وضعت قوله على أقراء الشعر فلم يلتئم^(٥) ، وما يلتئم والله على لسان أحد بعدى أنه شعرٌ ، والله إنه لصادقٌ وإنهم لكاذبون . قال : قلبت له هل أنت كافٍ حتى أنطلق فأنظر ؟ فقال : نعم ! وكُنْ من أهل مكة على حذر ، فإنهم قد شَفَقُوا له وَتَجَمَّهَمُوا . فَأَنْطَلَقْتُ حتى قدمت مكة ، فَتَضَعَّفْتُ رجلاً منهم فقلت : أين هذا الذي تدعونه الصابئ ؟ قال : فأشار إلى^(٦) ، الصابئ ! قال علي^(٧) : أهل الوادي بكل مدرة وعظم حتى نحررت مغشياً علي^(٨) . قال : فارتفعت حين آرتفعت كأني نُصِبْتُ^(٩) أحمر ، فأبيت زمزم فشربت من مائها ، وغسلت عني الدَّم ، ودخلت بين الكعبة وأسوارها ، ولقد لبثت بآبن أخي ثلاثين من بين ليلة ويوم ومالي طعام إلا ماء زمزم ، فسمِنتُ حتى تكسرت عُنْكَ بطني ، وما وجدت على كبدي سُخْفَةً جوع^(١٠) . قال : فبينما أهل مكة في ليلة

(١) الخفاء . (بالكسر) : يعني الكساء . وكل شيء غطيت به شيئاً فهو خفاء ، وقد فسرهُ المؤلف .
(٢) في الدلائل والطبقات : إن لي حاجة . الخ . (٣) راث : أبطأ . (٤) في الدلائل : « على دينه » : أي على دين الله . (٥) أقراء الشعر : طريقه وأنواعه . (٦) شفق له كفرج : أبفضه وشكره . وتجمهم له : استغبله بغلظة ووجه كرهه . (٧) تضعفت : استضعفت .
(٨) في الطبقات : « هذا الصابئ » . (٩) النصب : الصنم ؛ والمعنى أنهم ضربوه حتى أدموه فصار كالنصب المحمر بدم الذبايح . (١٠) سُخْفَةُ الجوع : رفته وهزاله .

قراءاً وإضحياناً، قد ضرب الله على أضيحة أهل مكة فما يطوف بالبيت أحد غير أمرأتين^(١) وهما تدعوان إيسافاً ونائلة^(٢)، فأتتا على^(٣) في طوافهما فقلت: أنكما إحداهما الأخرى، فما شأهما ذلك عما قالنا. فأتتا على^(٣) فقلت: هن مثل الخشبة غير أني لا أكثي، فأطلقتا تولولان وتقولان: لو كان هاهنا أحد من أنفارنا! قال: فاستقبلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وهما هابطان من الجبل، فقال لهما: مالكما؟ قالتا: الصابئ بين الكعبة وأستارها. قال: ما قال لكما؟ قالتا: قال لنا كلمة تملأ^(٤) الفم. فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وصاحبه [فاستلم الحجر ثم طاف بالبيت هو وصاحبه] ثم صلى^(٤)، فلما قضى صلاته قال أبو ذر: فأتيته فكنت أول من حياه بتحية الإسلام، فقال: «وعليك ورحمة الله»، ثم قال: «من أنت؟» قلت: من غفار، قال: فأهوى بيده فوضع يده على جبينه، فقلت في نفسي: ١٠ كره أني أنتميت إلى غفار، قال: فأهويت لأخذ بيده، فقد عني صاحبه وكان أعلم به مني، ثم رفع رأسه فقال: «متى كنت هاهنا؟» قلت: منذ ثلاثين من ليلة ويوم^(٦)، قال: «فمن كان يطعمك؟» قلت: ما كان لي من طعام إلا ماء زمزم، فسمعت حتى تكسرت عكن بطني، وما وجدت على كبدي سحفة جوع، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنها مباركة، إنها طعام طعم^(٧)، وشفاء سقم» ١٥ فقال أبو بكر: يا رسول الله! إيدن لي في إطعامه الليلة، ففعل، فأطلق رسول الله

(١) إضحيان: مضطربة مقررة. يقال: ليلة إضحيان وإضحيان؛ - الألف والنون زائدتان.

(٢) إيساف ونائلة: صبيان. (٣) في الأصول: «قالا». وفي الطبقات: «عن قولهما».

(٤) الزيادة من الدلائل. (٥) قد عني: من عني. وفي ابن الأثير فذهبت أقبل بين عينيه

فقد عني بعض أصحابه. (٦) في الدلائل: قد كنت هاهنا منذ ثلاثين ليلة ويوم.

وفي الطبقات: من بين ليلة ويوم. (٧) طعام طعم: أي يشبع الإنسان إذا شرب ماءها كما

يشبع من الطعام.

صلى الله عليه وسلم وأبو بكر، وأنطلقت معهما حتى فتح أبو بكر بابه، فجعل يقبض لنا من زبيب الطائف، فكان ذلك أول طعام أكلته بها، قال: فقبرت ما غبرت، ثم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إني وجهت إلى أرض ذات نخيل لا أحسبها إلا يثرب، فهل أنت مبلغ عني قومك لعل الله أن ينفعهم بك، ويأجرك فيهم»؛ قال: فأطلقت حتى أتيت أنى أنيساً فقال لي: ما صنعت؟ قلت: أسلمت وصدقت، قال: فما بي رغبة عن دينك، فإني قد أسلمت وصدقت. ثم أتينا أمنا، فقالت: ما بي رغبة عن دينكما، فإني قد أسلمت وصدقت، قال: ثم آخمتنا حتى أتينا قومنا غفارا، فأسلم نصفهم قبل أن يقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، وكان يؤمهم خفاف بن إيماء ابن رخصة الغفاري، وكان سيدهم يومئذ، وقال بقيتهم: إذا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلمنا، فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فأسلم بقيتهم، وجاءت أسلم، فقالوا: يا رسول الله! إخواننا، تسلم على الذي أسلموا عليه. فأسلموا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «غفار غفر الله لها وأسلم سالمها الله».

وهذه الرواية في خبر إسلام أبي ذر؛ قد روى مسلم في صحيحه نحوها، وهي تخالف رواية البخاري.

وروى البيهقي عن أبي ذر قال: كنت رُبَّع الإسلام، أسلم قبل ثلاثة نفر وأنا الرابع؛ أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: السلام عليك يا رسول الله، أشهد

(١) غبرت ما غبرت: أي مكثت ما مكثت. (٢) في أسد الغابة: كان أبوه سيد غفار

وكان هو إمام بني غفار. وفي التاج: خفاف كغراب، وأبوه إيماء بكسر الهمزة والمد وفتحها

والقصر، ووحضة قبل محركة ويقال بالضم ويقال بالفتح. (٣) أي غفار.

(٤) ربع: بضم الباء وإسكانها بمعنى رابع.

أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنْ مَجْدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، فَرَأَيْتَ الْإِسْتِبْشَارَ فِي وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

- وروى أبو عمر بن عبد البر بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : لما بلغ أبا ذر مَبْعَثُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ قَالَ لِأَخِيهِ أُتَيْسَ : أَرْكَبْ إِلَى هَذَا الْوَادِي ، فَأَعْلَمْ لِي عِلْمَ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ يَأْتِيهِ الْخَبَرُ مِنَ السَّمَاءِ ، وَأَسْمِعْ مِنْ قَوْلِهِ ، ثُمَّ آتَيْتِي ، فَأَنْطَلَقَ حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ وَسَمِعَ مِنْ قَوْلِهِ ثُمَّ رَجَعَ ، فَقَالَ : رَأَيْتُهُ يَأْمُرُ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ ، وَسَمِعْتُ مِنْهُ كَلَامًا مَا هُوَ بِالشَّعْرِ . قَالَ : مَا شَفَّيْتَنِي فِيمَا أَرَدْتُ ، فَتَرَوُدُ وَحِلَّ شَنْةٍ لَهُ فِيهَا مَاءٌ حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ فَأَتَى الْمَسْجِدَ ، فَالْتَمَسَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا يَعْرِفُهُ ، وَكَرِهَ أَنْ يُسْأَلَ عَنْهُ حَتَّى أَدْرَكَهُ اللَّيْلُ ، فَأَضْطَجَعَ فَرَأَاهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، فَقَالَ : كَأَنَّ الرَّجُلَ غَرِيبٌ ، قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ أَنْطَلِقْ إِلَى الْمَنْزِلِ ، قَالَ : فَأَنْطَلَقْتُ مَعَهُ لَا يُسْأَلُنِي عَنْ شَيْءٍ وَلَا أَسْأَلُهُ ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ مِنَ الْغَدِ رَجَعْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ ، وَبَقِيتُ يَوْمِي حَتَّى أَمْسَيْتُ وَصَرْتُ إِلَى مَضْجَعِي ، فَتَرَبَّى عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، فَقَالَ : أَمَا آنَ لِلزَّجَلِ أَنْ يَعْرِفَ مَنَزْلَهُ ؟ فَأَقَامَهُ وَذَهَبَ بِهِ مَعَهُ ، وَمَا يُسْأَلُ وَاحِدٌ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ عَنْ شَيْءٍ ، حَتَّى إِذَا كَانَ الْيَوْمَ الثَّلَاثُ فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ ، فَأَقَامَهُ عَلِيُّ مَعَهُ ، ثُمَّ قَالَ : أَلَا تَحَدِّثُنِي مَا الَّذِي أَقْدَمَكَ هَذَا الْبَلَدَ ؟ قَالَ : إِنْ أُعْطِيتَنِي عَهْدًا وَمِثَاقًا لَتُرْسِدَنِي فَعَلْتُ ، فَفَعَلَ ، فَأَخْبَرَهُ عَلِيُّ أَنَّهُ نَبِيٌّ ، وَأَنْ مَا جَاءَ بِهِ حَقٌّ ، وَأَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ، قَالَ : فَإِذَا أَصْبَحْتُ فَاتَّبِعْنِي ، فَإِنِّي إِنْ رَأَيْتُ شَيْئًا أَخَافُ عَلَيْكَ قُتُّ كَأَنِّي أُرِيقُ الْمَاءَ ، فَإِنْ مَضَيْتُ فَاتَّبِعْنِي حَتَّى تَدْخُلَ مَدْحَلِي ، قَالَ : فَأَنْطَلَقْتُ أَقْفُوهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَدَخَلْتُ مَعَهُ وَجِيتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحُجَّةِ الْإِسْلَامِ ، فَقُلْتُ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ! فَكَنْتُ أَوَّلَ مَنْ حَيَّاهُ بِحُجَّةِ الْإِسْلَامِ ، فَقَالَ : ” وَعَلَيْكَ السَّلَامُ ، مِنْ

أنت؟ قلت: رجل من غفار، فعرض على الإسلام، فأسلمت وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أرجع إلى بلاد قومك، وأخبرهم، وأكثم أمرك عن أهل مكة، فإني أخشاهم عليك"، فقلت: والذي نفسى بيده لأصرحن بها بين أظهرهم، فخرج حتى أتى المسجد فنادى بأعلى صوته! أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، فتاب القوم إليه فضر به حتى أضجعوه، وأتى العباس فأكب عليه وقال: ويلكم! أولستم تعلمون أنه من غفار، وأن طريق تجاركم إلى الشام عليهم! وأنقذه منهم، ثم عاد إلى مثلها، وثاروا إليه فضر به، فأكب عليه العباس فأنقذه، ثم لحق بقومه. وكان هذا أول إسلام أبي ذر.

ومن رواية الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب قال: قدم أبو ذر على النبي صلى الله عليه وسلم وهو بمكة فأسلم، ثم رجع إلى قومه، فكان يسخر بالهتهم، ثم إنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة، فلما رآه وهم في آسمة، فقال: «أنت أبو ثملة؟» قال: أنا أبو ذر، قال: «نعم أبو ذر».

ذكر وفد أزد شنوءة وكيف كان إسلام ضماد

روى أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي — رحمه الله — بسنده إلى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قدم ضماد مكة، وهو رجل من أزد شنوءة، وكان يرفق من هذه الرياح، فسمع سفهاء الناس يقولون: إن محمداً

(١) تاب: أى أقبل. ومثله «ثار» كقوله بعد «ثاروا». (٢) ثار إلى الشر:

أض. (٣) ضماد ككاتب ابن ثعلبة الأزدى، قال في أسد الغابة: كان صديقاً للنبي صلى الله

عليه وسلم في الجاهلية، وكان يظبط ورق ويطلب العلم، أسلم أول الإسلام. ويرى ضمام بالميم.

(٤) في الدلائل: «فسمع سفهاء من سفهاء الناس».

مجنون ، فقال : آتى هذا الرجل لعل الله أن يشفيه على يدي ، قال : فلقيت
 محمدا ، فقلت : إني أرتقي من هذه الرياح ، وإن الله يشفي على يدي من يشاء ،
 فهلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الحمد لله فحمده ونستعينه ، من
 يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، أشهد أن لا إله إلا الله وحده
 لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله » ثلاث مرات ، فقال : تالله لقد سمعت
 قول الكهنة ، وقول السحرة ، وقول الشعراء ، فما سمعت مثل هؤلاء الكلمات ،
 فهلم يدك أبيك على الإسلام ، فبايعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال له :
 « وعلى قومك » ؟ فقال : وعلى قومي ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية
 فمزوا بقوم ضماد ، فقال صاحب الجيش للسرية : هل أصبتم من هؤلاء شيئا ؟ فقال رجل
 منهم : مطهرة^(١) ، فقال : « ردوها عليهم فإنهم قوم ضماد » . رواه مسلم في صحيحه .
 وروى القاضي عياض بن موسى في كتابه المترجم بـ (الشفاء ، بتعريف حقوق
 المصطفى) : أن ضمادا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أعد علي كلماتك هؤلاء
 فلقد بلغن قاموس البحر ، هات يدك أبيك .^(٢)

ذكر وفد همدان

قال محمد بن سعد رحمه الله تعالى : أخبرنا هشام بن محمد ، قال : حدثنا جبان
 ابن هاني بن مسلم بن قيس بن عمرو بن مالك بن لؤي الهمداني ثم الأرحبي عن
 أشياخهم ، قالوا : قدم قيس بن مالك بن سعد بن مالك بن لؤي الأرحبي على رسول

(١) المطهرة بالكسر والفتح : إنا يطهره ويتوضأ مثل سطل أو ركوة ، والمطهرة الأداة . وزاد
 في الدلائل : « أصبت منهم » . (٢) قاموس البحر : قمره . (٣) أرحب : بطن
 من همدان . قيس بن مالك كاتب النبي صلى الله عليه وسلم وأسلم بعد أن كتب إليه . وكتابه صلى الله عليه
 وسلم إليه مذكور في أسد الغابة وغيره . (٤) في نسخة ١ : سعد بن سعيد بن مالك ، وفي نسخة
 ج : سعد بن منقذ بن مالك ؟ وليس بصحيح ، وإنما هو سعد بن مالك كما في ابن سعد وغيره .

الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة ، فقال : يا رسول الله أتيتك لأؤمن بك وأنصرك ؛ فقال له : « مرحباً بك ، أناخذوك بما في يامعشر همدان » ؟ قال : نعم ؛ بأبي أنت وأُمِّي ، قال : « فأذهب إلى قومك ، فإن فعلوا فأرجع أذهب معك » ، فخرج قيس إلى قومه ، فأسلموا وأغتسلوا في جوف المحورة ^(١) — وهو ماء يغتسلون فيه — وتوجهوا إلى القيلة ^(٢) ، ثم خرج بإسلامهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : قد أسلم قومي وأمروني أن آخذك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نعم وافد القوم قيس » ، وقال : « وقيت وفي الله بك » ، ومسح بناصيته ، وكتب عهده على قومه همدان : أحمرها وعربها وخلائطها ومواليها أن يسمعوا له ويطيعوا ، فإن لهم ذمة الله وذمة رسوله ما أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة ؛ وأطعمه ثلاثمائة فرق ^(٣) ، من خيوان مائتان : زبيب وذرة شطران ^(٤) ، ومن عمران الجوف مائة فرق بُر ، جارية أبداً من مال الله .

ومن طريق آخر له قال : عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه بالموسم على قبائل العرب ، فتربه رجلٌ من أرحب يقال له : عبد الله بن قيس بن أم

(١) كذا في الأصول وفي ابن سعد . وجوف المحورة : موضع ببلاد همدان ، انظر معجم البلدان « جوف » . (٢) في الأصول : « نرجوا » ، وما أثبتناه عن الطبقات . والمقام يقتضيه . (٣) أحمرها : قدم ، وآل ذي مران ، وآل ذي لعة ، وأذوا . همدان ، كذا في الطبقات . وفي أسد الغابة : حورها (بنير ألف) : أهل القرى ، من الحرة سمى أهل القرى بالحرة لأنهم بيض ، والعرب تطلق الأحمر وتريد الأبيض ، وعربها أهل البادية . وفيه : وعربهم وحورهم ومواليهم . وليس فيه خلطاء ، وإن صح قلل اللفظ خلطائهما ، وهو جمع خليط ، وهم خلطاء الناس . في الطبقات : « وغربها (بالعين المعجمة) أرحب ، ونهم ، وشاكر ، ووادة ، ويام ، ومرهبة ، ودالان ، وخارف ، وعطر ، وحجور » . (٤) الفرق (بفتح حين) : مكال ؛ يقال إنه يسع ستة عشر رطلاً . وخيوان : بلد باليمن . (٥) شطران بالفتح ويكسر أى نصفان .

(٦) عمران كتمان : قرية من بلاد مراد باليمن بالجوف بها .

غزال ، فقال : « هل عند قومك من منعة » ؟ قال : نعم ، فعرض عليه الإسلام ، فأسلم ، ثم إنه خاف أن يُخْفَرَه قومه فوعده الحج من قائل ، ثم وجهه الحمداني يريد قومه ، فقتله رجل من بني زُبَيْد يقال له ذُبَاب ، ثم إن قِتْنَةَ من أَرْحَب قتلوا ذُبَاباً الزُبَيْدِيَّ بعبد الله بن قيس . هذا قبل الهجرة .

- وأما بعد الهجرة ، فقد روى محمد بن إسحق رحمه الله ، قال : قدم وفدُ همدان على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، منهم مالك بن نَمَط ، وأبو نور وهو ذو المشعار ، ومالك بن أَيْقَع ، وضمَام بن مالك السُّلَمَانِي ، وعميرة بن مالك الحارقي ، فلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مَرَّجَعَهُ من تَبُوك ، وعليهم مُقَطَّعاتُ الحَبَرَات والعِثَامِ العَدْنِيَّة ، برحال المَيْس على المَهْرِيَّة والأَرْحِيَّة ، ومالك بن نَمَط ، ورجل آخر رَتِجَزَان بالقوم ؛ يقول أحدهما :

هَمْدَانُ خَيْرُ سُوقَةٍ وَأَقْيَالُ * لَيْسَ لَهَا فِي الْعَالَمِينَ أَمْسَالُ
مَحَلُّهَا الْهَضْبُ وَمِنْهَا الْأَبْطَالُ * لَهَا إِطَابَاتُ بِهَا وَآكَالُ

- (١) يخْفَرَه قومه : ينقضون عهده وذمامه .
(٢) الحبرات جمع حبرة ، وزان عنية : ثياب بيضة من قطن أو كان مخطوط يقال له : برد حبرة على الوصف أو على الإضافة ، والعَدْنِيَّة نسبة إلى عدن .
(٣) الميس : الشجر الذي يصنع منه الرحال .
(٤) المهرية : نوع من النجائب المنسوبة إلى مهرة ، وهي قبيلة عربية تسكن أعالي اليمن الشمالية .
(٥) والأَرْحِيَّة نسبة إلى أَرْحَب بطن في همدان ، وانظر السيل ٢ : ٤٩ .
(٦) الأقيال جمع قيل وهو الملك في لغة أهل اليمن .
(٧) يريد المرتفعات من الأرض واحدا هضبة . (٨) الإطابات : الأطعمة الطيبة ، من أطاب قدم طعاما طيبا ، وفي نسخة ج : الرطابات . وآكال : ما تكل الملوك كما في اللسان . وفي شرح السيرة لمُتَشَي ٢ : ٤٤٧ : « آكال : هو ما يأخذه الملك من رعيه وظيفة عليهم له » .

ويقول الآخر :

إليك جَاوَزَنَ سَوَادَ الرَّيِّفِ * فِي هَبَوَاتِ الصَّيْفِ وَالْحَرِيفِ
مُخَطَّاتٍ بِحِبَالِ اللَّيْفِ *

فقام مالك بن نَمَطٍ بين يديه ، ثم قال : يا رسول الله ! نَصِيَّةٌ ^(٣) مِنْ هَمْدَانٍ مِنْ كُلِّ
حَاضِرٍ وَبَادٍ ، أَتَوَكَّ عَلَى قُلُوصِ نَوَاجٍ ، مُتَّصِلَةٌ بِجِبَالِ الْإِسْلَامِ ، لَا نَأْخُذُهَا فِي اللَّهِ
لَوْمَةً لَا تَمُ ، مِنْ مِخْلَافٍ خَارِيفٍ وَيَا يَمُ ، أَهْلُ السُّودِ وَالْقُودِ ، أَجَابُوا دَعْوَةَ
الرَّسُولِ ، وَفَارَقُوا آلِهَاتِ الْأَنْصَابِ ، عَهْدَهُمْ لَا يُنْقِضُ مَا أَقَامَتْ لَعْنُ ، وَمَا جَرَى
الْيَعْفُورُ ^(٨) بِضَلَعٍ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « نِعِمَّ الْحَيُّ هَمْدَانُ ، مَا أَسْرَعَهَا
إِلَى النَّصْرِ ، وَأَصْبَرَهَا عَلَى الْجُحْدِ ، وَمِنْهُمْ أَبْدَالُ ، وَفِيهِمْ أَوْتَادُ الْإِسْلَامِ » ، وَكَتَبَ
لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِتَابًا ، فِيهِ : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . كِتَابُ
مِنْ [مَجْدِ] رَسُولِ اللَّهِ لِمِخْلَافِ خَارِيفٍ وَأَهْلِ جَنَابِ الْهَضْبِ وَحِقَافِ الرَّمْلِ ، مَعَ ^(١٠)

- (١) الهبوات جمع هبوة وهي العبرة . (٢) مخططات : مجعول لها خطاط من الليف وهو المسد .
وفي هذا الصنف نوع يكون منه الخطاط فائرا وافتخاره يدل على أنه يريد الخطاط الفاجر من هذا النوع .
(٣) النصبة : الأخبار الأشراف . (٤) القلوص : ككتب جمع قلووص رسول وهو الفتي
من الإبل . ونواج : جمع ناجية وهي السريعة لأنها تجوز بصاحبها . (٥) المخلاف : المدينة
بلغة اليمن . وخارف ويام وشاكر من قبائل اليمن . (٦) السود : الإبل . والقود : الخيل .
(٧) لعلع : جبل . يذكر ويؤث . قال ابن الأثير : أنه لأنه جعله اسما للبقعة حول الجبل .
(٨) اليعفور الطي الذي يشبه لونه التراب أو الطي مطلقا . والضلع : القوة والشدة . وفي نسخة من
سيرة ابن هشام « بضاع » : اسم موضع . (٩) الأبدال الأولياء . والعياد ، الواحد بدل كعمل
وأحوال ؛ سموا بذلك لأنهم كلامات واحد منهم أبدل بآخر . والأوتاد من البلاد : رؤسائها .
(١٠) الزيادة من سيرة ابن هشام . (١١) جناب الهضب : موضع .
(١٢) الحقاف (بالكسر جمع حقف بالكسر) : الرمال المستطيل المشرف ، ولعل الحديث
الشريف يشير إلى رمال الأحقاف ؛ لأنها بالشعر من اليمن .

وَأَقْدَهَا ذِي الْمَشْعَارِ مَالِكُ بْنُ نَمَطٍ ، وَمَنْ أَسْلَمَ مِنْ قَوْمِهِ ، عَلَى أَنْ لَمْ فِرَاعِهَا ^(١)
 وَوَهَاطُهَا وَعَزَّازُهَا ، يَأْكُلُونَ عِلَاقَهَا ، وَيَرْعُونَ عَافِيَهَا ، لَنَا مِنْهُمْ مِنْ دَفْنِهِمْ وَصِرَامِهِمْ ^(٢) ^(٣) ^(٤) ^(٥) ^(٦) ^(٧)
 مَا سَلَّمُوا بِالْمِيثَاقِ وَالْأَمَانَةِ ، وَلَهُمْ مِنَ الصَّدَقَةِ الثَّلَاثُ وَالنَّابُ وَالْفَصِيلُ وَالْفَارِضُ ^(٨) ^(٩) ^(١٠)
 وَالْدَّاجِنُ وَالْكَبْشُ الْحَوْرِيُّ ، وَعَلَيْهِمْ فِيهَا الصَّالِغُ وَالْقَارِخُ ، مَا أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا ^(١١) ^(١٢)
 الزَّكَاةَ ، لَمْ يَبْذَلْ عَهْدَ اللَّهِ وَذِمَامُ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَشَاهِدُهُمُ الْمُهَاجِرُونَ ^(١٣)
 وَالْأَنْصَارُ ^(١٤) .

(١) الفِرَاعُ مِنَ الْأَرْضِ أَعَالِيهَا . (٢) الرُّهَاطُ مِنَ الْأَرْضِ الْمُنْحَفِضُ الْمَطْمُنُ .
 (٣) عَزَّازُ الْأَرْضِ : مَا صَلَبَ مِنْهَا وَخَشَنَ وَأَشَدَّ وَإِنَّمَا يَكُونُ فِي أَطْرَافِهَا . وَيُقَالُ الْعَزَّازُ الْمَكَانُ
 الصَّلْبُ السَّرِيعُ السَّيْلُ . (٤) الْعِلَاقُ : مَا تَلْفَهُ الدَّرَابُ . وَهُوَ جَمْعُ عِلْفٍ بِقَتْنَتَيْنِ .
 (٥) عَافِيَا : النَّبَاتُ الْكَثِيرُ . وَفِي نَسْخَةِ ج : عَفَاها أَيْ عَفَوْهَا ، وَالْعَفْوُ مَا لَيْسَ لِأَحَدٍ فِيهِ مَلِكٌ .
 (٦) مِنْ دَفْنِهِمْ : أَيْ مِنْ إِبْلِهِمْ وَغَنَمِهِمْ . وَالْدَفْ : نَتَاجُ الْإِبِلِ وَمَا يَنْفَعُ بِهِ مِنْهَا ، سَمَّاها دَفْنًا لِأَنَّهَا
 يَتَخَذُ مِنْ أَرْبَارِهَا وَأَصْوَانِهَا مَا يَسْتَدْفَأُ بِهِ . (٧) الصِّرَامُ : قَطْعُ النَّخْلِ ، يُقَالُ هَذَا أَرَانُ صِرَامِهَا
 أَيْ جِزْءُهَا ، وَالْمُرَادُ زَكَاةُ الْبَقَرِ . (٨) الثَّلَاثُ بِكَسْرِ الْمِثَالَةِ : الْجَبَلُ الَّذِي تَكَسَّرَتْ أُنْيَابُهُ مِنَ الْحَرَمِ ،
 وَالنَّابُ : الْمِهْرَةُ مِنَ الْإِبِلِ . (٩) الْفَصِيلُ : الصَّغِيرُ مِنَ الْإِبِلِ الَّذِي فَضَلَ عَنْ أُمِّهِ ، وَقَدْ يُقَالُ
 فِي الْبَقَرِ . (١٠) الْفَارِضُ : الْمَسْنُ الْحَرَمُ . (١١) الدَّاجِنُ : هِيَ الْحُلُوبَةُ الْمُلَازِمَةُ لِلْإِنْسَانِ ؛
 مِنْ دَجَنَ أَقَامَ بِالْمَكَانِ ، وَاسْمُ مَا يَأْلَفُ الْإِنْسَانُ مِنْ شَاءٍ وَطَيْرٍ وَغَيْرِهِ دَوَاجِنُ . (١٢) الْكَبْشُ
 الْحَوْرِيُّ : قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ مَنْسُوبٌ إِلَى الْحَوْرِ وَهِيَ جُلُودٌ تَتَخَذُ مِنْ جُلُودِ الضَّأْنِ . (١٣) الصَّالِغُ بِالضَّادِ
 الْمَهْمَلَةِ آخِرُهَا مَعْجَمَةٌ ، وَهُوَ مِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ الَّذِي كُلُّ سَهْ ، وَذَلِكَ فِي السَّنَةِ السَّادَةِ . كَذَا فِي النَّهْيَةِ .
 وَفِي نَسْخَةِ : الصَّالِغُ ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ وَعَلِقَ عَلَيْهِ مَحْشٌ بِأَنَّهُ الْمَسْنُ . (١٤) الْقَارِخُ مِنَ الْخَيْلِ هُوَ الَّذِي دَخَلَ
 فِي السَّنَةِ الْخَامَةِ . (١٥) أَوْرَدَ ابْنُ هِشَامٍ فِي سِيرَتِهِ أَيْبَاتًا قَالَهَا مَالِكُ بْنُ نَمَطٍ فِي مَدْحِ رَسُولِ اللَّهِ وَهِيَ :

ذَكَرْتُ رَسُولَ اللَّهِ فِي لَحْمَةِ الدَّبَجِ وَنَحْنُ بِأَعْلَى رَحِمَاتِهِ وَصَلَدِ
 وَهَنْ بَنِي خُصُوصٍ طَلَاغِحُ تَنْتَلِي بِرُكْبَانِهَا فِي لَحَابٍ مَتَمَدِّ
 عَلَى كُلِّ فِئْلَةٍ الذَّرَاعَيْنِ جَسْرَةٍ تَمْرِينَا مِنَ الْمُهْجَفِ الْخَفِيسِدِ
 حَلَقْتُ بِرَبِّ الرَّاغِصَاتِ إِلَى مَنَى صَوَادِرَ بِالرِّكَانِ مِنْ هَضْبِ قَرَدِ
 بِأَنْ رَسُولَ اللَّهِ فِينَا مَصْدَقُ رَسُولِ أَتَى مِنْ عِنْدِ الْعَرْشِ مَهْتَدِي
 فَاحْلَتْ مِنْ نَاقَةٍ فَوْقَ رَحْلِهَا أَشَدَّ عَلَى أَعْدَائِهِ مِنْ مُحَمَّدِ
 وَأَعْطَى إِذَا مَا طَالَ الْعَرَفُ جَاءَهُ وَأَمْنَى بِحِمَّةِ الْمَشْرِقِ الْمَهْنَدِ

ذكر وفادة الطُّفَيْل بن عمرو الدَّوْسِيِّ وإسلامه

قال محمد بن إسحق رحمه الله تعالى : كان الطُّفَيْل بن عمرو الدَّوْسِيُّ يُحَدِّثُ
 أنه قدم مكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بها ، فشى إليه رجالٌ من قريش
 — وكان الطُّفَيْل رجلاً شريفاً شاعراً ليلاً — فقالوا له : يا طُفَيْلُ ! إنك قدمت
 بلادنا ، وهذا الرجل الذى بين أظهرنا قد أعْضَلَ بنا ، قد فزق بين جماعتنا ،
 وشَتَّتَ أمرنا ، وإنا قوله كالسَّحَرِ يَفْزِقُ بين الرجل وبين أبيه ، وبين الرجل وبين
 أخيه ، وبين الرجل وبين زوجته ، وإنا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل
 علينا ، فلا تكلمنه ، ولا تسمع من شَيْءٍ . قال الطُّفَيْل : فوالله ما زالوا بى حتى
 أَجْمَعْتُ على ألا أسمع منه شيئاً ولا أَكَلِمَهُ ، حتى حَشَوْتُ فى أذنى حين غَدَوْتُ
 إلى المسجد كَرَسُفًا ^(١) فَرَقًا ^(٢) من أن يبلغنى شَيْءٌ من قوله ، وأنا لا أريد أن أسمعته ^(٣) !
 قال : فغَدَوْتُ إلى المسجد ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائمٌ يَصِلُّ عند
 الكعبة ، فقممت منه قريباً ، فأبى الله إلا أن يُسْمِعَنى بعضَ قوله ، فسمعت كلاماً
 حسناً ، فقلت فى نفسى : وانكَلِ أُمِّى ؛ والله إنى لرجلٌ لبيبٌ شاعرٌ ، وما يخفى
 على الحَسَنِ من القبيح ، فما يَمْنَعُنِ أن أسمع من هذا الرجل ما يقول ؟ فإن كان
 الذى يأتى به حسناً قَلْبَتُهُ ، وإن كان قبيحاً تَرَكْتُهُ ، قال : فمكثت حتى أنصرف
 رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيته ، فأتبعته حتى إذا دخل بيته [دخلت عليه ^(٤)]
 فقلت : يا محمد إن قومك قد قالوا لى كذا وكذا — للذى قالوا — فوالله
 ما برحوا يخوفونى أمرَكَ حتى سَدَدْتُ أذنى بكرسُفٍ ألا أسمع قولك ، ثم أبى
 الله إلا أن يُسْمِعَنى قولك ، فسمعت قولاً حسناً ، فأعرض على أمرِكَ . قال :

(١) كرسفاً : أى فظناً . (٢) فرقا : أى خوفاً . (٣) فى ابن سعد :

« حتى كان يقال لى ذوالنظمتين » . (٤) الزيادة من سيرة ابن هشام .

فعرض عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام ، وتلا عليّ القرآن ، فلا والله ما سمعت قولاً قطّ أحسن منه ، ولا أمراً أعَدَل منه ، فأسلمتُ ، وشهدت شهادة الحق ، فقلت : يا نبيّ الله ! إني أمرؤ مُطاعٌ في قومي ، وأنا راجع إليهم فداعيهم إلى الإسلام ، فأدعُ الله أن يجعل لي آية تكون لي عوناً عليهم فيما أدعوهم إليه .

فقال : « اللهم أجعل له آية » ، فخرجت إلى قومي ، حتى إذا كنت بِنَيْبَةٍ تطلّعي على الحاضرِ وقع نورٌ بين عيني مثل المصباح ؛ قلت : اللهم في غير وجهي ! إني أخشى أن يظنوا أنها مُثَلَّة وقعت في وجهي لفراق دينهم ، قال : فتحوّل النور فوق في رأس سوطي ، بفعل الحاضرِ يتراءون ذلك النور في سوطي كالقنديل المعلق ، وأنا أهبط إليهم من النّبيّة حتى جئتهم ، فأصبحتُ فيهم ، قال : فلما نزلتُ أنا في أبي وكان شيخاً كبيراً ، فقلتُ : إليك عني يا أبتِ ، فلستُ منك ولستُ مني ، قال : لمَ يا بني ؟ قلتُ : أسلمتُ وتابعت دين محمد ، قال : أي بني ! فديني دينك ، قلتُ : فأذهب وأغتسل ، وطهّر ثيابك ، ثم تعال حتى أعلمك مما علّمت ، فذهب فأغتسل وطهّر ثيابه ثم جاء ، فعرضت عليه الإسلام فأسلم ، ثم أتتني صاحبتني ، فقلتُ : إليك عني فلستُ منك ولستُ مني ، قالت : لمَ ؟ بأبي أنت وأمي ! قلتُ : فترق بيني وبينك الإسلام ، وتابعتُ دين محمد عليه السلام . قالت : فديني دينك ، قلتُ : فأذهبي إلى حِنا ذِي الشَّرَى (١) — قال ابن هشام : ويقال حيّ ذِي الشَّرَى — فتطهّري منه .

(١) الحاضر والحاضرة : الحى العظيم .

(٢) في ابن سعد : فأذهبي إلى حيّ ذِي الشَّرَى بكسر الحاء وإسكان الشين . وهو سهل من

الأرض يستنقع فيه الماء . والحيّ : ماء حوله للضم ، ولعل الحنا هو الحيّ بإبدال الميم نونا أو من بحنة الوادي .

قال : وكان ذو الشَّرِّ صنّاً لدَّوس ، وكان الحنّاسي حمّوه له ، وبه وشلّ من ماء يهبط من جبل ، [قال] فقالت : بأبي أنت وأُمِّي ، أتخشي على الصبية^(١) من ذي الشَّرِّ شيئاً ؟ قلت : [لا ، أنا ضامن لك]^(٢) ، قال : فذهبت فأغتسلت ، ثم جاءت ، فعرضتُ عليها الإسلام فأسلمت ، ثم دعوتُ دوساً إلى الإسلام فأبطلوا عليّ ، ثم جئتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، فقلت له : يا نبيّ الله ! إنّه قد غلبني على دوس الزّني^(٣) ، فادعُ الله عليهم ، فقال : « اللهم آهّد دوساً ، أرجع إلى قومك فأدعهم وأرفق بهم » ، قال : فلم أزل بأرض دوس أدعوهم إلى الإسلام ، حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، ثم أسلموا بعد ذلك ، ووفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما نذكر ذلك — إن شاء الله تعالى — فيمن وفد بعد الهجرة .

ذكر وفد نصارى الحبشة على رسول الله

صلى الله عليه وسلم وإسلامهم

قال محمد بن إسحق : قَدِمَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة عشرون رجلاً أو قريباً من ذلك من النصارى حين بلغهم خبره من الحبشة ، فوجدوه في المسجد ، فجلسوا إليه وكلموه ، وسألوه — ورجالٌ من قُرَيْشٍ في أُنْدِيَتِهِمْ حَوْلَ الكعبة — فلما فرغوا من مسأله صلى الله عليه وسلم دعاهم إلى الله ، وتلا عليهم القرآن ، فلما سمعوه فاضت أعينهم من الدمع ، ثم استجابوا لله تعالى وآمنوا به

(١) تريد زوجة الطفيل بهذا نفسها . وفي أسد الغابة : « أخاف على من ذي الشَّرِّ » ؟

(٢) الزيادة من سيرة ابن هشام . وفي الأصول : « لا ما أصابك » . ثم يابض .

(٣) في الطبقات : قد غلبني دوس فادع الله عليهم . ويروي أنه قال : إن دوساً قد غلب عليّ الزّني والربا الخ .

وصدقوه ، وعرفوا منه ما كان يُوصَف لهم في كتابهم من أمره ، فلمّا قاموا عنه
 أعترضهم أبو جهل بن هشام في قَرَمٍ من قریش ، فقالوا لهم : خيِّبكم الله من ركب !
 بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم لناؤهم بحجر الرجل ، فلم تَطْمَئِن
 مجالسكم عنده حتى فارقم دينكم ، وصدقتموه بما قال ، ما نعلم ركباً أحق منكم !
 فقالوا لهم : سلامٌ عليكم لا نجاهلكم ، لنا مانحٌ عليه ، ولكم ما أتم عليه ، لم نأل أنفسنا
 خيراً . ويقال : إن النفر من أهل نَجْران . والله أعلم . فيقال فيهم أنزل الله قوله :
 « الَّذِينَ آمَنَّاهُمْ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ وَإِذَا بُدِئَ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ آمَنُوا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ
 مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ » . إلى قوله : « لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ
 عَلَيْكُمْ لَا تَبْغَى الْجَاهِلِينَ » : وقيل : لما نزلت هذه الآيات في النجاشي وأصحابه ،
 والآيات التي في سورة « المائدة » قوله تعالى : « ذَلِكَ يَأْتِيهِمْ فَيَسْئَلُونَ رُءُوسَهُمْ
 وَأَنْهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ » . إلى « الشَّاهِدِينَ » ، وكان ممن وفد على رسول الله صلى
 الله عليه وسلم وهو بمكة الأوس والخزرج ، وقد تقدم ذكرهم في بيعة العقبة .

ذكر من وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم

بعد الهجرة وقبل الفتح

وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة وقبل فتح مكة : عُبَسُ ،
 وسعدُ العشيرة ، وجهينة ، ومزينة ، وسعدُ بن بكر ، وأشجع ، وخُشَيْن ، والأشعرُون ،
 وسليم ، ودوس ، وأسلم ، وجدام .

(١) آيات ٥٢ — ٥٥ من سورة القصص .

(٢) آيات ٨٢ — ٨٣ من هذه السورة .

ذكر وفد عبس

قال محمد بن سعد : وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة رهط من بني عبس فكانوا من المهاجرين الأولين ، منهم مبصرة بن مسروق ، والحارث بن الربيع (١) — وهو الكامل — وقنسان بن داريم ، ويشر بن الحارث بن عبادة ، وهذم بن مسعدة ، وسباع بن زبد ، وأبو الحصن بن لقمان ، وعبد الله بن مالك ، وفروة بن الحصين بن فضالة فأسلموا ؛ فدعا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير ، وقال : « أبغوني رجلا يعيشركم أعقد لكم لواء » فدخل طلحة بن عبيد الله فمقد لهم لواء ، وجعل شعارهم : يا عشرة .

وقال من طريق آخر : بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عيرا لقريش أقبلت من الشام [فبعث (٢)] بني عبس في سرية وعقد لهم لواء ، فقالوا : يا رسول الله ! كيف نقسم غنيمة إن أصبناها ونحن تسعة ؟ قال : « أنا عاشركم » .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قدم ثلاثة نفر من بني عبس على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : إنه قدم علينا قوم فأخبرونا أنه لا إسلام لمن لا هجرة له ، ولنا أموال ومواشي معاشنا ؛ فإن كان لا إسلام لمن لا هجرة له بعناها وهاجرنا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « آتقوا الله حيث كنتم ، فلي يترككم من أعمالكم شيئا ، ولو كنتم بصمد وجازان » .

(١) نسخة ج : « مبشر » والتصويب من الطبقات . (٢) في أسد الغابة : « قنان بنون مكورة » ، قال : أحد التسعة العباسيين . (٣) في أسد الغابة : « هدم بكر الماء وسكون الدال » هو هدم بن مسعود ، ثم قال : أحد التسعة الخ وفي ابن سعد : ابن مسعدة كالأصل .

(٤) الزيادة من ابن سعد وبني نسخة أ بياض . (٥) في ابن سعد : « قراؤنا » .

(٦) الصمد ، بسكون الميم : اسم ماء للضباب ، وفي اللسان للرياب .

(٧) جازان : موضع في طريق حاج صنعاء .

ذكر وفد سعد العشيرة

قال محمد بن سعد بسنده إلى عبد الرحمن بن أبي سبرة الجعفي قال : لما سمعت سعد العشيرة بخروج النبي صلى الله عليه وسلم وثب ذباب - رجل من بني أنس الله بن سعد العشيرة - إلى صنم يقال له قواص فخطمه ، ثم وفد إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم ، وقال :

تَبِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ إِذْ جَاءَ بِالْهُدَى * وَخَلَفْتُ قَرَاصِمًا يَدَارِ هَوَابِ
شَدَدْتُ عَلَيْهِ شَدَّةً فَنَزَلْتُ * كَأَن لَّمْ يَكُنْ وَالذَّهْرُ ذُو حَدَثَانِ (١)
فَلَمَّا رَأَيْتُ اللَّهَ أَظْهَرَ دِينَهُ * أَجَبْتُ رَسُولَ اللَّهِ حِينَ دَعَانِي (٢)
فَأَصْبَحْتُ لِلْإِسْلَامِ مَا عِشْتُ نَاصِرًا * وَالْقَيْتُ فِيهَا كُلَّ كَلْبِي وَجِرَانِي
فَمَنْ مُبْلِغٌ سَعْدَ الْعَشِيرَةِ أَنِّي * شَرَرْتُ الَّذِي يَبْقَى بَأَخْرَاقَانِي

ذكر وفد جُهينة

قال ابن سعد : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وفد إليه عبد العزى بن بدر بن زيد بن معاوية الجهني ، ومعه أخوه لأمه أبو روعة وهو ابن عم له ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد العزى : « أنت عبد الله » وقال لأبي روعة : « أنت رعت العدو إن شاء الله » وقال : « من أتم » ؟ قالوا : بنو غيان ، قال : « أتم بنو رُشدان » وكان اسم وادهم غوى فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم رُشداً ، وقال لجلبي جُهينة الأشعر والأجرد : « هما من جبال الجنة

(١) حدثان الدهر (محركة) وحوادثه : نوابه وما يحدث منه .

(٢) الكلكل : الصدر والجريان باطن العنق من ثغرة التجرال منبهي العنق في الرأس ، فإذا برك البعير ومد عنقه على الأرض قبل أن يجرانه على الأرض واستعير للإنسان إذا استقر . والضمير في « فيها » لدار الإسلام المستفاد من المقام ، أو المدينة المنورة .

لَا تَطْوَها فِتْنَةٌ ، وَخَطَّ لَهُمْ مَسْجِدَهُمْ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَسْجِدٍ خُطَّ بِالْمَدِينَةِ ، وَجاءَ مِنْ جُهَنَةَ عَمْرٍو بْنِ مُرَّةَ الْجُهَنِيِّ . رَوَى عَنْهُ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ يُسْنِدُهُ إِلَيْهِ قَالَ : كَانَ لَنَا صَئِمٌ ، وَكَانَ نَعِظُهُ ، وَكُنْتُ سَادَنَهُ ، فَلَمَّا سَمِعْتُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَسْرَتُهُ ، وَخَرَجْتُ حَتَّى أَقْدِمَ الْمَدِينَةَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَدِمْتُ فَاسْتَمْتُ وَشَهِدْتُ شَهَادَةَ الْحَقِّ ، وَأَمَنْتُ بِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ جَلالٍ وَحَرَامٍ ، فَذَلِكَ حِينَ أَقُولُ :

شَهِدْتُ بِأَنَّ اللَّهَ حَقٌّ وَأَتَيْتُ * لِأَهْلِ الْأَنْجَارِ أَوَّلُ تَارِكٍ
وَشَمَرْتُ عَنْ سَائِي الْإِزَارِ مُهَاجِرًا * إِلَيْكَ أَجُوبُ الْوَعْدِ بَعْدَ الذِّكَاذِكِ^(١)
لِأَصْحَبِ خَيْرِ النَّاسِ نَفْسًا وَوَالِدًا * رَسُولُ مَلِكِ النَّاسِ فَوْقَ الْحَبَائِكِ^(٢)

قال : فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قومه يدعوهم إلى الإسلام ، فأجابوه إلا رجلا واحدا رد عليه قوله ، فدعا عليه عمرو بن مرة فسقط فوه ، فما كان يقدر على الكلام ، وعي وأحتاج .

ذكر وفد مزينة

وهذا الوفد هو أول ما بدأ به محمد بن سعد من الوفود في طبقاته ، فقال : كان أول من وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم من مضر أربعمائة من مزينة ، وذلك في شهر رجب سنة خمس ، بفعل لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الهجرة في دارهم وقال : « أتم مهاجرون حيث كنتم فأرجعوا إلى أموالكم » فرجعوا إلى بلادهم . وقال محمد بن سعد بسند يرفعه إلى أبي مسكين ، وأبي عبد الرحمن العجلاني ،

(١) أجوب : أطلع . الوعد : الطريق العسر . الذكاذك (جمع ذكذك) : وهو ما تكبى من الرمل واستوى أو التبد منه بالأرض ، أو أرض فيها غلط . (٢) الحبايك (جمع حيككة) : وهى طرائق النجوم ، أراد فوق السموات . (٣) مزية : اسم امرأة عمرو بن آذ بن طابخة ، فذريتها منه يقال لهم مزية والمزنيون . (٤) العجلاني (بالفتح والكون) : نسبة إلى بني العجلان ، بطن من الأنصار .

قالا : قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَعْرٌ مِنْ مُزَيْنَةٍ ، مِنْهُمْ خُرَاعِيٌّ بْنُ عَبْدِ
 تُهْمٍ ^(١) فَبَايَعَهُ عَلَى قَوْمِهِ مُزَيْنَةٍ ، وَقَدِمَ مَعَهُ حَشْرَةٌ مِنْهُمْ ، فِيهِمْ يِلَالُ بْنُ الْحَارِثِ ، وَالنَّعْنَانُ
 أَبُو مَقْرُونٍ ^(٢) ، ثُمَّ نَزَحَ إِلَى قَوْمِهِ فَلَمْ يَجِدْهُمْ كَمَا ظَنَّ فَأَقَامَ ، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَسَّانَ بْنَ ثَابِتٍ ، فَقَالَ : « أَذْكَرُ خُرَاعِيًّا وَلَا تَهْجِهْ » فَقَالَ حَسَّانُ :

أَلَا أُبَلِّغُ خُرَاعِيًّا رَسُولًا * بَانَ الدَّمُّ يَنْفِسُهُ الْوَفَاءُ
 وَأَنَّكَ خَيْرُ عُثْمَانَ بْنِ عَمْرٍو * وَأَسْنَاهَا إِذَا ذُكِرَ السَّهَاءُ
 وَبَايَعْتَ الرَّسُولَ وَكَانَ خَيْرًا * إِلَى خَيْرٍ وَأَدَاكَ النَّبَاءُ ^(٣)
 فَمَا يُعْجِزُكَ أَوْ مَا لَا تُعْلِقُهُ * مِنْ الْأَشْيَاءِ لَا تَعِجِزُ عِدَاءُ

قال : و«عِدَاء» بَطْنُهُ الَّذِي هُوَ مِنْهُ . فَقَامَ خُرَاعِيٌّ فَقَالَ : يَا قَوْمُ ! قَدْ خَصَّكُمْ شَاعِرُ
 الرَّجُلِ ، فَأَنْشُدْكُمْ اللَّهَ . قَالُوا : فَإِنَّا لَا نَلْبُو عَلَيْكَ ^(٤) ، فَاسْلَمُوا وَوَقَدُوا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَدَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوَاءَ مُزَيْنَةَ يَوْمَ الْفَتْحِ
 إِلَى خُرَاعِيٍّ ، وَكَانُوا يَوْمَئِذٍ أَلْفَ رَجُلٍ .

ذَكَرَ وَقَدْ سَعَدَ بْنَ بَكْرٍ

قال محمد بن إسماعيل : بَعَثَتْ بَنُو سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 رَجُلًا مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ ضِمَامُ بْنُ ثَعْلَبَةَ ^(١) — قَالَ أَبُو سَعْدٍ : فِي شَهْرِ رَجَبِ سَنَةِ خَمْسٍ —

(١) نَهْمُ (الْقَصْمُ) : ضَمُّ لُزِيْمَةٍ ، وَبِهِ سَمَّوْا عَبْدَهُمْ . (٢) النَّعْنَانُ بْنُ مَقْرُونٍ بْنُ عَالَةَ
 الْمَزْنِيِّ ، كَانَ مَعَهُ لَوَاءُ مُزَيْنَةٍ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ ، وَأَسْتَشْهَدَ فِي خِلَافَةِ عُمَرَ بِهَا وَدَسَتْهُ ٢١ هـ .
 (٣) أَدَّى الشَّيْءَ : كَثُرَ ، وَأَدَّاهُ بِأَلِهَ كَثُرَ حَتَّى ثَقُلَ عَلَيْهِ . وَفِي طَبَقَاتِ أَبِي سَعْدٍ طَبْعُ لَيْدَنَ «الْثَرَاءُ»
 بِدَلِّ «النَّاءِ» . وَفِي الْأَصُولِ وَالطَّبَقَاتِ : « وَأَدَاكَ » هَمْزَةٌ وَقَدْ دُيِدَ الدَّالُ .

(٤) يُقَالُ : فَتَدَّتْكَ اللَّهُ ، وَأَنْشَدَكَ اللَّهُ وَبِأَلِهَ وَأَنْشَدَتْكَ اللَّهُ وَبِأَلِهَ أَيْ سَأَلْتُكَ وَأَقْسَمْتُ عَلَيْكَ .
 (٥) لَا نَلْبُو عَلَيْكَ : أَيْ لَا نَتَمَتَّعُ بِمَا تَرِيدُهُ مِنْهُ . (٦) ضِمَامُ (بِمَعْجَمَةِ مَكْسُورَةٍ ، وَخَفَةِ الْمِيمِ
 الْأَوَّلِ الْمَفْتُوحَةِ) : هُوَ مِنْ أَهْلِ تَجْدٍ كَمَا فِي الْمَوْطَأِ . (٧) قَالَ شَارِحُ الْمَوَاهِبِ : « كَانَ ذَلِكَ
 فِي سِتَّةِ تَسْعٍ عَلَى الصَّوَابِ خِلَافًا لِمَا زَعَمَ الْوَاقِدِيُّ أَنَّهُ سِتَّةُ خَمْسٍ » .

قال ابن إسحق بسنده إلى ابن عباس: قَدِمَ وَأَنَاخَ بِعِيرِهِ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ ثُمَّ عَقَلَهُ ^(١)،
ثم دخل المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالسٌ في أصحابه. قال: وكان ضمام
رجلاً جَلْدًا ^(٢) أَشْعَرَ ذَا غَدِيرَتَيْنِ، فَأَقْبَلَ حَتَّى وَقَفَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
في أصحابه، فقال أيُّكُمْ ابن عبد المطلب؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
«أنا ابن عبد المطلب». قال: أُمِّجِدُ؟ قال: «نعم». قال: يا ابن عبد المطلب! إني
سائلك ومُغَلِّظٌ عليك في المسئلة، فلا تَجِدْ في نفسك ^(٣). قال: «لا أجد في نفسي»،
فَأَسْأَلَ عَمَّا بَدَا لَكَ، قال: أَتَشُدُّكَ اللَّهُ إِهْلَكَ وَإِلَهَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ، وَإِلَهَ مَنْ
هُوَ كَأَنَّ بَعْدَكَ، اللَّهُ بَعَثَكَ إِلَيْنَا رَسُولًا؟ قال: «اللَّهُمَّ نَعَمْ» قال: فَأَتَشُدُّكَ اللَّهُ
إِهْلَكَ وَإِلَهَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ، وَإِلَهَ مَنْ هُوَ كَأَنَّ بَعْدَكَ، اللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ تَأْمُرَنَا أَنْ
نَعْبُدَهُ وَحْدَهُ، لَا نَشْرِكَ بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَخْلَعَ هَذِهِ الْأَنْدَادَ الَّتِي كَانَ آبَاؤُنَا يَعْبُدُونَ
مَعَهُ؟ قال: «اللَّهُمَّ نَعَمْ». قال: فَأَتَشُدُّكَ اللَّهُ إِهْلَكَ وَإِلَهَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ، وَإِلَهَ
مَنْ هُوَ كَأَنَّ بَعْدَكَ، اللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ نَصَلِّيَ هَذِهِ الصَّلَاةَ الْخَمْسَ؟ قال: «نعم».
قال: ثُمَّ جَعَلَ يَذْكُرُ فَرَائِضَ الْإِسْلَامِ فَرِيضَةً فَرِيضَةً: الزَّكَاةَ، وَالصَّيَّامَ، وَالْحَجَّ
وَشَرَائِعَ الْإِسْلَامِ كُلِّهَا، يَتَشُدُّهُ عَنْ كُلِّ فَرِيضَةٍ مِنْهَا كَمَا يَتَشُدُّهُ فِي الَّتِي قَبْلَهَا، حَتَّى
إِذَا فَرَغَ قَالَ: فَإِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَسَأُؤَدِّي هَذِهِ
الْفَرَائِضَ، وَأَجْتَنِبُ مَا نَهَيْتَنِي عَنْهُ، ثُمَّ لَا أَزِيدُ وَلَا أَقْصُصُ. ثُمَّ أَنْصَرَفَ إِلَى بَعِيرِهِ
رَاجِعًا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنْ صَدَقَ ذُو الْعَقِيصَتَيْنِ دَخَلَ الْجَنَّةَ» ^(٤)

(١) عقل البعير: شد على ساقه جلا بعد ثني ركبه.

(٢) جلدًا: صلبًا شديدًا، والغدير: الذؤابة من الشعر المصفور، وأشعر: كثير الشعر طوله.

(٣) في ابن إسحق طبع أوردبا «تجدن» وفي غيرها «فلا تحدث قسايها علي».

(٤) العقيصتان: الضفيران من الشعر، وهما الضفيران.

قال : فاتى بعيره فأطلق عِقَالَهُ ، ثم خرج حتى قدم على قومه ، فاجتمعوا إليه ، فكان أول ما تكلم به : يَنْسَتِ اللَّاتُ وَالْعَزَى ! فقالوا : مَهْ يَضَامُ ! أتى البرص ، أتى الجذام ، أتى الجنون ! قال : وَيْلَكُمْ ! إنهما والله لا ينفعان ولا يضران ، إن الله قد بعث رسولا وأنزل عليه كتابا ، فَأَسْتَفْذِكُمْ^(١) به مما كنتم فيه ، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وقد جئتكم من عنده بما أمركم به ، ونهاكم عنه ، قال : فوالله ما أَمَسَ من ذلك اليوم في حاضره رجل أو امرأة إلا مُسْلِمًا .

قال : يقول عبد الله بن عباس — رضى الله عنهما — فما سمعنا بواقف قوم كان أفضل من ضمام بن ثعلبة .

ذكر وفد أشجع

قال : وَقَدِمَتْ أَشْجَعُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الخندق ، وعام الخندق سنة خمس من الهجرة ، وهم مائة ، رأسهم مسعود بن ربيعة بن نؤيرة ابن طريف ، فزولوا شعب سلع ، فخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمرهم بأحمال التمر ، فقالوا : يا محمد ! لانعلم أحدا من قومنا أقرب دارا منك منا ، ولا أقل عددا ، وقد ضيقنا بحربك وبحرب قومك ، بغننا نؤادك ، فوادعهم . ويقال : بل قدمت أشجع بعد ما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني قريظة ، وهم سبعمائة فوادعهم . ثم أسلموا بعد ذلك .

(١) في ابن إسحق : « أستفذك » . (٢) الحاضر : الحى . (٣) في الطبايعات :

قالوا . (٤) في ابن هشام وعقد الجمان : « مصر » والصواب ما في الأصول كما في الطبرى

والاستيعاب والإصابة وغيرها . (٥) سلع : جبل بضاحية المدينة — على ما كتبنا أفضل

الصلاة والسلام — قريب من أحد . والشعب ، بالكسر : الطريق في الجبل .

ذكر وفد خُشَيْن

قال أبو عبد الله محمد بن سعد : قَدِمَ أَبُو ثَعْلَبَةَ الْحُشَيْنِيُّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَتَجَهَّزُ إِلَى خَيْبَرَ ، فَأَسْلَمَ وَخَرَجَ مَعَهُ فَشَهِدَ خَيْبَرَ ، ثُمَّ قَدِمَ بَعْدَ ذَلِكَ سَبْعَةَ أَقْرَبٍ مِنْ خُشَيْنٍ فَتَرَلُّوا عَلَى أَبِي ثَعْلَبَةَ ، فَأَسْلَمُوا وَبَايَعُوا وَرَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ .

ذكر وفد الأشعرين

قالوا : وَقَدِمَ الْأَشْعَرُونَ ^(١) عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُمْ نَحْسُونَ رَجُلًا مِنْهُمْ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ ، وَمَعَهُمْ رَجُلَانِ مِنْ عَيْكٍ . وَقَدِمُوا فِي سَفَرٍ فِي الْبَحْرِ ، وَخَرَجُوا بِجُدَّةٍ ، فَلَمَّا دَنَوْا مِنَ الْمَدِينَةِ جَعَلُوا يَقُولُونَ :
غَدًا نَلْقَى الْأَجْبَةَ * مُحَمَّدًا وَحِزْبَهُ

ثُمَّ قَدِمُوا فَوَجَدُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرِهِ بِخَيْبَرَ ، فَلَقُوهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَايَعُوهُ وَأَسْلَمُوا ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الْأَشْعَرُونَ فِي النَّاسِ كَصُورَةٍ فِيهَا مِسْكٌ » ^(٢) .

ذكر وفدِ سُلَيْمٍ

قالوا : وَقَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ ، يُقَالُ لَهُ قَيْسٌ ابْنُ تُسَيْبَةَ ^(٣) ، فَسَمِعَ كَلَامَهُ ، وَسَأَلَهُ عَنْ أَشْيَاءَ فَأَجَابَهُ ، وَوَعَى ذَلِكَ كُلَّهُ ، وَدَعَاهُ رَسُولُ اللَّهِ

(١) الْأَشْعَرُونَ : قَبِيلَةٌ كَبِيرَةٌ بِالْبَلْعِ ؛ نَسَبُوا إِلَى جَدِّهِمْ أَشْعَرَ بْنِ سُبَّانَ بْنِ يَسْحَبَ بْنِ يَعْرَبَ بْنِ خُطَّانَ . وَيُقَالُ : الْأَشْعَرُونَ وَالْأَشْعَرِيُّونَ كَمَا يُقَالُ قَوْمُ بَعْلَانُونَ . وَابْنُ مُوسَى : اسْمُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قَيْسٍ ، وَاخْتَلَفَ فِي وَقْتِ وَفَاتِهِ فَقِيلَ سَنَةُ ٤٢ هـ وَقِيلَ سَنَةُ ٤٤ هـ وَقِيلَ غَيْرَ ذَلِكَ . ذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ أَنَّهُ قَدِمَ مَعَ جَعْفَرٍ وَأَصْحَابِهِ مِنْ أَرْضِ الْحَبَشَةِ . (٢) الْحَدِيثُ يَدُلُّ عَلَى تَفْضِيلِ أَهْلِ الْبَلْعِ لِرَفَقَةِ قُلُوبِهِمْ ، وَلِئِنْ أَقْدَسَتْهُمْ ، كَمَا وَرَدَ فِي حَدِيثٍ أُخَرَى . (٣) قَيْسُ بْنُ نُسَيْبَةَ .

صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام، فأسلم ورجع إلى قومه، فقال: قد سمعتُ بَرَجَةَ الرُّومِ،^(١)
وهينمة فارس،^(٢) وأشعار العرب، وكهانة الكاهن، وكلام مَقَاوِلِ حَمِيرٍ، فما يُشبه كلامُ
محمد شيئا من كلامهم، فأطيعوني وخذوا بنصيحكم منه. فلما كان عامُ الفتح خرجتُ
بنو سُلَيْمٍ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلقوه بِقُدَيْدٍ وهم سبعمائة. ويقال:
كانوا ألفا. وفيهم العباس بن مِرْدَاس السَّامِيُّ، وأنس بن عَبَّاس بن رِغْل،^(٣)
وراشد بن عبد ربه، فأسلموا وقالوا: آجعلنا في مقدمتك، وآجعل لواءنا آخرًا،
وشعارنا مُقَدِّمًا،^(٤) ففعل ذلك بهم. وأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم راشدا
رُهاطًا وفيها عَيْنٌ يُقال لها عين الرسول. قال: وكان راشدٌ يَسُدُّ صَمًا لِبَنِي سُلَيْمٍ،^(٥)
فراى يوما ثعلبين يبولان عليه، فقال:

١٠
١٦

أَرَبُّ يَسُوءُ الثَّعْلَبَانِ بَرَأْسَهُ * لَقَدْ ذَلَّ مَنْ بَالَتْ عَلَيْهِ الثَّعَالِبُ

ثم شدَّ عليه فكسره. وأتى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال له: «ما أممك؟»
قال: غاوى بن عبد العزى، فقال: «أنت راشد بن عبد ربه» فأسلم وحسن
إسلامه وشهد الفتح. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خير بنى سليم راشد»
وعقد له على قومه.

- ١٥ (١) البرجة: غلط الكلام؛ والمراد هنا رطانتهم وبلادهم. وفي ١، والبداية: «ترجمة».
- (٢) الهينمة: الكلام الخفى لا يفهم.
- (٣) قديد: اسم موضع قرب مكة.
- (٤) في أسد الغابة: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: «ما أممك؟» قال: «غاوى بن ظالم» فقال: «أنت راشد بن عبد الله».
- (٥) في البداية لابن كثير طبع السلفية: «مقدما».
- ٢٠ (٦) رهاط كغراب: موضع على بعد ثلاث ليال من مكة.
- (٧) يسدن: يخدم.

وروى محمد بن سعد أيضا ، عن هشام بن محمد ، قال حدثني رجل من بني سليم من بني الشريد ، قال : وقد رجل منا يقال له قُدْدٌ ^(١) له قُدْدٌ بن عمار على النبي صلى الله عليه وسلم ، وعاهده على أن يأتيه بألف من قومه على الخيل ، وأنشأ يقول :

شَدَّدْتُ يَمِينِي إِذْ آتَيْتُ مُحَمَّدًا * بِخَيْرِ يَدٍ شَدَّتْ بِحُجْرَةِ مِثْرٍ

وذاك أمرؤ قَاسَمْتُهُ نِصْفَ دِينِهِ * وَأَعْطَيْتُهُ كَفَّ أَمْرِي غَيْرَ أَعْسَرِ ^(٢)

ثم أتى قومه فأخبرهم الخبر ، ففرج معه تسعمائة ، وخلف في الحى مائة ، وأقبل يريد النبي صلى الله عليه وسلم فقبل به الموت ، فأوصى إلى ثلاثة رهط من قومه ؛ وهم : عباس بن مرداس وأمره على ثلثمائة ، وجبار بن الحكم وأمره على ثلثمائة ، والأخنس بن يزيد وأمره على ثلثمائة . وقال : آيتوا هذا الرجل حتى تقضوا العهد الذى فى عنقى ثم مات ، فمضوا حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « أين الرجل الحسن الوجه ، الطويل اللسان ، الصادق الأيمان » ؟ .

قالوا : يا رسول الله ! دعاه الله فأجابه ، وأخبروه خبره ، فقال : « أين تكلمة الألف الذين عاهدنى عليهم » ؟ . قالوا : خلف مائة فى الحى مخافة حرب كان بيننا وبين بني كنانة ، قال : « آبعثوا إليها فإنه لا يأتيكم فى عامكم هذا شيء » نكرهونه . فبعثوا إليها فاتته بالهدة ^(٣) وعليها المنقع ^(٤) بن مالك بن أمية ، فشهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الفتح وحنين . ولانقع يقول العباس بن مرداس :

القَائِدُ الْمَاهِيَةِ الَّتِي وَفَّى بِهَا * تَسْعَ الْمِئَةِ قَتَمَ أَلْفَ أَقْرَعِ ^(٥)

(١) فى الإصابة : قدد (بدالين) بوزن عمر ، ويقال آخره راء ، ويقال : قدد (بفتحين ونون) .

(٢) كذا فى الأصول والإصابة ، وفى الطبقات : « ألف » بدل « كف » . وبعد البيتين :

وإن أمراً فارقتـه عند يثرب * لخبر نصيح من معد وحير

(٣) الحرب ، مؤنثة وقد تذكر ، إذا أويدها القتال . (٤) الهدة : موضع بين مكة والطائف .

(٥) كذا فى ج . ومثله فى الإصابة وأسد هابة والطبقات وشرح القاموس ، وفى أ : « المنقع » .

(٦) ألف أقرع : أى تام . يقال : سقت إليك ألفاً أقرع من الخيل وغيرها أى تاماً ، وهو نعت لكل ألف . (اللسان مادة قرع) .

وحكى أبو عمرو بن عبد البر في ترجمة خنساء بنت عمرو بن الشريد السلية الشاعرة - وأسمها ثُمَايْضِر بنت عمرو بن الشريد بن رباح بن ثعلبة بن عَصِيَّة بن خُفَاف بن أمري القيس بن بَهْثَة بن سُليم - أنها قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قومها من بني سليم فأسلمت معهم . قال : فذكروا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يَسْتَنْشِدُهَا ، وَيُعْجِبُهُ شَعْرُهَا ، فَكَانَتْ تُشَدُّهُ ، وَهُوَ يَقُول : « هَيْه يَا خُنَاس » وَيَوْمِي بِيَدِهِ . وشهدت الخنساء القادسية مع بنينا الأربعة . وسند ذكر إن شاء الله خبرها معهم يوم القادسية ، ووصيتها لهم في الحرب في خلافة عمر بن الخطاب ، عند ذكرنا لفتح القادسية .

ذَكَرَ وَقَدْ دَوَسَ^(١)

قالوا : لما أسلم الطفيل بن عمرو الدوسي - كما تقدم - دعا قومه فأسلموا ، وقدم معه منهم المدينة سبعون أو ثمانون أهل بيت . وفيهم أبو هريرة وعبد الله ابن أزيهر الدوسي ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر ، فساروا إليه فلقوه هناك ، فيقال : إنه قسم لهم من غنائم خيبر ، ثم قدموا معه المدينة . فقال الطفيل ابن عمرو : يا رسول الله ! لا تُفَرِّقْ بَيْنِي وَبَيْنَ قَوْمِي ، فَأَنْزِلْهُمْ حَرَّةَ الدَّجَاجِ ، فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ حِينَ نَخْرُجُ مِنْ دَارِ قَوْمِهِ :

(١) هيه : بكسر الهمزة الثانية والفتح في موضع « إيه » فأبدل من الهمزة هاء . و « إيه » اسم من به الفعل ومعناه الأمر ؛ تقول للرجل « إيه » بغير تنوين إذا استزدته من الحديث المجهود بينك ، فإن نوت استزدته من حديث ما .

(٢) الإيماء : الإشارة بالأعضاء .

(٣) دوس : قبيلة أبي هريرة . ينسبون إلى جدهم دوس بن عذقان بن عبد الله ، يتبعه سببه إلى الأزد . قدوس مصروف لأنه في الأصل علم للذكر . (المواهب) .

(٤) كذا في الأصول والطبقات . وقد نقف على اسم هذه الحرة في لدينا من مراجع .

يَا طُولَهَا مِنْ لَيْلَةٍ وَعَنَانِهَا * عَلَى أَنَّهَا مِنْ بَلَدَةِ الْكُفْرِ نَجَتْ
وقال عبد الله بن أزيهر : يا رسول الله ! إن لي في قومي سُلْطَةً ومكاناً فأجعلني
عليهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أخا دوس ، إن الإسلام بدأ
غريباً ، وسيعود غريباً ، فمن صدق الله نجا ، ومن آل إلى غير ذلك هلك .
إِنْ أَعْظَمَ قَوْمُكَ ثَوَاباً أَعْظَمُهُمْ صِدْقاً ، وَيُوشِكُ الْحَقُّ أَنْ يَغْلِبَ الْبَاطِلُ » .

وروى أبو عمر بسنده إلى محمد بن سيرين أنه قال : بلغني أن دوساً إنما
أسلمت فرقا من قول كعب بن مالك الأنصاري الخزرجي :

قَضَيْنَا مِنْ نِهَامَةٍ كُلِّ وَتِيرٍ * وَخَيْرَ شَيْءٍ أَغْمَدْنَا السُّيُوفَ
نُخَيْرُهَا وَلَوْ نَطَقَتْ لَقَالَتْ * قَوَاطِمُهُنَّ : دَوْسًا أَوْ ثَقِيفًا
[فَقَالَتْ دَوْسٌ : أَنْطَلِقُوا نَحْدُوا لِأَنْفُسِكُمْ لَا يَتَرَلُّ بِكُمْ مَا نَزَلَ بِثَقِيفٍ] .

ذكر وفد أسلم

قالوا : قَدِيمُ مُعْمِرِ بْنِ أَفْصَى فِي عِصَابَةٍ مِنْ أَسْلَمَ ، فَقَالُوا : لَقَدْ آمَنَّا بِاللَّهِ
ورسوله ، وَاتَّبَعْنَا مِنْهَا جَكَ ، فَأَجْعَلْ لَنَا عِنْدَكَ مَنَزَلَةً ، تَعْرِفُ الْعَرَبُ فَضِيلَتَنَا ،
فَإِنَّا إِخْوَةُ الْأَنْصَارِ ، وَلَكِ عَلَيْنَا الْوَفَاءُ ، وَالتَّصَرُّفُ فِي الشَّدَّةِ وَالرَّخَاءِ ، فَقَالَ رَسُولُ

(١) فِي الْأَصُولِ : « أَنَّهُ » وَمَا أُثْبِتَاهُ عَنِ الْبُخَارِيِّ وَالطَّبَقَاتِ ، وَالْبَيْتُ هَكَذَا رَوَى :
وَتَعْقِبُهُ الْكِرْمَانِيُّ بِأَنَّهُ لَا يَدُ مِنْ إِنْبَاتِ قَاهِ أَوْ رَاوٍ فِي أَوَّلِهِ لِيَصِيرَ مُوزُونًا ، وَتَعْقِبُ بِأَنَّهُ هَذَا فِي الْعَرُوضِ
يَسْمَى الْخَرَمُ - وَيُرْوَى الْبَيْتُ أَيْضًا :

يَا لَيْلَةً مِنْ طُولِهَا وَعَنَانِهَا * عَلَى أَنَّهَا مِنْ دَارَةِ الْكُفْرِ نَجَتْ
(٢) نِهَامَةٌ : مَا تَخْفَضُ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ . فِي سِيرَةِ أَبِي هِشَامٍ طَبِيعُ أَوْ رِبَا : « كُلُّ رِيبٍ » .
وَالْوَتَرُ : الثَّارُ . نُخَيْرُهَا : نَعَطُهَا الْخَيْرَ ، وَالضَّمِيرُ لِلْسُّيُوفِ ؛ أَيُّ وَلَوْ نَطَقَتْ السُّيُوفُ لِأَشَارَتْ حَرْبَ
دَوْسٍ أَوْ ثَقِيفٍ . وَيُرْوَى « أَجْمَعًا » بِدَلِّ « أَغْمَدْنَا » وَالْمَعْنَى أَرْحَنًا .

(٣) مَا بَيْنَ الْقَوْسَيْنِ سَاقِطٌ مِنْ أ .

الله صلى الله عليه وسلم : « أَتَمَّ سَأَلَهَا اللهُ ، وَغَفَرَ اللهُ لَهَا » . وكتب رسول
الله صلى الله عليه وسلم لأَسْلَمَ ، وَمَنْ أَتَمَّ مِنْ قِبَائِلِ الْعَرَبِ مَنْ يَسْكُنُ السَّيْفِ^(١)
وَالسَّهْلِ كِتَابًا ، فِيهِ ذِكْرُ الصَّدَقَةِ وَالْفَرَائِضِ فِي الْمَوَاشِي . وكتب الصَّحِيفَةُ ثَابِتُ
أَبْنِ قَيْسٍ ، وَشَهِدَ أَبُو غَيْبَةَ وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُم .

ذکر وفد جُذام

قالوا : قَدِمَ رِفَاعَةُ بْنُ زَيْدٍ بْنُ عُمَيْرٍ بْنِ مَعْبَدِ الْجُدَامِيِّ^(٢٢) ، ثُمَّ أَحَدَ بَنِي الضَّبْيِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْهَدَنَةِ قَبْلَ خَيْرٍ ، وَأَهْدَى لَهُ عَبْدًا وَأَسْلَمَ ، فَكَتَبَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِتَابًا فِيهِ : « هَذَا كِتَابٌ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ ، لِرِفَاعَةَ بْنِ زَيْدٍ إِلَى قَوْمِهِ ، وَمَنْ دَخَلَ مَعَهُمْ ، يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ ، فَمَنْ أَقْبَلَ فَقِي حَرْبِ اللَّهِ ، وَمَنْ أَبَى فَلَهُ أَمَانٌ شَهْرَيْنِ » فَأَجَابَهُ قَوْمُهُ وَأَسْلَمُوا . قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ وَغَيْرُهُ : وَبَعَثَ قُرُوءَ بْنَ عَمْرٍو بْنِ النَّافِرَةِ الْجُدَامِيِّ ، ثُمَّ التَّفَائِيَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَسُولًا بِإِسْلَامِهِ ، وَأَهْدَى لَهُ بَغْلَةً بَيْضَاءَ ، وَأَسَمَى رَسُولَهُ مَسْعُودَ بْنَ سَعْدٍ وَهُوَ مِنْ قَوْمِهِ ، فَقَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِتَابَهُ ، وَقَبَلَ هَدِيَّتَهُ ، وَأَجَازَ رَسُولَهُ بِأَنْتَقَى عَشْرَةَ أَوْقِيَّةً^(٢٣) وَنَشَّ ، وَكَتَبَ إِلَى قُرُوءَ جَوَابَ كِتَابِهِ . وَكَانَ قُرُوءَ عَامِلًا لِلرُّومِ عَلَى مَنْ يَلِيهِمْ مِنَ الْعَرَبِ ، وَكَانَ مَنَزَلُهُ مَعَانَ وَمَا حَوْلَهَا^(٢٤) مِنْ أَرْضِ الشَّامِ ، فَلَمَّا بَلَغَ الرُّومَ إِسْلَامَهُ طَلَبُوهُ فَخَبَسُوهُ عَنْدهُمْ ، فَقَالَ : فِي تَحْيِيْسِهِ ذَلِكَ :

(١) الميف (بكسر الميم المشددة) : ساحل البحر .

(٢) الجذامى (بضم الجيم ، وبذال معجمة) : نسبة إلى قبيلة .

(٣) النش : نصف أوقية . (٤) ممان (بضم الميم وفتحها) : مدينة في طرف بادية

• الشام تلقب: الحجاز من نواحي البلقاء . (معجم البلدان) .

طَرَقَتْ سُلَيْمَى مَوْهِنًا أَحْصَايَ * وَالرُّومُ بَيْنَ الْبَابِ وَالْقُرَوَانِ^(١)
 صَدَّ الْخِيَالُ وَمَاءَهُ مَا قَدَرَأَى * وَهَمَمْتُ أَنْ أَغْنِيَّ^(٢) وَقَدْ أَبْكَأَنِي
 لَا تَكْجُلِينَ الْعَيْنَ بَعْدَى إِثْمَدًا * سَلَمَى وَلَا تَدْنِينَ^(٣) لِلْإِتْيَانِ
 وَلَقَدْ عَلِمْتَ أَبَا كَيْشَةَ أَتَيْتِ * وَسَطَ الْأَعْزَةِ لَا يُحْصَى^(٤) لِسَانِي
 فَلَيْنَ هَلَكْتُ لَتَفْقِدَنَّ أَخَاكُمْ * وَلَيْنَ يَقِيْتُ لَتَعْرِفَنَّ مَكَانِي
 وَلَقَدْ جَمَعْتُ أَجَلَ مَا جَمَعَ الْفَقِي * مِنْ جَوْدَةٍ وَشَجَاعَةٍ وَبَيَانِ
 قَالَ : فَلَمَّا أَجَمْتُ الرُّومَ لَصَلَبِهِ عَلَى مَاءِ لَهْمٍ بِفِلَسْطِينَ يُقَالُ لَهُ عَفْرَاءُ^(٥) قَالَ :
 أَلَا هَلْ أَتَى سَلَمَى بِأَنْ حَلِيلَهَا * عَلَى مَاءِ عَفْرَاءٍ فَوْقَ إِحْدَى الرِّوَا حِلِ^(٦)
 عَلَى نَاقَةٍ لَمْ يَضْرِبِ الْفَحْلُ أَمَّهَا * مُشَذَّبَةً أَطْرَافُهَا بِالْمَنَاجِلِ
 قَالَ : وَلَمَّا قَدَّمُوهُ لِيَضْرِبُوا عُنُقَهُ قَالَ :
 أَيْلُغْ سَرَاةَ الْمُؤْمِنِينَ بِأَتَيْتِ * سَلَّمَ لِرَبِّي أَعْظَمِي وَمَقَامِي
 فَضَرَبُوا عُنُقَهُ وَصَلَبُوهُ عَلَى ذَلِكَ الْمَاءِ .

هذا ما تلخص لنا من أخبار مَنْ وَقَدْ بَعْدَ الْهَجْرَةِ وَقَبْلَ الْفَتْحِ ، فَلْنَذْكُرْ مِنْ
 وَقَدْ بَعْدَ الْفَتْحِ .

- (١) الموهن : نحو من نصف الليل أو بعد ساعة منه . والقروان : يجوز أن يكون جمع قرو وهو
 حوض الماء مثل صنوان ، ويجوز أن يكون جمع قرى مثل صليب وصلبان . (الروض الأنف) .
 (٢) أغنى إغفاء أو إغفاءة : نام نوما خفيفا .
 (٣) الإثم : الكحل ، وقيل نوع منه . وفي الأصول : « تدن » وقد أثبتناه بالنون كما في ابن
 إسحق . (٤) لا يحصى : لا يقطع .
 (٥) قال في المواهب : « عفراء » بفتح العين المهملة ، وإسكان الفاء ، وبالراء ممدود .
 وفي الأصول من غير همز . (٦) الحليل : الزوج . والرواحل في الأصل : الإبل ، ويريد
 بإحدى الرواحل الخشبة التي صلبوه عليها .

ذكر من وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم

بعد فتح مكة شرفها الله تعالى وعظمها

ولنبدا من ذلك بذكر وفد ثعلبة ؛ لأنه أول وفد كان بعد الفتح . ثم نذكر
من وفد في سنة تسع من الهجرة وما بعدها ، ونورده نحو ما أورده أبو عبد الله
محمد بن سعد في طبقاته ، إلا أنا نستثنى منهم من قدمنا ذكره بحكم سابقتهم ،
وتقدم إسلامهم .

١٢
١٦

ذكر وفد ثعلبة

قال أبو عبد الله محمد بن سعد رحمه الله : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحِمْيَرَةِ^(١) ، في سنة ثمان من الهجرة ، قدم عليه أربعة نفر ، وقالوا :
نحن رُسل من خلفنا من قومنا ، ونحن هم مُقرِّون بالإسلام ، فأمر لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بضيافة^(٢) ، وأقاموا أياماً ثم جاءوا ليوذِّعوه فأمر بلالاً أن يُخبرهم ،
كما يُخبر الوفد ، فجاء بنقير من قبضة فأعطى كل رجل منهم خمس أواق ، وقال :
« ليس عندنا دراهم » وانصرفوا إلى بلادهم .

ذكر وفد أسد

قال محمد بن سعد : قدم عشرة رهط من بني أسد بن حُزَيْمَةَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في أول سنة تسع من الهجرة ، فيهم حَضْرَمِيٌّ بن عامر ، وضرار
ابن الأزور ، فقال حَضْرَمِيٌّ : يا رسول الله ! أتيناك تَدْرِعُ اللَّيْلَ البَهِيمَ ، في سنة

(١) الجعفرات (بكسر الجيم وإسكان العين ، وقد تكسر العين وتشدد الراء) : ماء بين الطائف ومكة ،

وهي إلى مكة أقرب . (٢) النقر (جمع نقرة) : سبيكة الذهب والفضة .

(٣) تدرع فلان الليل زادرع ؛ إذا وصل في ظلمته يسرى ، كأنه لبس ظلمة الليل فاستتر به .

شُهَبَاءُ، وَلَمْ تَبْعَثْ إِلَيْنَا بَعْثًا، فَزَلَّ فِيهِمْ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ آسَلُمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَى إِسْلَامِكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنْ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٢).

قال : وكان معهم قوم من بني الزينة وهم بنو مالك بن مالك بن ثعلبة بن دودان ابن أسد، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أتم بنو الرثدة ».

وقال أبو إسحق أحمد بن محمد الثعلبي رحمه الله : إن نفرا من بني أسد، ثم من بني الحلاف بن الحارث بن سعيد، قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة في سنة جذبة، فأظهروا شهادة أن لا إله إلا الله، ولم يكونوا مؤمنين في السر، وأفسدوا طرق المدينة بالعدرات، وأغلوا أسعارها، وكانوا يفتدون ويروحون على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويقولون : أتيتك يا رب بأنفسها، على ظهور رواحلها، وجئناك بالأنفال والعيال والذراري— يمتنون على رسول الله صلى الله عليه وسلم— ولم تقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان. ويريدون الصدقة، ويقولون : أعطنا . فأنزل الله عز وجل فيهم : ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾^(٣) الآيات . وقيل : نزلت في الأعراب : مزينة، وجهينة، وأسلم، وأشجع، وغفار . وكانوا يقولون : آمنا بالله، ليأمنوا على أنفسهم وأموالهم، فلما استنفروا إلى الحديبية تخلفوا، فأنزل الله فيهم : ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ أي آتقدنا وآستسلمنا مخافة القتل والسبي ﴿وَلَمَّا بَدَخِلَ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ فأخبر تعالى أن حقيقة الإيمان التصديق بالقلب، وأن الإقرار باللسان، وإظهار شرائعه بالأبدان، لا يكون إيمانا دون الإخلاص الذي يحمله القلب.

(١) سة شهباء : ذات خط وجذب .

(٢) آية ١٧ سورة الحجرات . (٣) كذا في الأصول، وفي المختضب لياقوت الزرق ٣١ :

« وولد سعد بن ثعلبة بن دودان الحارث وهو الحلاف » . (٤) آية ١٤ سورة الحجرات .

ذكر وفد تميم

قال أبو عبد الله محمد بن سعد : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث
 بشر بن سفيان . ويقال : النحام العدوي^(١) على صدقات بني كعب من خزاعة ،
 بجاء وقد حل بنواحيهم بنو عمرو بن جندب بن العنبر بن عمرو بن تميم ، فجمعت
 خزاعة مواشيها للصدقة ، فاستنكرت ذلك بنو تميم ، وأبوا وأبتدروا القيس^(٢) ، وشهروا
 السيوف ، فقدم المصدق^(٣) على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فقال : « من
 لهؤلاء القوم » ؟ فانتدب لهم عيينة بن حصن ، فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم
 في خمسين فارسا من العرب ، ليس فيهم مهاجري ولا أنصاري فأغار عليهم ، فأخذ
 منهم أحد عشر رجلا ، وإحدى عشرة امرأة ، وثلاثين صبيا ، فخلعهم إلى المدينة ،
 فقدم فيهم عتة من رؤساء بني تميم ، منهم عطاردة بن حاجب ، والزريقان بن بدر ،
 وقيس بن عاصم ، وقيس بن الحارث ، ونعيم بن سعد ، والأقرع بن حابس ، ورياح
 ابن الحارث ، وعمرو بن الأهم ، وغيرهم كما ذكرنا ذلك في الغزوات في خبر سرية
 عيينة . قال ويقال : كانوا تسعين أو ثمانين رجلا .

قال ابن إسحق : والحسات بن يزيد أحد بني دأريم . قال : ومعهم عيينة بن
 حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري ، قالوا : فدخلوا المسجد وقد أذن بلال بالظهر ،
 والناس ينتظرون خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففعلوا واستبطوه ، فنادوا
 رسول الله صلى الله عليه وسلم من وراء حُجراته : يا محمد ! أخرج إلينا . فخرج رسول

(١) النحام : لقب نعيم بن عبد الله ؛ لقوله صلى الله عليه وسلم : « دخلت الجنة فسمعت نعمة
 من نعيم » أي سلة .

(٢) المصدق : عامل الزكاة الذي يستوفيا من أربابها .

(٣) في الأصول : « فأخبروه » والمقام يقتضي الإفراد كما في طبقات ابن سعد .

١٣
١٦

الله صلى الله عليه وسلم ، وأقام بلال ، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر ،
ثم أتوه ، فقال الأقرع بن حابس : يا محمد ، أيدن لي ، فوالله إن حمدي لزين ، وإن
دعيت لشين . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كذبت ، ذاك الله تبارك
وتعالى » . حكاه ابن سعد .

وحكى محمد بن إسحق أنهم قالوا : يا محمد ، جئناك لتفأرك ، فأذن لشاعرنا
وخطيبنا . قال : « قد أذنت لخطيبكم قليلا » ، فقام عطار بن حاجب ، فقال :
الحمد لله الذي له علينا الفضل والمن ، وهو أهله الذي جعلنا ملوكا ، ووهب لنا
أموالا عظاما ، نفعل فيها المعروف ، وجعلنا أعز أهل المشرق وأكثره عددا ،
وأيسره عُدّة ، فمن مثلنا في الناس ؟ ألسنا براءوس الناس وأولى فضلهم ؟ فمن فآخرنا
فليعد مثل ما عدّدنا ، وإنا لو نشاء لأكثرنا الكلام ، ولكنا نحيا من الإثكار فيما^(٢)
أعطانا ، ولا نعرف [بذلك]^(٣) . أقول هذا لأن تأتوننا بمثل قولنا ، وأمرنا أفضل
من أضرنا . ثم جلس .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس بن الشّمس أخى بنى الحارث
ابن الخزرج : « قم فأجب الرجل في خطبته » . فقام ثابت فقال :

الحمد لله الذى السموات والأرض خلقه ، قضى فيه من أمره ، ووسع كرسيه
علمه ، ولم يك شئ قط إلا من فضله ، وكان من قدرته أن جعلنا ملوكا ، وأصطفى
من خير خلقه رسولا ، أكرمه نسباً ، وأصدقه حديثاً ، وأفضله حسباً ، فأنزل عليه

(١) أى أقام الصلاة .

(٢) نحيا هنا بمعنى نستحي ، من الخياء .

(٣) زيادة من سيرة ابن هشام .

(٤) فى ابن هشام : « لأن تأتونا » .

كتابه ، وأثمنه على [خلقه ^(١)] فكان خيرة الله من العالمين ، ثم دعا الناس إلى الإيمان به ، فأمن برسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرون من قومه وذوي رحمه ؛ أكرم الناس أحساباً ، وأحسن الناس وجوهاً ، وخير الناس فعلاً . ثم كان أول الخلق إجابة ، وأستجاب لله حين دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن ؛ فنحن أنصار الله ، ووزراء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نقاتل الناس حتى يؤمنوا بالله ، فمن آمن بالله ورسوله منع ماله ودمه ، ومن كفر جاهدناه في الله أبداً ، وكان قتله علينا يسيراً . أقول هذا وأستغفر الله لي وللمؤمنين والمؤمنات . والسلام عليكم .

فقام الزبير بن بذر ، فقال :

نحن الكرام فلا تحي يعادلنا * مِنَّا الْمُلُوكُ وَفِينَا تُنْصَبُ الْبَيْعُ ^(٢)

[ويروى : « وفينا يقسم الربع » ، بدل « تُنْصَبُ الْبَيْعُ » ^(٣)] .

وَكَمَّ قَسَرْنَا مِنَ الْأَحْيَاءِ كُلَّهُم * عِنْدَ النَّهَابِ وَفَضَّلُ الْعِزِّ يَبِيعُ ^(٤)

وَنَحْنُ يُطْعِمُ عِنْدَ الْقَحْطِ مُطْعِمُنَا * مِنَ الشَّوَاءِ إِذَا لَمْ يُؤْتَسِ الْقَزَعُ ^(٥)

بِمَا تَرَى النَّاسَ تَأْتِينَا سَرَائِهِمْ * مِنْ كُلِّ أَرْضٍ هَوَانًا ثُمَّ نَصْطَلِيعُ ^(٦)

[ويروى : * مِنْ كُلِّ أَرْضٍ هَوَانًا ثُمَّ نَتَّبِعُ ^(٧)]

(١) الزيادة من سيرة ابن هشام .

(٢) البيع (جمع بيعة بالكسر) : كنيسة النصارى ، وقيل كنيسة اليهود . والمراد هنا مواضع العبادة .

(٣) ما بين المربعين في ج ، وابن إسحق . والربع : ربع الفينة التي كان يأخذها الرئيس في الجاهلية

إذا غزا بعضهم بعضاً .

(٤) القزع : قطع من السحاب رفاق . يريد إذا لم تمطرهم السماء ، فأجديت أرضهم أطعم مطعمهم .

(٥) الهوى (بضم الهاء) : الإسراع في السير . وسراة الناس هنا : ذروتهم وسنامهم وليس جمع سري

كما قال في الروض الأنف .

فَنَحْرُ الْكُومِ عُبْطًا فِي أُرُومِنَا * لِلنَّازِلِينَ إِذَا مَا أُنْزِلُوا شَبِعُوا^(١)
فَلَا تَرَانَا إِلَى حَيٍّ نُفَاخِرُهُمْ * إِلَّا أَسْتَقَادُوا وَكَانُوا الرَّأْسَ يُقْتَطَعُ
فَرَنْ يُفَاخِرُنَا فِي ذَاكَ نَعْرِفُهُ * فَيَرْجِعُ الْقَوْمُ وَالْأَخْبَارُ تُسْتَمَعُ
إِنَّا أَيْنَا وَلَمْ يَأْبَى لَنَا أَحَدٌ^(٢) * إِنَّا كَذَلِكَ عِنْدَ الْفَخْرِ نَرْفَعُ
قال محمد بن إسحق : وكان حسان بن ثابت غائباً ، فبعث إليه رسول الله صلى
الله عليه وسلم ، فقال حسان : جاءني رسوله فأخبرني أنه إنما دعاني لأجيب شاعر
بني تميم ، فخرجت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أقول :

مَنْعَنَا رَسُولُ اللَّهِ إِذَا حَلَّ وَسَطَنَا عَلَى أَنْفٍ رَاضٍ مِنْ مَعَدٍّ وَرَاعِمٍ
مَنْعَاهُ لَمَّا حَلَّ بَيْنَ يُونُسَا * بِأَسْيَاغِنَا مِنْ كُلِّ بَاغٍ وَظَالِمٍ^(٣)
بَيْتِ حَرِيدٍ عَزَّهُ وَتَرَاؤُهُ * بِجَابِيَةِ الْجَوْلَانِ وَسَطِ الْأَعَاجِمِ
هَلْ الْمَجْدُ إِلَّا السُّودْدُ الْعُودُ وَالنَّدَى * وَجَاهُ الْمُلُوكِ وَاحْتِمَالُ الْعِظَامِ

قال : فلما آتته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقام شاعر القوم فقال
ما قال ، عرضت في قوله وقلت على نحو ما قال . قال : ولما فرغ الزبيرقان من
إنشاده ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت : « قم فأجب الرجل »
فقام حسان فقال :

(١) الكوم (جمع كوما) : الناقة العظيمة السنام . وعبطا : أي تحمزلغيرة . وفي أرومتنا :
أي هذا الكوم متأصل فينا .

(٢) لم يحذف حرف العلة لضرورة الشعر . وفي ابن إسحق طبع أودبا والخطي « ولا يابى » .

(٣) البيت الحريد : المفرد عن البيوت لغزته . جابية الجولان : قرية من أعمال دمشق . يريد
نزل النبي صلى الله عليه وسلم وسط حى من الأنصار ، يتصل بينهم بالفتاسة وهم ملوك الشام ، وسيعود
إلى هذا المعنى فيما بعد .

(٤) السودد العود : القديم .

إِنَّ الذَّوَابَّ مِنْ فِيهِمْ وَإِخْوَتَهُمْ * قَسَدٌ بَيْنُوا سُنَّةَ النَّاسِ تَتَّبَعُوا^(١)
يَرْضَى بِهَا كُلُّ مَنْ كَانَتْ سِرِّيَّتُهُ * تَقْوَى الْإِلَهِ وَكُلُّ الْخَيْرِ يَصْطَنَعُ^(٢)

[ويروى :

يَرْضَى بِهَا كُلُّ مَنْ كَانَتْ سِرِّيَّتُهُ * تَقْوَى الْإِلَهِ وَبِالْأَمْرِ الَّذِي شَرَعُوا^(٣)]
قَوْمٌ إِذَا جَارِبُوا ضَرُّوا عَدُوَّهُمْ * أَوْ حَاوَلُوا النَّفْعَ فِي أَشْيَائِهِمْ تَفَعُّوا^(٤)
سَيِّئَةٌ تِلْكَ مِنْهُمْ غَيْرُ مُحَدَّثَةٍ * إِنَّ الْخَلَائِقَ فَاعْلَمْ شَرُّهَا الْبِدْعُ^(٥)
إِنْ كَانَ فِي النَّاسِ سَبَاقُونَ بَعْدَهُمْ * فَكُلُّ سَبَقٍ لِأَدْنَى سَبَقِهِمْ تَبَعَ^(٦)
لَا يَرْقِعُ النَّاسُ مَا أَوْهَتْ أَكْفُهُمْ * عِنْدَ الرِّقَاقِ وَلَا يُوْهُونَ مَا رَقَعُوا^(٧)
إِنْ سَابَقُوا النَّاسَ يَوْمًا فَازَ سَبَقُهُمْ * أَوْ وَازَنُوا أَهْلَ تَجْدِيدِ الْبَدْرِ مَتَعُوا^(٨)
أَعْفَى ذِكْرَتْ فِي الْوَحْيِ عَقْفَتَهُمْ * لَا يَطْبَعُونَ وَلَا يُرِيدُهُمْ طَمَعُ^(٩)

(١) الذَّوَابَّ : الأَعَالِي ، والمراد هنا السَّادَةُ . وفهر أصل قريش ، وهو فهر بن غالب بن النضر ابن كنانة ، وقريش كلهم ينسبون إليه . ولعله يريد بإخوة فهر الأنصار ، وبالدَّوَابَّ من فهر المهاجرين . ولك أن يجعل « وإِخْوَتَهُمْ » عطفا على الذَّوَابَّ والمراد بإخوتهم الأنصار .

(٢) السَّرِيَّةُ كالسر والسرما أخفيت ؛ والمعنى أن سقمهم التي يبتنوها للناس يرضى بها كل من أسر تقوى الإله واصطناع المعروف ، أو بالأمر الذي شرعوه للناس على الرواية الثانية .

(٣) ما بين المربعين في ج وكذا رواه ابن إسحق بعد انتهاء القصيدة .

(٤) الأَشْيَاءُ (جمع شَيْء) : وهم الأنصار والأتباع .

(٥) السَّجِيَّةُ : الغريزة . والخَلَائِقُ : جمع خليفة وهي الطليعة هنا . والبدع : جمع بدعة ، والمراد بها مستحدثات الأخلاق لا ما هو كالنار في النار .

(٦) أَوْهَتْ : شقت وفشقت . يقول : إِنَّا أَعَزَّةٌ .

(٧) الذَّرَى : جمع ذروة وهي من كل شيء أعلاه ، والمراد هنا الشرف والعلاء . ويروى « بالندى » وفي أ : بالووى ، ولعله تصحيف . ومتعوا : زادوا ؛ من منع النهار يمنع متعوا أوقفه وبلغ غاية ارتفاعه .

(٨) لا يطبعون : لا يتدبسون ، ومنه الحديث : « أعوذ بالله من طمع يهدي إلى طمع » أي يوقى إلى شين وعيب .

لا يَتَخَلُّونَ عَلَى جَارٍ بِفَضْلِهِمْ * وَلَا يَمْسُهُمْ مِنْ مَطْمَعٍ طَبْعٌ ^(١)
 إِذَا نَصَبْنَا لِحَيٍّ لَا نَدْبٌ لَهُمْ * كَمَا يَدْبُ إِلَى الْوَحْشِيَّةِ الذَّرْعُ ^(٢)
 تَسْمُو إِذَا الْحَرْبُ نَالَتْهَا مَحَالِبُهَا * إِذَا الزَّعَافُ مِنْ أَظْفَارِهَا خَشَعُوا ^(٣)
 لَا يَفْخَرُونَ إِذَا نَالُوا عَدُوَّهُمْ * وَإِنْ أُصِيبُوا فَلَا خُورٌ وَلَا هَلَعٌ ^(٤)
 كَانَهُمْ فِي الْوَعَى وَالْمَوْتُ مُكْتَنِعٌ * أَسَدٌ حَلِيَّةٌ فِي أَرْسَاعِهَا فَدَعُ ^(٥)
 خَدْمُهُمْ مَا أَتَى عَقْوًا إِذَا غَضِبُوا * وَلَا يَكُنْ هَمُّكَ الْأَمْرَ الَّذِي مَنَعُوا ^(٦)
 فَإِنَّ فِي حَرْبِهِمْ فَارَكَ عَدَاوَتَهُمْ * شَرًّا يُحَاضُ عَلَيْهِ السَّمُّ وَالسَّلْعُ ^(٧)
 أَكْرَمُ يَقُومُ رَسُولُ اللَّهِ شَيْعَتُهُمْ * إِذَا تَفَاوَتِ الْأَسْوَاءُ وَالشَّيْعُ ^(٨)
 أَهْدَى لَهُمْ مِدْحَتِي قَلْبٌ يُؤَاوِرُهُ * فِيمَا أَحَبُّ لِسَانٍ حَائِكٌ صَنَعُ ^(٩)
 فَإِنَّهُمْ أَفْضَلُ الْأَحْيَاءِ كُلَّهُمْ * إِنَّ جَدَّ النَّاسِ جَدُّ الْقَوْلِ أَوْ شَمَعُوا ^(١٠)

- (١) الطبع : (بالتحريك) : الدنس والعيب .
 (٢) نصبنا : أظهرنا الحرب والعداوة ولم نكرها . والذرع : ولد البقرة الوحشية . يقول : إذا حاربنا أعداءنا لا ندب إليهم كما يدب الذرع إلى الوحشية .
 (٣) الزعاف من الناس : سفلتهم . وخشعوا : خضعوا .
 (٤) الخور : الضعفاء . والهلع (ككتب) : الجازعون ، المفرد هلع .
 (٥) الموت مكتنع : دان قريب . وحلية (بالفتح ثم السكون) : مأسدة بشاحية إلين . والرسغ مفصل ما بين الكف والذراع ، وقيل : مجتمع السطحين والقدمين . والقدع : عوج وميل في المفاصل كلها خلقه أوداء ، كان المفاصل قد زالت عن مواضعها ، لا يستطيع بسطها معه ، وأكبر ما يكون في الرسغ من اليد والقدم . (٦) غصوا : من غير شفقة . (٧) السبع : شجر مر ، أوسم ، أو ضرب من الصبر ، ثم بقله خيبة الطعم . (٨) معنى « شيعتهم » هنا : ناصبرهم .
 (٩) يقال : لسان صنع ، ورجل صنع اللسان ، يقال للشاعر ولكل بلغ ، والمعنى : يحسن القول ويعجده . (١٠) شمعوا : ضحكوا وهزلوا . والشموع من التياه : الضحك المعبوب :

وقال أبو محمد عبد الملك بن هشام رحمه الله : حدثني بعض أهل العلم بالشعر من بني تميم أن الزبير بن بذر لما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد بني تميم، قام فقال :

(١) أَيْنَاكَ كَيْمَا يَعْلَمَ النَّاسُ فَضْلَنَا * إِذَا اخْتَلَفُوا عِنْدَ احْتِضَارِ الْمَوَاسِمِ
(٢) يَا نَا فَرُوعُ النَّاسِ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ * وَأَنْ لَيْسَ فِي أَرْضِ الْحِجَازِ كَدَارِمِ
(٣) وَأَنَا نَذُودُ الْمُعْلِمِينَ إِذَا اتَّخَفُوا * وَنَضِرُ رَأْسَ الْأَصِيدِ الْمُتَفَاقِمِ
(٤) وَأَنْ لَنَا الْمِرْبَاعَ فِي كُلِّ غَارَةٍ * نُغَيِّرُ بَحْجِدٍ أَوْ بِأَرْضِ الْأَعَاجِمِ

فقام حسان بن ثابت فأجابه، فقال :

هَلِ الْمَجْدُ إِلَّا السُّودْدُ الْعُودُ^(٥) وَالنَّدَى * وَجَاهُ الْمَمْلُوكِ وَأَحْمَالُ الْعَظَائِمِ
نَصَرْنَا وَأَوَيْنَا النَّبِيَّ مُحَمَّدًا * عَلَى أَنْفِ رَايِضٍ مِنْ مَعَدٍّ وَدَاغِمِ
يَحْيَى حَرِيدٍ أَصْلُهُ وَثَرَاؤُهُ^(٦) * بِحَايَةِ الْجَوْلَانِ وَسَطِ الْأَعَاجِمِ
نَصَرْنَاهُ لَمَّا حَلَّ وَسَطَ دِيَارِنَا * بِأَسَافِنَا مِنْ كُلِّ بَاغٍ وَظَالِمِ

(١) احتضر : حضر . المواسم (جمع موسم) : وهو المجتمع كوسم الحج .

(٢) فروع الناس : أشرفهم . ودارم : حى من تميم فيهم بيتا وشرفها .

(٣) نذود : ندفع . المعلمين : الذين يخذون لأنفسهم علامة في الحرب يعرفون بها وهم الشجعان .
اتخفوا تعاطفوا وتكبروا . الأصيد : الملك لا يلفت من زهوه يميناً ولا شمالاً، ورافع رأسه كبرا .
المتفاقم : المتعاطف .

(٤) المرباع : ربع الغنمة الذى يأخذه الرئيس . ونجد : بلاد العرب لمقابلته بأرض الأعاجم .

(٥) السودد العود : أى القديم . والندى : الجود والكرم .

(٦) فى ديوان حسان : « أصله وذماره » . والله مارء باليكسر : ما يلزم حفظه وحمايته .

جَعَلْنَا بَيْنَنَا دُونَهُ وَبَيْنَا * وَطِينًا لَهُ نَفْسًا فِي الْمَقَامِ^(١)
وَنَحْنُ ضَرْبَتَا النَّاسِ حَتَّى تَتَابَعُوا * عَلَى دِينِهِ بِالْمَرْهَفَاتِ الصَّوَارِمِ^(٢)
وَنَحْنُ وَلَدْنَا مِنْ قَرِيشٍ عَظِيمَهَا * وَلَدْنَا نَبِيَّ الْخَيْرِ مِنْ آلِ هَاشِمِ^(٣)
نَبِيَّ دَارِئِمٍ لَا تَفْخَرُوا إِنْ غَفَرْتُمْ * بِعُودٍ وَبَالَا عِنْدَ ذِكْرِ الْمَكَارِمِ^(٤)
هَيْلَتُمْ ، عَلَيْنَا تَفْخَرُونَ وَأَنْتُمْ * لَنَا خَوْلٌ مِنْ بَيْنِ ظُهُرٍ وَخَادِمِ^(٥)
فَإِنْ كُنْتُمْ جِئْتُمْ لِحَقِّ دِمَائِكُمْ * وَأَمْوَالِكُمْ أَنْ تُقَسِّمُوا فِي الْمَقَاسِمِ^(٦)
فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ نِدَاءً وَأَسْلِمُوا * وَلَا تَلْبَسُوا زِيَا كَرِيٍّ الْأَعْلَامِ^(٧)
وَأَفْضَلُ مَا نِلْتُمْ مِنَ الْمَجْدِ وَالْعَلَا * رِدَاقَتُنَا عِنْدَ احْتِضَارِ الْمَوَاسِمِ

قالوا: فلما فرغ حسان من قوله ، قال الأقرع بن حابس: وأبي ، إن هذا الرجل^(٨)
لَمَوْقٍ لَهُ ، لَخَطِيبُهُ أَخْطَبُ مِنْ خَطِيبِنَا ، وَلشَاعِرُهُ أَشْعَرُ مِنْ شَاعِرِنَا ، وَلْأَصْوَاتِهِمْ
أَعْلَى مِنْ أَصْوَاتِنَا ، وَلَهُمْ أَحْلَمُ مِنَّا . وَنَزَلَ فِي وَفْدِ بَنِي تَيْمٍ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ إِنْ
الَّذِينَ يُبَادُّونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحِجَارَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ . وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ
إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾^(٩) .

(١) قال الراغب في مفرداته : قيل للقيمة التي لا يلحق فيها مشقة في . والغنيمة في الأصل :

ما أخذ حربا . (٢) المرهفات الصوارم : السيوف التي تصرم الأعمار .

(٣) يشير حسان إلى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مولود من جدة من بني النجار ، وقيل : يشير إلى

أن أم عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم كانت جارية من الأنصار .

(٤) الوبال وخامة العاقبة .

(٥) هيلتم ، من هبلته أمه فددته : يدعو عليهم . خول : رعاة وأتباع . الفائر : التي ترضع ولد غيرها .

(٦) اللذ : الشريك .

(٧) رداقة القوم : الذين هم تبع لهم . وهذا البيت غير موجود في سيرة ابن هشام ، وهو موجود

في ديوان حسان . (٨) لمَوْقٍ لَهُ : لموقف له .

(٩) آية ٤ ، ٥ من سورة الحجرات .

قال محمد بن سعد : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قيس بن عاصم :
« هذا سيد أهل الوبر » وردّ عليهم الأسرى والسبي ، وأمر لهم بالجوائز كما كان
يجيز الوفد ؛ ثلثي عشرة أوقية ونشاً ، وهي خمسمائة درهم .

قال ابن إسحق : وكان عمرو بن الأهم قد خلفه القوم في ظهورهم^(٢) ، وكان أصغرهم
سيناً ، فقال قيس بن عاصم ، وكان يبغض عمرو بن الأهم : يا رسول الله ! إنه قد
كان رجل منا في رحالنا وهو غلام حدث ، وأزرى به ، فأعطاه رسول الله صلى الله
عليه وسلم مثل ما أعطى القوم ، فبلغ عمرو بن الأهم ما قاله قيس فيه ؛ فقال :

ظَلَمْتُ مُفْتَرِشَ الْهَلْبَاءِ تَسْتُمْنِي * عِنْدَ النَّبِيِّ فَلَمْ تَصْدُقْ وَلَمْ تُصَبِّ

إِنْ تَنْقُصُونَا فَلَا نَرْوِمُ أَصْلَكُمْ * وَالرُّومُ لَا تَمْلِكُ الْبَغْضَاءَ لِلْعَرَبِ

وَإِنْ سُوِّدَدْنَا عَوْدٌ وَسُوِّدَدَكُمْ * مُؤَخَّرٌ عِنْدَ أَصْلِ الْعَجَبِ وَالذَّنْبِ^(٥)

وروى أن الزبير كان تغر يومئذ فقال :

يا رسول الله ، أنا سيد تميم ، والمطاع فيهم ، والمجرب منهم ، أخذ لهم بحقوقهم ،
وأمنعهم من الظلم ، وهذا يعلم ذلك . وأشار إلى عمرو بن الأهم . فقال عمرو :

إنه شديد العارضة ، مانع لجانبه ، مطاع في أدانيه . فقال الزبير قان : والله لقد
كذب يا رسول الله ، وما منعه من أن يتكلم إلا الحسد .

(١) النش : نصف أوقية . (٢) في ظهورهم : في إيلهم .

(٣) الهلباء : يعني آسته ؛ يريد أنها كبيرة .

(٤) وذكر عن ابن الكلبي أنه إنما نسب إلى الروم لأنه كان أحمر ؛ فيقال : إن النبي صلى الله عليه

وسلم نهاء ، وقال : « إن إسماعيل كان أحمر » . (حاشية نسخة ج) .

(٥) العجب ، بالفتح : أصل الذنب .

فقال عمرو : أنا أحسدك ؟ ! فوالله إنك لتسب الخال ، حديث المال ، أحقُّ الولد ، مُبغضٌ في العشيرة ، والله ما كذبت في الأولى ، ولقد صدقت في الثانية .
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن من البيان لِسِحْرًا » .

ذكر وفد فزارة

وَأَسْتَسْقَاءَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قال ابن سعد : لما رجع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من تبوك ، قَدِمَ عليه وفدُ بني فزارة ، بضعة عشر رجلاً ، فيهم خارجةُ بن حصن ، والحُرُّ ابن قيس بن حصن ، وهو أصغرهم ، على رَكابٍ عجافٍ ، بغاءوا مُقَرَّبِينَ بالإسلام .
وسألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بلادهم ، صالوا : يا رسول الله ، أَسْتَنْتَ بِلَادُنَا ، وَهَلَكْتَ مَوَاشِينَا ، وَأَجْدَبَ جَنَابُنَا ، وَغَرِثَ عِيَالُنَا ، فَادْخُلْنَا رَبَّكَ . فصعد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المنبر ودعا ، فقال : « اللَّهُمَّ أَسْقِ بِلَادَكَ وَبِهَاتَمَكَ ، وَأَنْتَ رَحِمَتَكَ ، فَأَخِي بِلَدِكَ الْمَيِّتِ ، اللَّهُمَّ أَسْقِنَا غَيْثًا مُغِيثًا ، مَرِيئًا مَرِيئًا ، مُطِيقًا وَاسِعًا ، عَاجِلًا غَيْرَ آجِلٍ ، نَاقِعًا غَيْرَ ضَارٍ . اللَّهُمَّ أَسْقِنَا سُقْيَا رَحْمَةٍ ، لَا سُقْيَا عَذَابٍ وَلَا هَذِيمٍ وَلَا غَرَقٍ وَلَا بَحْقٍ . اللَّهُمَّ أَسْقِنَا الْغَيْثَ وَأَنْصِرْنَا عَلَى الْأَعْدَاءِ » فَطَرَتْ ، فَمَا رَأَوْا السَّمَاءَ سِتًّا ، فَصَعِدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُنْبَرِ ، فدعا ، فقال : « اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا ، عَلَى الْآكَامِ وَالظُرَابِ ، وَبُطُونِ الْأَوْدِيَةِ ، وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ » . قال : فأنجابت السماءُ عن المدينة أنجياب الثوب .

- (١) أَسْتَنْتَ : أَجْدَبْتَ لَفْظُ الْمَطَرِ . (٢) غَرِثَ : جَاعَ . (٣) غَيْثٌ مُغِيثٌ : عَامُ الْقَعِّ .
(٤) مَرِيٌّ : هَيَّ . (٥) مَرِيْعٌ : مُخْصَبٌ . (٦) غَيْثٌ مُطِيقٌ : عَامٌ .
(٧) سِتًّا أَيَّ سِتِّ أَيَّامٍ ، وَفِي رِوَايَةٍ سِتًّا أَيَّ أَسْبُوعًا . قَالَ الْقِسْطَلَانِيُّ : وَلَا تَنَافٍ بَيْنَ الرَّايَتَيْنِ .
(٨) الْآكَامُ وَالظُرَابُ : الرَوَابِي وَالْمُرْتَفَعَاتُ . (٩) أَنْجَابَتِ السَّمَاءُ : أَنْكَشَفَتْ .

وفي صحيح البخارى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : أصابت الناس سنة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب على المنبر يوم الجمعة ، قام أعرابي فقال : يا رسول الله ، هلك المأل ، وجاع العيال ، فادع الله لنا أن يسقينا ، فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه ، وما في السماء قزعة^(٢) سحب ، قال : فثار سحب^(٣) أمثال الجبال ، ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيتي ، قال : ففطرنا يومنا ذلك ، ومن الغد ، ومن بعد [الغد]^(٤) والذي يليه إلى الجمعة الأخرى . فقام ذلك الأعرابي — أو رجل غيره — فقال : يا رسول الله ، تهدم البناء ، وغرق المأل ، فادع الله لنا ، فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه ، فقال : « اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا » قال : فاجعل^(٥) يُشير بيديه إلى ناحية من السماء إلا تفرجت ، حتى صارت المدينة في مثل الجوبة ، حتى سال الوادى وادى قناة شمرا . قال : فلم يأت أحد من جهة إلا حدث بالجود^(٦) .

ذكر وفد مرة

قال : قديم وفد بنى مرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم عند مَرَجِهِ من تبوك في سنة تسع ، وهم ثلاثة عشر رجلا ، رأسهم الجارث بن عوف ، فقالوا : يا رسول الله ، إنا قومك وعشيرتك ، ونحن قوم من لؤي بن غالب . فقبستم

(١) سنة (فتح السين) : أى جذب ولقط . (٢) قزعة : قطعة من النيم .

(٣) ثار : هاج . (٤) الزيادة من صحيح البخارى .

(٥) هذا تردد من الراوى يدل على عدم التذكر . (٦) تفرجت : ترفع السحاب ، وفيه

دلالة على عظم معجزته صلى الله عليه وسلم . (٧) الجوبة : الحفرة المستديرة الواسعة ؛ أى انجاب السحاب عن المدينة ، وصار مستديرا حوالها ، وهى خالية منه .

(٨) وادى قناة : واد من أودية المدينة عليه حرث ومزارع . (٩) الجود : المطر الكثير .

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : « أين تركت أهلك » ؟ قال : بسلاح^(١)
وما والاها . قال : « كيف تركت البلاد » ؟ قال : والله إننا لمُسْتُونَ ، فأدع الله^(٢)
لنا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم أسقهم الغيث » وأمر بلالاً
أن يُحْيِزَهُمْ ، فأجازهم بعشرة أواق ، عشرة أواق فضة ، وفضل الحارث بن عوف ،
أعطاه ثلثي عشرة أوقية . فرجعوا إلى بلادهم فوجدوها قد مُطِرت في اليوم الذي
دعا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر وفد مُحَارِب

قال : قَدِمَ وفد مُحَارِب على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنة عشر ،
في حجة الوداع ، وهم عشرة نفر ، منهم سواء بن الحارث ، وأبنة خزيمة بن سواء ،
فأنزلوا دار رَمْلَةَ بنت الحارث ، وكان بلال يأتيهم بقداء وعشاء ، فأسلموا وقالوا :
نحن على من وراءنا ، ولم يكن أحد في تلك المواسم أفظ ولا أغلظ على رسول الله
صلى الله عليه وسلم من بني مُحَارِب . قال : ومسح رسول الله صلى الله عليه وسلم وجه
خزيمة بن سواء^(٣) ، فصارت له غُرة بيضاء ، وأجازهم كما يُحْيِزُ الوُفد ، وأنصرفوا
إلى أهلهم .

ذكر وفد كلاب

قال : قَدِمَ وفد كلاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنة تسع من
الهجرة ، وهم ثلاثة عشر رجلاً ، فيهم لييد بن ربيعة ، وجبار بن سلمى ، فأنزلهم

(١) سلاح : موضع أسفل من خيبر ، وماء أيضاً لبني كلاب .

(٢) مستون : أصحابهم سنة وخط وأجدبوا .

(٣) أول الخبر أن خزيمة قال للنبي صلى الله عليه وسلم : الحمد لله الذي أبانني حتى صدقت بك ،

فقال رسول الله : إن هذه القلوب بيد الله ، ومسح وجه خزيمة ... الخ .

دارَ رَمْلَةٍ بنت الحارث ، فقالوا : يا رسول الله ، إن الضحاك بن سفيان سار فينا
بكتاب الله ، وبسنتك التي أمرته ، والله دعانا إلى الله ، فاستجبنا لله ورسوله ،
والله أخذ الصَّدَقَةَ من أغنيائنا فردّها على فقرائنا .
لحمه لونه

ذكر وفد رؤاس بن كلاب

- روى عن أبي نُفَيْع طارق بن علقمة الرؤاسي أنه قال : قَدِمَ رجلٌ مِنّا يقال له
عمرو بن مالك بن قيس الرؤاسي على النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم ، ثم أتى قومه
فدعاهم إلى الإسلام ، فقالوا : حتى نُصِيبَ من بنى عُقَيْل بن كعب مثل ما أصابوا
منّا ، فخرجوا يريدونهم ، وخرج معهم عمرو بن مالك فأصابوا فيهم ، ثم خرجوا
يسوقون النعم ، فأدركهم فارسٌ من بنى عُقَيْل ، يقال له ربيعة بن المُنْتَفِق بن عامر
ابن عُقَيْل ، وهو يقول :

أَقْسَمْتُ لَا أَطْعَمُ إِلَّا فَارَسًا • إِذَا الْكُفَّةُ لَبَسُوا الْقَوَاسِمَ^(١)

- قال أبو نُفَيْع : فقلتُ نجوؤهم يامعشر الرجالة سائر اليوم ، فأدرك العُقَيْلُ رجلاً من
بنى عبيد بن رؤاس : يقال له المُحَرَّش بن عبد الله بن عمرو بن عبيد بن رؤاس ،
فقطعه في عَصْدِهِ فَأَخْبَلَهَا ، فاعتق المُحَرَّش فرسه ، وقال : يا آل رؤاس ! فقال^(٢)
ربيعة : رؤاسٌ خيَلٌ أو أناس ؟ ! فعَطَفَ على ربيعة عمرو بن مالك فقطعه
فقتله • قال : ثم خرجنا نسوق النعم ، وأقبل بنو عُقَيْل في طلبنا حتى آتَيْنَا إلى^(٣)
تربة ، فقطع ما بيننا وبينهم وادي تربة ، فجعل بنو عُقَيْل ينظرون إلينا فلا يصلون

(١) القواسم : بيضات الحديد تلبس في الحرب .

(٢) الخيل : فساد الأعضاء .

(٣) تربة (بالهم ثم الفتح) : راد بالقرب من مكة على مسافة يومين منها .

إلى شيء فضينا . قال عمرو بن مالك : فأسقط في يدي ، وقلت : قتل رجلًا ،
وقد أسلمت وبايعت النبي صلى الله عليه وسلم ! فشددت يدي في غلٍّ إلى عنقي ،
ثم خرجت أريد النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد بلغه ذلك ، فقال : « لئن أُناني
لأضربن ما فوق الغل من يده » قال : فأطلقت يدي ، ثم أتته فسلمت عليه
فأعرض عني فأنته عن يمينه فأعرض عني ، فأنته عن يساره فأعرض عني ،
فأنته من قبل وجهه ، فقلت : يا رسول الله ، إن الرب ليترضى [فيرضى^(١)] ، فأرض
عني رضى الله عنك . قال : « قد رضى عنك » .

١٧
١٦

ذكر وفد عقيل بن كعب

قال محمد بن السائب : حدثنا رجل من بني عقيل بن كعب ، عن أشياخ قومه ،
قالوا : وقد منا من بني عقيل بن كعب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ربيع
ابن معاوية بن خفاجة بن عمرو بن عقيل ، ومطرف بن عبد الله ، وأنس بن قيس
ابن المنتفق ، فبايعوا وأسلموا ، وبايعوه على من وراءهم من قومهم ، فأعطاهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم العقيق عقيق بني عقيل ، وهى أرض فيها عيون ونخل
وكتب لهم بذلك كتاباً في أديم أحمر : « بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى محمد
رسول الله ربباً ومطرفاً وأنساً ، أعطاهم العقيق ما أقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ،
وسمعو وأطاعوا » . ولم يعطهم حقاً لمسلم ، وكان الكتاب في يد مطرف . ووفد
عليه أيضاً لقيط بن عامر بن المنتفق بن عامر بن عقيل ، فأعطاه ماء يقال له النظيم
وبايعه على قومه .

قال : وقَدِمَ عليه أبو حرب بن خُوَيْلِد بن عامر بن عُقَيْل ، فقرأ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عليه القرآن ، وعَرَضَ عليه الإسلام ، فقال : أَمَّا وَآيِمُ اللَّهِ لَقَدْ لَقِيتُ اللَّهَ أَوْ لَقِيتُ مِنْ لَقِيهِ ، فَإِنَّكَ لَتَقُولُ قَوْلًا لَا تُحْسِنُ مِثْلَهُ ، وَلَكِنْ سَوْفَ أَضْرِبُ بِقِدَاحِي هَذِهِ عَلَى مَا تَدْعُونِي إِلَيْهِ ، وَعَلَى دِينِي الَّذِي أَنَا عَلَيْهِ ، وَضَرَبَ بِالْقِدَاحِ ، فَفَرَجَ عَلَى سَهْمِ الْكُفْرِ ، ثُمَّ أَعَادَ فَفَرَجَ عَلَيْهِ ثَلَاثَ [مَرَّاتٍ] ^(١) .

فَقَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَبَى هَذَا إِلَّا مَا تَرَى ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَخِيهِ عِقَالِ بْنِ خُوَيْلِدٍ ، فَقَالَ لَهُ : قَلَّ خَيْسُكَ . أَى قَلَّ خَيْرُكَ . فَقَالَ : هَلْ لَكَ فِي عِدِّ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ ؟ يَدْعُو إِلَى دِينِ الْإِسْلَامِ ، وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ ، وَقَدْ أَعْطَانِي الْعَقِيقُ إِنْ أَنَا أَسَلَمْتُ ، فَقَالَ لَهُ عِقَالُ : أَنَا وَاللَّهِ أَخْطُوكَ أَكْثَرَ مِمَّا يَحْطُوكَ عِدِّ ، ثُمَّ رَكِبَ فَرَسَهُ وَجَرَّ رُمْحَهُ عَلَى أَصْفَلِ الْعَقِيقِ ، فَأَخَذَ أَصْفَلَهُ وَمَا فِيهِ مِنْ عَيْنٍ ، ثُمَّ إِنْ عِقَالًا قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَعَرَضَ عَلَيْهِ الْإِسْلَامَ ، وَجَعَلَ يَقُولُ لَهُ : « أَتَشْهَدُ أَنْ عِدًّا رَسُولُ اللَّهِ » ؟ فَيَقُولُ : أَتَشْهَدُ أَنْ هُبَيْرَ بْنِ النَّضَّازَةِ نِعَمَ الْفَارَسُ يَوْمَ قَرْنَى لَبَانَ . ثُمَّ قَالَ : « أَتَشْهَدُ أَنْ عِدًّا رَسُولُ اللَّهِ » ؟ قَالَ : « أَتَشْهَدُ أَنْ الصَّرِيحُ نَحْتِ الرُّغْوَةِ » ^(٢) ، ثُمَّ قَالَ لَهُ الثَّلَاثَةُ : « أَتَشْهَدُ » ؟ قَالَ : فَشَهِدَ وَأَسْلَمَ .

(١) الزيادة من الطبقات .

(٢) ذكرته الإصابة « عقال » بالفاء وليس بصحيح .

(٣) قال ابن سعد في الطبقات : « وابن النضازة هيرة بن معاوية بن عباد بن عقيل ، ومعاوية

هو فارس الحرار والحرار اسم فرسه ، ولبان . موضع » ، وقال في معجم باقوت : لبنان بلدة بأرض مهرة

بأقصى اليمن . (٤) الصريح من اللبن المحض الخالص ، والرغوة الزبد ، وهذا مثل معناه :

إن الأمر مغطى عليك ، وسيبدلك .

قال : ثم قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم الحصين بن المعلّى بن ربيعة ابن عَقِيل ، وذو الجوشن الضَّبَّابِي ^(١) فأسلمها .

ذكر وفد جعدة

قال محمد بن سعد : وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم الرقاد بن عمرو بن ربيعة بن جعدة بن كعب ، فأعطاه صلى الله عليه وسلم بالفلج ضَبْعَة ^(٢) ، وكتب له كتابا وهو عندهم .

ذكر وفد قُشَيْر بن كعب

قال : وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم تَقَرَّر من بني قُشَيْر ، قبل حجة الوداع وبعد حُتَيْن ، فيهم ثور بن عَزْرَة بن عبد الله بن سلمة بن قُشَيْر فأسلم ، فأقطعه رسول الله صلى الله عليه وسلم قطيعة ^(٣) ، وكتب له بها كتابا . وفيهم حيدة بن معاوية ^(٤) ابن قُشَيْر ، وفيهم قُرّة بن هُبيرة بن سلمة الخير بن قُشَيْر فأسلم ، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكساه بُردا ، وأمره أن يتصدق على قومه ؛ أى يلي الصدقة ^(٥) .

(١) ذو الجوشن : اختلف في اسمه فقيل أوص بن الأعور ، وقيل شرحبيل بن الأعور . وإسماعيل قيل له ذو الجوشن لأن صدره كان ناثا . (٢) الفلج : مدينة بأرض النجاة .

(٣) في أسد الغابة : أقطعه حمام والد وهما من العقيق .

(٤) في الأصول : « جندة » وهو تصحيف بوضع ياء عن الطبقات والإصابة والبدلائل .

(٥) زاد ابن سعد في الطبقات بعد هذا « فقال قرة حين رجع :

جباها رسول الله إذ نزلت به * وأمكنها من نائل غير منفذ

فأضحت بروض الخير وهي جثينة * وقد أنجحت حاجاتها من محمد

عليها قى لا يردف الدم وحله * ترك لأمر العاجز المتردد»

ذكر وفد بني البكاء

قال : وقد ثلاثة نفر من بني البكاء على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنة تسع ، فيهم معاوية بن ثور بن عبادة بن البكاء ، وهو يومئذ ابن مائة سنة ، ومعه ابن له يقال له بشر ، والفجيع بن عبد الله ، ومعه عبد عمرو البكائي وهو الأصم ، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن ، وكتب له بمائه الذي أسلم عليه « ذى القصة » . وكان عبد الرحمن من أصحاب الصفة ، فأزله رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنزلي وضيافة ، وأجازهم ورجعوا إلى قومهم .

وقال معاوية للنبي صلى الله عليه وسلم : إني أتبرك بمسك وقد كبرت ، وأبني هذا بربي فأوسع وجهه ، فوسع رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهه بشر بن معاوية ، وأعطاه أعترا عفرا ، وبرك عليهم ، وكانت السنة تصيب بني البكاء ولا تصيبهم ، وفي ذلك يقول محمد بن بشر بن معاوية :

وأبى الذى مسح الرسول برأسه * ودعا له بالخير والبركات
أعطاه أحمد إذ أتاه أعترا * عفرا نواجل لسن بالجبات
يملأن رفد الحى كل عشيية * ويعود ذاك المله بالغدوات
بوركن من منح وبورك مانحا * وعليه منى ما حيت صلاتي

(١) ذر القصة : اسم الجبل الذى فيه الماء . والقصة هو الماء . صححه الناج .

(٢) أصحاب الصفة : هم فقراء المهاجرين ، ومن لم يكن له منهم منزل يسكنه ، فكانوا يأوون إلى موضع مظلل في مسجد المدينة يسكنونه . والصفة : الظلة . (٣) ماعزة عفراء : خالصة اليأس .

(٤) برك « بالتشديد » طين : دعا له بالبركة فبين . (٥) السة : الجذب والقحط .

(٦) نواجل : كريمة النسل . وفي الأصول والطبقات « ليس » بدل « لسن » وما أئتناه عن ابن كثير في البداية والنهاية . ولجبات جمع لجة : وهى النعجة والعنز التى قل لها .

(٧) الرصد : القدح الضخم . وفي الأصول والطبقات والبداية « وفد » ولعله تصحيف . وما أئتناه عن الإصابة فى اسم « معاوية » . (٨) المنح : العطاء .

ذكر وفد كنانة وبنو عبد بن عدى

قالوا: وقد واثلة بن الأسقع الليثي على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة،
ورسول الله صلى الله عليه وسلم تجهز إلى تبوك، فصلّى معه الصبح، فقال: «من
أنت؟ وما جاء بك؟ وما حاجتك؟» فأخبره عن نفسه، وقال: أتيتك لأومن بالله
ورسوله، [فقال رسول الله: (١)] «فبايع على ما أحببت وكبرهت». فبايعه ورجع إلى
أهله فأخبرهم، فقال أبوه: والله لا أكلمك كلمة أبدا، وسمعت أخته كلامه فأسلمت
وجهازته، فخرج راجعا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوجده قد سار إلى تبوك.
فقال: من يحملي عبقة^(٢) وله سهمي؟ فحمله كعب بن عُجْرة حتى لحق برسول الله صلى الله
عليه وسلم، وشهد معه تبوك. وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مع خالد بن
الوليد إلى أكيدر، فجاء يسهما إلى كعب بن عُجْرة، فأبى أن يقبله وسوّغه إياه،
وقال: إنما حملتكم الله تعالى.

قال: وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد بني عبد بن عدى، وفيهم
الجارث بن أحيان، وعويمر بن الأحم^{الأخضر}، وحليب وربيعة أبنا ملة، ومعهم رهط
من قومهم، فقالوا: يا محمد، نحن أهل الحرم وساكنوه، وأغرن من به، ونحن
لا نريد قتالك، ولو قاتلت غير قريش قاتلنا معك، ولكنا لا نقاتل قريشا. وإنا
لنحبك ومن أنت منه، فإن أصبت منا أحدا خطأ فعليك ديتنه، وإن أصبنا
أحدا من أصحابك فعليتنا ديتنه. فقال: «نعم» فأسلموا.

(١) زيادة يقتضها السياق. والخبر في أسد الغابة: فقال «ما جاء بك» قال: أبايع فقال
رسول الله «على ما أحببت...». الحديث.

(٢) عبقة: فربة، وتناقب المسافران على الدابة ركب كل واحد منهما عبقة.

(٣) كان أصاب مست فلا نص في هذه الفروقة. وأكيدر، تصغير أكر: صاحب دومة الجندل.

(٤) في أ: «وساكنه».

ذكر وفد باهلة

قال : وقَدِمَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم مُطَرِّف بن الكاهن الباهليّ بعد الفتح وافدا لقومه ، فأسلم وأخذ لقومه أماناً ، وكتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاباً فيه فرائض الصّدقات .

- ثم قدم نَهْشَل بن مالك الوائليّ من باهلة على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وافدا لقومه ، فأسلم وكتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولمن أسلم من قومه كتاباً فيه شرائع الإسلام . كتبه عثمان بن عفان .

ذكر وفد هلال بن عاصم

قالوا : قَدِمَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم تَقَرُّ من بني هلال ، فيهم عبد عوف بن أَصْرَم بن عمرو بن شُعَيْبَةَ^(١) فأسلم ؛ فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله . وفيهم قُبَيْصَة بن الحُخَارِق ، فقال : يا رسول الله ، إني حملت عن قومي حَمَالَةً^(٢) فَأَعْنِيْ فيها ؛ قال : « هي لك في الصّدقات إذا جاءت » .

- قالوا : ووَقَدَ زياد بن عبد الله بن مالك ، فلما دخل المدينة ، توجه إلى منزل ميمونة بنت الحارث زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، وكانت خالة زياد — أُمّه عَزْرَة بنت الحارث ، وهو يومئذ شاب — فدخل النبي صلى الله عليه وسلم وهو عندها ، فلما رآه غضب ورجع ، فقالت : يا رسول الله ، هذا ابن أختي ، فدخل إليها ثم نخرج حتى أتى المسجد ومعه زياد ، فصلى الظهر ، ثم أدنى زيادا فدعا له ، ووضع يده على رأسه ، ثم حذرّها على طَرَف أنفه . فكانت بنو هلال تقول : مازلنا نَتَعَرَّف البركة في وجه زياد . قال الشاعر لعلّ بن زياد :

١٩
١٦

(١) في الأصول : شعبة . وما أثبتناه عن الإمامية ، قال : « وشعبة بمعجمة ثم مهلهة ثم مثلثة مصغر » . (٢) حمالة : كفالة .

يَا بْنَ الَّذِي مَسَحَ النَّبِيُّ بِرَأْسِهِ * ودعا له بالخير عند المسجد
أَعْنِي زَيْدًا لَا أُرِيدُ سِوَاهُ * من غَائِرٍ أَوْ مُتَّهِمٍ أَوْ مُنْجِدٍ^(١)
مَا زَالَ ذَاكَ النُّورُ فِي عِرْنَيْنِهِ * حَتَّى تَبَوَّأَ بَيْتَهُ فِي الْمَلْحَدِ

ذكر وفد عامر بن صعصعة

وخبر عامر بن الطفيل وأربد بن قيس

قال محمد بن سعد : قَدِمَ عامر بن الطُّفَيْل بن مالك بن جعفر بن كلاب ،
وَأَرْبَدُ بْنُ رِبْعَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ جَعْفَرٍ . — قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَأَرْبَدُ بْنُ قَيْسِ^(٢)
ابْنِ جَزْءٍ بْنِ خَالِدِ بْنِ جَعْفَرٍ ، وَجَبَّارُ بْنُ سَلَمَى بْنِ مَالِكِ بْنِ جَعْفَرٍ — [عَلَى رَسُولِ اللَّهِ^(٣)
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] . — قَالَ ابْنُ سَعْدٍ — فَقَالَ عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ : يَا عَمَّ ، مَا لِي إِنْ
أَسْلَمْتُ ؟ قَالَ : « لَكَ مَا لِلْمُسْلِمِينَ ، وَعَلَيْكَ مَا عَلَيْهِمْ » . قَالَ : أَتَجْعَلُ لِي الْأَمْرَ
مِنْ بَعْدِكَ ؟ قَالَ : « لَيْسَ ذَلِكَ لَكَ وَلَا لِقَوْمِكَ » قَالَ : أَتَجْعَلُ لِي الْوَبْرَ وَلَكَ
الْمُدْرَ ؟ قَالَ : « لَا ، وَلَكِنِّي أَجْعَلُ لَكَ أَعْنَةَ الْخَيْلِ ، فَإِنَّكَ أَمْرٌ فَارِسٌ » . قَالَ :
أَوَلَيْسَتْ لِي ؟ ! أَلَمْ تَلَاثُنْهَا عَلَيْكَ خَيْلًا وَرَجُلًا . ثُمَّ وَلَّيَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ^(٤)
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمَا ، اللَّهُمَّ وَأَهْدِ بَنِي عَامِرٍ وَأَغْنِ الْإِسْلَامَ عَنْ عَامِرٍ »
— يَعْنِي ابْنَ الطُّفَيْلِ .

وقال ابن إسحاق : قَدِمَ عامر بن الطُّفَيْلِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
وهو يريد الغدربة ، وَقَدْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ : يَا عَامِرُ ، إِنَّ النَّاسَ قَدْ أَسْلَمُوا فَأَسْلَمْ ،

(١) غَارُ الرَّجُلِ : إِذْ سَارَ فِي بِلَادِ الْغَوَرِ ، وَأَتَاهُمْ : أَيْ أَرْضَ تِهَامَةَ ، وَانْجَدَ : أَيْ أَرْضَ نَجْدٍ .
يريد البلاد كلها . (٢) فِي الْأَصُولِ : « جَرِيرٌ » وَهُوَ تَصْحِيفٌ ، وَالتَّصْوِيبُ مِنْ سِيَرَةِ ابْنِ هِشَامٍ .
وشرح القاموس مادة « جَزْءٌ » . (٣) تَكْلَمَةُ مَنْ طَبَقَاتِ ابْنِ سَعْدٍ . (٤) عَنِ ابْنِ لُؤْلُؤٍ رَأَى
الْبَوَادِي ، وَهُوَ مِنْ وَرَى الْإِبِلِ لِأَنَّ بَيْوتَهُمْ يَخْذُونَهَا مِنْهُ ، وَبِالْمُدْرِ أَهْلُ الْمَدَنِ وَالْقُرَى ، لِأَنَّ مَبَانِيهَا
بِالْمُدْرِ ، وَهُوَ قَطْعُ الطَّيْنِ الْبَابِي . (٥) فِي ابْنِ إِسْحَاقَ « وَرَجُلًا » وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ .

- فقال : والله لقد كنت آليتُ ألا أتبى حتى تتبع العرب عقيي ، وأنا أتبع عقيب هذا الفتى من قريش ! ثم قال لأربد بن قيس : إذا قدمنا على الرجل فإني سأشغل عنك وجهه ، فإذا فعلت ذلك فأعله بالسيف . فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عامر بن الطفيل . يا مجد ، خالني . قال :
- « لا والله حتى تؤمن بالله وحده » ، فجعل يكرر هذا القول ورسول الله صلى الله عليه وسلم يعيد عليه مقالته ، وهو في ذلك ينتظر من أربد ما أمره به ، فلم يصنع أربد شيئا ، وكان آخر ما قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أما والله لأملأنها عليك خيلا ورجلا ، فلما وثق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم أكفني عامر ابن الطفيل » فلما خرجوا من عنده قال عامر لأربد : ويلك ! أين ما كنت أمرتك به ؟ والله ما كان على ظهر الأرض رجل هو أخوف عندي على نفسي منك ، وأيم الله لا أخافك بعد اليوم أبدا . قال له أربد : لا أبالك ! لا تعجل علي ، والله ما هممتُ بالذي أمرتني به من أمره إلا دخلت بيني وبين الرجل ، حتى لا أرى غيرك ! أفأضربك بالسيف ! قال : وخرجوا راجعين إلى بلادهم ، حتى إذا كانوا ببعض الطريق ، بعث الله على عامر بن الطفيل الطاعون في عنقه ، فقال إلى بيت امرأة من بني سلول ، فجعل يقول : يا بني عامر ، غدة كفدة البكر ، وموت في بيت سلولة ! قال : ومات فواراه أصحابه ، وخرجوا حتى قدموا أرض بني عامر ، فأتاهم قومهم فقالوا : ما وراءك يا أربد ؟ فقال : لا شيء ، والله لقد

(١) خالني ، يشد يد اللام ، اتخذني خليلا وصاحبا ، من المخالة وهي الصداقة . ومن رواه بخفيف اللام : فهو بمعنى تفرد لي خاليا حتى أتحدث معك . (شرح سيرة ابن هشام لأبي ذر) .

(٢) الفدة : طاعون الإبل ، والبكر : الفتى مثا . وإنما تأسف عامر أن لم يميت في ميدان القتال كما يموت الشجعان ، كما تأسف أيضا على موته في بيت ملولة ؛ لأن بني سلول موصوفون عندهم بالزوم .

دعانا إلى عبادة شيء لوددت أنه عندى الآن فأرميه بالنبل حتى أقتله ، فخرج بعد مقالته بيوم أو يومين معه يحمل له يديعه ، فأرسل الله عليه وعلى جملة صاعقة فأحرقتهما .

وقال أبو إسحق أحمد بن محمد الثعلبي في هذه القصة ، بسند يرفعه إلى عبد الله ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : أقبل عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة يريدان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو بالمسجد جالس في نفر من أصحابه ، فدخلا المسجد فاستشرف الناس لجمال عامر ، وكان أعور ، وكان من أجمل الناس ، فقال رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ، هذا عامر ابن الطفيل قد أقبل نحوك ، فقال : « دعه فإن يرد الله به خيرا يهده » فأقبل حتى قام عليه . فقال : يا محمد ، ما لي إن أسلمت ؟ فقال : « لك ما للمسلمين ، وعليك ما على المسلمين » . قال : تجعل لي الأمر بعدك ؟ قال : « ليس ذلك إلى ، إنما ذلك إلى الله عز وجل ، يجعله حيث يشاء » . قال تجعلني على الوبر وأنت على المدر ؟ . قال : « لا » . قال : فماذا تجعل لي ؟ قال : « أجعل لك أعتة الخيل تغزو عليها » . قال : أوليس ذلك لي اليوم ؟ ! فم معي أكلتك . فقام معه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أوصى إلى أربد بن ربيعة إذا رأيته أكلته فذر من خلفه فأضربه بالسيف ، فجعل يخاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويراجعه ، فدار أربد خلف النبي صلى الله عليه وسلم ، فاخترط من سيفه مشبرا ، ثم حبسه الله عز وجل عنه فلم يقدر على سله ، وجعل عامر يومئذ إليه ، فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرأى أربد وما يوضع بمسيقه ، فقال : « اللهم

(١) في بعض نسخ ابن إسحق : « يتيه » .

(٢) امتشرف الشيء رفع بصره إليه ، وبسط كفه فوق حاجبه كما يستظل من الشمس .

أَكْفَيْنِيهَا بِمَا شِئْتُ . فَأَرْسَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى أَرْبَدَ صَاعِقَةً فِي يَوْمٍ صَائِفٍ
فَأَحْرَقَتْهُ ، وَوَلَّى عَامِرٌ هَارِبًا ، وَقَالَ : يَا مُجِدَّ ، دَعَوْتَ رَبَّكَ فَقَتَلَ أَرْبَدَ ، وَاللَّهِ
لَأَمْلَأَنَّ عَلَيْكَ خِيَلًا جُرْدًا ، وَفِتْيَانًا مُرْدًا ^(١) ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
« يَمْنَعُكَ اللَّهُ ذَلِكَ وَأَبْنَاءَ قَبِيلَةٍ » ، يَعْنِي الْأَوْسَ وَالخَزْرَجَ . فَقَتَلَ عَامِرُ بَيْتَ امْرَأَةٍ
سَلُولِيَةٍ وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

تَحْيِرَ أَبَيْتَ اللَّعْنِ إِنْ شِئْتُ وَدَنَا * وَإِنْ شِئْتَ حَرْبًا ذَاتَ بَأْسٍ وَمَصْدَقٍ
وَإِنْ شِئْتَ فِتْيَانًا بِكَفَى أَمْرَهُمْ * يَكُونُ كَبْشِ الْعَارِضِ الْمَتَأَلَّقِ
فَلَمَّا أَصْبَحَ ضَمَّ عَلَيْهِ سِلَاحَهُ ، وَقَدْ تَغَيَّرَ لَوْنُهُ ، وَهُوَ يَقُولُ :

لَعَمْرِي وَمَا تَعْمَرِي عَلَى بَهَيْنٍ * لَقَدْ شَانَ حُرَّ الْوَجْهِ طَعْنَةً مُسَهْرٍ ^(٢)
وَقَدْ عَلِمَ الْمَزْنُونُ أَنِّي أَكْرُهُ * عَلَى جَمْعِهِمْ كَرَّ الْمَنْبِيجِ الْمَشْهُرِ ^(٣)
إِذَا أَرْوَرَ مِنْ وَقْعِ السَّيِّئِ زَجْرُهُ * وَأَخْبَرْتُهُ أَنِّي أَمْرٌ غَيْرُ مُقْصِرٍ ^(٤)
وَأَخْبَرْتُهُ أَنَّ الْفِرَارَ خِزَايَةٌ * عَلَى الْمَرْءِ مَا لَمْ يُبْدِ عُدْرًا فَيُعْذِرُ ^(٥)
لَقَدْ عَلِمْتُ عَلِيًّا هَوَازِنَ أُتْنِي * أَنَا الْفَارِسَ الْحَامِيَّ حَقِيقَةَ جَعْفَرٍ ^(٦)

(١) الأجرد من الخيل : القصير الشعر ، وذلك من علامات العقب والكرم .

(٢) المرد (جمع أرمرد) ؛ وهو الشاب الذي لم تبد لهيته .

(٣) حر الوجه : ما أقبل عليك منه . ومسهر : هو مسهر بن يزيد الجارقي ، وهو الذي غدر بعامر
ابن الطفيل وطمعته بالريح ، ففلق وجهه وشق عينه .

(٤) المزنون : اسم فارس عامر . والمنبيج : يعني القدح الذي يكثر به القداح لبس له غم ولا هلبه
غرم ؛ كلما خرج رد حتى يخرج آخر القداح .

ويروى : * عشبة فيف الريح كرا المشهر *

* وفيه الريح : مكان كانت الوقفة فيه .

(٥) أروّر : عدل ومال إلى ناحية أخرى ؛ أي إذا مال عن الطعن رددته إليه .

ويروى : * وقلت له ارجع مقبلا غير مدبر *

(٦) خراية : استعجاب .

بجعل يَرْكُضُ في الصحراء ويقول : أبرز يا ملك الموت ! ثم أنشأ يقول :
 أَلَا قَرَّبَ الْمَزْنُوقُ^(١) إِذْ جَدَّ مَا أَرَى * لِعَرِيضِ يَوْمٍ شَرُّهُ غَيْرُ حَامِدِ
 أَلَا قَرَّبَاهُ إِنِّ غَايَةَ جَرِينَا * إِذَا قَرَّبَ الْمَزْنُوقُ بَيْنَ الصَّفَائِدِ
 بَسُو عَامِرٍ قَوْمِي إِذَا مَا دَعَوْتُهُمْ * أَجَابُوا وَلَسِي مِنْهُمْ كُلُّ مَا جِدِ
 ويقول : وَاللَّاتِ لَسُنَّ أَحْصَرَ^(٢) إِلَى وَصَاحِبِهِ - يَعْنِي مَلَكَ الْمَوْتِ - لَأَنْقَذَتْهُمَا
 بَرْغَمِي .

قال : فلما رأى الله عز وجل ذلك منه ، أرسل ملكاً فلقطمه يحنأه ،
 فأرداه في التراب ، وخرجت على ركبته غُدَّةٌ عظيمة في الوقت ، فعاد إلى بيت
 السُّلُوبَةِ وهو يقول : غُدَّةٌ كغُدَّةِ البعير ، وموتٌ في بيت سُلُوبَةٍ . ثم دعا بفرسه
 فركبه ، ثم أجراه حتى مات على ظهره .

قال : فرئى لبيد بن ربيعة أخاه أَرِيدَ بِجَمَلَةٍ مِنَ الْمَرَاتِي ، ففنها هذه الأبيات :
 قَضَّ اللَّبَانَةَ لَا أَبَاكَ وَأَذْهَبَ * وَالْحَقُّ بِأَسْرَتِكَ الْكَرَامِ الْغَيْبِ^(٣)
 ذَهَبَ الَّذِينَ يُعَاشُ فِي أَكْثَانِهِمْ * وَبَقِيَتْ فِي خَلْفٍ يَحْكُمُ الْأَجْرِبِ^(٤)
 يَتَلَذَّذُونَ مَلَاذَةً وَمَجَانَةً * وَيُسَابُّ قَاتِلُهُمْ وَإِنْ لَمْ يَشْعَبِ^(٥)
 فَتَعَدَّ عَنْ هَذَا وَقُلْ فِي غَيْرِهِ * وَأَذْكُرْ شَمَائِلَ مِنْ أَيْحَ لَكَ مُعْجِبِ^(٦)

(١) كذا في الأصول ، والمناسب أن يكون « قريبا » بألف الاثنين ؛ لقوله بعد : « ألا قريبا » .
 (٢) أحصر : خرج إلى الصحراء . . . (٣) اللبانة : بقية الحالة . الأسرة هنا القوم . الغيب :
 الغائبون عنه . . . (٤) الأكتاف (جمع كنف) وهو الجانب يريد : في رعايتهم . والخلف (بالفتح) :
 البذل ، يروى بالسكون وهو البقية ، والنسل . شبههم بجملد الأجرِبِ يعني يشينون من صحبوا كما يشين
 الجرب الجلد . . . (٥) كذا البيت كما هو في الأصول ، وفي الديوان : « يتأكلون مخالة وخيابة » . وفيه :
 * يتأكلون خيابة وملاذة *

والمجانة من الحيون . وفي نسخة من الديوان : مخاة من الخيابة . وقوله : وإن لم يشعب ، أي لم يفسد
 والشعب : التفريق والصدع . وفي الديوان : وإن لم يشغب (بالتعني) من الشعب وهو تبيح الشر .
 (٦) الشئال : الطبايع ، واحداها شمال . ومعجب : يعجب من رآه وعاشره .

(١) إِنِّ الرِّزْيَةَ لَا رِزْيَةَ مِثْلُهَا * فَيَدَانِ كُلِّ أَيْحِ كَضْوِ الكَوَكِبِ

مِنْ مَعْشِرِ سَنَتِ لَهْمُ أَبَاؤُهُمْ * وَالْعَزَّ لَا يَأْنِي يَغْيِرِ تَطَلُّبِ

يَا أَرْبَدَ الْحَسِيرِ الْكَرِيمِ جُدُّوهُ * أَفَرَدْتَنِي أَمْنِي بِقَرْنِ أَعْصَبِ (٢)

وقال أيضا فيه :

(٣) مَا إِنْ تُعَدِّي الْمَنُونُ مِنْ أَحَدٍ * لَا وَالِدٍ مُشْفِقٍ وَلَا وَلَدٍ

أَخْتَنِي عَلَى أَرْبَدِ الْخُتُوفِ وَلَا * أَرْهَبُ نَوَى السَّمَاءِ وَالْأَسَدِ (٤)

يَا عَيْنَ هَبْلًا بَكَيْتَ أَرْبَدَ إِذْ * قُنَا وَقَامَ الْخُصُومُ فِي كَيْدِ (٥)

بَغْنِي الرَّعْدُ وَالصَّوَاعِقُ بِالْفَا * رِسَ يَوْمَ الْكَرِيمَةِ النَّجْدِ (٦)

قال : وأزل الله عز وجل في هذه القصة : ((سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ

جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخَفٌّ بِاللَّيْلِ وَمَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ . لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ

خَلْفِهِ)) بمعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ((يَحْفَظُونَهُ)) بمعنى تلك المعقبات ((مِنْ

أَمْرِ اللَّهِ)) . ثم قال تعالى مشيرا للذين : ((إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا

مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ آلٍ)) (٧)

٢١
١٦

(١) الرزية : المصيبة .

(٢) رجل أعصب إذا كان متفردا . والأعصب المكسور أحد قريته ؛ وهذا مثل أى ذهب حدى .

(شرح الديوان الطوسي) .

(٣) تعدى : ترك . وفي رواية : « تعرى » بالراء ؛ والمعنى : لا تدعه عاريا من المصائب .

(٤) الختوف : جمع ختف وهو الموت . النسوة : المطر . السماء : مثلة من منازل النجوم .

والأسد أحد البروج الاثنى عشر . (٥) الكيد (بفتحين) : المشقة .

(٦) بغنى : أصابني فجيحة وهى المصيبة ؛ بقول : أصابته صاعقة . يوم الكريمة : أى الشدة .

النجدة : البطل ذو نجدة .

(٧) آية ١٠ ، ١١ سورة الرعد .

أى ملجأ يلجئون إليه . وقد قيل : ((وإل)) يلى أمرهم ، ويمنع العذاب عنهم . ثم قال تعالى : ((هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا)) . قال : ((خَوْفًا)) لسا فر يحاف أذاه ومَشَقَّتُهُ . ((وَطَمَعًا)) للقيم يرجو بركته ومنفعته . ((وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ)) . وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ^(١))) قال الحسن : شديد ^(٢) الحقد .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : شديد الأخذ . وقد روى الثعلبي أيضا ، عن إسحق الحنظلي ، عن ربحان بن سعيد الشامي ، عن عباد بن منصور ، قال سألت الحسن عن قوله عز وجل : ((وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ)) الآية .

قال : كان رجل من طواغيت العرب ، فبعث إليه النبي صلى الله عليه وسلم نقرأ ليدعوه إلى الله عز وجل ورسوله أن يؤمن ، فقال لهم : أخبروني عن رب محمد هذا الذي تدعوني إليه ما هو ؟ ويم هو ؟ من ذهب أم فضة أم حديد أم نحاس ؟ فاستعظم القوم مقاتله ، وأنصرفوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقالوا : يا رسول الله ، ما رأينا رجلا أكفر قلبا ، ولا أعنى على الله منه ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أرجعوا إليه » فرجعوا إليه بفعل لا يزيدهم على مثل مقاتله الأولى وأخبت ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أرجعوا إليه » فرجعوا ، فيناهم عنده ينازعونه ويدعونه ويعظمون عليه ، وهو يقول هذه المقالة ؛

(١) آية ١٢ ، ١٣ من سورة الرعد .

(٢) قال الراغب : أى الأخذ بالقوة ، وقيل . المحال من الحول والحيلة والميم فيه زائده .

(٣) في تفسير الثعلبي : « أجب محمدا إلى رب لا أراه ولا أعره ، فأنصرفوا إليه فقالوا : يا رسول الله ما زادنا على مقاتله الأولى » .

(١) إذ أرتفعت صحابة فكانت فوق رؤوسهم ، فرعدت وبرقت فرمت بصاعقة فأحرق الكافر وهم جلوس ، بغاءوا يسعون ليخبروا النبي صلى الله عليه وسلم فاستقبلهم قوم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا لهم : أحرق صاحبكم . قالوا لهم : من أين علمتم ؟ قالوا : أوحى إلى النبي صلى الله عليه وسلم الساعة : ﴿ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقُ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ ﴾ الآية . والله أعلم في أيهما نزلت .

ولنرجع إلى تمة خبر وفد عامر بن صعصعة .

قال محمد بن سعد في طبقاته : وكان في الوفد عبدالله بن الشخير ، فقال : يا رسول الله ، أنت سيدنا ، وذو الطول علينا . قال : « السيد الله ، لا يستهوينكم الشيطان » .

قالوا : وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم علقمة بن علاثة بن عوف ، وهوذة بن خالد بن ربيعة وأبنة ، وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه جالسا إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أوسع لعلقمة » فأوسع له ، فجلس إلى جنبه ، فقص عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم شرائع الإسلام ، وقرأ عليه قرآنا ، فقال : يا محمد ، إن ربك لكريم ، وقد آمنت بك ، وبايعت على عكرمة بن خصفة أحنى قيس ، وأسلم هوذة وأبنة وابن أخيه .

وروى ابن سعد عن عون بن أبي جحيفة السوائي عن أبيه قال : قدم وفد بني عامر وكنت معهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فوجدناه بالإبطح في قبة حراء ، فسلمنا عليه ، فقال : « من أنتم ؟ » قلنا : بنو عامر بن صعصعة . قال : « مرحبا بكم أنتم من وأنا منكم » .

(١) في تفسير الثعلبي : « فأحرق الكافر » .

ذكر وفد ثقيف وإسلامها وهدم اللات

كان قدوم وفد ثقيف^(١) على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإسلامها في شهر رمضان سنة سبع من هجره .

قال أبو عبد الله محمد بن إسحق ، وأبو محمد عبد الملك بن هشام ، وأبو عبد الله محمد بن سعد رحمهم الله ، دخل حديث بعضهم في حديث بعض : لما حاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم الطائف لم يحضر عروة بن مسعود ، ولا غيلان بن سلمة الحصار ، بل كانا يجرش يتعلمان صنعة العرادات والمنجنيق والدبابات ، فقدموا وقد أنصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطائف ، فنصبا المنجنيق والعرادات والدبابات وأعدتا للقتال ، ثم ألقى الله في قلب عروة الإسلام ، فخرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبع أثره ، حتى أدركه قبل أن يصل المدينة فأسلم ، وسأله أن يرجع إلى قومه بالإسلام ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنهم قاتلوك » فقال عروة : يا رسول الله ، أنا أحب إليهم من أبنائهم . قال : فكرر على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ثلاثا ، فقال : « إن شئت فأخرج » فخرج ، وكان فيهم كذلك محبباً مطاعاً ، فسار إلى الطائف ، فسار خمسا

(١) ثقيف ، كأمير : أبو هذه القبيلة من هوازن ، واسمه قيس بن منبه بن بكر بن هوازن ، والنسبة إليه ثقي . ومقر ثقيف الطائف من بلاد الحجاز في عهده عليه الصلاة والسلام .

(٢) مهاجرة : على صيغة اسم المفعول : أي موضع هجرة والمراد هجرته إلى المدينة .

(٣) جرش ، كفر : بخلاف بالين منه الأديم والإبل . (قاموس) .

(٤) العرادات ، جمع عرادة بشد الرا . : شبه المنجنيق صغيرة ، والمنجنيق : آلة ترى بها الحجارة لذلك الحصون . والدبابات جمع دبابة مثقفة : آلة تتخذ للخراب فتدفع في أصل الحصن فيقتبونه زهم في جوفها ، وقد تطورت الدبابة فأصبحت اليوم من أهم سلاح الحروب .

فَقَدِمَ عِشَاءً ، فَدَخَلَ مَتَرْلَهُ ، بِخَاءِ قَوْمِهِ يُجَيِّبُونَهُ بِحَيَّةِ الشَّرْكَ ، فَقَالَ : عَلَيْكُمْ تَحِيَّةُ
 أَهْلِ الْخَنَةِ « السَّلَام » . وَدَعَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَخَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِ بِأَمْرٍ بِهِ ، فَلَمَّا
 طَلَعَ الْفَجْرُ أَوْفَى عَلَى غُرْفَةٍ لَهُ فَأَذَّنَ بِالصَّلَاةِ ، فَخَرَجَتْ ثَقِيفٌ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ ،
 فَرَمَاهُ رَجُلٌ يَقَالُ لَهُ أَوْسُ بْنُ عَوْفٍ أَخُو بَنِي سَالِمِ بْنِ مَالِكٍ — وَقِيلَ : بَلْ هُوَ
 وَهْبُ بْنُ جَابِرٍ رَجُلٌ مِنَ الْأَخْلَافِ — بِسَهْمٍ فَأَصَابَ أَعْنَاقَهُ^(١) فَلَمْ يَرْقُدْهُ ، فَقَامَ
 أَشْرَافُ قَوْمِهِ ، وَهُمْ : غَيْلَانُ بْنُ سَلَمَةَ ، وَخِثْلَانَةُ بْنُ عَبْدِ يَالِيلٍ ، وَالْحَكَمُ بْنُ عَمْرِو
 ابْنِ وَهْبٍ ، وَوُجُوهُ الْأَخْلَافِ ، فَلَبِسُوا السَّلَاحَ وَحَشَدُوا ، فَلَمَّا رَأَى عُرْوَةُ ذَلِكَ
 قَالَ : قَدْ تَصَدَّقْتُ بِدَمِي عَلَى صَاحِبِهِ ، لِأُصْلِحَ بِذَلِكَ بَيْنَكُمْ ، وَهِيَ كَرَامَةٌ أَكْرَمَنِي
 اللَّهُ بِهَا ، وَشَهَادَةٌ سَاقَهَا اللَّهُ إِلَيَّ . وَقَالَ : آدِفْنُونِي مَعَ الشَّهَدَاءِ الَّذِينَ قُتِلُوا مَعَ
 رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمَاتَ فِدْفَنُوهُ مَعَهُمْ ، وَبَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَبْرَهُ فَقَالَ فِيهِ : « إِنَّ مَثَلَهُ فِي قَوْمِهِ لَكَيْتِلْ صَاحِبُ « يَس » دَعَا قَوْمَهُ
 إِلَى اللَّهِ فَقَتَلُوهُ » .

قَالُوا : وَلَحِقَ أَبُو الْمَلِيحِ بْنُ عُرْوَةَ ، وَقَارِبُ بْنُ الْأَسْوَدِ بْنِ مَسْعُودٍ بِرَسُولِ
 اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْلَمَا ، فَقَالَ لَهُمُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « تَوَلَّيَا
 مِنْ شَيْئِنَا » فَقَالَا : نَتَوَلَّى اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
 « وَخَالِكَا أَبَا سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ » فَقَالَا : وَخَالِنَا أَبَا سُفْيَانَ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : ثُمَّ أَقَامَتْ ثَقِيفٌ بَعْدَمَا قُتِلَ عُرْوَةُ أَشْمَرًا ، ثُمَّ انْتَمَرُوا بَيْنَهُمْ ،
 وَرَأَوْا أَنَّهُمْ لَا طَاقَةَ لَهُمْ بِمَحْرَبٍ مِنْ حَوْلِهِمْ مِنَ الْعَرَبِ ، وَقَدْ بَايَعُوا وَأَسْلَمُوا . وَكَانَ

(١) الْأَكْلُ : هَرَقَ فِي وَسْطِ الذَّرَاعِ بِكَثْرَةِ نَصْبِهِ ، أَوْ هُوَ عَرَقُ الْحَيَاةِ بِدَمِ نَهْرِ الْبَدَنِ إِذَا قَطَعَ

لَمْ يَرَقُدْهُ .

(١) مالك بن عوف قد أسلم كما قدمنا في غزوة حُنين ، وجعل يُسير على سرحهم . قال : وكان عمرو بن أمية أخا بني عِلاجٍ مهاجراً لعبد ياليل بن عمرو ، وكان من أذى العرب ، فشى إلى عبد ياليل بن عمرو حتى دخل داره ، ثم أرسل إليه أن أخرج إلى ، فاستعظم عبد ياليل مشيه إليه ، وقال للرسول الذي جاءه : ويلك ! أعمرو أرسلك إلى ؟ قال : نعم ، وها هو ذا واقفا في دارك ، فقال : إن هذا لشيء ما كنت أظنه ، لعمرو كان أمتع في نفسه من ذلك ، وخرج إليه ، فلما رآه رَحَّب به ، فقال عمرو له : إنه قد نزل بنا أمر ليست معه هجرة ، إنه قد كان من أمر هذا الرجل ما قد رأيت ، وقد أسلمت العرب كلها ، وليست لكم بحربهم طاقة ، فأنظروا في أمركم . فعند ذلك اثتمرت ثقب بنينا ، وقال بعضهم لبعض : ألا ترون أنه لا يأمن لكم سرب ، ولا يخرج منكم أحد إلا أقتطع . فاجمعوا رأيهم أن يرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا منهم ، كما أرسلوا عروة بن مسعود ، فعرضوا ذلك على عبد ياليل بن عمرو بن عمير ، فأبى أن يفعل ، وخشى أن يُصنع به إذا رجع كما صنِع بعروة ، فقال : لست فاعلا حتى يرسلوا معي رجالا ، فاجمعوا أن يبعثوا معه رجلين من الأحلاف ، وثلاثة من بني مالك ، فبعثوا معه الحكم بن عمرو بن وهب بن مُعَتَّب ، وشرحيل بن غيلان بن سلمة بن مُعَتَّب ، ومن بني مالك عثمان بن أبي العاص بن بشر أخا بني يسار ، وأومس بن عوف أخا بني سالم ،

(١) السرح : السائمة ترحى بنفسها ، سميت بالمصدر ؛ يقال : مرحت الإبل رعت بنفسها وسرحتها ، يتعدى ولا يتعدى ، وسرحتها بالتشديد للبالغة والتكثير .

(٢) مهاجر : مقاطع .

(٣) ياليل كما بيل : صنم أضيف إليه كقيد يفوث وعبد الغزى وليس بامر رجل إلا مضافا إلى الصنم .

(٤) الهجرة : المهجر ضد الوصل .

(٥) السرب ، القنح : المشاة كلها ، والطريق ، وبالكسر النفس .

(١) ومُسَيَّر بن خَرْشَةَ بن ربيعة أخا بنى الحارث ، فخرج بهم عبد يالِيل وهو نَابُ القوم وصاحب أمرهم .

وقال ابن سعد : كانوا بضعة عشر رجلا ، وهو أثبت .

قال ابن إسحق : فلما دَنَوْا من المدينة ونزلوا قَنَاةَ^(٢) ، ألقوا بها المغيرة بن سُعْبَةَ يرمى في نَوْبَتِهِ رِكَاب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت رِجْعَتَهَا نَوْبًا^(٣) على أصحابه ، فلما رَأَاهُم ترك الرِّكَاب عند التَّقْفِين ، وخرج يَشْتَدُ^(٤) لِيُبَشِّرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بقُدُومهم عليه ، فلقيه أبو بكر الصديق رضى الله عنه قبل أن يدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره عن رُكْبٍ تَقِيفُ أن قد قَدِمُوا يريدون البَيْعَةَ والإِسْلَامَ ، فقال أبو بكر للمغيرة : أقسمت عليك بالله لا تسبقني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى أكون أنا أُحَدِّثُهُ ؛ ففعل المغيرة . فدخل أبو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره بقُدُومهم عليه ، ثم خرج المغيرة إليهم فعلمهم كيف يُحْيُونَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يفعلوا إلا بِنَجْهِ الجاهلية .

قال : ولما قَدِمُوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ضَرَبَ عليهم قُبَّةً في ناحية مسجده — كما يزعمون^(٥) — ، وكان خالد بن سعيد بن العاص يمشى بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى كتبوا كتابهم ، وكتب خالد بيده ، وهو :

(١) ناب القوم : سيدهم وكبيرهم .

(٢) قناتة : واد بالمدينة عليه حوث ومال .

(٣) النوب : جمع نوبة أى يتناوبون رعيها .

(٤) يشتد : يمدو . وفى ابن هشام : « وضرب شد » أى وثب يمدو .

(٥) فى الطبقات : ضرب قبة فى المسجد فكان رسول الله يأتهم الخ وليس فيه : كما يزعمون ،

ولا فى شرح المواهب ، ولعله أراد : كما يزعم المؤرخون .

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ عَهْدِ النَّبِيِّ رَسُولِ اللَّهِ ، إِلَى الْمُؤْمِنِينَ : إِنَّ عِضَاهُ وَجَّ^(١) وَصِيدَهُ [حَرَامٌ] لَا يُعْضَدُ^(٢) ، مَنْ وَجَدَ فَعَلْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَإِنَّهُ يُجْلَدُ وَتُزْعَ شِيَابُهُ ، فَإِنْ تَعَدَّى ذَلِكَ فَإِنَّهُ يُؤْخَذُ فَيُلْغُ بِهَ النَّبِيُّ - عَهْدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَأَنْ هَذَا أَمْرُ النَّبِيِّ عَهْدَ رَسُولِ اللَّهِ . وَكُتِبَ خَالِدُ بْنُ سَعِيدٍ بِأَمْرِ الرَّسُولِ عَهْدَ بَنِ عَبْدِ اللَّهِ فَلَا يَتَعَدَّهُ أَحَدٌ فَيُظْلَمُ نَفْسَهُ فَيَأْمُرُ بِهِ عَهْدُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » .

قال ابن إسحق : وكانوا لا يطعمون طعاما يأتيهم من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يأكل منه خالد ، حتى أسلموا وفرغوا من كتابهم .

قال : وقد كان فيما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدع لهم الطاغية وهي الآلات ؛ لا يهدمها ثلاث سنين ، فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك عليهم ، فما برحوا يسألونه حتى سألوه شهرا واحدا بعد مقدمهم ، فأبى عليهم أن يدعها شيئا مسمى . وإنما يريدون بذلك فيما يظهرون أن يسلموا بتركها من سفهائهم ونسائهم وذرائعهم ، ويكرهون أن يروءوا قومهم يهدمها حتى يدخلهم الإسلام . فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن يبعث أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة فهدهما . وقد كانوا سألوه مع ترك الطاغية أن يعفيهم من الصلاة ، وألا يكسروا أوثانهم بأيديهم ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما كسروا أوثانكم بأيديكم فسنعفيكم منه ، وأما الصلاة فإنه لا خير في دين لا صلاة فيه » . فقالوا : يا محمد ، فسؤتيكها وإن كانت دئابة . فلما أسلموا

(١) العضاء ، جمع عضاة وعضة : وهي الشجرة العظيمة أو الخطأ أو كل ذات شوك .

(٢) وج : موضع بناحية الطائف . وقيل : هو اسم جامع لحصونها . وقيل : اسم واحد منها يحتمل

أن يكون على سبيل الخي له . النهاية . (٣) الزيادة من شرح المواهب .

(٤) عضد الشجر قطعه . (٥) في السيرة لابن هشام : « أن يسلموا » .

وكتب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابهم، أمر عليهم عثمان بن أبي العاص، وكان من أحدثهم سناً، وكان أحرصهم على التفقه في الإسلام وتعلم القرآن، فقال أبو بكر الصديق ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

روى عن عثمان بن أبي العاص قال: كان من آخر ما عهد إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بعثني على تقيف أن قال: «يا عثمان؛ تجاوز في الصلاة وأقدر الناس بأضعفهم فإن فيهم الكبير والصغير والضعيف وهذا الحاجة».

قال ابن إسحق: ولما توجهوا إلى بلادهم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة في هدم الطاغية، فخرجوا مع القوم، حتى إذا قدموا الطائف أراد المغيرة أن يقدم أبا سفيان فأبى ذلك عليه، وقال: أدخل أنت على قومك. وأقام أبو سفيان بماله بنى الهدم، فلما دخل المغيرة بن شعبة علاها يضربها بالعمول، وقام قومه بنو مُتَبِّب دونه خشية أن يرمى أو يُصاب كما أصيب عمرو بن مسعود، وخرج نساء تقيف حراساً يكنن ويقنن:

لَتُبَكِّينَ دُقَاعٌ * أَسْلَمَهَا الرُّضَّاعُ^(١)
* لَمْ يَحْسِنُوا الْمَصَاعُ^(٢)

(١) تجاوز: تساهل بعدم الإطالة فيها؛ ولذا قال عليه الصلاة والسلام: «وأقدر الناس بأضعفهم». أي أحمل الناس على رعاية الضعيف.

(٢) الهدم، ففتح فكسر — ياقوت عن الواقدي — ما لي وراء وادي القرى، وفي نسخة من الأصل: بنى الهرم ولم تحمله معنى. والمال عند أهل المدينة النعم. المصباح. وهو المراد بأقام أبو سفيان بماله. (٣) حراساً جمع حاسر: يغيرها، مكشوفات الرووس.

(٤) سموا اللات دقاع اعتقاداً منهم أنها هي التي تدفع عنهم الضر.

(٥) الرضاع: اللثام أو الذين رضعوا القوم من ثدي أمهاتهم.

(٦) المصاع: الضرب بالسيف.

قال : ويقول أبو سفيان بن حرب ، والمغيرة يضربها بالفأس : واهّا لك ! أهلا لك !^(١) فلما هدمها المغيرة بن شعبة وأخذ مالها وحليها ، أرسل إلى أبي سفيان ، وحليها مجوع ، ومالها من الذهب والجزع .^(٢)

وقد كان أبو مليح بن عروة سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقضى عن أبيه عروة بن مسعود ديناً كان عليه من مال الطاغية ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نعم » فقال له قارب بن الأسود : وعن الأسود : يا رسول الله فأقضه ، — وعروة والأسود أخوان لأب وأم — فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الأسود مات مشركاً » ، فقال قارب : يا رسول الله ، لكن يصل مسلماً ذا قرابة — يعنى نفسه — إنما الدين على وأنا الذى أطلب به . فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان أن يقضى دين عروة والأسود من مال الطاغية ؛ فلما جمع المغيرة مالها قال لأبي سفيان : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمرك أن تقضى عن عروة والأسود دينهما . فقضى عنهما .

قال المغيرة : فدخلت تقيف في الإسلام ، فلا أعلم قوماً من العرب بنى أب ولا قبيلة كانوا أصحّ إسلاماً ، ولا أبعد أن يوجد فيهم غشّ لله ولكتابه منهم .

ذكر وفد عبد القيس^(٣)

قال محمد بن سعد : كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل البحرين أن يقدم عليه منهم عشرون رجلاً ، فقدموا ؛ رأسهم عبد الله بن عوف الأشج ،

(١) في نسخة من سيرة ابن هشام : « واهالك . آهالك » مكرراً للحمرة والتوجع ، والذي في الأصل معناه : توجعاً وتحمراً لك أهلاً .

(٢) الجزع يفتح الجيم وكسرهما : الخرز الباقى وهو الذى فيه بياض وسواد تشبه به العين .

(٣) ينسبون إلى عبد القيس بن أفضى (صاد مهلهة مفتوحة ، على وزن أعمى) بن دععى (بضم الدال وسكون العين وكسر الميم) بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان .

وفيهما الجارود بن عمرو بن حنش ، ومُتَّحِد بن حَبَّان وهو ابن أخت الأشعث ، وكان قدومههم عامَ الفَتْح ، فقيس : يا رسول الله ، هؤلاء وفد عبد القيس ، فقال : « مَرَحَبًا بِهِمْ نِعَمَ الْقَوْمِ عبد القيس » . قال : ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الأفق صبيحة ليلة قَدِمُوا ، فقال : « لِيَاثِينَ رَكْبٌ مِنَ الْمَشْرِقِ لَمْ يُكْرَهُوا عَلَى الْإِسْلَامِ ، قَدْ أَتَوْا الرِّكَابَ ، وَأَفْتَوْا الزَّادَ ، بِصَاحِبِهِمْ علامة ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِ الْقَيْسِ ، أَتَوْنِي لَا يَسْأَلُونَ مَالًا ، هُمْ خَيْرُ أَهْلِ الْمَشْرِقِ » .

قال : فجاءوا في ثيابهم ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ، فسلموا عليه ، فقال : « أَيُكُم عبد الله الأشعث ؟ » فقال : أنا يا رسول الله . وكان رجلاً دَمِيماً ، فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « إِنَّهُ لَا يَسْتَقِي فِي مَسْوِكَ الرِّجَالِ ، إِنَّمَا يُحْتَاجُ مِنَ الرَّجُلِ إِلَى أَصْغَرِيهِ لِسَانُهُ وَقَلْبُهُ » . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فِيكَ خَصْلَتَانِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ تَعَالَى » فقال عبد الله : وما هما ؟ قال : « الْحِلْمُ وَالْأَنَاءَةُ »^(٢) . قال : أشيء حَدَثَ أَمْ جُئِلْتُ عَلَيْهِ ؟ . قال : « بَلْ جُئِلْتُ عَلَيْهِ » . قال : وكان الجارود نصرانياً ، فعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام ورَّغَبَهُ فِيهِ .

٢٤
١٦

قال ابن إسحق : فقال يا عجد ، إني قد كنت على دين ، وإني تارك ديني لدينك : أفنضمَّن لى ديني ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نَعَمْ ، أَنَا ضَامِنٌ لَكَ أَنْ قَدْ هَدَاكَ اللَّهُ إِلَى مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ » . فأسلم وأسلم أصحابه .

(١) في الطبقات : يستق . واستق واستق واحد . (٢) مسوك (جمع مسك

بالفتح) : الجلد . (٣) هذا الحديث الشريف من جوامع كله صلى الله عليه وسلم ومعناه :

إن المرء يعلو الأمور ويضبطها بحجانه ولسانه . (٤) الحلم ، بالكسر : العقل ، والأناة : الوفاق

والثبوت في الأمور . قال الراغب : والأناة التردد ، وتأتي فلان ثانياً وأنى يأتي فهو آن ، أى وقور .

قال ابن سعد : وأنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد عبد القيس في دار رَمْلَةَ بنت الحارث ، وأجرى عليهم ضيافة ، وأقاموا عشرة أيام ، وكان عبد الله الأشج يسائل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الفقه والقرآن ، وأمر لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بجوائز ، وفُضِّل عليهم عبد الله الأشج ؛ فأعطاه اثنتي عشرة أوقية ونساءً ، ومسح صلى الله عليه وسلم وجه مُنْقِذِ بْنِ حَبَّان .

ذكر وفد بكر بن وائل

قال ابن سعد : قَدِم وفد بكر بن وائل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان في الوفد بشير بن الخُصَّاصِيَّة ^(١) ، وعبد الله بن مَرْتَد ، وحَسَّان بن خَوَاط ، ولذلك يقول رجلٌ من ولد حسان : ^(٢)

أنا ابن حَسَّان بن خَوَاط وأبي * رسولٌ بَصُرَ كُلُّهَا إلى النبي ﷺ

قالوا : وَقَدِم معهم عبد الله بن أَسْوَد بن شَهَاب بن عَوْف بن عمرو بن الحارث بن سَدُوس ، وكان يقرئ الأيَّامَةَ ، فباع ما كان له من مال باليَّامَةِ ، وهاجر وَقَدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بجواب من تَمَر ، فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبركة . وحيث ذكرنا وفد بكر بن وائل فلنذكر خبر الأعشى .

(١) قيل له ابن الخصاصة نسبة إلى أمه . وكان اسمه زحما فسماه رسول الله بشيرا . وقد اختلفوا في نسبه ، فقيل بشير بن يزيد بن معبد ، وقيل : بشير بن معبد بن شراحيل . (أسد الغابة) .
(٢) قاله بشر بن حسان الرازي يوم الجمل ، وقد شهد الواقعة مع أبيه ، وكانت راية بكر مع أخيه الحارث بن حسان فقتل فقيل فيه :

ذكر خبر أعشى بن قيس

وأمداحه رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجوعه قبل لقائه

قال أبو محمد عبد الملك بن هشام : حدثني خلاد بن قرة بن خالد السدوسي ،

وغيره من مشايخ بكر بن وائل من أهل العلم ، أن أعشى بن قيس بن ثعلبة بن عكابة ^(١)

ابن صعب بن علي بن بكر بن وائل ، خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد

الإسلام ، فقال يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم :

أَلَمْ تَقْتَمِضْ عَيْنَاكَ لَيْلَةَ أَرْمَدَا * وَبِتَّ كَمَا بَاتَ السَّلِيمُ مَهْدَا ^(٢)

وَمَا ذَاكَ مِنْ عَشْقِي النِّسَاءِ وَإِنَّمَا * تَنَاسَبْتُ قَبْلَ الْيَوْمِ حُجْبَةً مَهْدَا ^(٣)

وَلَكِنْ أَرَى الدَّهْرَ الَّذِي هُوَ خَائِنٌ * إِذَا أَصْلَحْتَ كَيْفَايَ عَادَ فَاغْتَدَا ^(٤)

كُھُولًا وَشَبَابًا فَقَدْتُ وَثْرَتَهُ * فَلَهُ هَذَا الدَّهْرُ كَيْفَ تَرَدَّدَا ^(٥)

(١) هو أبو بصير ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن ثعلبة .

وفي التاج : ابن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة . وفي بعض المراجع : شراحيل بن عوف الخ . ابن ثعلبة الحصن ابن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار .

(٢) تقتمض ؛ استفهام تقرير ، يخاطب نفسه تحريدا ، وليلة أرمدا ؛ أى ليلة رجل ، أرمدا :

أفقر ، والقوم أمحلوا وهلكوا مواسمهم . ويرى : «وعاداك معاد السلام» ، والسلام : اللديغ قيل له تفاؤلا كما قيل لمفازة الغلاة المهلكة ، والممهد : القليل النوم أرقا ، أو الذي لا ينام .

(٣) يرى : «خلة» مكان «حجبة» . مهيدا : أمم امرأة ، بكعفر ، والألف للإطلاق .

(٤) يقول : إذا اتخذت مالا وأصطفيت أخا جاء الدهر فذهب به .

(٥) الذي في الديوان (طبع أوروبا) وفي المتن لابن هشام : «شباب وشيب واقفار وثروة» .

(١) وما زلتُ أبقي المالَ مُدًّا أنا يافعٌ * وليدًا وكَهْلًا حينَ شئتُ وأمرَّدًا^(١)
 وأبتذلُ العيسَ المراقيلَ تقتلي * مسافةَ ما بينَ النَجِيرِ قَصْرُ خِدا^(٢)
 ألا أهدَا السَّائِلِ ابنَ يَمَمْت * فإن لها في أهلٍ يثربَ مَوْعِدًا^(٣)
 فإن تَسألني عني فياربَّ سائِل * حفيٌّ عن الأَعشى به حيثُ أصدَا^(٤)
 أجَدْتُ يَرجلها النجاءَ وراجعتُ * يداها خِفافًا لينا غيرَ أخردَا^(٥)
 وفيها إذا ما هجرتُ عَجْرِفَةً * إذا خلتَ حِرباءَ الظَّهيرةِ أَصِيدَا^(٦)

(١) اليافع : الغلام الذي قارب الحلم . والوليد : الصبي . والكهل : الذي بلغ الأربعين ، أو جاوز الثلاثين ، أو وخطه الشيب . والأمرد : الذي لا شعر على وجهه ، من تمر يد النضن ، وهو تجر يده من الورق ، ونصب وليدا على أنه خبر كان مقدرة . وفي هذا البيت إيلا . (مذ) الجملة الاسمية ، وهو من الشواهد لهذا .

(٢) العيس : الإبل . المراقيل : الممرقة . تقتلي : تغالي في السير . النجير كزبير : حصن قرب حضرموت . وقصر خد : موضع بالشام . ويروي : « وأبتعت العيس المراسيل » . وقال بعض : العيس : الإبل البيض ، وهي ضرب من النجائب .

(٣) يمم : قصدت . يثرب : المدينة المنورة على ما كننا أفضل الصلاة والسلام .

(٤) الحني : الذي يكثر السؤال في إلحاح . وأصد : ذهب في الأرض . وأصد أنى مكة ، وأصد انحدر في الوادي .

(٥) أجدت : سلكت . والنجاء : السرعة في السير . الخفاف : لين في أرساغ البعير ، تقول منه : خفف البعير يخفف خفافا إذا سار فقلب خف يده إلى جانبه الأيمن . وأجرد ، بالحاء المهملة : الذي يخبط بيديه إذا سار . وهذا أحتراس .

(٦) عجرفة : لاتبالي في سيرها لنشاطها . وهجرت : دخلت في الهجيرة . خلت : حبت . الحرباء : وهي دوية تستقبل الشمس حتى تقرب كيفما دازت زافعة يديها ورأسها ، والظهيرة : وقت الهجيرة ، والأصيد : البعير الذي به الصيد ، وهو داء يأخذ الإبل في رموبها فلا تزال زافعة رأسها منه ، يصف ناقته بهوج وقلة مبالاة ليربعها .

وَأَمَّا إِذَا مَا أَدْلَحْتَ فَتَرَىٰ لَهَا * رَقِيبَيْنِ جَدًّا مَا يَغِيبُ وَفَرْقَدًا^(١)
 فَآلَيْتُ لَا آوِي لَهَا مِنْ كَلَالَةٍ * وَلَا مِنْ حَتَّىٰ حَتَّىٰ تُلَاقِي مَحْمَدًا^(٢)
 مَتَىٰ مَا تُنَاجِي عِنْدَ بَابِ ابْنِ هَاشِمٍ * تُرَاجِي وَتَلْقَىٰ مِنْ فَوَاضِلِهِ نَدَا^(٣)
 نَبِيٍّ يَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ وَذِكْرُهُ * أَغَارَ لَعْمَيْرِي فِي الْبِلَادِ وَأَنْجَدًا^(٤)
 لَهُ صَدَقَاتٌ مَا تُنَبِّ وَنَائِلٌ * وَلَيْسَ عَطَاءُ الْيَوْمِ مَانِهِ غَدًا^(٥)
 أَجِدُّكَ لَمْ تَسْمَعْ وَصَاةَ مُحَمَّدٍ * نَبِيٍّ الْإِلَهَ حَيْثُ أَوْصَىٰ وَأَشْهَدًا^(٦)

٢٥

١٦

(١) أدلحت : سارت بالليل ، الجدى بالفتح : كوكب تعرف به القبلة وهو من نجوم بنات نعش الصغرى ، ويقال له جدى الفرقد ، والفرقد أيضا نجم هندي به ، وجه فى الشعر مفردا ومثنى كذوله : وكل أخ مفارقة أخوه * لعمر أيسك إلا الفرقدان

والفرقدان : نجمان فى السماء لا يفترقان ، ولكنهما بطوفان بالجدى الذى هو من البروج . يصف ناقته بأنها سريعة السير إلى حد الهوى بالنهار ، وفى الليل تستمر سائرة الليل كله راغبة الوصول إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم .

(٢) آليت : أقسمت . آوى : أفسم . روى : « لا أرى » وكلاله : تمب وإعياء . والحنى (مقصود) : أفسح القدم من كثرة المشى يريد ناقته . « تلاقى » يروى : « ترور » .

(٣) أناخ الجمل : برك ؛ يقال أناخ الجمل نفسه ولا يقال ناخ . فى بعض الأصول : « تريحى » ، من أراح : رجعت إليه نفسه بعد الإعياء وصار ذا راحة . فواضلة : هى الأيادى الجسيمة أو الجميلة ، الندى : الجود ، ويروى : « يدا » أى نعمة وإحسانا .

(٤) يرى هنا معنى علم أى يعلم ما لا تعلمون . أغار : من النور وهو المنخفض من الأرض . وأنجد : من التجدد وهو ما ارتفع منها . يريد عم ذكره جميع البلاد .

(٥) تنب : تأتى مرة وتختلف مرة ، يريد لا تنقطع . والنائل : المطاب الذى ينالك .

(٦) أجدك : أحقا ، وهو بالفتح والكسر وهو أفصح لا يقال إلا مضافا ، قال الأصمى : معناه أجد منك ، ونصبه بطرح الباء ، قال الليث : إذا كسر استحلطه بحقيقته ، وإذا نصب استحلطه بجنه ، وقال بعض : كأنما استحلطه بوالده أبيه . قال أبو حيان : إن الاسم المضاف حقه أن يناسب فاعل الفعل فى الخطاب والتكلم والنية ، نحو أجدى وأجدك وأجده لأنه مصدر يؤكد الجملة التى بعده . والوصاة : الوصاية .

إذا أنت لم ترحل يَزَادِ مِنَ التَّقَى * ولا قيت بعد الموت من قد تَزَوَّدَا^(١)
 نَدِمْتَ عَلَى الْآ تَكُونُ كَيْفَهِ * فَرَضَ لِلْأَمْرِ الَّذِي كَانَ أَرْصَدَا^(٢)
 فَلْيَاكَ وَالْمَيْتَاتِ لَا تَقْرَبْنَهَا * وَلَا تَأْخُذَنَّ سَهْمًا حَدِيدًا لِتَقْصِدَا^(٣)
 وَلَا تُنْصَبَ الْمَنْصُوبَ لَا تُسَكِّنَهُ * وَلَا تَعْبُدِ الْإِوثَانَ وَاللَّهَ فَأَعْبُدَا^(٤)
 وَلَا تَقْرَبَنَّ جَارَةَ إِنْ سَرَّهَا * عَلَيْكَ حَرَامٌ فَأَنْكَحَنَّ أَوْ تَابَّدَا^(٥)
 وَذَا الرَّحِمِ الْقُرْبَى فَلَا تَقْطَعْنَهُ * لِعَاقِبَةٍ وَلَا الْأَسِيرِ الْمُقْبِدَا^(٦)
 وَسَبِّحْ عَلَى حِينِ الْعَشِيَّاتِ وَالضُّحَى * وَلَا تَحْمَدِ الشَّيْطَانَ وَاللَّهَ فَاحْمَدَا^(٧)
 وَلَا تَسْخَرَنَّ مِنْ بَائِسٍ ذِي ضَرَارَةٍ * وَلَا تَحْسَبَنَّ الْمَالَ لِلرَّءِ مُخْلِدَا^(٨)

(١) الزاد : المدخر الزائد على ما يحتاج إليه في الوقت . والزود : أخذ الزاد ، قال تعالى : « وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى » . (مفردات الراغب) .

(٢) كثره ، الكاف زائدة . أَرَصَدَ : أعد للأمر عدته ، والرصد : الاستعداد للترقب ، ويروى : « وَأَنْتَ لَمْ تَرَصِدْ لِمَا كَانَ أَرْصَدَا » * .

(٣) القصد : قطع عرق ليشخب الدم ، فكانوا في الجاهلية يفسدون لشرب الدم . وحذر الأعشى من أكل الميتة وشرب الدم . (٤) النصب : الأصنام . والتسك : الذبح لها ، وكانوا يعقرون عندها ثم يطلون رؤوسها بدم العقيرة . ويروى : « وَذَا » النصب . ونصبه على التحذير . (٥) سرها : وطأها . وتابَّد : تعزب وتعفف عن النساء . (٦) وفي الديوان بدل هذا البيت :

ولا السائل المحروم لا تركته * لعاقبة ولا الأسير المقيد

وفي شرح قصيدة الأعشى (المخطوط رقم ١٧٣٦ أدب) : « فلا تقطعه لفاقته » ومثله في حواشي الديوان (طبع أوروبا) . (٧) ويروى : « وصل » مكان « وسبح » والمعنى واحد ، كقوله تعالى : « يسبح له فيها بالقنود والآصال . رجال » « وعلى » للظرفية بمعنى « في » كقوله تعالى : « ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها » أى في حين . (٨) البائس : الفقير الشديد الحاجة . الضرارة : الضرر وهو سوء الحال في البدن أو النفس أو المال ؛ قال الراغب : الضر سوء الحال إما في نفسه لقلة العلم والفضل والعفة ، وإما في بدنه لعدم جارحة أو نقص وإما في حالة ظاهرة من قلة مال وجاه . وفي القصيدة الخطبة المذكورة آنفا . « ذى ضرورة » . ويروى :

* ولا تحسبن المرء يوما مخلدا *

والخلد البقاء والدوام .

١٠

١٥

٢٠

٢٥

فلما كان بمكة أو قريبا منها ، أعترضه بعض المشركين من قريش ، فسأله عن أمره ، فأخبره أنه جاء يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ليُسَلِّمَ ، فقال له : يا أبا بصير إنه يحرم الزَّنى . فقال الأعشى له : والله إن ذلك لأمرٌ مالى فيه من أَرَبٍ . فقال : يا أبا بصير فإنه يحترم الخمر . فقال : أما هذه فوالله إن في النفس منها لَعَلَّالَاتٍ ^(١) ، ولكنى منصرف فأترؤى منها عايمى هذا ثم آتية فأُسَلِّمَ . فأتصرف فأت من جامه ذلك ، ولم يعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر وفد تغلب

قال : وقَدِمَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد بنى تغلب ^(٢) ، وهم ستة عشر رجلا مسلمين ، ونصارى عليهم صُلب الذهب ، فترلوا دار رَمْلَةٍ بنت الحارث ، فصالح صلى الله عليه وسلم النصارى على أن يُقرَّهم على ذِمَّتِهِمْ ^(٣) ، على ألا يَصْبُغُوا أولادهم في النصرانية ، وأجاز المسلمين منهم بجوازهم .

ذكر وفد حنيفة

قالوا : قَدِمَ وفد بنى حنيفة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم بضعة عشر رجلا ، فيهم رجال بن عُنفُوَّة ^(٤) ، وسَلَمَى بن حَنْظَلَة ، وطَلْق بن عَلي بن قيس ،

(١) علالات (جمع علالة) : وهى البقية ؛ يريد بقايا من تعلق النفس بها .

(٢) هم قوم من مشركى العرب ظلمهم عمر بالجزية فأبوا أن يعطوها باسم الجزية وصالحوها على اسم الصدقة مضاعفة ، وروى أنه قال : هاتوها وسموها ما شئتم . والنسبة إليها تغلبى ، بكسر اللام على الأصل ، قال ابن السراج : ومنهم من يفتح للتخفيف استقلا لتوالى كسرتين مع ياء النسب (المصباح) . وتغلب هذا هو ابن وائل بن قاسط بن هب بن أقصى بن دعى بن جديلة بن أسد بن ربيعة

ابن نزار بن معد بن عدنان . (٣) روى : الطبقات «على دينهم» .

(٤) بنو حنيفة : قبيلة كبيرة كانوا يتولون الإمامة بين نجد والأحقاف وهى أقرب إلى نجد لهذا عداها بعضهم منه ، ينسبون إلى جد هم حنيفة بن بلجم — بالجيم — ابن صعب بن على بن بكر بن وائل .

(٥) رجال ، كشداد . روى التاج : «وهم من ضبطه بالحاء المهملة» . وهو فى الطبقات بالحاء .

وَحُرَّانُ بْنُ جَابِرٍ، وَعَلِيُّ بْنُ سِنَانٍ، وَالْأَقْعَسُ بْنُ مَسْلَمَةَ^(١)، وَزَيْدُ بْنُ عَمْرٍو، وَمُسْلِمَةُ^(٢) ابْنُ حَبِيبٍ، وَهُوَ الْكَذَّابُ. وَعَلَى الْوَفْدِ سَلَمَى بْنُ حَنْظَلَةَ، فَأَنْزَلُوا دَارَ رَمْلَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ، وَأَجْرِيَتْ عَلَيْهِمْ ضِيَاغَةٌ. فَأَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَسْجِدِ، فَسَمِعُوا عَلَيْهِ وَشَهِدُوا شَهَادَةَ الْحَقِّ، وَخَلَقُوا مُسْلِمَةَ فِي رِحَالِهِمْ. وَأَقَامُوا أَيَّامًا يَخْتَلِفُونَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَكَانَ رَجُلٌ بَنِي عُقْفُوَةَ يَعْلَمُ الْقُرْآنَ مِنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، فَلَمَّا أَرَادُوا الرَّجُوعَ إِلَى بِلَادِهِمْ، أَمَرَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِجَوَازِهِمْ: نَحْسِ أَوَاقٍ لِكُلِّ رَجُلٍ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، خَلَّفْنَا صَاحِبًا لَنَا فِي رِحَالِنَا يَبْصُرُهَا لَنَا، وَفِي رِكَابِنَا يَحْفَظُهَا عَلَيْنَا، فَأَمَرَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمِثْلِ مَا أَمَرَ لِأَصْحَابِهِ. وَقَالَ: «لَيْسَ بِشَرِّكُمْ مَكَانًا لِحَفَظِهِ رِكَابَكُمْ وَرِحَالَكُمْ». فَقِيلَ ذَلِكَ لِمُسْلِمَةَ فَقَالَ: عَرَفْتُ أَنَّ الْأَمْرَ إِلَيَّ مِنْ بَعْدِهِ. وَأَعْطَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِدَاوَةً مِنْ مَاءٍ فِيهَا فَضْلُ طَهُورِهِ، فَقَالَ: «إِذَا قَدِمْتُمْ بِلَدَكُمْ فَأَكْسِرُوا بَيْعَتَكُمْ، وَأَنْضَحُوا مَكَانَهَا بِهَذَا الْمَاءِ، وَاتَّخَذُوا مَكَانَهَا مَسْجِدًا» ففعلوا، وصارت الإِدَاوَةُ عِنْدَ الْأَقْعَسِ بْنِ مَسْلَمَةَ، وَصَارَ الْمُؤَذِّنُ طَلْقُ بْنُ عَلِيٍّ، فَأَذَّنَ فَسَمِعَهُ رَاهِبُ الْبَيْعَةِ، فَقَالَ: كَلِمَةُ حَقٍّ. وَهَرَبَ فَكَانَ آخِرَ الْعَهْدِ بِهِ.

ثُمَّ آذَى مُسْلِمَةُ الْكَذَّابُ بَعْدَ ذَلِكَ النَّبِئَةَ، وَشَهِدَ لَهُ الرَّجُلُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشْرَكَهُ فِي الْأَمْرِ، فَأَقْتَنَ النَّاسُ بِهِ، وَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا نَذَرَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(١) فِي الْأَصْلِ: «أَبْنُ سَلَمَةَ»، وَصَوَابُهُ سَلَمَةُ كَمَا فِي الطَّبَقَاتِ وَمَا يَأْتِي بَعْدَ. (٢) فِي الطَّبَقَاتِ: «ابْنُ عَبْدِ عَمْرٍو». (٣) قَالَ شَارِحُ الْمَوَاهِبِ: «زَمَلَةُ بِنْتُ الْحَدَثِ بَدَلُ بِنْتِ الْحُلَا. الْمَهْمَلَةُ لَا يَرَأَى قَبْلَهَا أَلِفٌ، كَمَا قَالَ ابْنُ سَعْدٍ وَغَيْرُهُ» قَالَ: «وَكَانَتْ دَارَهَا دَارَ الْوَفْدِ». وَهِيَ أَصَابِرَةُ بَحَارِيَّةُ. (٤) الْبَيْعَةُ: مُتَعَبِدُ النَّصَابِيِّ. (٥) ابْنُ عُقْفُوَةَ الْمُتَقَدِّمُ.

ذكر وفد شيبان

قال : وقَدِمَ من بنى شيبان حُرَيْثُ بْنُ حَسَّانَ الشَّيْبَانِيُّ ، فَبَاعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْإِسْلَامِ وَعَلَى قَوْمِهِ ، وَصَحْبِهِ فِي مَسِيرِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَيْلَةً بِنْتُ تَحْرَمَةَ التَّمِيمِيَّةِ ، وَهِيَ الَّتِي أُرْعِدَتْ مِنَ الْفَرَقِ لَمَّا أَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ لَهَا : « يَا مِسْكِينَةَ عَلَيْكَ السَّكِينَةُ » [فَهْدَأَتْ] .
 رَوَى عَنْ قَيْلَةَ بِنْتُ تَحْرَمَةَ أَنَّهَا قَالَتْ : إِنَّ حُرَيْثَ بْنَ حَسَّانَ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَكْتُبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ بَنِي تَمِيمٍ بِالْذَّهْنِ لَا يَجَاوِزُهَا إِلَيْنَا مِنْهُمْ إِلَّا مَسَافِرٌ أَوْ مَجَاوِرٌ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَا غُلَامُ أَكْتُبُ لَكَ بِالْذَّهْنِ » ، قَالَتْ قَيْلَةُ : فَلَمَّا رَأَيْتُهُ أَمَرَ لِي بِأَنْ يَكْتُبَ لِي بِهَا ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّهُ لَمْ يَسْأَلْكَ السُّوْيَةَ مِنَ الْأَرْضِ إِذْ سَأَلَكَ ، إِنَّمَا هَذِهِ الذَّهْنُ عِنْدَكَ ، مُقِيدُ الْجَمَلِ ، وَمَرْعَى الْغَنَمِ ، وَنِسَاءُ تَمِيمٍ وَأَبْنَاؤُهَا وَرَاءَ ذَلِكَ . فَقَالَ [رَسُولُ اللَّهِ] : « أُمِسْكَ يَا غُلَامُ ، صَدَقْتَ الْمِسْكِينَةُ ، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ يَسْعُهُمَا الْمَاءُ وَالشَّجَرُ ، وَيَتَعَاوَنَانِ عَلَى الْفَتَنِ » . فَلَمَّا رَأَى حُرَيْثٌ أَنَّ قَدْ حِيلَ دُونَ كِتَابِهِ ، ضَرَبَ بِإِحْدَى يَدَيْهِ عَلَى الْأُخْرَى ، وَقَالَ : كُنْتُ أَنَا وَأَنْتِ

(١) في أسد الغابة أن الصحيح اسمه الحارث بن حسان ، وهو من ذهل بن شيبان .

(٢) وهي العنبرية — لأن العنبر من تميم — وهذا هو الصحيح كما في أسد الغابة .

(٣) الفرق ، بالتحريك : الخوف ، والرعدة : الإضطراب يصيب الإنسان من الخوف الشديد .

(٤) في الأصول « فهاجرت » مكان « فهدأت » والباقي لا يستقيم مع الأصول ، ويؤيد ما أثبتنا

ما في الطبقات . (٥) الدهان : ديار بني تميم ، تقصر وتمد وهي من أكثر بلاد الله كلا .

(٦) في الطبقات : فلما رأته أمر له بأن يكتب له بها شخص بن وهى وطى ودارى فقلت الخ .

(٧) مقيد الجمل : أى أنها مخصصة مربعة ، والجمل يقيد فيها ويحلى لا يتعدى مرته .

(٨) زيادة يقتضها السياق . (٩) الفتان في الحديث ، يروى بالضم والفتح ، فالضم جمع

فاتن ، أى يعاون أحدهما الآخر على الذين يضلون الناس عن الحق ويفتنونهم ، وبالفتح مفرد وهو الشيطان

لأنه يفتن الناس عن الدين ، وفان من أجنة المبالغة في الفتنة .

(١) [كما قيل] : « حَتْفَهَا تَحْمِلُ ضَانٌّ بِأُظْلَافِهَا » ^(٢) فقلت : أَمَا وَاللَّهِ أَنْ كُنْتَ لَدَيْلًا فِي الظُّلُمَاءِ ، جَوَادًا بِذِي الرَّحْلِ ، عَفِيفًا عَنِ الرَّفِيقَةِ ، حَتَّى قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَكِنْ لَا تَلْمِئْنِي عَلَى حَقْنِي إِذْ سَأَلْتَ حَقْنَكَ . فَقَالَ : وَمَا حَقْنُكَ فِي الدَّهْنَاءِ لَا أَبَاكَ ؟ ! قُلْتُ : مُقَيَّدٌ جَمَلِي تَسَالَهُ لَجَلِ أَمْرَانِكَ ! قَالَ : لَا جَرَمَ ، إِنِّي أَشْهَدُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّكَ أَخٌ مَا حَيَّيْتُ إِذْ أَثْبِتَ هَذَا عَلَى عِنْدِهِ . فَقُلْتُ : [أَمَا] ^(٣) إِذْ بَدَأْتَهَا فَلَنْ أَضْبِعُهَا . وَحَدِيثُ قَيْلَةٍ فِيهِ طُولٌ لَيْسَ هَذَا مَوْضِعُهُ .

(١) الزيادة من الطبقات .

(٢) هذا مثل ؛ يقول في جمع الأمثال للبدائي : يضرب لمن يوقع نفسه فيهلكه . وأصله أن رجلاً وجد شاة ولم يكن معه ما يذبحها به ، ففصرته بأظلافها الأرض ، فظهر سكين فذبحها به . وهذا المثل لحريث ابن حسان الشيباني تمثل به بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم لقيلة التيمية ، وكان حريث دخلها إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فأله إقطاع الدهناء . ففعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فتكلمت فيه قيلة ، فعندها قال حريث : كنت أنا وأنت كما قيل : « حَفَفَهَا تَحْمِلُ ضَانٌّ بِأُظْلَافِهَا » ضَانٌ فَاعِلٌ تَحْمِلُ وَحَفَفَهَا مَفْعُولٌ .

(٣) في الطبقات : « أَثْبِتَ » .

(٤) الزيادة من الإصابة .

ذكر وفادات أهل اليمن

ذكر وفد طيئ وخبر زيد الخليل وعدي بن حاتم

قالوا : وقد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد طيئ خمسة عشر رجلا ،
 رأسهم ، وسيدهم زيد الخليل بن مهلهل ، من بني تيهان ، وفيهم وزر بن جابر بن
 سدوس النبهاني ، وهو قاتل عنترة ، وقبيصة بن الأسود بن عامر من جرم طيئ ،
 ومالك بن عبد الله بن خيرى من بني معن ، وقعين بن خلف من جديلة ،
 ورجل من بني بولان ، فدخلوا المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ،
 فعقلوا رواحلهم بفناء المسجد ، ثم دخلوا فدنوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
 فعرض عليهم الإسلام ، فأساموا وأجازهم بنحس أواق فضة لكل رجل منهم ،
 وأعطى زيد الخليل آنتى عشرة أوقية ونشأ . وقال صلى الله عليه وسلم : « ما ذكر
 لى رجل من العرب إلا رأيتُه دون ما ذكر لى إلا ما كان من زيد الخليل ، فإنه
 لم يبلغ كل ما كان فيه » .

وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم « زيد الخير » وقطع له قيد وأرضين
 معه ، وكتب له بذلك كتابا ، فخرج مع قومه راجعا ، فقال رسول الله صلى الله

- (١) فى أمد الغاية والإصابة : وزر بن سدوس . إلا أن الإصابة نقل فيها عن الرشاطى : وزر بن
 جابر . وعنترة الذى قتله هو العيسى المشهور . ونقل عن أبى الفرج أن وزر هذا لحق بالثام وتصرمات
 على ذلك . (٢) خيرى ، بفتح الراء ، وألف مقصورة ابن أثلت بن سلسلة بن غنم بن ثوب بن معن .
 (٣) قعين ، كزبير من القعن وهو ارتفاع فى أرنبة الأنف وفصر فاحش فى الأنف ضد . وفى الطبقات
 ابن خليف بالتصغير . (٤) جديلة . من قبائل طيئ ، وهى أم جندب وحور ، يعرفون بأهمهم .
 وفى الطبقات : « ابن جديلة » وليس بصحيح لما رأيت . (٥) هو بولان بن عمرو بن العوث من طيئ .
 (٦) قيد مثال بيع : منزل فى نجد بطريق مكة من العراق . وفى التاج : « قال السكونى كان قيد فلاة
 فى الأرض بين أسد وطىئ فى الجاهلية ، فلما قدم زيد الخليل على رسول الله صلى الله عليه وسلم أقطعه قيد » .

عليه وسلم : « إِنْ يُنَجِّ زَيْدٌ مِنْ حُمَى الْمَدِينَةِ فَإِنَّهُ » ، فلما انتهى زيد من بلد نجد إلى ماء من مياهه يقال له قُرَّةُ الْحُمَى ^(٢) فأت ، فعمدت أمرأته إلى ما كان النبي صلى الله عليه وسلم كتب له فخرقه بالنار .
هذا ما كان من خبر زيد الخليل .

وأما عدي بن حاتم فكان من خبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث على بن أبي طالب رضى الله عنه إلى الفِلس ^(٣) — صَنَمٌ طِيٌّ — ليهدمه ويُسْخِرَ الغارات ، فخرج فأغار على حاضِر آل حاتم ، وأصابوا أبنَةً ^(٤) حاتم ، كما قدّمنا ذكر ذلك في الغزوات والسرايا ، فقُدِّم بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سَبَائِيَا طِيٍّ . وقيل : إنما سَبَّأها من خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم خيلٌ كان عليها خالد بن الوليد ، وحرب عدي بن حاتم حتى لحق بالشام .

حكى محمد بن إسحق رحمه الله قال : كان عدي بن حاتم يقول — فيما بلغني — :

ما من رجل من العرب كان أشدَّ كراهيةً لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به مني ، أما أنا فكنت أمراً شريفاً ، وكنت نصرانياً ، وكنت أسيرُ

(١) في شرح المواهب : يناء « ينج » للفعول و (إن) جازمة ، أى فإنه لا يصاب بسوء كما قدره بعض ، أو لم يصبه ضرر ، يعنى أن جواب الشرط محذوف تقديره : فإنه لا يصاب بسوء . ولم يقدر في الإصابة الجواب كأنه اكتفى بوضوحه ، وذكر أنه أصابه الحمى بما يقال له قُرَّةُ فأت . (٢) هكذا بالقاف والوار والذى في شرح المواهب : « فردة بالقاف المفتوحة والدال المهملة بينهما راء ساكنة ثم تاء تأنيث » . راجع معجم ياقوت ، فيه بسط في الخلاف بالقاف ، أو بالقاف ، وتحديد المكان في ج ٣ ص ٨٧١ (طبع أوروبا) . (٣) الفِلس بكسر الفاء وسكون اللام هو ضبط القاموس ، وفي ياقوت بضم الفاء ، وأكثرهم على أنه بفتح الفاء . (راجع الأصنام لابن الكلبي ص ١٥ وص ٥٩ طبع دار الكتب) .

(٤) اسمها سَفانة ، بفتح السين المهملة وشد الفاء ثم ألف فوَن و تاء التأنيث . والبفانة ، التلوثة ، وكان حاتم يكنى بها ، ويقال : هو أجود من أبي سَفانة .

- في قومي بالرباع ، أى أخذ منهم رُبْع مَغَانِمِهِم التى يَغْنَمُونَهَا ، وكنت في نفسى على دين ، وكنت ملكا في قومي لما كان يُصْنَع بى ، فلما سمعتُ برسول الله صلى الله عليه وسلم كرهته ، فقلت لِفُتْلَام كان لى عربى ، وكان راعيا لِإِبلٍ : لا أَبَا لَكَ ! أعدد لى من إبلٍ جمالا دُلَّالًا سِمَانًا فَأَحْبَسَهَا قريبا مِنِّى ، فإذا سمعتُ يَجِيشُ لِمُحَمَّدٍ قد وطئَ هذه البلادَ قَادِئِي . ففَعَل ، ثم إنه أتانى ذاتَ عَدَاةٍ فقال : يا عِدَى ، ما كنتُ صانعا إذا غَشِيَتْكَ خَيْلُ مُحَمَّدٍ فَأَصْنَعِ الْآنَ ، فإِنى رأيتُ رايَاتٍ فسألتُ عنها فقالوا : هذه جيوشُ مُحَمَّدٍ . فقلتُ : فَقَرَّبْتُ إِلَى أَجْمَالِى . ففَرَّبَهَا فَأَحْتَمَلْتُ بِأَهْلِى وَوَلَدِى ، ثم قلت : أَلْحَقْ بِأَهْلِ دِينِى مِنَ النَّصَارَى بِالشَّامِ ، فسَلَكْتُ الْجَوْشِيَّةَ - وَيُقَالُ الْجَوْشِيَّةُ ^(١) - وَخَلَفْتُ بِنْتًا لِحَاتِمٍ فِي الْحَاضِرِ ، فَلَمَّا قَدِمْتُ الشَّامَ أَقْبَتُ بِهَا ، وَتَحَالَفْنِى خَيْلُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَتَصِيبُ ابْنَةِ حَاتِمٍ فِيمَنْ أَصَابَتْ ، فَقَدِمَ بِهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَبَايَا طِيٍّ ، وَقَدْ بَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَرَبِى إِلَى الشَّامِ ، قَالَ : بَجَعِلْتُ ابْنَةَ حَاتِمٍ فِي حَظِيرَةِ بَابِ الْمَسْجِدِ كَانَتْ السَّبَايَا تُحْبَسُ فِيهَا ، فَمَرَّ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَامَتْ إِلَيْهِ ، وَكَانَتْ أَمْرَأَةً جَزَلَةً ^(٢) ، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَلَّاكَ الْوَالِدُ ، وَغَابَ الْوَاغِدُ ، فَأَمُنْتُ عَلَى ، مَنِ اللَّهُ عَلَيْكَ . قَالَ : « وَمَنْ وَافِدُكَ » ؟ قَالَتْ : عِدَى بْنُ حَاتِمٍ . قَالَ : « الْفَارِزُ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ » ؟ ! . قَالَتْ : ثُمَّ مَضَى وَتَرَكَنِى ، حَتَّى إِذَا كَانَ مِنَ الْغَدِ مَرَّ بى فَقُلْتُ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ ، فَقَالَ مِثْلَ مَا قَالَ بِالْأَمْسِ ، قَالَتْ : حَتَّى إِذَا كَانَ بَعْدَ الْغَدِ مَرَّ بى وَقَدْ يَبَسْتُ ، فَأَشَارَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ خَلْفِهِ أَنَّ قَوْمِى فُكِّبَتْ بِهِ ،

(١) كذا في الأصول وابن إسحق ، والذي يستفاد من معجم ياقوت أنها بالشين أو بالسين (راجعته

في الجوسية) . (٢) الحظيرة : ما أحيط بالشيء سواء كان من خشب أو قصب .

(٣) الجزلة من النساء : النامة الخلق .

قالت : فقمْتُ إليه ، فقلت : يا رسول الله ، هَلَكَ الْوَالِدُ ، وَغَابَ الْوَاغِدُ ، فَأَمْنُنْ عَلَيَّ ، مَنْ اللَّهُ عَلَيْكَ . فقال : « قد فعلْتُ فلا تَعَجَلْ بِخُرُوجِ حَتَّى تَجِدَ مِنْ قَوْمِكَ مَنْ يَكُونُ لَكَ ثِقَةً حَتَّى يَبْلُغَكَ إِلَى بِلَادِكَ ثُمَّ أَذِنِي » فسألتُ عَنِ الرَّجُلِ الَّذِي أَشَارَ إِلَيَّ أَنْ كَلِّمَهُ ، فَقِيلَ عَلَيَّ بَنُ أَبِي طَالِبٍ ، قالت : فأقْتِ حَتَّى قَدِمَ رَكَبٌ مِنْ بَنِي أَوْقُضَاعَةَ ^(١) ، قالت : وَإِنَّمَا أُرِيدُ أَنْ آتِيَ أَخِي بِالشَّامِ ، فَجَنَّتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ : يا رسول الله ، قَدْ قَدِمَ رَهْطٌ مِنْ قَوْمِي ، لِي فِيهِمْ ثِقَةٌ وَبَلَاغٌ ، قالت : فَكَسَانِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَمَلَنِي وَأَعْطَانِي نَفَقَةً ، فَخَرَجْتُ مَعَهُمْ حَتَّى قَدِمْتُ الشَّامَ ، قَالَ عَدِيٌّ : فَوَاللَّهِ إِنِّي لِقَاعِدٌ فِي أَهْلِ إِذَا نَظَرْتُ إِلَى طَبِيعَةِ تَصُوبٍ ^(٢) إِلَيَّ تَوَمَّنَا ، قَالَ : قُلْتُ ابْنَةُ حَاتِمٍ ، فَإِذَا هِيَ هِيَ ، فَلَمَّا وَقَفْتُ عَلَى أَنْسَلَحَتٍ ^(٣) تَقُولُ : الْقَاطِعُ الظَّالِمُ ، احْتَمَلْتُ بِأَهْلِكَ وَوَلَدَكَ ، وَتَرَكْتُ بَقِيَّةَ وَالِدَيْكَ عَوْرَتَكَ ! قَالَ : قُلْتُ : أَيُّ أُخِيَّةٍ ! لَا تَقُولِي إِلَّا خَيْرًا ، فَوَاللَّهِ مَا لِي مِنْ عَذْرِ ، لَقَدْ صَنَعْتُ مَا ذَكَرْتَ . قالت : ثُمَّ نَزَلْتُ فَأَقَامْتُ عِنْدِي ، فَقُلْتُ لَهَا وَكَانَتْ امْرَأَةً حَازِمَةً : مَاذَا تَرَيْنِ فِي أَمْرِ هَذَا الرَّجُلِ ؟ قالت : أَرَى وَاللَّهِ أَنْ تُلْحَقَ بِهِ سَرِيعًا ، فَإِنْ يَكُنِ الرَّجُلُ نَبِيًّا فَلِلسَّابِقِ إِلَيْهِ فَضْلُهُ ، وَإِنْ يَكُنْ مَلِكًا فَلَنْ تَذِلَّ فِي عِزِّ الْيَمِينِ ، وَأَنْتِ أَنْتِ . قَالَ : قُلْتُ وَاللَّهِ إِنَّ هَذَا الرَّأْيَ . فَخَرَجْتُ حَتَّى أَقْدَمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي مَسْجِدِهِ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ : « مَنِ الرَّجُلُ » ؟ فَقُلْتُ : عَدِيٌّ بْنُ حَاتِمٍ . فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَنْطَلَقَ بِي إِلَى بَيْتِهِ ، فَوَاللَّهِ إِنَّهُ لِعَامِدٌ بِي إِلَيْهِ إِذْ لَقِيْتُهُ امْرَأَةً ضَعِيفَةً كَسِيرَةً

(١) بلى وقضاة ، أرومة واحدة ، قال الجوهري : « بلى على فصيل : قبيلة من قضاة والنسبة

إليهم بلوى » . (٢) تصوب : تقصد .

(٣) في سيرة ابن هشام : « أنسلحت » ، أى أخذت في اللوم ، ومضت فيه بمجدة .

- فاستوقفته، فوقف لها طويلا تكلمه في حاجتها، فقلت في نفسي: والله ما هذا بملك . قال : ثم مضى حتى إذا دخل بي بيته تناول ومادة من آدم محشوة ليقا فقذفها إلى فقال : «أجلس على هذه» قلت : بل أنت فاجلس عليها، قال : «بل أنت» فجلست عليها ، وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأرض ، فقلت في نفسي : والله ما هذا بأمر ملك . ثم قال : «إيه يا عدى بن حاتم ألم تك رگوميا؟» قلت : بلى ، قال : «أولم تك تسير في قومك بالمرباع» ؟ قلت : بلى ، قال : «فإن ذلك لم يك يحل لك في دينك» . قال : قلت أجل والله ، وعرفت أنه نبي مرسل يعلم ما يُجهل ، ثم قال : «لعلك يا عدى إنما يمنعك من دخول في هذا الدين ما ترى من حاجتهم ، فوالله ليوشكن المال يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه ، ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم ، وقلة عددهم ، فوالله ليوشكن أن يسمع المرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت لا تخاف ، ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه أنك ترى أن الملك والسلطان في غيرهم ، وأيم الله ليوشكن أن يسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم» . قال عدى : فأسلمت . فكان عدى يقول : قد مضت اثنتان وبقيت الثالثة ، والله لتكونن ؛ قد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم ، وقد رأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها لا تخاف حتى تخرج هذا البيت ، وأيم الله لتكونن الثالثة ؛ لفيضن المال حتى لا يوجد من يأخذه .

٢٨
١٦

(١) في النهاية : «قال لعدى بن حاتم إنك من أهل دين يقال لهم الركسية» . هود بن بين النصارى والصائين .

(٢) كانوا في الجاهلية إذا غزا بعضهم بعضا وغنموا أخذ الرئيس ربع الغنمة خالصا دون أصحابه ، وذلك الربع يسمى المرباع . وقد سبق تفسيره .

ذكر وفد نجيب

(١) قال ابن سعد : قدم وفد نجيب على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنة تسع من مهاجرة ، وهم ثلاثة عشر رجلاً ، وساقوا صدقات أموالهم التي فرض الله عليهم ، فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم ، وقال : « مرحباً بكم » وأكرم مترجمهم وحياتهم ، وأمر بلالاً أن يحسن ضيافتهم وجوائزهم ، وأعطاهم أكثر مما كان يجيز به الوفد ، وقال : « هل بقي منكم أحد » قالوا : غلام خلفناه على رحالنا وهو أحدثنا سناً . قال : « أرسلوه إلينا » ، فأقبل الغلام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إني أمرؤ من بني أبناء الرهط الذين أتوك آفئاً ، فقضيت حوائجهم فأقضى حاجتي ، قال : « وما حاجتك » ؟ قال : تسأل الله أن يغير لي ويرحمي ويجعل غناي في قلبي . فقال : « اللهم أغفر له وأرحمه وأجعل غناه في قلبه » . ثم أمر له بمثل ما أمر به لرجل من أصحابه ، فانطلقوا راجعين إلى أهلهم ، ثم وافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الموسم^(٢) بمنى في سنة عشر ، فسألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغلام ، فقالوا : ما رأينا مثله أقنع منه بما رزقه الله .

(١) نجيب ، بضم الفوقية وتفتح وكسر الجيم وتحتية ساكنة وموحدة : بطن من كندة يندبون إلى جدتهم العليا نجيب بنت ثوبان بن سليم من مذحج ، وهي أم أبي ذر بن عدي (الواقدي) .
(٢) منى : قرية بين مكة وعرفات فيها دى الجمرات والذبح في مناسك الحج والمبيت ليلة عرفة وهي ليلة الوقوف — ومنى كإلى وتصرف أى تون .

ذكر وفدِ خولان

قال: قَدِمَ وَفْدُ خَوْلَانَ^(١) عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي شَعْبَانَ سَنَةِ عَشْرٍ، وَهُمْ عَشْرَةُ نَفَرٍ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نَحْنُ مُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ مُصَدِّقُونَ بِرَسُولِهِ، وَنَحْنُ عَلَى مَنْ وَرَاءَنَا مِنْ قَوْمِنَا، وَقَدْ ضَرَبْنَا إِلَيْكَ آبَاطَ الْإِبِلِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا فَعَلَ عَمَّ أَنَسٍ»^(٢) صَنَّمْ لَهُمْ، فَقَالُوا: بَشَّرَ وَعَمَّرَ^(٣)، أَبَدَلْنَا اللَّهَ بِهِ مَا جِئْتَ بِهِ، وَلَوْ قَدْ رَجَعْنَا إِلَيْهِ هَدَمْنَاهُ. وَسَلَّوْا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ أَمْرِ دِينِهِمْ، بِفَعْلٍ يُخْبِرُهُمْ بِهَا، وَأَمَرَ مَنْ يُعَلِّمُهُمُ الْقُرْآنَ وَالسُّنَنَ، وَأُتْرِلُوا فِي دَارِ رَمْلَةٍ بَنَتْ الْحَارِثُ، وَأُجْرِيَتْ عَلَيْهِمُ الضِّيَافَةُ، ثُمَّ جَاءُوا بَعْدَ أَيَّامٍ يُودَعُونَهُ، فَأَمَرَ لَهُمْ بِجَوَازِيئِ ثَلَاثِي عَشْرَةِ أَوْقِيَّةٍ وَنَشَّ، وَرَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ، فَلَمْ يَحُلُّوا عَقْدَةَ حَتَّى هَدَمُوا عَمَّ أَنَسٍ. وَمِنْ أَسْلَمَ مِنْ خَوْلَانَ أَبُو مُسْلِمٍ الْخَوْلَانِيُّ الْعَابِدُ، وَأَسَمَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ ثَوْبٍ، وَلَمْ يَرِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِنَّمَا قَدِمَ الْمَدِينَةَ بَعْدَ وَفَاتِهِ، وَلَهُ خَبَرٌ عَجِيبٌ مَعَ الْأَسْوَدِ الْعَنَسِيِّ، نَذَرَهُ فِي أَخْبَارِهِ فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(١) خولان أبو قبيلة، وخولان اسمه فكل بن عمرو. وفي سيرة ابن هشام: «خولان بن عمرو بن الحاف بن قضاة».

(٢) اسمه في كتاب الأصنام ص ٤٣: «عميان». وهذا الصنم بأرض خولان، كان يظن من خولان يقسمون لهذا الصنم من أنعامهم وحروثهم فسموا به وبين الله بزمهم، فادخل في حق (عم أنس) من حق الله الذي سماه تركوه له، وما دخل في حق الله من حق (عم أنس) ردوه عليه، وفيهم أنزل الله: «وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً» الآية.

(٣) (المر) بفتح العين وضمتها: الحرب، وهو أبيض داء إلى نفوس العرب لذا عطفوه على الشر.

(٤) في التهذيب وغيره أنه من عباد أهل الشام وزهادهم. والخلاف في اسم أبيه موجود.

ذِكْرُ وَفْدِ جُعْفَى

قال ابن سعد : وفد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلان من جُعْفَى^(١) ، وهما قيس بن سلمة بن شراحيل ، وسَلَمَةُ بن يزيد ، وهما أخوان لأم ، وأمهما مَلِكَةُ بنت الحلوبن مالك ، فاسما فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بلغني أنكم لا تأكلون القلب » وكانوا يُحَرِّمون أكله ، فقالا : نعم ، قال : « فإنه لا يكل إسلامكم إلا بأكله » ودعا بقلب فشوى ، ثم ناوله سلمة فلما أخذه أُرْعِدَتْ يده فقال له : « كُلْهُ » فأكله ، وقال :

عَلَى أَنِّي أَكَلْتُ الْقَلْبَ كَرَهَا • وَرَعَدُ حِينَ مَسَّتْهُ بَنَانِي

ثم قال : يا رسول الله ، إن أُمَّنا مَلِكَةَ بنت الحلوكانت تَفَكُّ العاني ، وتُطْعِمُ البائس ، وترحم المسكين ، وأنها ماتت وقد وادَّتْ بَنِيَهَا صَغِيرَةً ، فما حالها ؟ قال : « الوائِدَةُ والموءودة في النار »^(٢) فقال : « إلى فَارَجِعا » فقال : « وأُمِّي مع أُمَّتِكَا »^(٣) فَأَبَيَا وَمَضَيَا ، وهما يقولان : والله إن رجلاً أطعمنا

(١) جُعْفَى (ككسى) : ابن سعد العشرة بن مذحج .

(٢) الوَادُ ، من صفات الجاهلية : وهو قتل الجارية دفناً وهي حية ، وسميت موءودة لما يطرح عليها من التراب فيثودها — أى يشغلها — حتى تموت . راجع ج ١٠ ص ١١٧ و ج ١٩ ص ٢٣٠ قرطبي .

(٣) الذى ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال في صفار المشركين : « سألت ربي ألا يعذب اللاهين من ذرية البشر فأعطانيهم » وقوله : « وسألت ربي فأعطاني أولاد المشركين خدماً لأهل الجنة » وذلك أنهم لم يدركوا ما أدرك آبائهم من الشرك والله لا يظلم أحداً ولا تعذيب إلا بعد التكليف ، ولأنهم في الميثاق الأول . ولعل هذا الحديث — إن صح — قاله صلى الله عليه وسلم قبل أن يخرج بهم تذيب الأتقال .

(٤) هذا يتأني ما روى أن والده صلى الله عليه وسلم مات على الحنيفة ، وأنها اعترفت بيعت ابنها بالإسلام من عند الله ، وأنها نهته عن الأصنام وموالاتها ، وهذا من التوحيد ، وقد روى أنه صلى الله عليه وسلم أحيا الله له أبويه فأمنابه ، وإن صح هذا فهو من خصائصه صلى الله عليه وسلم ، وقد قال الله تعالى له : « ولوف بعطيك ربك فترضى » راجع شرح المواهب ج ١ ص ١٩٩

القلب ، وزعم أن أنسا في السار لأهل آل بيت ، فلما كان ببعض الطريق ،
لقيا رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، معه إيل من إيل الصدقة ،
فأوثقاه وطردا الإيل ، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فلعنهما فلعنهما فلعنهما فلعنهما
في قوله : « لعن الله رجلا وذكوان وعصية ولحيان وآبنا مليكة » .^(١)

قال محمد بن سعد : وقدم أبو سبرة وهو يزيد بن مالك بن عبد الله الجعفي على
النبي صلى الله عليه وسلم ومعه آبناه سبرة وعيز فأسلموا ، وسمى رسول الله صلى الله
عليه وسلم عيزاً عبد الرحمن . وقال له أبو سبرة : يا رسول الله : إن يظهر كفى
سلة^(٢) قد متعتني من خطام راحتي ، فدعا بقدح ، وجعل يضرب به على السلة
ويمسحها فذهبت ، ودعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأبيه ، فقال :
يا رسول الله ، أقطعتي وادى قومي باليمن ، وكان يقال له جردان ففعل ، قال :
وعبد الرحمن هذا هو أبو خيثمة عبد الرحمن .^(٣)

معين التارح
ذكر وفد مراد لأهل التارح

قالوا : قدم قروة بن مسيك المرادي على رسول الله صلى الله عليه وسلم مفارقاً
للملوك كندة ومباعدة لهم ، وقال في ذلك :

- ١٥ (١) رعل وذكوان : قيلتان باليمن من سليم ومنها عصية ، أما لحيان فن هذيل .
(٢) والذي في أسد الغابة : « عبد الغزي » فبهاء صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن فقال : « إنه
من خيار أسماؤكم إن سميت عبد الله وعبد الرحمن » . أما الطبقات فقها : فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لعيز ما أسلمك فقال عيز ، فقال : « لا عيز إلا الله أنت عبد الرحمن » راجع ج ١ ص ٦٢ .
(٣) السلة : خراج كهنة السدة تحرك بالبحريك ، قال الأطباء : هي ورم غليظ غير ملتصق بالحم
يحرك عند تحريكه وله غلاف ، وتقبل التزايد لأنها خارجة عن اللحم (المصباح) .
٢٠ (٤) جردان ، كميان باليمن : واد بين عمقين . (٥) في أسد الغابة : « وقيل مسكة ،
ومسيك أكثر » . (٦) نسبة إلى مراد بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ سمي مراداً لقرده
واسمه : يحابر ، وقيل : مراد من نزار .

لَمَّا رَأَيْتُ مُتْلُوكَ كِنْدَةَ أَعْرَضْتُ * كَالرَّجُلِ خَانَ الرَّجُلَ عِرْقُ نَسَائِهَا^(١)
 قَرَبْتُ رَاحِلَتِي أَوْمٌ مُحَمَّدًا * أَرْجُو فَوَاضِلَهَا وَحُسْنَ تَرَائِهَا^(٢)
 وابع النبي صلى الله عليه وسلم ، ونزل على مسند بن عبادة ، وكان يتعلم
 القرآن وفرائض الإسلام وشرائعه ، فأجازه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأثني
 عشرة أوقية ، وحمله على بعير وأعطاه حلة من نسج عُمان ، وأستعمله على مُراد
 وزُبَيْدَ وَمَذْحِجَ ، وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص على الصدقات ، وكتب
 له كتابا فيه فرائض الصدقة ، فلم يزل على الصدقة حتى توفى رسول الله صلى الله
 عليه وسلم .

ذكر وفد زُبَيْدَ

قال ابن سعد : قَدِمَ وفد عمرو بن مَعْدَى كَرِبَ الزُّبَيْدَى^(٣) على رسول الله صلى الله
 عليه وسلم المدينة ، في عشرة نفر من زُبَيْدَ ، فنزل على سعد بن عبادة فأكرمه سعد
 وراح به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم هو ومن معه ، وأقام أياما ، ثم
 أجازه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنصرف إلى بلاده ، فأقام مع قومه على
 الإسلام ، وعليهم قُرُوءَةٌ مِنْ مُسِيكٍ ، فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم آرتدت ،
 ثم رجع إلى الإسلام ، وأبلى يوم القادسية وغيرها .

قال محمد بن إسحق : كان عمرو بن مَعْدَى كَرِبَ قد قال لَقَيْسُ بْنُ مَكْشُوحٍ
 المرادى حين انتهى إليهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا قيس ، إنك سيد

(١) النسا : عرق يخرج من الورك فيستبطن الفخذ ، وهو مقصور ومد هنا للشعر .

(٢) في الإصالة وأسد الغابة : «يمت راحلتي» أوم : أقصد . وقال ابن هشام : أنشدني أبو عبيدة :

* أَرْجُو فَوَاضِلَهَا وَحُسْنَ تَرَائِهَا *

(٣) عمرو بن معدى كرب بن عبد الله بن عمرو بن عصم بن عمرو بن زيد فارس العرب ، شهد القادسية

قالوا : مات علي فراشه من لسع حية .

قومك ، وقد ذكر لنا أن رجلا من قريش يقال له محمد خرج بالحجاز ، يقال إنه نبي ، فانطلق بنا إليه حتى نعلم علمه ، فإن كان نبيا كما يقول فإنه لن يخفى عليك ، إذا لقيناه آتبعناه ، وإن كان غير ذلك علمنا علمه ، فأبى عليه قيس ، فركب عمرو ابن معدى كرب حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم ، فلما بلغ ذلك قيس بن مكشوح أوعد عمرا ومخظم^(٢) عليه ، وقال : خالفني وترك رأبي ، فقال عمرو في ذلك :

أمرتك يوم ذي صنعا * أمرا بينا رشده^(٣)
أمرتك باتباع الله * تاتيه وتتبعده^(٤)
فكنت كذي الحجير غر * ره مما به وتده^(٥)
تمناني على فرس * عليه جالسا أسده^(٦)
على مفاضة كالتن * عى أخلص ماء حده^(٧)

(١) في سيرة ابن هشام : « فأبى عليه قيس ذلك وصفه رأبه » .

(٢) مخظم عليه : ناطق غيظا .

(٣) في السيرة : بأدبا رشده . ويوم ذي صنعا يريد يوم صنعا . و « ذي » زائدة وذلك في لسان

العرب ، كما روى الأزهري : تتابع ذي عمرو ، وكان ذو عمرو بالصمان ، يريدون تتابع عمرو ، وكان

عمرو بالصمان . وهذا من الدليل على إضافة « ذو » إلى الأعلام . راجع التاج (حرف ذو) . وقال

أبو ذر الخثمي في شرحه للسيرة : « يوم ذي صنعا موضع » وليس له ذكر في كتب المعاجم .

(٤) تتبعده : تلتزمه .

(٥) الوتد بالكسر : مائتة في الحائط أو الأرض من الخشب ، وفي السيرة :

خرجت من المني مثل ال • حمير غره وتده

(٦) تمناني : أراذني .

(٧) المفاضة : الدرع الواسعة . والنهى : الغدير من الماء . والحدود (بالهاء المهملة) : المنع والحبس .

وفي السيرة : جده — بالجيم — : الأرض الصلبة .

تَرُدُّ الرِّيحَ مَنَسِي السَّ * ثَابَ عَوَائِرًا قِصْدُهُ ^(١)
 قَلَوْ لَأَقْبَتَنِي اللَّقِيبُ * مَتَ لَيْثًا فَوْقَهُ لَيْدُهُ ^(٢)
 تَلَاقَى ضَيْغًا شَتْنُ الْ * بَرَانِ نَاشِرًا كِنْدُهُ ^(٣)
 يُسَامِي الْقِرْنَ إِنْ قِرْنٌ * تَمَّيَّمُهُ فَيَعْتِضُهُ ^(٤)
 فَيَاخُذُهُ فَيَرْفَعُهُ * فَيَخْفِضُهُ فَيَقْصِدُهُ ^(٥)
 فَيَدْمِغُهُ فَيُخِطُّهُ * فَيَخِصِّمُهُ فَيَزْدَرِدُهُ ^(٦)
 ظَلُومُ الشَّرِكِ فَيَا أَحْ * رَزَتْ أَنْيَابُهُ وَيَدُهُ ^(٧)

ذكر وفد كندة

قالوا: قَدِمَ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَضْعَةِ عَشْرَ رَاكِبًا مِنْ كِنْدَةٍ . قَالَ أَبُو سَعْدٍ — وَقَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: فِي ثَمَانِينَ رَاكِبًا — فَدَخَلُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَسْجِدَ ، وَقَدْ رَجَلُوا جُمُوعَهُمْ وَتَكَحَّلُوا ، عَلَيْهِمْ جُبِبٌ ^(٨)

- (١) قصده ، بالكسر جمع قصدة : وهو ما تكسر من الرِّيح . ويروى : غَوَائِرُ قِصْدِهِ ؛ أَيِ مُنْتَظَرَةٍ .
 (٢) ليدّه جمع ليدة : وهو ما على كَفَى الْأَسَدِ مِنَ الشَّعْرِ .
 (٣) الضيغ : الأسد . ويروى « شَيْثًا » وهو الْأَسَدُ أَيْضًا ، وَالَّذِي يَتَلَقَّى بَقَرَهُ وَلَا يَزِيلُهُ . وَالشَّتْنُ : الْغَلِيظُ الْأَصَابِعُ . وَالْبَرَانُ لِلْسَّبَاعِ كَالْأَصَابِعِ لِلْإِنْسَانِ . وَالنَّاشِرُ : الْمُرْتَفِعُ . وَالْكَنْدُ : مَا بَيْنَ الْكَتِفَيْنِ .
 (٤) الْقِرْنُ بِالْكَسْرِ : الْكَفُ . يَمُومُهُ : قِصْدُهُ ، وَأَعْتَضَهُ : أَحْتَضَهُ .
 (٥) أَعْتَضَهُ : قَتَلَهُ (٦) بَدِغَهُ : يَخْرِجُ دِمَاغَهُ . وَيَخِطُّهُ : يَكْسِرُهُ . وَيَخِصِّمُهُ : يَأْكُلُهُ ، وَيُورِي « فَيَخِصِّمُهُ » بِالْجَمْعِ وَهِيَ مَعْنَاهَا . أَزْدَرَدَهُ : أَكَلَهُ بَلْعًا . (٧) الشَّرِكُ : النَّصِيبُ وَالْحَصَّةُ . (٨) كِنْدَةُ بِالْكَسْرِ : لَقَبُ جُلْدِ هَذَا الْحَيِّ مِنَ الْيَمَنِ وَهُوَ ثَوْرُ بْنُ عَفِيرٍ .
 (٩) رَجَلُوا : سَرَحُوا ، وَاجْمَعُ : جَمْعُ جَمْعٍ : جَمْعُ الشَّعْرِ فِي نَاصِيَةِ الْإِنْسَانِ .

(١) الحبرة قد كَفَّفُوها بالحرير، وعَلِمهم الدِّيَاجَ ظاهرٌ مَحْصُوسٌ بِالذَّهَبِ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألم تُسَلِّمُوا؟» قالوا: بلى، قال: «فأبال هذا عليكم» قال: فَشَقَّوه وأَلَقَّوه، ثم قال له الأشعث بن قيس: يا رسول الله، نحن بنو آكل المُرَّار، وأنت ابن آكل المُرَّار. فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: «نَاسِبُوا بهذا النِّسْبَ العَبَّاسَ بن عبد المطَّابِ ورَبِيعَةَ بن الحارث». قال: وكانا تاجرين، و[كانا] إذا شاعا في بعض العرب، فسئلَا من هما، قالَا: نحن بنو آكل المُرَّار: يَتَعَزَّزَانِ بذلك. وآكلُ المُرَّار هو الحارث بن عمرو بن حُجْر بن عمرو بن معاوية، وقد تقدَّم خبره في وقائع الغرب. قال: ثم قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا، نحن بنو النَّضْرِ بن كَثَّانة، لا تَقْفُوا أَمَّنًا ولا تَذْنِبِي من أَيْبِنَا» فقال الأشعث بن قيس: يا مَعْشَرَ كِنْدَةَ، والله لا أسمع رجلا يقولها إلا ضربته ثمانين. قال محمد بن سعد: فلما أرادوا الرجوع إلى بلادهم أجازهم بعشرة أواق، وأعطى الأشعث ثلثي عشرة أوقية.

(١) الحبرة: ثوب يمانى من قطن أو كان مخطط، يقال على الوصف وعلى الإضافة. وكف الثوب: خاط حاشيته. (٢) محوص: مزين بصقاع من الذهب على قدر خوص النخيل. (٣) في شرح المواهب: «فأبال هذا الحرير في أعناقكم فشَقَّوه». فرواية شرح المواهب مشعرة بأن كلمة «فشَقَّوه» أمر من رسول الله لم يخالف ما هنا.

(٤) هو جَدَّ أمرئ القيس كاسياني، سمي بذلك كتابة عن كثر كان به، والمرار بضم الميم: شجر مر من أفضل الشب وأضخمه، إذا أكلته الإبل فلصت مشافرها وبدت أسنانها فصار كتابة لمن به كثر. وقيل: سمي بذلك لأن ابنته كانت في سبي ملك، قتلت له: كأنك أبى قد جاء. كأنه جلأ كل المرار؛ معنى كاشرا عن أتابه، وقد ورد غير هذا في بعض الأخبار، فليراجع شرح المواهب وغيره. (٥) الزيادة من ابن هشام. (٦) في الأصول: فيعززان بذلك والتصويب من ابن هشام. وقوله: «يتعززان»: أى يتقويان بذلك. (٧) لا تقفوا: أى لا تنسب إلى أمنا وترك الإنساب إلى أئبنا، وذلك أنه صلى الله عليه وسلم له جدة من كندة وهي أم كلاب بن مرة.

ذكر وفد الصِّدف

قال ابن سعد : ^(١) وَقَدْ وَفَدَ الصِّدْفُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُمْ بِضْعَةُ عَشْرَ رَجُلًا ، عَلَى قَلَانِصٍ لَهُمْ ، ^(٢) فِي أَزْرٍ وَأَرْدِيَّةٍ ، فَصَادَفُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِهِ وَبَيْنَ الْمِنْبَرِ ، بَخَسُوا وَلَمْ يُسَلِّمُوا فَقَالَ : « أَمْسَلِمُونَ أَتَم » ؟ قَالُوا : نَعَمْ . قَالَ : « فَهَلَّا سَلَّمْتُمْ » ، فَقَامُوا فَقَالُوا : السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ ، فَقَالَ : « وَعَلَيْكُمْ السَّلَامُ ، اجْلِسُوا » بَخَسُوا ، وَسَلَّالُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَوْقَاتِ الصَّلَوَاتِ فَأَخْبَرَهُمْ بِهَا .

ذكر وفد سعد هُذَيْمٍ

قال ابن سعد يرفعه إلى أبي النعمان عن أبيه قال : قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَافِدًا فِي نَقَرٍ مِنْ قَوْمِي ، فَتَرَلْنَا نَاحِيَةَ مِنَ الْمَدِينَةِ ، ثُمَّ خَرَجْنَا نَوْتَمَ الْمَسْجِدِ ، فَتَجَدَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي عَلَى جَنَازَةٍ فِي الْمَسْجِدِ ، فَانْصَرَفَ فَقَالَ : « مِنْ أَتَم » ؟ قُلْنَا : مِنْ بَنِي سَعْدِ هُذَيْمٍ ، فَأَسْلَمْنَا وَبَايَعْنَا ، ثُمَّ أَنْصَرَفْنَا إِلَى رِجَالِنَا ، فَأَمَرَ بَنَانًا فَانْزِلْنَا وَضَيِّقْنَا فَأَقْبَمْنَا ثَلَاثًا ، ثُمَّ جِئْنَاهُ نَوَدَّعَهُ ، فَقَالَ : « أَمَرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدَكُمْ » وَأَمَرَ يَلَالًا ، فَأَجَازَنَا بِأَوَاقٍ مِنْ فِضَّةٍ ، وَرَجَعْنَا إِلَى قَوْمِنَا فَرَزَقَهُمُ اللَّهُ الْإِسْلَامَ .

(١) الصدف ، بكسر الهمزة والفتح والنسبة إليه صدفى بفتحها كراهة الكسرة قبل ياء النسب ، وهذا المسمى من قبائل حضرموت . وقال : بعضهم : يسمون إلى صدف بن عمرو بن قيس بن معارية بن جشم بن ذؤيب بن حمير بن سبيل . وإلى هذا تنسب النجاشي الصدفية .
(٢) قَلَانِصٌ (جمع قَلَوِص) : وَهِيَ النَّاقَةُ الشَّابَّةُ .
(٣) هُذَيْمٌ بضم الهاء . وَفَتْحُ الذَّالِ الْمَعْجَمَةُ فَتْحِيَّةٌ فِيمَ : هُوَ سَعْدُ بْنُ زَيْدٍ لَكِنْ حَضَهُ عَبْدُ أَسْوَدَ أَسَمَهُ هُذَيْمًا فَاضِيفَ إِلَيْهِ حَتَّى غَلِبَ عَلَيْهِ .

ذكر وفد بلي

روى عن رُوَيْفِعِ بْنِ ثَابِتِ الْبَلَوِيِّ^(١) قَالَ : قَدِمَ وَفْدٌ قَوْمِي فِي شَهْرِ رَجَبِ الْأَوَّلِ سَنَةِ تِسْعٍ ، فَأَنْزَلْتُهُمْ عَلَىٰ فِي مَتَرَىٰ بَنِي جَدِيلَةَ ، ثُمَّ خَرَجْتُ بِهِمْ حَتَّىٰ أَتَيْتُ إِلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُوَ جَالِسٌ مَعَ أَصْحَابِهِ فِي بَقِيعَةِ الْغَدَاةِ^(٢) ، فَتَقَدَّمَ شَيْخُ الْوَفْدِ أَبُو الضَّبْيَبِ^(٣) ، فَجَلَسَ بَيْنَ يَدَيِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَلَّمَ وَأَسْلَمَ ، وَأَسْلَمَ الْقَوْمُ ، وَسَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الضِّيَافَةِ ، وَعَنْ أَشْيَاءَ مِنْ أَمْرِ دِينِهِمْ فَأَجَابَهُمْ ، ثُمَّ رَجَعْتُ بِهِمْ إِلَىٰ مَتَرَىٰ ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَاقِي [مَتَرَىٰ] يَحْمِلُ ثَمَرًا يَقُولُ : « آسْتَعْنِ بِهَذَا الثَّمَرِ » فَكَانُوا يَأْكُلُونَ مِنْهُ وَمِنْ غَيْرِهِ ، فَأَقَامُوا ثَلَاثًا ، ثُمَّ جَاءُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُودِّعُونَهُ ، فَأَمَرَ لَهُمْ بِجَوَائِزٍ كَمَا كَانَ يُجِيزُ الْوَفْدَ ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَىٰ بِلَادِهِمْ .

ذكر وفد بهراء

قَالَ ابْنُ سَعْدٍ : قَدِمَ وَفْدٌ بِهِرَاءَ مِنْ الْيَمَنِ ، وَهُمْ ثَلَاثَةُ عَشَرَ رَجُلًا ، فَأَقْبَلُوا بِقُودُونَ رَوَاحِلَهُمْ ، حَتَّىٰ أَتَوْهُمَا إِلَىٰ بَابِ الْمِقْدَادِ بْنِ عَمْرِو بْنِ جَدِيلَةَ فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ ، فَرَحَّبَ بِهِمْ وَأَنْزَلَهُمْ ، وَأَتَوْا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاسْتَمَدُوا وَتَعَلَّمُوا الْقِرَاءَتِصَ وَأَقَامُوا أَيَّامًا ، ثُمَّ جَاءُوا يُودِّعُونَهُ فَأَمَرَ لَهُمْ بِجَوَائِزِهِمْ ، وَأَنْصَرَفُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ .

(١) بلي كرضى : نسبة إلى بلي بن عمرو بن الحاف بن قضاة .

(٢) عبارة الطبقات : « وهو جالس مع أصحابه في بيته في الغداة » .

(٣) في الطبقات : أبو الضباب . وفي شرح المواهب : أبو الضبيب بمجمة مضمومة يلفظ تصغير

ضب . ويروي بعضهم أبو الضبيس بسين مهملة : ذكره الذهبي .

(٤) الزيادة من شرح المواهب .

(٥) بهراء قلاء ممدود ، ابن عمرو بن أخو بلي بن عمرو ، ينسب إليه بهرائ .

ذكر وفد عُذرة

قالوا : قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفَدَ عُذْرَةَ ، فِي صَفَرٍ سَنَةِ تَسْعٍ مِنْ مُهَاجَرِهِ ، وَهُمْ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا ، فِيهِمْ حَمْزَةُ بْنُ النُّعْمَانِ الْعُدْرِيُّ ، وَسَلِيمٌ وَسَعْدُ ابْنَا مَالِكٍ ، وَمَالِكُ بْنُ أَبِي رِيَّاحٍ ، فَتَزَلُّوا دَارَ رَمْلَةٍ بَنَتْ الْحَارِثُ ، ثُمَّ جَاءُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَلَّمُوا بِسَلَامِ الْجَاهِلِيَّةِ ، وَقَالُوا : نَحْنُ إِخْوَةُ قُصَيٍّ لَأُمِّهِ ، وَنَحْنُ الَّذِينَ أَخْرَجُوا خُرَازِمَةَ وَبَنِي بَكْرِ عَنْ مَكَّةَ ، وَلَنَا قَرَابَاتٌ وَأَرْحَامٌ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَرْحَبًا بِكُمْ وَأَهْلًا ، مَا أَعْرِفُنِي بِكُمْ ، مَا مَنَعَكُمْ مِنْ تَحِيَّةِ الْإِسْلَامِ » ؟
قالوا : قَدِمْنَا مَرْتَادِينَ لِقَوْمِنَا .^(١) وَسَأَلُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ أَمْرِ دِينِهِمْ فَأَجَابَهُمْ فِيهَا ، فَاسْلَمُوا وَأَقَامُوا أَيَّامًا ، ثُمَّ أَنْصَرَفُوا إِلَى أَهْلِيهِمْ ، وَأَمْرٌ لَهُمْ بِجَوَازِ كَمَا كَانَ يُبَيِّزُ الْوَفْدَ ، وَكَسَا أَحَدَهُمْ بُرْدًا .

قال : وَوَقَدْ زَمَلَ بْنِ عَمْرِو الْعُدْرِيِّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ حِينَ وَفَدَ :

إِلَيْكَ رَسُولَ اللَّهِ أَعْمَلْتُ نَصَّهَا * أَكَلَفَهَا حَرًّا وَقَوْزًا مِنَ الرَّمْلِ^(٣)
لَأَنْصَرَ خَيْرَ النَّاسِ نَصْرًا مُؤَزَّرًا * وَأَعْقَدَ حَبْلًا مِنْ جِبَالِكَ فِي حَبْلِي^(٤)
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا شَيْءَ غَيْرُهُ * أَدِينُ لَهُ مَا أَثْقَلْتُ قَدَمِي تَعْلِي^(٥)

(١) في شرح المواهب : « مرتادين لأنفسنا ولقومتنا » . والمرتاد الطالب للشيء .

(٢) في أسد الغابة : « وقيل زميل بن ربيعة ، وقيل زميل بن عمرو بن العزير خشاف .

(٣) نص الناقة : استخرج أقصى ماعنها من السير . والحزن (بالفتح فالسكون) : ما غلظ من الأرض . والقوز : المستدير من الرمل ، والكثيب المشرف .

(٤) مؤزرا : بالغا شديدا . والحبل : العهد .

(٥) في الأصل : « رجلى » والتصويب من الطبقات : يريد ما دميت حيا .

قال : وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما سمع من صَته ، فقال : « ذلك مؤمن الجن » ^(١) وعقد له رسول الله صلى الله عليه وسلم لواءً على قومه ، فشهد به ^(٢) بعد ذلك صَفين مع معاوية ، ثم شهد به المرج فقتل . ^(٣)

ذكر وفدِ سَلامان

- قال ابن سعد : وفد سبعة من سَلامان على رسول الله صلى الله عليه وسلم في شوال سنة عشر ، فصادفوه وهو خارج من المسجد إلى جنازة ، فقالوا : السلام عليك يا رسول الله ، قال : « وعليكم [السلام] من أتم » ؟ قالوا : نحن من سَلامان ، قدمنا لتبايعك على الإسلام ، ونحن على مَنْ وراءنا من قومنا . فأمر ثوبان ^(٤) فأتهم حيث يتزل الوفد ، فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر جلس بين بيته وبين المنبر ، فقدموا إليه فسألوه عن أشياء من أمر الصلاة وشرائع الإسلام ، وعن الرِّق فأجابهم وأسلموا ، وأجاز كل رجلٍ منهم خمس أواق ، ورجعوا إلى بلادهم .

- (١) في الإصابة : « وذلك من مؤمنى الجن » . (٢) صَفين كسجين : موضع على الفرات قرب الرقة ، مشهور بالوقعة بين علي ومعاوية رضى الله عنهما ، وفيها قتل عمار بن ياسر وهو مع علي .
(٣) هومرج راهط : موضع في الغوطة من دمشق ، وفيه كانت الواقعة بين الضحاك بن قيس ومروان بن الحكم سنة ٧٤ هـ قتل فيها الضحاك ، واستقام الأمر لمروان ولبيته من بعده .
(٤) قال في شرح المواهب : « سلامان بفتح المهملة وخفة اللام : بطن من قضاة ينسبون إلى جدِّهم الأعلى سلامان بن سعد بن زيد بن لوث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاة » .
(٥) الزيادة من شرح المواهب . (٦) ثوبان : مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ هو ابن مجدد وقيل ابن مجددر ، حميرى من اليمن أو من الصراة ، اشتراه رسول الله فاعتقه .
(٧) دار رطلة بنت الحارث منزل الوفود . (٨) في شرح المواهب : « قال حبيب — وهو أحد أعضاء الوفد — وسأله عن رقية العنن وذكرها له فأذن لها فيها » .

ذكر وفد كلب

قال محمد بن سعد بسنده إلى عبد بن عمرو بن جيلة بن وائل بن الجلاح الكلبى^(١)،
قال : شخّصت أنا وعصام^(٢) - رجل من بني رقاش من بني عامر - حتى أتينا النبي
صلى الله عليه وسلم ، فعرض علينا الإسلام فأسلمنا .

وقال بسند آخر إلى ربيعة بن إبراهيم الدمشقي قال : وقد حارثه بن قطن بن
زابر بن حصن بن كعب بن عليم الكلبى^(٣) ، وحمل بن سعدانة بن حارثة بن مفضل^(٤)
ابن كعب بن عليم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلموا ، فعقد لحمل بن سعدانة
لواء ، فشهد به صفين مع معاوية ، وكتب لحارثة بن قطن كتابا فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من محمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
لأهل دومة الجندل وما يليها من طوائف كلب مع حارثة بن قطن ، لنا الضاحية^(٥) »

(١) بعضهم ذكره بالإضافة : « عبد عمرو » وهو المتبادر ، والبعض ذكره كجها .

(٢) نسبة إلى جدهم كلب بن وبرة (بفتح الواو والموحدة من قبائل قضاة) .

(٣) عصام : هو ابن عامر الكلبى وهو الذى كان يتولى نسك صنم لهم يقال له (عمرة) نسع صوتا
من جوفه يقول له : « يا عصام يا عصام ، جاء الإسلام ، وذهبت الأصنام ، ووصلت الأرحام » ففرعوا
منه ، فشخص هو وعمرو بن جيلة حتى أتوا رسول الله فأخبروه بما سمعوا ، فدعاهم إلى الإسلام فأسلموا .

(٤) زابر : رأى بعدها ألف فباء فراء كذا ضبطه أسد الغابة ، وفي الأصول وابن سعد : زابر ولم يجد
من رسمه بهذا ، وقال : « بن كعب بن حصن » ومثله في الاستيعاب ، والأصول كلها على تقديم حصن .

(٥) حل بمهملة وميم مفتوحين ابن سعدانة بن حارثة بن مفضل ، كذا في الإصابة وأسد الغابة :

مفضل من عقل . (٦) دومة الجندل : حصن مشهور حوله قرى ، فيه وقع التحكيم بين علي
ومعاوية . وهو في طريق المدينة المنورة من الشام قرب جبل طي . كانت به بنو كنانة من كلب . سميت
بدومة الجندل لأن هذا الحصن مبنى بالجندل . (٧) الضاحية : « الظاهرة البارزة من العارة ،
والبلل : النخل الذى شرب بالعروق من الأرض من غير حق لقرب ماؤها . » والضاحية من النخل : هو
الذى كان داخلها في العارة وتضمنته أمصارهم وأقراهم . وفي هامش ج : « الضاحية التى لا يترطب ببرها . »

من البعل، ولكم الضأينة من النخل؛ على الجارية العشر، وعلى الغائرة نصف العشر،^(١)
لا يجمع سارحكم، ولا تعد فاردتكم،^(٢) فيمونها الصلاة لوقتها، وتؤتون الزكاة بحقها،^(٣)
[ولا يحظر عليكم] الثبات، ولا يؤخذ منكم عشر الثبات،^(٤) لكم بذلك العهد والميثاق،^(٥)
ولنا عليكم النصح والوفاء، وذمة الله ورسوله، شهد الله ومن حضر من المسلمين.

ذكر وفد جرم

قال ابن سعد : وقد على رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلان من جرم، يقال^(٦)
لأحدهما : الأسقع بن شريح بن صريم بن عمرو بن رياح بن عوف بن عبيدة بن الهون^(٧)
ابن أعجب بن قدامة بن جرم [بن ربان] بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة.^(٨)
(١) الجارية : التي تسقى بالماء الجارى ، والغائرة : التي تسقى بالماء الغائر في الأرض كالآبار .

وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم : « فبأست الساء والأنهار والعيون العشر ، وبأست السواني أو النصح
نصف العشر » السواني جمع سانية : البئر يستقى عليه من البئر ، والنصح الماء الذي يستقى بالهوال
وهي الدلاء أو المنجنون . (٢) كذا في الأصول والطبقات . والسارح : الماشية التي تروح
إلى الرعى ، وهي السائمة ، أى لا يجمع لأخذ الزكاة ، وإنما تؤخذ منها في مراعيها متفرقة ، أو الخطاب
لمجموعهم ؛ أى لا تضم سوائهم بعضهم إلى بعض عند الزكاة . وفي النهاية : « لا تعدل سارحكم
أى لا تصرف ماشيتكم عن مرعى تريده » . (٣) الفاردة : هي الزائدة على الفريضة ؛
أى لا تضم إلى غيرها فتعد معها وتحب (النهاية) ، وفي الأصول والطبقات : « لا تعدل فاردتكم »
وهو تصحيف وما أثبتناه عن النهاية وغيرها . (٤) الزيادة من الطبقات ؛ أى لا تمنعون من
الزراعة حيث شئتم . كذا في النهاية ، والذي يبادر أن المعنى لا تمنعون من الرعى حيث شئتم مما هو ليس
بحق لأحد لقاعدة : المباح لمن سبق إليه ، وهذا من الأصول المرعية ، فالحديث يقررها .

(٥) الثبات : هو المتاع الذي ليس عليه زكاة مما لا يكون للتجارة . (٦) جرم : بفتح الجيم
نسبة إلى جدهم جرم بن ربان (بالياء الموحدة المشددة) . (٧) الأسقع بالسين المهملة
كما في الإحابة وأسد الغابة ، وفي الأصول والطبقات بالصاد . (٨) رياح بكسر الراء والياء تحتها
نقطتان كما في أسد الغابة والإحابة . (٩) الزيادة من الطبقات ، وقد ضبطه بالراء والياء .
وقد تقدم أنه ربان بالموحدة تحته قبلها راء كما في الاشتقاق والقاموس .

(١٠) الحاف : مما حذفت العرب ياءه أجترأ بالكسرة ، كقولهم العاص في العاصي .

والآخر : هُوَذَةُ بن عمرو بن يزيد بن عمرو بن رباح ، فأسلمها وكتب لها رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا .

وروى عن أبي يزيد - وقد قيل فيه بالباء الموحدة أبو يزيد - عمرو بن سلمة الجرمي أن أباه ونفسرا من قومه ، وفدوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم حين أسلم الناس ، وتعلموا القرآن وقضوا حوائجهم ، فقالوا : يا رسول الله من يصلي بنا ، أو لنا ؟ فقال : « لِيَصَلُّ بِكُمْ أَكْثَرُكُمْ جَمْعًا - أَوْ أَخَذًا - للقرآن » . قال : فجاءوا إلى قومهم فلم يجدوا فيهم أحدا أكثر أخذًا ، أو جمع من القرآن ما جمعت ، أو أخذت ، قال : وأنا يومئذ ظلامٌ على شملة^(١) ، فقد منوني فصليت بهم ، فما شهدتُ جمعا من جرم إلا وأنا إمامهم إلى يومى هذا .

وعن عمرو بن سلمة أيضا قال : كنا بحضرة ماءٍ ممرَّ الناس عليه ، وكنا نسألهم ، ما هذا الأمر ؟ فيقولون : رجلٌ يزعم أنه نبي ، وأن الله أرسله ، وأن الله أوحى إليه كذا وكذا ، فجعلتُ يومئذ لا أسمع شيئا من ذلك إلا حَفَظْتُهُ ، كأنما يغري في صدري بغراء ، حتى جمعتُ فيه قرآنا كثيرا ، وكانت العرب تلوم بإسلامها الفتح ، يقولون : أنظروا فإن ظهر عليهم فهو صادق ، وهو نبي . فلما جاءتنا وقعة الفتح بادر كل قوم بإسلامهم ، فأنطلق أبي بإسلام حوائنا ذلك ، وأقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله أن يُقيم ، ثم أقبل فلما دنا منا تلقيناه ، فقال : جئكم والله من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حَقًّا ، ثم قال : إنه يأمركم بكذا وكذا ،

(١) في أسد الغابة : « يؤمكم أقرؤكم » .

(٢) في الطبقات : في « شملة » ، والشملة كساء صغير يوزر به .

(٣) يغري : يلصق به ، يقال : غرى هذا الحديث بالكسر يغري بالفتح كأنه ألصق بالغراء .

(٤) تلوم أى تنظر ، أراد تلوم يحذف إحدى التائين تحفيقا .

وبنهاكم عن كذا وكذا، وأن تصلوا صلاة كذا في حين كذا، وصلاة كذا في حين كذا،
إذا حضرت الصلاة فليؤذن أحدكم ، وليؤمكم أكثركم قرآنا . فنظر أهل حواننا^(١)
فما وجدوا أحدا أكثر قرآنا مني للذي كنت أحفظه من الرُكبان ، فقدموني بين
أيديهم ، فكنتُ أصلي بهم وأنا ابن ست سنين ، وكان علي بردة كنتُ إذا سجدتُ
تقلّصتُ عني ، فقالت امرأة من الحبي : ألا تفتنون عنا آست قارئكم ؟ فكسّوني^(٢)
قبصا من معقد البحرين^(٣) ، فما فرحتُ بشيء أشد من فرحي بذلك القميص .
ومن رواية أخرى عنه : فعلموني الركوع والسجود ، فكنتُ أصلي بهم .

ذكر وفد الأزد وأهل جرش

قالوا : قدم صرد بن عبد الله الأزدی في بضعة عشر رجلا من قومه ، وفدا
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فترّلوا على قروّة بن عمرو ، وأتوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم فاسلموا ، وأقاموا عشرة أيام ، وكان صرد أفضلهم ، فأمره رسول الله
صلى الله عليه وسلم على من أسلم من قومه ، وأمره أن يجاهد بهم من يليه ، من أهل
الشرك من قبائل اليمن ؛ فخرج حتى نزل جرش^(٤) وهي مدينة حصينة مغلقة ، وبها

(١) الجوا . (بالحاء المهملة وواو ممدودة) : بيوت مجتمعة من الناس على ماء .

(٢) في أسد الغابة عن عمرو : قال أمنت قومي على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا غلام ابن

ست أو سبع سنين . . . (٣) تقلّصت : انزوت . (٤) المعقد : ضرب من برود هجر ،

وهي من قرى البحرين معروفة بهذه البرود ، كما عرفت هجر المدينة بقلالها ، فيقال : قلال هجر .

(٥) الأزد : بهززة مفتوحة وزاى ساكنة ودال مهملة ، ويقال بالسين لتقارب مخرجهما إلا أن

المشهور الأول ، والأزد من أكبر الأرومات القحطانية ، وهم ثلاثة : أزد عمان ، وأزد شنوءة ، وأزد

الرساة . وجرش (كزفر) : بخلاف من اليمن ؛ أي ناحية ، ومدينة أيضا . (٦) هذه المدينة

ينسب إليها جلود ونوق ، فيقال : أديم جرشى وناقة جرشية ؛ فتحت جرش سنة عشر من الهجرة صلحا .

قبائل من قبائل اليمن . وقد صَوَّتَ إليهم خَنَمٌ ^(١) ، فدخلوا معهم حين سمعوا بمسير المسلمين إليهم ، فحاصروهم صُرْدَ ومن معه فيها شهرا ، ثم رجع قَائِلًا ، حتى إذا كان إلى جبل لهم يقال له شُكْرٌ ، ظَنَّ أَهْلُ جُرَشٍ أَنَّهُ إِنَّمَا وَلَّى عَنْهُمْ مِنْهُمْ ، فخرجوا في طلبه حتى إذا أدركوه صَفَّ صُفُوفَهُ ، وحمل عليهم هو والمسلمون ، ووضعوا سيوفهم فيهم حيث شاءوا ، وأخذوا من خيلهم عشرين فرسا ، فقاتلهم عليها نهارا طويلا .

وكان أهل جُرَشٍ يبعثوا رجلين منهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة يرتادان وينظران ، فبينما هما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عَشِيَّةً بعد العصر ، إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بَأَيِّ بِلَادِ اللَّهِ شُكْرٌ ؟ » فقال الجُرَشِيَّانِ فقالا : يا رسول الله ، ببلادنا جبل يقال له كَشْرٌ ، وكذلك نسميه أهل جُرَشٍ ، فقال : « إِنَّهُ لَيْسَ بِكَشْرٍ وَلَكِنَّهُ شُكْرٌ » ، قالوا : فما شأنه يا رسول الله ؟ قال : « إِنَّ بُدْنَ اللَّهِ لَتُنْتَحَرُ عِنْدَهُ الْآنَ » قال : فجلس الرجلان إلى أبي بكر ، أو إلى عثمان ^(٢) . فقال لهما : وَيَحْكَا ! إن رسول الله صلى الله عليه وسلم الْآنَ لَيَنْتَعِي لَكُمَا قَوْمَكُمَا ، فقوموا إلى رسول الله فَسَلِّاهُ أَنْ يَدْعُو اللَّهَ أَنْ يَرْفَعَ عَنْ قَوْمَكُمَا . فقاما إليه فسألاه ذلك .

فقال : « اللَّهُمَّ أَرْفَعْ عَنْهُمْ » فخرجوا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين إلى قومهما ، فوجدا قومهما قد أصيبوا من صُرْدَ في اليوم الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال في تلك الساعة ، فقصا على قومهما القِصَّةَ ، ففرح وفدهم حتى قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسَامُوا ، فقال : « مَرْحَبَا بِكُمَا ،

(١) ضوى إليه : انضم ولجأ ، وخَنَمٌ من قبائل اليمن ، قالوا : إنهما من معد بن عدنان تزحوا إلى اليمن فصاروا منه .

(٢) هذا شك من الراوى . والعبارة في المواهب : « إلى أبي بكر وعثمان فقالا لها ... » الخ .

(١) أحسن الناس وجوهاً، وأصدقاه لقاءً، وأطيبه كلاماً، وأعظمه أمانةً، أتم مني وأنا منكم » وجعل شعارهم مبروراً ، وحى لهم حى حول قريتهم ، على أعلام معلومة للفرس والراحلة ولثيرة — بقرة الحوث — فن راعاه من الناس فآله صحت .

ذكر وفد غسان

- قال محمد بن سعد بسنده إلى محمد بن بكير القسائي^(٤) ، عن قومه من غسان ، قالوا : قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان سنة عشر ، المدينة ونحن ثلاثة نفر ، فنزلنا دار رملة بنت الحارث ، ثم أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمنا وصدقنا ، فأجازهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بجوائز وأنصرفوا راجعين ، فقدموا على قومهم فلم يستجيبوا لهم ، فكتبوا إسلامهم حتى مات منهم رجلا^(٥) مسلمين ، وأدرك الثالث عمر بن الخطاب عام اليرموك ، فلقى أبا عبيدة نخبة بإسلامه فأكرمه .

٣٣
١٦

ذكر وفد الحارث بن كعب

وما كتب به رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم

- قال ابن سعد : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد في أربعائة من المسلمين ، في شهر ربيع الأول سنة عشر إلى بني الحارث بن كعب بنجران^(٧) ،
- (١) كذا في جميع الأصول والطبقات ، ولفظ الناس وضع للجميع : كالقوم والرهط والفر ؛ يصح جمع ضميره وإفراده وتذكيره وتأنيته . (٢) أعلام (جمع علم) : وهو الفصل بين الأرضين . (٣) ماله صحت : هدر . (٤) في الطبقات : « عن قومه غسان » . (٥) هكذا في الأصول والطبقات ، واللفظ حال من التركة بدون مسوغ ، وقد ورد في البخاري : « وصلى وراءه رجال قياما » . (٦) في الطبقات : « فكان بكرمه » . (٧) بنجران اليمن ؛ وهو موضع من ناحية مكة ، قالوا : سميت بنجران بن زيد بن سبأ لأنه نزل بها ، وكانوا على النصرانية حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفي بنجران هذا وقعت حادثة أصحاب الأخدود .

وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام ثلاثاً قبل أن يقاتلهم ففعل ، فاستجاب له من
 هناك من بلحارث بن كعب ، ودخلوا في الإسلام ، ونزل خالد بن الوليد بين
 أظهرهم ، فلمهم الإسلام وشرائعه ، وكاتب الله وستة نبيه صلى الله عليه وسلم ،
 وكتب بذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكتب رسول الله صلى الله
 عليه وسلم إلى خالد : « أن بشرهم وأنذرهم وأقدم ومعك وفدكم » ، فقدم خالد
 ومعه وفدكم ، فيهم قيس بن الحُصَيْن ، ويزيد بن عبد المَدَّان ، وعبد الله بن
 عبد المَدَّان ، ويزيد بن الحُجَل ، وعبد الله بن قُرَادٍ ، وشَدَّاد بن عبد الله القَنَاطِي ،
 وعمرو بن عبد الله ، وأنزلهم خالد عليه ، ثم جاء بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فقال : « من هؤلاء الذين كأنهم رجال الهند ؟ فقيل : بنو الحارث بن كعب ،
 فسأموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً
 رسول الله ، فأجازهم بعشر أواق ، وأجاز قيس بن الحُصَيْن بأثنتي عشرة أوقية
 ونس ، وأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم على بنى الحارث ، ثم أنصرفوا إلى
 قومهم في بقية شَوال . هذا ما حكاه ابن سعد في طبقاته .

وقال ابن إسحق : لما وقفوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم سلموا عليه ، وقالوا :
 نشهد أنك رسول الله ، وأنه لا إله إلا الله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أتم
 الذين إذا زُجروا استقدموا » ؟ فسكتوا ، فلم يراجعهم منهم أحد ، فأعادها عليهم
 الثانية والثالثة ، فلما أعادها الرابعة قال يزيد بن عبد المَدَّان : نعم يا رسول الله ، نحن
 الذين إذا زُجروا استقدموا ، قالها أربع مرار ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(١) العرب يقولون في بنى العباس : بعباس ، وبنى الحارث بلحارث ، وبنى العرب بلعرب ، وذلك
 طلباً للتخفيف . (٢) كذا في الأصول والطبقات ويروى فذاذ ، وفي الإسماعية : قراد وقداد ،
 ويروى عبد الله بن قريظ . (٣) المراد : إذا حنوا وحلوا على القتال تادوا وتجموا وتقدموا .

«لَوْ أَنَّ خَالِدًا لَمْ يَكْتُبْ إِلَى أَنْكُمْ أَسْلَمْتُمْ وَلَمْ تَقَاتِلُوا لَأَلْقَيْتُ زُبُوسَكُمْ تَحْتَ أَقْدَامِكُمْ»
 فقال يزيد بن عبد المَدَّان: أَمَّا وَاللَّهِ مَا حَمِدْنَاكَ وَلَا حَمِدْنَا خَالِدًا، قَالَ: «فَمَنْ حَمِدْتُمْ؟»
 قالوا: حَمِدْنَا اللَّهَ الَّذِي هَدَانَا بِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «صَدَقْتُمْ»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بِمَ كُنْتُمْ تَغْلِبُونَ مَنْ قَاتَلَكُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ؟» قالوا: لَمْ نَكُنْ
 نَغْلِبْ أَحَدًا. قَالَ: «بَلَى قَدْ كُنْتُمْ تَغْلِبُونَ مَنْ قَاتَلَكُمْ» قالوا: كُنَّا نَغْلِبُ مَنْ قَاتَلَنَا
 يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا كُنَّا نَجْتَمِعُ وَلَا نَتَفَرَّقُ، وَلَا نَبْدَأُ أَحَدًا بِظُلْمٍ، قَالَ: «صَدَقْتُمْ».
 وَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى بَنِي الْحَارِثِ قَيْسَ بْنِ الْحَصَنِ، وَأَجَازَهُمْ
 بِعَشِيرَةِ أَوَاقٍ عَشِيرَةِ أَوَاقٍ، وَأَجَازَ قَيْسَ بْنِ الْحَصَنِ بِأَثْنَتَيْ عَشْرَةِ أُوقِيَّةٍ وَنَشَّ، ثُمَّ انْصَرَفُوا
 إِلَى قَوْمِهِمْ فِي بَقِيَّةِ شَوَّالٍ، أَوْ فِي صَدْرِ ذِي الْقَعْدَةِ، فَلَمْ يَكُنُوا بَعْدَ أَنْ رَجَعُوا
 إِلَى قَوْمِهِمْ إِلَّا أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ حَتَّى تَوَفَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قَالَ: وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ إِلَيْهِمْ بَعْدَ أَنْ وَلَّى وَفَدَهُمْ
 عَمْرُو بْنُ حَزْمٍ لِيَفْقَهُهُمْ فِي الدِّينِ وَيُعَلِّمَهُمُ السُّنَّةَ، وَيُعَلِّمَهُمُ الْإِسْلَامَ، وَيَأْخُذُ مِنْهُمْ
 صَدَقَاتِهِمْ. وَكُتِبَ لَهُ كِتَابًا وَهُوَ:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. هَذَا بَيَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ (١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوفُوا
 بِالْعُقُودِ (٢) عَهْدٌ مِنْ عَهْدِ النَّبِيِّ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لِعَمْرُو بْنِ حَزْمٍ حِينَ

(١) هَكَذَا فِي الْأَصُولِ وَالَّذِي فِي شَرْحِ الْمَوَاحِبِ: مَعَالِمُ الْإِسْلَامِ. وَفِي الطَّبَقَاتِ: «يُعَلِّمُهُمُ الْإِسْلَامَ

وَشَرَاتِهِ».

(٢) الْعُقُودُ (جَمْعُ عَقْدٍ): وَهُوَ الْعَهْدُ اسْتَعِيرَ مِنَ الْجَمْعِ بَيْنَ أَطْرَافِ الشَّيْءِ، قَالَ الرَّاعِبِيُّ: يَسْتَعْمَلُ ذَلِكَ
 فِي الْأَجْسَامِ الصَّلْبَةِ كَعَقْدِ الْحَبْسِ وَعَقْدِ الْبِنَاءِ، ثُمَّ اسْتَعِيرَ ذَلِكَ لِلْعَامِيِّ نَحْوَ عَقْدِ الْبَيْعِ وَالْعَهْدِ. وَالْعَهْدُ:
 الْأَمَانُ وَالْمَوْثِقُ وَالذِّمَّةُ. وَالْآيَةُ شَامِلَةٌ لِكُلِّ ارْتِبَاطٍ شَرْعِيٍّ بَيْنَ طَرَفَيْنِ فَيَجِبُ الْوَقْفُ بِهِ كَأَمْرِ اللَّهِ، وَكَذَلِكَ
 مَا عَقَدَهُ عَلَى نَفْسِهِ اللَّهُ مِنْ طَاعَاتٍ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ كَالْحَجِّ وَالصُّومِ وَغَيْرِهَا، أَمَا مَا لَا يَجُوزُ كَنَذَرٍ بِمَعْصِيَةِ فَقَدْ
 قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ نَذَرَ أَنْ يَطِيعَ اللَّهَ فَلْيَطِيعْهُ وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَ اللَّهَ فَلَا يَعْصِهِ».

بعثه إلى اليمن أمره بتقوى الله في أمره كله **﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾** ، وأمره أن يأخذ الحق كما أمره الله ، وأن يبشر الناس بالخير ويأمرهم به ، ويعلم الناس القرآن ويفقههم فيه ، وينهى الناس ، ولا يمس القرآن إنسان إلا وهو طاهر ، ويخبر الناس بالذي لهم والذي عليهم ، ويبلغ للناس في الحق ، ويستد عليهم في الظلم ، فإن الله كره الظلم ، ونهى عنه ، فقال : **﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾** ، ويبشر الناس بالجنة ويعملها ، ويُنذر الناس النار وعملها ، ويستألف ^(١) الناس حتى يفقهوا في الدين ، ويعلم الناس معالم الحج وسنته وفريضته ، وما أمر الله به ، والحج الأكبر : الحج الأكبر ، والحج الأصغر هو العمرة ، وينهى الناس أن يصلي أحد في ثوب واحد صغير ، إلا أن يكون ثوبا يُثني طرفه على عاتقيه ، وينهى أن يحتمي أحد في ثوب واحد يقضى بفرجه إلى السماء ، وينهى أن يعقص أحد شعر رأسه في قفاه ، وينهى إذا كان بين الناس هيج ^(٢) عن الدعاء إلى القبائل والعشائر ، وليكن دعواهم إلى الله وحده لا شريك له ، فمن لم يدع إلى الله ودعا إلى القبائل والعشائر فليُقطفوا بالسيف ^(٣) ، حتى تكون دعواهم إلى الله وحده

(١) يستألف الناس : يكتب مودتهم وألقبهم وإيتائهم . (٢) الاحتباء أن يضم الإنسان رجله إلى بطنه بثوب يجمعها به مع ظهره ويشد عليها ، وقد يكون الاحتباء بالدين عوض الثوب ، ونماهى عنه لأنه إذا لم يكن عليه إلا ثوب واحد ربما تحرك أو زال الثوب فتبدو عورته . (النهاية) . (٣) عقص الشعر : صفه ، قال في النهاية : أصل العقص اللى وإدخال أطراف الشعر في أصوله ، ومنه حديث ابن عباس رضي الله عنهما : « الذي يصلي ورأسه معقوص كالذي يصلي وهو مكتوف » أراد أنه إذا كان شعره منشورا سقط على الأرض عند السجود فغطى صاحبه ثواب السجود به ، وإذا كان معقوصا صار في معنى ما لم يسجد ، وشبهه بالمكتوف وهو المشدود اليدين لأنهما لا يقعان على الأرض في السجود . (٤) الهيج : الثورة : هاج بهيج هيجا وهيجانا وهياجا بالكسر تار ، والمراد إذا وقع اضطراب بين الناس وتنادوا بالقبائل كما يفعل الجاهلية ؛ أمرهم بالدعاء إلى الله تعالى ونهاهم عن دعوة الجاهلية وهي التنادى بالقبائل . (٥) القطف : القطع ، ومن هذا المعنى قول الحجاج في خطبته : « أرى رموا قد أينعت وحان قطافها » يعني جنبنا كما تنجي النار وهو قطفها .

لاشريك له ، ويأمر الناس بإسباغ الوضوء وجوههم وأيديهم إلى المرافق ، وأرجلهم إلى الكعبين ، ويمسحون برءوسهم كما أمرهم الله ، وأمر بالصلاة لوقتها ، وإتمام الركوع والخشوع ، يُقَلَّسُ بالصَّحْبِ ، وَيَهْجَرُ بالهاجرة حين تَمِيلُ الشمس ، وصلاة العصر والشمس في الأرض مُدْرِيَّة ، والمغرب حين يُقْبِلُ الليل ، لا تُوَخَّرُ حتى تَبْدُو النجوم في السماء ، والعشاء أول الليل ، وأمر بالسَّعي إلى الجمعة إذا نودي لها ، والغُلُّ عند الرُّواح إليها ، وأمره أن يأخذ من المغنم خمس الله ، وما كَتَبَ على المؤمنين في الصَّدقة من العِقَارِ عَشْرًا ما سَقَتِ العينُ وسَقَتِ السماء ، وعلى ما سقى الغرب نصف العشر ، وفي كل عَشْرٍ من الإبل شاتان ، وفي كل عَشْرِينَ من البقر بقرة ، وفي كل ثلاثين من البقر تبع : جَذَعٌ أو جَذَعَةٌ ، وفي كل أربعين من الغنم سائمةٌ وحدها شاةٌ ، فإنها فريضة الله التي آفترض على المؤمنين في الصَّدقة ، فمن زاد خيرا فهو خير له ، وأنه من أسلم من يهودى أو نصرانى إسلاما خالصا من نفسه ، ودان بدين الإسلام فإنه من المؤمنين ، له مثل ما لهم وعليه مثل

(١) القلنس محركة : ظلبة آخر الليل إذا اختلطت بضوء الصباح ، وُغِلْسُوا دخلوا فيها ، وُغِلْسُوا ، بَشَدَ

اللام : ساروا ووردوا بقلنس . (٢) هجر ، بالثاء تهجيرا : سار في الهاجرة أى يبادر بصلاة الهاجرة ،

وهي صلاة الظهر حين تميل الشمس وهو أول الوقت . (٣) العذر ، بالفتح : الضيقة والنخل والأرض

ونحو ذلك . (النهاية) . (٤) الغرب ، بسكون الراء : الدلو العظيمة فإذا فتحت الراء فهو الماء .

السائل بين البئر والحوض ، والمراد في الحديث الدلو كما هو صريح رواية النسائي «وما سقى بالدوالي نصف

العشر» والدوالي جمع الدلاء . وهي جمع الدلو ، وقال بعضهم : الدوالي جمع دالية وهي آلة لإخراج الماء .

(٥) التبع : ولد البقرة لسنة : سمى تبعيا لأنه يتبع أمه فعيل بمعنى فاعل . في الترمذى وابن ماجه : «في

ثلاثين من البقر تبع أو تبعية» والمراد بالتبع العجل السابع لأنه لهذا فسر عليه الصلاة والسلام بقوله :

«جذع أو جذعة» ويوضح هذا رواية النسائي عن معاذ بن جبل حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم

إلى اليمن فقال : «أمرني رسول الله حين بعثنى إلى اليمن ألا أخذ من البقر شيئا حتى تبلغ ثلاثين ، فإذا

بلغت ثلاثين ففعل ما بعثتني عليه من البقر» . (٦) السائمة : هي التي تركت ترعى وحدها للنمو

والزيادة ، ووصف السوم هو مناط الحكم في الزكاة .

ما عليهم، ومن كان على نصرانيته أو يهوديته، فإنه لا يُرد عنها، وعلى كل حالم ذكر^(١)
أو أنثى حر أو عبد ديناراً وافر، أو عوضه ثياباً، فمن أدى ذلك فإن له ذمة الله
وذمة رسوله، ومن منع ذلك فإنه عدو لله ورسوله وللمؤمنين جميعاً، صلوات الله
على محمد والسلام عليه ورحمة الله وبركاته .

ذكر وفد عَنَس

قال محمد بن السائب الكلبي : حدثنا أبو زُفَر الكلبي عن رجل من عَنَس^(٢)،
قال : كان منّا رجل وقد طلى النبي صلى الله عليه وسلم فأتاه وهو يتعشى، فدعاه
إلى العشاء بفسل^(٣)، فلما تعشى أقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :
« أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله » فقال العنسي : أشهد أن^(٤)
لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله . فقال : « أراغباً جئت أم راهباً » فقال :
أما الرغبة فوالله ما في يدك مال، وأما الرهبة فوالله إنى لبيد ما تبلغه جيوشك،
ولكنى خُوفتُ نَخَفْتُ ، وقيل لى : آمِنُ بالله قَامَنْتُ . فأقبل رسول الله صلى الله
عليه وسلم على القوم فقال : « رَبِّ خَطِيبٍ من عَنَس » فكَثَّ يَخْتَلِفُ إلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم، ثم جاء يُودِّعُه ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« أخرج » وبنته، أى أعطاه شيئاً، وقال : « إن أَحْسَسْتَ شيئاً فوائِل إلى أذنِي^(٥) »
فخرج^(٦) .

(١) الحالم : الذى بلغ الحلم أى وهو عاقل ؛ لأن بلوغ الحلم مع العقل هو مناط التكليف .

(٢) لقب لجد القبيلة ، ومنها عمار بن ياسر رضى الله عنه .

(٣) فى أسد الغابة : « فدعاه إلى العشاء فأكل » .

(٤) فى الإجابة : « فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قل أشهد الخ » .

(٥) بنه أعطاه شيئاً : أى زاد .

(٦) بصيغة الأمر : أى التحجى .

(٧) أذنى : أقرب : فى أسد الغابة : « إلى أهل قرية » .

قرية . نفرج فُوعَك في بعض الطريق ، فَوَالَ إلى أَذنى قرية فأت رحمة الله ،
وَأَسَمَهُ ربيعة^(١) .

ذِكْر وفِد الدَارِيِّين وما كَتَبَ لَهُم بهِ رسول الله صلى الله عليه وسلم
وما أَخْتَصَّ بِهِ تَمِيم الدَارِي وإِخوته

- ٥ قال محمد بن سعد بسنده إلى عبيد الله بن عبد الله ، ورواح بن زيناك الجذامي
عن أبيه قالاً : قَدِمَ وفد الدَارِيِّين على رسول الله صلى الله عليه وسلم مُنْصَرَفَةً من
تَبُوكَ وهم عشرة نَفَرٍ ، فيهم تَمِيم ونُعَيْم ابْنَا أَوْس بن خَارِجَة بن سُود بن جُدَيْمَة^(٢)
أَبْن ذِرَاع بن عَدَى بن الذَّار بن هَانِي بن حَبِيب بن ثُمَارَة بن نَحْم ، ويزيد بن قيس
أَبْن خَارِجَة ، والفاكه بن الثَّعْمَان بن جَبَلَة بن صَفَّارَة بن ربيعة بن ذِرَاع بن عَدَى
أَبْن الذَّار ، وجَبَلَة بن مالك بن صَفَّارَة ، وأبو هِنْد والطَّيِّب ابْنَا ذَر — قال أَبْن^(٣)
[إسحق] : بَر — وهو عبد الله بن ذَر بن عَمِيَّت بن ربيعة بن ذِرَاع ، وهَانِي بن
حَبِيب ، وعَزِيز ومُرَّة ابْنَا مالك بن سَوَاد . قال أَبْن إسحق : عَرَفَة . وقال أَبْن^(٤)
هشام : عَزَّة . وقال أَبْن إسحق في مُرَّة : مَرُوان^(٥) .

قال أَبْن سعد : فأسلموا وسَمَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم الطيب عبد الله ،
وسَمَّى عَزِيزاً عبد الرحمن .

١٥

- (١) في أسد الغابة : « فأحسن حساً » . أى وجعا .
(٢) في أسد الغابة والإصابة إن أسمه ربيعة بن رواء العنسي .
(٣) نسبة الداربيين إلى جدِّهم الدار بن هاني بن ثمارَة — بضم التوت — بن نحم بن عدى
ابن الحرث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبيل .
(٤) وقيل : سواد . (٥) وقيل : خزيمية .
(٦) القائل هو أَبْن إسحق كما في سيرة أَبْن هشام ، واللفظ ساقط من الأصول .
(٧) في نسخة : « أَبْن سود » . (٨) وقيل : « مران » .

٢٠

قال : وأهدى هانيئ بن حبيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم راوية تخمر وأفراسا وقياءً مخصوصاً بالذهب ، فقبل الأفراس والقياء وأعطاه العباس بن عبد المطلب ، فقال : ما أصنع به ؟ قال : « تترع الذهب فتحليه نساءك ، أو تستنقه ، ثم تبيع الديباج فتأخذ ثمنه » ، فباعه العباس من رجل من يهود بثمانية آلاف درهم .

قال وقال تميم : لنا جيرة من الروم ، لهم قريتان يقال لأحدهما حبرى والأخرى بيت عَيْنُون ، فإن فتح الله عليك الشام فهبهما لى ، قال : « فهما لك » فلما قام أبو بكر رضى الله عنه أعطاه ذلك ، وكتب له به كتابا ، وأقام وفد الدارين حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأوصى لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بجاد مائة وسق من خيبر ، هكذا حكى ابن سعد فى طبقاته .

وشاهدت أنا عند ورثة صاحب الوزير نضر الدين أبى حفص عمر ، ابن القاضى المرحوم الرئيس محمد الدين عبد العزيز المعروف بابن الخليل التميمى رحمه الله ، كتابا يتوارثونه كابرا عن كابر ، يقولون : هو كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كتبه لتيم الدارى وإخوته ، وهو فى قطعة من آدم مربعة دون الشبر قد غلقت بالأطلس الأبيض ، يزعمون أن ذلك من خوف كان لأمر المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وقد بقى بهذه القطعة الآدم آثار أحرف خافية ، لا تكاد تبين إلا بعد إمعان التأمل ، وتحقيق النظر ، وعلى هذه القطعة

(١) قباء : ضرب من الثياب ، ومخوص : مطرز بالذهب ومزين .

(٢) حبرى كسرى وتسمى حبرون كريتون ، وهى مدينة الخليل إبراهيم عليه السلام وغلب عليها اليوم وفيها قبره عليه الصلاة والسلام بزار ، وفى رواية كعب الأخبار أنه دفن فى قبر الخليل صلوات الله وسلامه عليه سارة وإلى جنبه إسحق ويعقوب . وعينون من قرى بيت المقدس بوزن هينون ولينون بسكون المثناة ؛ لفظ عبرى . (٣) فى الناج عن الأصمى : يقال لفلان أرض جاد مائة وسق ؛ أى مخرج مائة وسق إذا زرعت . وهو كلام عربى . (٤) الأطلس : الحرير ، وليس عبرى .

الآدم من الجلالة ولها من الموقع في النفوس والمهابة ما يقوى أنها صادرة عن المحل
 المنيف، ^(١) وقرين هذه القطعة الآدم قرطاس أبيض قديم، يزعمون أن أسلافهم
 نقلوا ما فيه من الكتابة من كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، قبل أن تزول
 حروفه. وفيه تسعة أسطر بما في ذلك من البسملة، وقد رأينا أن نضع ذلك في هذا
 الكتاب على هيئته في العدد، وإن لم يوافق الخط، وهو :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أنطا محمد رسول الله تميم ^(٢)
 الداري وأخوته خبرون والمرطوم ^(٣)
 وبيت عيون وبيت إبراهيم وما فيهن
 نطيه بت يذمتهم ونفذت وسامت ذلك
 لهم ولأعقابهم فمن اذاهم اذاه
 الله فمن اذاهم لعنه الله شهد عتيق
 ابن ابو حنيفة وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان ^(٤)
 وكتب على بن ابو طالب وشهد .

(١) المنيف : المرتفع المشرف من أناف ينيف إنافة ايرقع وأشرف .

(٢) أنطى : أعطى ، بلغة أهل اليمن . التحقيق أنها لغة سعد بن بكر وهذيل والأزد وقيس
 والأنصار يجعلون العين الساكنة نونا إذا جاوزت الطاء . وقد قرئ بها « إنا أنطيناك الكوز » وهي
 قراءة الحسن ومطلحة بن مصرف وابن محيصن ، وقراءتهم من الشواذ . وقد شرف رسول الله صلى الله
 عليه وسلم هذه اللغة بالنطق بها فقال : « لا مانع لما أنطيت » في أحاديث . وقد تركنا الكتاب النبوي
 على وضعه كشرط المصنف حيث ذكره على هيئته .

(٣) مرطوم كذا في كل الأصول ، وصوابه مرطهوم كما في مستدرک النجاشي ، قال : « ومرطهوم اسم
 أرض جاء ذكرها في كتاب رسول الله إلى أبي شمر » .

(٤) كذا في الأصل ؛ تركناه على شرط المؤلف .

هكذا شاهدت تلك الورقة التي هي قرين الكتاب ، والكتاب بأيديهم إلى وقتنا هذا ؛ وهو العشر الآخر من ذى القعدة سنة ست عشرة وسبعمائة . وهذه الضياع الأربعة المذكورة بأيديهم إلى وقتنا هذا ، لا يُنَازَعُونَ فيها . وكان صاحب الوزير غفر الدين عمر بن الخليل رحمه الله ، إذا نابته نائبة ، أو صُودِرَ أو أُوذِيَ بوجه من وجوه الأذى ، تَوَسَّلَ إلى الله تعالى بكتاب نبيه صلى الله عليه وسلم ، وأظهره للوك ، فكفوا عن طلبه ، وأفرجوا عنه . ولترجع إلى أخبار الوفود .

ذكر وفد الرهاويين

والرهاويون حمى من مَذْحِج^(١) ، قال ابن سعد : وفد خمسة عشر رجلا من مَذْحِج على رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة عشر ، فزلوا دار رَمْلَةَ بنت الحارث ، فأثامهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحدث عنهم طويلا . وأهدوا الرسول صلى الله عليه وسلم هدايا ، منها فرس يقال له المِرواح ، فأمر به فشور بين يديه فأعجبه . فأسلموا وتعلموا القرآن والفرائض . وأجازهم كما يجيز الوفد ؛ أرفعهم ثنى عشرة أوقية ونساء ، وأخفضهم خمس أواق . ثم رجعوا إلى بلادهم .

ثم قدم منهم نفر فحجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأوصى لهم بحاجات مائة وسق من خير في الكتبية جارية عليهم ، وكتب لهم بها كتابا ، فباعوا ذلك في زمن معاوية .

(١) مَذْحِج ، مال مسجد : أبو قبيلة من اليمن ، وهو مَذْحِج بن يحابر بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ . قال سيوريه : الميم من نفس الكلمة ، ومَذْحِج أكمة ولدت عليها أهم فسموا بها .
(٢) شور : أبرى بين يديه ليعرف قوته .

ذكر وفد غامد

٣٦
١٦

قال : قدم وفد غامد^(١) على رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان وهم عشرة ، فزلوا بقيق الفرقد^(٢) ، ثم لبسوا من صالح ثيابهم ، ثم أطلقوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسندوا عليه وأقروا بالإسلام . وكتب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا فيه شرائع الإسلام ، وأتوا أبي بن كعب فعلمهم قرآنا . وأجازهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان يُجيز الوفد وأنصرفوا .

ذكر وفد النَّخَع

قالوا : بعث النَّخَع^(٣) رجلين منهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وافدين بإسلامهم ، وهما أَرْطاة بن سَراحيل بن كعب ، من بني حارثة بن سعد بن مالك بن النَّخَع ، والجهنيش وأسمه الأرقم ، من بني بكر بن عوف من النَّخَع ، فخرجا حتى قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعرض عليهما الإسلام فقبلاه وبأبعا عن قومهما ، فأعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم شأنهما ، وحسن هيتهما ، فقال : « هل خَلَقْنَا وراءكما من قومكم مثلكما ؟ » قالوا : يا رسول الله ، قد خَلَقْنَا وراءنا من قومنا سبعين رجلا كلهم أفضل منا ، وكلهم يَقْطَعُ الأمر ويُنْغِذُ الأشياء ، ما يشاء كوننا في الأمر إذا كان ، فدعا لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقومهما بخير ، وقال : « اللهم بارك في النَّخَع » . وعقد لأَرْطاة لواء على قومه ، وكان في يده يوم الفتح ، فشهد

(١) غامد : بطن من الأزد باليمن . نسبة إلى جدهم غامد واسمه عبدالله ، قبل سمي غامدا لوقوع ثوبين عثيرته ، فتعمد ذنوبهم أي غطاها وسترها ، وقيل غير ذلك .

(٢) بقيق الفرقد : أصل البقيق في اللغة الموضع الذي فيه أروم الشجر من ضررب شتى ، والفرقد كبار العوج . وبقيق الفرقد مقبرة أهل المدينة .

(٣) النَّخَع : قبيلة من مذحج ، سميت باسم جدها وسمي النَّخَع لأنه انخضع عن قومه : بعد عنهم .

به القادسية فقتل يومئذ، فأخذه أخوه دُرَيْدٌ فقتل — رحمهما الله — فأخذه سيف
أبن الحارث من بنى جذيمة، فدخل به الكوفة.

قال ابن سعد: أخبرنا محمد بن عمر الأسلمي، قال: كان آثر من قدم من
الوفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد النخع، وقدموا من اليمن للنصف من
الحرم، سنة إحدى عشرة، وهم مائتا رجل، فزلوا دار رَمْلَةَ بنت الحارث، ثم
جاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقرّين بالإسلام، وقد كانوا بايعوا معاذ بن جبل
باليمن، وكان فيهم زُرارة بن عمرو.

وحكى أبو عمر بن عبد البر في ترجمة زُرارة بن عمرو، وألّد عمرو بن زُرارة،
قال: قدّم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد النخع، فقال: يا رسول الله،
إني رأيت في طريق رؤيا هالتي. قال: «وما هي؟» قال: رأيتُ أَنَا أَنَا خَلَقْتُهَا^(١)
في أهلي ولدتُ جَذِيًّا أَسْفَعَ أَحْوَى^(٢)، ورأيتُ نارا خرجت من الأرض خالت بني
وبين أبي لي — يقال له عمرو — وهي تقول: لَقَطَى لَقَطَى، بصيرٌ وأعمى^(٣). فقال النبي
صلى الله عليه وسلم: «أخلفت في أهلك أمة ميسرة ولدا». قال: نعم. قال: «فإنها
قد ولدت غلاما وهو أبوك» قال: فما باله أَسْفَعَ أَحْوَى؟ قال: «آدن مني، أبك^(٤)
قد ولدت غلاما وهو أبوك» قال: فما باله أَسْفَعَ أَحْوَى؟ قال: «آدن مني، أبك^(٥)

(١) أَنَا: حارة أنثى ولا يقال أَنَا أَنَا، وجمع القلة آن كأعني والكثرة آن، بضمتين.

(٢) الجسد: الذكّر من أولاد المعزى. أسفع بزنة أحر: أسود مشرب بحمرة. أحوى:
كأنك كيد لما قبله؛ إذ الحوة (بالضم) سواد إلى خضرة، أو حمرة إلى سواد.

(٣) قال شارح المواهب: «كان معناه تفرق الناس فيها فرقتين، بصير عرف الحق فآتبعه،
وأعمى لم يهتد إلى طريق الحق فضل».

(٤) مسرة: تخفية حملا؛ وفي المواهب «مسرة» بالصاد، وقال شارحها: «من أصر على الشيء».

أقام عليه، والمراد حملها محقق ثابت «وما في الأصول يوافق ما في الاستيعاب، وهو الظاهر».

(٥) دفع به ما قد يدخل عليه من الريبة إذا رأى اللون الغريب.

بَرَصَ تَكْتُمُهُ ؟ قال : والذي بعثك بالحق ، ما عليه أحدٌ قبلك . قال : « فهو ذاك ، وأما النار فإنها فتنة تكون بعدى » . قال : وما الفتنة يا رسول الله ؟ قال : يقتل الناس إمامهم ، يَسْتَجِرُّونَ أَطْباقَ الرَّأْسِ ^(١) — وخالف بين أصابعه — دم المؤمن عند المؤمن أحلى من الماء ، يحسب المسىء أنه محسن ، إن ميتاً أدركت أبنك ، وإن مات أبنك أدركك » . قال : فأدع الله لى ألا تدركنى . فدعاه . قال : وكان قدوم زُرارة بن عمرو هذا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النصف من شهر رجب سنة تسع .

وقال الطبرى : قَدِمَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد النخ وهم مائتا رجل ، وفيهم زُرارة بن قيس بن الحارث بن عدي بن الحارث بن عوف بن جشم ابن كعب بن قيس بن مُنْقِذ بن مالك بن النخ فأسلموا .

ذكر وفد بجيلة

قال ابن سعد : قدم جرير بن عبد الله البجلي ^(٢) سنة عشر المدينة ، ومعه من قومه مائة وخمسون رجلا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يطع عليكم من هذا الفج من خير ذى يمن على وجهه مسحة ^(٣) ملك » فطلع جرير على راحلته ومعه قومه فأسلموا وبايعوا . قال جرير : فبسط رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فبايعنى ، وقال : « على أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأنى رسول الله ، ثم [تقيم] ^(٤) الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصوم شهر رمضان ، وتنصح للسلم ، وتطيع الوالى وإن كان عبدا حبشيا » فقال : نعم ، فبايعه .

(١) أطباق الرأس : غطاءه . والأشجار : الأشنك والاختلاف .

(٢) بجيلة : أمهم فسبوا إليها ؟ وهى بجيلة بنت صعب بن على بن سعد العنيزة .

(٣) مسحة ملك ، ومسحة جمال : أثر ظاهره . (٤) الزيادة من الاستيعاب لابن عبد البر .

وقدم قيس بن [أبي] غَرْزَةَ الْأَحْمَسِيِّ - وقيل غَرْزَةُ بن قيس البَجَلِيِّ -
 في مائتين وخمسين رجلاً من أَحْمَسَ ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 « من أنتم ؟ » فقالوا : نحن أَحْمَسُ ^(١) الله . وكان يقال لهم ذاك في الجاهلية . فقال
 لهم : « وأنتم اليوم لله » . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لِبِلَالٍ : « أعط
 ركب بَيْحِلَةً وَأَبْدَأُ بِالْأَحْمَسِيِّينَ » ففعل . وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم جَرِيرَ
 ابن عبد الله « ما فعل ذُو الْخُلَصَّةِ » ؟ قال : هو على حاله ، قد بقي والله ، يُرِيحُ مِنْهُ
 إن شاء الله ، فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هَذِمَةَ ، وعقد له إِيوَاءً فقال :
 إني لا أثبت على الخيل فمسح صدره ، وقال : « اللهم أجعله هادياً مهدياً » فخرج
 في قومه وهم زُهَاءُ مائتين ، فما أطال الغيبة حتى رجع ، فقال له رسول الله صلى الله
 عليه وسلم : « هَذِمَتَ » ؟ قال : نعم ، والذي بعثك بالحق ، وأخذتُ ما عليه
 وأحرقته بالنار ، فتركته كما يُسْوَأُ مَنْ يَهْوَى هَوَاهُ ، وما صَدَدْنَا عَنْهُ أَحَدٌ . قال قُبْرُكُ ^(٢)
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ على خيل أَحْمَسَ ورجالها .

ذكر وفد خَتَمَ

قالوا : وفد عَثَمْتُ بن زَحْرٍ ، وَأَنَسُ بن مُدْرِكٍ ، في رجال من خَتَمَ إلى
 رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما هدم جَرِيرُ بن عبد الله ذَا الْخُلَصَّةَ ، وقتل من
 قتل من خَتَمَ ، فقالوا : آمنا بالله ورسوله ، وما جاء من عند الله ، فأكتب لنا
 كتاباً نتبع ما فيه ، فكتب لهم كتاباً شهد فيه جَرِيرُ بن عبد الله ومن حضر .

(١) الزيادة من الاستيعاب وغيره . (٢) الحمس : قبائل من العرب صبروا بذلك لأنهم تحموا
 في دينهم أي تشددوا ؛ كانوا يقفون بمزدلفة ولا يقفون بعرفة ، ويقولون : نحن أهل الله فلا نخرج من
 الحرم ، وكانوا لا يدخلون البيوت من أبوابها وهم محرمون . (٣) ذُو الْخُلَصَّةِ : صنم لدوس ،
 وخَتَمَ ، وبَيْحِلَةٍ وغيرهم ، فأخذ إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم جَرِيرُ بن عبد الله فهدمه وهدم بنيانه .
 (٤) بَرَكَ عليه : دعا له بالبركة .

ذكر وفد حضر موت

قالوا : قَدِمَ وفد حَضْرَمَوْت مع وفد كِنْدَةَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم بنو وَلَيْعَةَ ملوك حَضْرَمَوْت ؛ جعد ، وِخْوس ، ومِشْرَح ، وَأَبْضَعَةَ ، فأسلموا ، وقال وِخْوس : يا رسول الله ، أدع الله أن يذهب عني هذه الرِّتَّة من لساني . فدعا له ، وأطعمه طُعْمَةً من صدقة حَضْرَمَوْت .

وقدم وائل بن حُجْر الحضرمي وأُفْدَا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : جئت راعباً في الإسلام والهجرة ، فدعا له ومسح رأسه ونُودِيَ : « الصلاة جامعة » سروراً بقدوم وائل بن حُجْر . وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم معاوية بن أبي سفيان أن يترله بالحرّة ، فبشي معه ، ووايل ركب ، فقال له معاوية : ألق إلى نعليك أتوقّ بهما الرّمضاء . قال : لا ، إني لم أكن لألبسهما وقد لبستهما . ومن رواية : لا يبلغ أهل اليمن أن سوقة ليس نعل ملك . قال : فأردني ، قال : لست من أرداف الملوك ، قال : إن الرّمضاء قد أحرقت قدمي ، قال : أمش في ظل ناقتي ، كفالك به شرفاً .

ويقال : إن وائل بن حُجْر هذا وفد بعد ذلك إلى معاوية في خلافته فأكرمه معاوية .

(١) في الأصول والطبقات : « حدة » ولعله تصحيف عما أئتمناه عن القاموس ، قال في أسد الغاية : « جعد ، فتح الجيع وسكون الميم ولا أعرف جعداً من كندة إلا جعداً أحد الملوك الأربعة الذين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلوا في الردة كفاراً ، والله أعلم » .

(٢) يقال بالسين والشين .

(٣) الرتة : عقدة وحيلة في اللسان .

(٤) الرمض : شدة حر الشمس على الرمل وغيره ، والأرض رمضاء .

(٥) السوقة : الرعية ؛ سموا سوقة لأن الملوك يسوقونهم فينساقون لهم .

قال : ولما أراد وائل بن حجر الشُّخُوص إلى بلاده ، كتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا وهو :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من محمد النبي لوائيل بن حجر قِيلَ حَضَرَمُوتَ ، إنك أسلمتَ وجعلتُ لك ما في يدك من الأرضين والحصون ، وأن يؤخذ منك من كل عشرة واحد . ينظر في ذلك ذَوُو عَدْلٍ ^(١) وجعلتُ لك ألا تُظَلَمَ فيها ما قام الذين . والنبي — صلى الله عليه وسلم — والمؤمنون عليه أنصار . »

قال القاضي عياض بن موسى بن عياض — رحمه الله — وفيه :

« إلى الأقبال العبايلة ^(٢) ، والأرواع المشايب ^(٣) » . وفيه :
« في التبعة شاة ^(٤) لا مقورة الألياط ^(٥) ولا ضناك ^(٦) ، وأنطوا التبعة ^(٧) ، وفي السيوب الخمس ^(٨) ^(٩) ^(١٠)
ومن زنى من ^(١١) أميكر ^(١٢) فأصقوه مائة واستوفضوه عاما ، ومن زنى من أمييب

(١) في الطبقات « ذوا عدل » .

(٢) الأقبال : الملوك الذين دون التلوية .

(٣) العبايلة : هم الذين أفروا على ملكهم فلم يزالوا عنه ؛ وواحد العبايلة عيل ، والتاء لتأكيد الجمع .

(٤) الأرواع (جمع راع) ، وهم الحسان الوجوه ، أو الذين يروعون الناس أى يفزعونهم بمنظرهم هيبه لهم .

(٥) المشايب : السادة زهر الألوان ؛ واحدهم مشيوب . ورجل مشيوب : أسود الرأس أبيض الوجه ، وقيل ذكى الفؤاد شتم .

(٦) في التبعة شاة : . يعنى أن الأربعين من الغنم فيها شاة زكاة .

(٧) مقورة الألياط ؛ يريد غير مسترخية الجلود لهاها .

(٨) الضناك : السمية ؛ ويقال للذكر والأنثى بغيرها .

(٩) أنطوا التبعة : أعطوا الوسط في الصدقة ، لا من خيار المال ولا من رذاله .

(١٠) السيوب : عروق من الذهب والفضة توجد في باطن الأرض (الركاك) ، الزمخشري : السيوب جمع سيب يريد به المال المدفون في الجاهلية أو الممدن ؛ لأنه من فضل الله تعالى وعطائه لمن أصابه .

(١١) أضقوه : أضربوه ، وقوله : « من أميكر » لغة أهل اليمن ، يبدلون لام التعريف ميما .

(١٢) استوفضوه : غربوه وأفقوه . و « من أمييب » أى من التيب على لغة اليمن .

فَضَرَجُوهُ بِالْأَضَامِيمِ ^(١) ، وَلَا تَوَصِّمِ فِي الدِّينِ ^(٢) ، وَلَا عُتْمَةً فِي فَرَائِضِ اللَّهِ ؛ وَكُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ ، وَوَاتِلَ بْنِ حُجْرٍ يَتَرَفَّلُ عَلَى الْأَقْيَالِ ^(٤) .

قال محمد بن سعد بسنده إلى أبي عبيدة من ولد عمار بن ياسر قال : وقد نحوس ابن معدي كرب بن وليعة فيمن معه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم خرجوا من عنده فأصاب نحوس اللقوة فرجع منهم نفر ، فقالوا : يا رسول الله ، سيد العرب ضربته اللقوة ، فأدللنا على دوائه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خذوا نحيطا فأحسوه في النار » ، ثم أقبلوا شفر عييه ، ففيها شفاؤه ، وإليها مصيره ^(٦) ، فأنه أعلم ما قلتم حين خرجتم من عندي . ففصنوه به فبرئ .

ذكر وفد أزد عمان

قالوا : أسلم أهل عمان ، فبعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم العلاء بن الحضرمي ليعلمهم شرائع الإسلام ، ويصدق أموالهم ^(٨) ، فخرج وفدهم إلى رسول الله

(١) ضرجوه بالأضاميم : أى أدموه بالضرب ؛ يريد الرجم ، والأضاميم : الحجارة واحداها إضامة .

(٢) لا توصم في الدين : أى لا تفتروا في إقامة الحدود ولا تحابوا فيها .

(٣) لا عمة في فرائض الله : أى لا تستروا ولا تخفى فرائضه ، وإنما تظهر وتعلن ويجهرها .

(٤) يترفل على الأقبال : أى يتسود ويرأس ، مستعار من ترفيل الثوب وهو إصباغه وإسباله .

وفي النهاية : يسى و يترفل .

(٥) اللقوة : داء يكون في الوجه يعوج منه الشدق .

(٦) النحيط : ما خيط به .

(٧) عمان : قطر شرق جزيرة العرب على المحيط الهادى أو بحر العرب مما يلي خليج فارس ، وعمان :

موطن الأزد وقبائلهم ، ومزدهر الدولة العربية البعربية التي طاردت البرتغال من الخليج ، وشواطئ الهند ،

وشرق أفريقيا بأساطيلها الحربية على عهد البعريين ما بين ألف من الهجرة إلى نحو ألف ومائة وتحسين .

(٨) يصدق أموالهم : يأخذ زكاتها .

صلى الله عليه وسلم، فيهم أسد بن يريح الطاحي^(١)، فلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه أن يبعث معهم رجلاً يقيم أمرهم، فقال عكرمة العبدى^(٢) وأسمه مذكرك بن خويط: آبعثنى إليهم فإن لهم على منة^(٣)، أسرونى فى يوم جنوب فثنوا على^(٤). فوجهه معهم إلى عثمان، وقدم بعدهم سلمة بن عباد الأزدي^(٥) فى ناس من قومه، فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عما يعبد وما يدعو إليه، فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أدع الله أن يجمع كلمتنا وألفقتنا. فدعا لهم، وأسلم سلمة ومن معه.

ذكر وفد غافق^(٥)

قالوا: وقدم جليحة بن شجار بن صحر الغافقى^(٦)، على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رجال من قومه، فقالوا: يا رسول الله، نحن الكواهل من قومنا، وقد أسلمنا وصداقاتنا محبوسة بأفئتنا. فقال: «لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم» فقال عوذ بن سريز الغافقى: آمنا بالله وآتبعنا رسول الله.

ذكر وفد بارق

قالوا: قدم وفد بارقى^(٧)، فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام فأسلموا وبايعوا، وكتب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(١) كذا فى الأصول، والذى فى أسد الغابة والاستيعاب: «هو يريح بن أسد الطاحى قدم المدينة بعد وفاته صلى الله عليه وسلم بأيام وكان رآه».

(٢) وقيل: مخزفة (بالفاء) كما فى أسد الغابة، ولم تحف على من سماه مدركا كما فى الأصول.

(٣) يوم جنوب: من أيام العرب، وجنوب: اسم موضع، ولم تجده فى أيام العرب.

(٤) فى الأصول: عباد وهو تصحيف والتصويب من الإصابة.

(٥) غافق: بفتح من الأزده، وغافق هو جد هذا الحى، وهو ابن الشاهد بن عك بن عذنان بن عبد الله ابن الأزده، وإلى هذا الحى نسب الحصن المعروف بالاندلس بمحضر غافق قريب من قرطبة.

(٦) الكواهل: الذين يعتمد عليهم فى القيام بشئون من خلقهم وراهم.

(٧) لقب سعد بن عدى أبى قبيلة باليمن.

« هذا كتاب من عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لبارق ألا تُجَدَّ ثمارهم ، ولا تُرعى بلادهم في مَرِيع ^(١) ولا مَصِيف إلا بمسألة من بارق . ومن مَرَّ بهم من المسلمين في عَمْرٍ ^(٢) أو جَدَّب فله ضيافة ثلاثة أيام . وإذا أَيْنَعَت ^(٣) ثمارهم فلا بُدَّ السَّبِيل اللَّقَاطُ ^(٤) يُوَسِّع بطنه من غير أن يَقِيَه ^(٥) . ثم شهد أبو عبيدة بن الجراح ، وحذيفة بن اليمان ، وكتب أبي بن كعب .

ذكر وفد ثُمالة ^(٦) والحُدَّان ^(٧)

قالوا : قدم عبد الله بن غُلَس ^(٧) الثَّمَالِي ومَسْلَمَة بن هَارَان ^(٨) الحُدَّانِي على رسول الله صلى الله عليه وسلم في رَهْط من قومهما بعد فتح مكة ، فأسلموا وبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومهم ، وكتب لهم كتابا بما فرض عليهم من الصدقة في أموالهم ، كتبه ثابت بن قيس بن شماس ، وشهد فيه سعد بن عبادة ومحمد ابن مسleme .

(١) المَرِيع كقعد : الموضع الذي يرتبكون فيه في الربيع ينتجعون الكلاء .

(٢) العَمْر : من عَمَرْتهم الحرب عَمَرَكَا دارت عليهم .

(٣) أَيْنَعَت : نَضِجَت .

(٤) اللَّقَاط : ما يوجد من الثمار ساقطا فيلقط .

(٥) كَذَا في الأصول ولعل اللفظ : « يَقِيَه » بمعنى يجمعه ، ودليله ما في الطبقات : « يَقْتَم »

أى يجمع أيضا .

(٦) ثُمَالَة : بطن من الأزد ، إليه ينسب محمد بن يزيد المبرد النحوى .

(٧) وفي الطبقات « ابن غلس » ، وفي أسد الغابة « ابن عبد الثمالي » .

(٨) في الأصول : مسيلة بن هزان وفي الطبقات « مسيلة بن هزان » والنصحيح من الإصابة

وفيهما : « ويقال ابن حذان الحُدَّانِي » .

ذكر وفد مهرة

قالوا : قديم وفد مهرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عليهم مهري بن^(٢) الأبيض ، فعرض عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام فأسلموا ، وكتب لهم :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا الكتاب من محمد رسول الله لمهري بن الأبيض على من آمن به من مهرة ألا يؤكلوا ولا يُعْرَكُوا^(٣) . وعليهم إقامة شعائر الإسلام ، فن بدل فقد حارب ، ومن آمن به فله ذمة الله وذمة رسوله^(٤) . اللقطة مؤداة^(٥) ، والسارحة مُنداة^(٦) ، والثقت السيئة^(٧) ، والرفث^(٨) الفسوق » .

وكتب محمد بن مسلمة الأنصاري .

- ١٠ (١) نسبة إلى مهرة بن حيدان — بفتح أوله — حتى من قضاة ، إليه نسب الإبل المهرية .
 (٢) لم تقف على هذا الاسم في مرجع غير « الطبقات » .
 (٣) ألا يؤكلوا : أى لا يفار عليهم .
 (٤) يعركون : يؤكل نباتهم ، من عركت الماشية النبات أكلته .
 (٥) اللقطة : ما ألتقط من مال ضائع . مؤداة : مردودة لصاحبها .
 ١٥ (٦) السارحة : الماشية التي تسرح بالغداة إلى مراعيها . منداة : التندية أن تورد الإبل فتشرب قليلا ، ثم تحمى . بها ترمى ، ثم تردّها إلى الماء ؛ والمراد أنها تورد على الحياض حتى تأخذ حظها من الماء ولا تمنع من الشرب .
 (٧) الثفت : من معانيه الدرن والوسخ ، والسيئة : الخطيئة ؛ والمراد أن الوسخ الفعل الفسيح ، وليس وسخ البدن .
 ٢٠ (٨) الرث : الفحش من القول . والفسوق : العصيان ، والترك لأمر الله عز وجل . والمعنى أن الرث هو العصيان لله أمرا ونهيا .

(١) قالوا : ووفد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من مهرة ، يقال له زهير
 ابن قريض بن الحُمَيل من الشَّحْر ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُدنيه لبعده
 مسافته ، فلما أراد الانصراف بَقْتَه ، وحمله ، وكتب له كتابا .

ذكر وفد حمير

قالوا : قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك بن مُرارة الرِّهَوى ،
 رسول ملوك حمير بكتابهم وإسلامهم ، وذلك في شهر رمضان سنة تسع عند مقدمه
 من تبوك ، وهم : الحارث بن عبد كلال ، ونعيم بن عبد كلال ، والثَّعْبان قَيْل
 ذِي رُعَيْن ، ومَعَاوِر ، وهَمْدَان .

قال ابن إسحق : وبعث إليه زُرْعَةُ دُوَيْزَنٍ مالك بن مُرَّة الرِّهَوى فكتب
 إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى الحارث بن عبد كلال
 وإلى نعيم بن عبد كلال ، وإلى الثَّعْبان قَيْل ذِي رُعَيْن ومَعَاوِر وهَمْدَان — أما بعد
 ذلكم — فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو — أما بعد — فإنه قد وقع بنا رسولكم
 مُتَقَلِّبًا من أرض الروم ، فلقينَا بالمدينة ، فبلغ ما أرسلتم به ، وخبرًا ما قبلكم ،
 وأنبأنا بإسلامكم وقتلكم المشركين ، وأن الله قد هداكم بهداه إن أصلحتم وأطعتم
 الله ورسوله ، وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة ، وأعطيتم من المغنم تُخْمَسَ الله ، وسهم

٣٩
١٦

(١) زهير : فيه خلاف في هذا الاسم ، وفي الأصول : « العجير » (راجع الإصابة وأسد الغابة) .

(٢) الشَّحْر : الشَّط ، وهو ناحية على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن ، وهو ممتد بينها وبين عمان .

(٣) بَقْتَه : أعطاه ، البنات وهو الزاد ، وحمله : أعطاه واجلة تحمله .

(٤) يروي : ابن مرة ، وقيل ابن فزارة ، والصحيح ابن مرارة (أسد الغابة) .

النبي^(١) وصفيه ، وما كتب على المؤمنين من الصدقة ، من العقار^(٢) عشر ما سقت العين وسقت السماء ، وعلى ما سقى الغرب نصف^(٣) العشر ، وإن في الإبل الأربعين أبنسة لبون ، وفي ثلاثين من الإبل ابن لبون ذكر ، وفي كل خمس من الإبل شاة ، وفي كل عشر من الإبل شاتان ، وفي كل أربعين من البقر بقرة ، وفي كل ثلاثين من البقر تبع جدع أو جدعة ، وفي كل أربعين من الغنم سائمة وحدها شاة ، وأنها فريضة الله التي فرض على المؤمنين في الصدقة ، فمن زاد خيرا فهو خير له ، ومن أذى ذلك ، وأشهد على إسلامه ، وظاهر المؤمنين على المشركين ، فهو من المؤمنين ، له ما لهم ، وعليه ما عليهم وله ذمة الله وذمة رسوله ، وإنه من أسلم من يهودى أو نصرانى فإنه من المؤمنين ، له ما لهم ، وعليه ما عليهم ، ومن كان على يهوديته أو نصرانيته فإنه لا يرد عنها ، وعليه الجزية على كل حالم ذكر أو أنثى ، حر أو عبد دينار وإف ، من قبيحة المعافر^(٤) أو عوصه ثيابا ، فمن أذى ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن له ذمة الله وذمة رسوله ، ومن منعه فإنه عدو لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم .

أما بعد — فإن رسول الله محمدا النبي أرسل إلى زُرعة ذى يزن أن إذا أناكم رُسل فأوصيكم بهم خيرا : معاذ بن جبل ، وعبد الله بن زيد ، ومالك بن عبادة ، وعقبة ابن نمر ، ومالك بن مرة ، وأصحابهم ، وأن أجمعوا له ما عندكم من الصدقة ، والجزية من مخالفكم ، وأبلغوها رُسل ، وأن أميرهم معاذ بن جبل فلا يتقلبن إلا راضيا .

أما بعد — فإن محمدا يشهد أن لا إله إلا الله وأنه عبده ورسوله ، ثم إن مالك ابن مرة الرهاوى قد حدثني أنك أسلمت من أول حير وقتلت المشركين ، فأبشر

(١) الصفي : ما يصطفيه الرئيس من النعمة لنفسه قبل أن تقسم الغنائم .

(٢) العقار : الأرض . (٣) الغرب : الدلو .

(٤) ظاهر : عاون وقوى . (٥) المعافر : ثياب من ثياب اليمن .

بخير، وأمرَكَ بحِمْزٍ خيراً ، ولا تَحْنُونُوا ولا تَحْاذِلُوا ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — هو مَوْلَى غَنِيَّتِكُمْ وفقيرِكُمْ ، وَأَنَّ الصَّدَقَةَ لَا تَحِلُّ لِمُحَمَّدٍ وَلَا لِأَهْلِ بَيْتِهِ ، إِنَّمَا هِيَ زَكَاةٌ يُزَكِّي بِهَا عَلَى فَقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَأَبْنِ السَّبِيلِ ، وَأَنَّ مَالَكَا قَدْ بَلَغَ الْخَبَرَ ، وَحَفِظَ الْغَيْبَ وَأَمَرَكَ بِهِ خَيْرًا ، وَأَتَى أَرْسَلَتْ إِلَيْكُمْ مِنْ صَالِحِي أَهْلِ وَأَوَّلَى دِينِهِمْ وَأَوَّلَى عَلَيْهِمْ ، وَأَمَرَكَ بِهِمْ خَيْرًا ، فَإِنَّهُمْ مَنْظُورٌ إِلَيْهِمْ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

ذِكْرُ وَفْدِ جَيْشَانِ

قال محمد بن سعد : قَدِمَ أَبُو وَهَبٍ الْجَيْشَانِيُّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَهْرٍ مِنْ قَوْمِهِ ، فَسَأَلُوهُ عَنْ أَشْرَبَةِ تَكُونُ بِالْبَيْنِ ، فَسَمِعُوا لَهُ الْبَيْعَ مِنَ الْعَسَلِ ، وَالْمِزْرَ مِنَ الشَّعِيرِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « هَلْ تَسْكُرُونَ مِنْهُمَا » ١٠ قَالُوا : إِنَّ أَكْثَرَنَا سَاكِرْنَا ، قَالَ : « فِخْرَامٌ قَلِيلٌ مَا أُسْكِرَ كَثِيرُهُ » ، وَسَأَلُوهُ عَنِ الرَّجُلِ يَتَخَذُ الشَّرَابَ فَيُسْقِيهِ عُمَّالَهُ ، فَقَالَ : « كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ » .

ذِكْرُ وَفْدِ سَلُولِ

قال أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر التَّمَرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : قَدِمَ قَرْدَةُ بْنُ نَفْسَانَةَ السَّلُولِيُّ ، مِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ مُرَّةٍ بِنِ صَعْقَةَ بْنِ مَعَاوِيَةَ بْنِ بَكْرِ بْنِ هَوَازِنَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ بَنِي سَلُولٍ ، فَأَمَرَهُ عَلَيْهِمْ بَعْدَ مَا أَسْلَمَ

(١) فِي نَسْخَةٍ مِنْ أَبِي هِشَامٍ : « فَإِنَّهُ » .

(٢) الْبَيْعَ (بِكَسْرِ الْبَاءِ وَسُكُونِ التَّاءِ وَفَتْحِهَا) : نَيْذٌ يَتَّخَذُ مِنْ عَسَلٍ ، كَأَنَّهُ اخْمَرٌ مَلَابَةٌ .

(٣) الْمِزْرُ : نَيْذُ الشَّعِيرِ .

وأسلموا ، فأنشأ يقول :

بأن الشباب فلم أحفل به بالآ * وأقبل الشيب والإسلام إقبالا
وقد أروى ندي من مشعشة^(١) * وقد أقلب أوراكا وأكفالا
الحمد لله إذ لم يأتني أجلى * حتى آكتسيت من الإسلام سربالا
قال وقد قيل : إن البيت الثالث لليد ، قال أبو عبيدة : لم يقل ليد
في الإسلام غيره ، وكان قد عمر مائة وخمسين سنة .

قال أبو عمر : وقردة هذا هو الذي يقول :

أصبحت شيخا أرى الشخصين أربعة * والشخص شخصين لما مسني الكبير
لا أسمع الصوت حتى أستدير له * وحال بالسمع دوني المنظر القصر^(٢)
وكنت أمشي على الساقين معتدلا * فصرت أمشي على ما ثبت الشجر
إذا أقوم تجت الأرض متكا^(٣) * على السراجيم حتى يذهب النقر

ذكر وفد نجران وسؤالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

وما أنزل الله عز وجل فيهم من القرآن

قال محمد بن إسحق : قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد نصارى نجران
يتون راكبا ، فيهم أربعة عشر رجلا من أشرافهم ، وهم : العاقب عبد المسيح ،
والسيد وهو الأيهم ، وأبو حارثة لكن علقمة ، وأوس ، والحارث ، وزيد ، وقيس ،

(١) المشعشة : الخمر .

(٢) في الأصول : « دون » مكان « دوى » وفي الامتعايب :

* وحال بالسمع دوى المنظر العسر *

(٣) يجن الأرض : اعتمد عليها يجمعه إذا أراد النهوض من الكبير . البراجيم (جمع برجة) :
مفاصل الأصابع . والفرد (بالفتح بك) : الجماعة من الناس ؛ يريد الذين ينفرون معه .

ويزيد، ونبيه وخويلد، وعمرو، وخالد، وعبد الله، ويحيى، ومن هؤلاء الأربعة عشر ثلاثة نفر إليهم يقول أمرهم، وهم العاقب أمير القوم وذو رأيهم، وصاحب مشورتهم، والذي لا يصيدرون إلا عن رأيه، وأسمه عبد المسيح.

قال محمد بن سعد: هو رجل من كندة والسيد ثمالهم، وصاحب رحلهم^(١) ويجمعهم، وأسمه الأيهم، وأبو حارثة ابن علقمة أحد بكر بن وائل أسقفهم وحبرهم^(٢) وإمامهم، وصاحب مدرائهم^(٣).

قال ابن سعد: وكان من الأربعة عشر كوز وهو أخو الحارث بن علقمة، وأوس أخو السيد.

قال: فتقدمهم كوز وهو يقول:

إِلَيْكَ تَعْدُو قَلْبًا وَضِيئًا * مُعْرِضًا فِي بَطْنِهَا جَنِيئًا^(٤)
* مُحَالِفًا دِينَ النَّصَارَى دِينُهَا *

وقدِم على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قَدِم الوفد بعده، فدخلوا [عليه] المسجد^(٥)، عليهم ثياب الحبرة وأردية مكفوفة بالحرير، فقاموا يصلون في المسجد نحو الشرق، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «دعوه»، ثم أتوا النبي صلى الله عليه وسلم، فأعرض عنهم ولم يكلمهم، فقال لهم عثمان: ذلك من أجل زيئكم هذا، فانصرفوا يومهم ذلك، ثم غدوا عليه، بزى الرهبان فسلموا عليه فردّ عليهم.

(١) ثمالهم: غياهم الذي يفزعون إليه.

(٢) الأسقف (بتشديد الفاء وتخفيفها): رئيس النصارى في الدين، أعني تكلمت به العرب.

(٣) مدراس: بيت يدرس فيه الكتاب.

(٤) الوضين: الخزام. وفي ابن هشام: «قال هشام بن عروة: وزاد فيه أهل العراق:

* مُعْرِضًا فِي بَطْنِهَا وَضِيئًا *

(٥) الزيادة من ابن هشام. (٦) الحبرة: ضرب من برود اليمن منمر.

قال محمد بن إسماعيل : وكان أبو حازمة قد شرف فيهم ، ودرس كتبهم ، حتى حسن علمه في دينهم ، فكانت ملوك الروم من أهل النصرانية قد شرفوه ومولوه وأخدموه ، وبنوا له الكنائس ، وبسطوا عليه الكرامات ؛ لما يبلغهم عنه من علمه واجتهاده في دينهم ، فلما وجهوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من نجران ، جلس أبو حازمة على بئلة له ، وإلى جنبه أخوه كوز ، - ويقال فيه كُوز - فعمرت بئله أبي حازمة ، فقال كوز : تيس الأبعد ، يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له أبو حازمة : بل أنت تيس . فقال : ولم يأتني ؟ قال : والله إنه للنبي الذي كنا ننتظره . فقال له كوز : فما يمنعك منه وأنت تعلم هذا ؟ قال : ما صنع بنا هؤلاء القوم ؛ شرفونا ومولونا وأكرمونا ، وقد أبوا إلا خلافه ، فلو فعلت نزعوا منا كل ما ترى . فأضمر عليها منه كوز بن علقمة حتى أسلم بعد ذلك ، فكان يحدث عنه هذا الحديث .

قال أبو محمد عبد الملك بن هشام : وبلغني أن رؤساء نجران كانوا يتوارثون كتباً عندهم ، فكلم مات رئيس منهم وأفضت الرئاسة إلى غيره ، ختم على تلك الكتب خاتماً مع الخواتم التي قبله ولم يكسرها ، فخرج الرئيس الذي كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم يمشي فعمراً ، فقال أبوه : تيس الأبعد - يريد النبي صلى الله عليه وسلم - فقال له أبوه : لا تفعل فإنه نبي وأسمه في الوضائع - يعني الكتب - فلما مات لم يكن لأبوه همة إلا أن كسر الخواتم ، فوجد في الكتب ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ، فأسلم وحسن إسلامه فحج ، وهو الذي يقول :

* إِلَيْكَ تَعْدُو قَلْبًا وَضِيئًا *

(١) في الأصول وابن هشام « كوز » وما أشتبهاهما الروايتان المعروفتان في اسم ابن علقمة (راجع القاموس مادتي كوز - وكوز) والإصابة وأسد الغابة .

قال ابن إسحق : ولما قَدِمُوا صَلَّوْا فِي الْمَسْجِدِ نَحْوَ الشَّرْقِ ، وَكَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُمْ الثَّلَاثَةَ نَفَرًا : الْعَاقِبَ ، وَالسَّيِّدَ ، وَأَبُو حَارِثَةَ ، وَهُمْ مِنَ النَّصْرَانِيَّةِ عَلَى دِينِ الْمَلِكِ ، مَعَ اخْتِلَافٍ مِنْ أَمْرِهِمْ ، يَقُولُونَ فِي الْمَسِيحِ : هُوَ اللَّهُ ، وَيَقُولُونَ : هُوَ ابْنُ اللَّهِ ، وَيَقُولُونَ : هُوَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ، فَهُمْ يَحْتَجُّونَ فِي قَوْلِهِمْ : هُوَ اللَّهُ بِأَنَّهُ كَانَ يَحْيَى الْمَوْتَى ، وَيُرَى مِنَ الْأَسْقَامِ ، وَيُنْجَرُ بِالْغُيُوبِ ، وَيَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ ، ثُمَّ يَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَائِرًا ، وَيَحْتَجُّونَ فِي قَوْلِهِمْ ^(١) أَنَّهُ ابْنُ اللَّهِ بِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ : لَمْ يَكُنْ لَهُ أَبٌ يُعْلَمُ ، وَقَدْ تَكَلَّمَ فِي الْمَهْدِ ، [وَهَذَا] شَيْءٌ لَمْ يَصْنَعْهُ أَحَدٌ مِنْ وَلَدِ آدَمَ قَبْلَهُ . وَيَحْتَجُّونَ فِي قَوْلِهِمْ أَنَّهُ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ، بِقَوْلِ اللَّهِ فَعَلْنَا ، وَأَمَرْنَا ، وَخَلَقْنَا ، وَقَضَيْنَا ، فَيَقُولُونَ : لَوْ كَانَ وَاحِدًا مَا قَالَ إِلَّا فَعَلْتُ وَقَضَيْتُ وَأَمَرْتُ وَخَلَقْتُ ، وَلَكِنَّهُ دُو، وَعِيسَى ، وَمَرْيَمُ .

٤١
١٦

قال : فَلَمَّا كَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخَبْرَانِ قَالَ لَهَا : « أَسْلِمَا » ، قَالَا : قَدْ أَسْلَمْنَا قَبْلَكَ . قَالَ : « كَذِبًا ، يَمْنَعُكَ مِنَ الْإِسْلَامِ دَعَاكَ اللَّهُ وَلَدًا ، وَعِبَادَتُكَ الصَّلِيبَ ، وَأَكْلُكَ الْخَزِيرِ » قَالَا : فَنِ أَبُوهُ يَا مَعْجِدُ ؟ فَصَمَّتْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يَجِبْهُمَا ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ فِي اخْتِلَافِ أَمْرِهِمْ كُلَّهُ صَدْرَ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ ، إِلَى بَضْعِ وَثْمَانِينَ آيَةً مِنْهَا .

فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ اَللّٰهُمَّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۝ ﴾ قَالَ : ^(٢) أَنْتَحِ السُّورَةَ بِتَنْزِيهِ نَفْسِهِ عَمَّا قَالُوا وَتَوْحِيدِهِ ، لَيْسَ مَعَهُ شَرِيكَ فِي أَمْرِهِ : « الْحَيُّ » أَيْ الَّذِي لَا يَمُوتُ ، وَقَدْ مَاتَ عِيسَى وَصَلِيبُ فِي قَوْلِكُمْ . « الْقَيُّومُ » الْقَائِمُ عَلَى مَكَانِهِ مِنْ سُلْطَانِهِ

(١) الزيادة من ابن هشام .

(٢) القائل ابن إسحق .

في خلقه لا يزول، وقد زال عيسى . ثم قال تعالى : ﴿ تَزَلَّ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ ﴾ أى بالصدق فيما اختلفوا فيه ﴿ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ . مِنْ قَبْلُ هَدَى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ ﴾ أى الفصل بين الحق والباطل فيما اختلف فيه الأحزاب من أمر عيسى وغيره ، ثم قال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ مَبِيزٌ دُونَ اتِّقَامٍ ﴾ أى إن الله مُتَقِمٌ من كفر بآياته بعد علمه بها ومعرفة . ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾ أى قد علم ما يريدون وما يكيدون وما يضاهون بقولهم في عيسى ؛ إذ جعلوه إلهًا وعندهم من علمه غير ذلك . ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ أى قد كان عيسى ممن صُوِّرَ في الأرحام لا يدفعون ذلك ولا ينكروه ، كما صُوِّرَ غيره من ولد آدم ، فكيف يكون إلهًا وقد كان بذلك المنزل .

ثم قال تعالى تزيها لنفسه وتوحيدا لها : ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ أى « العزيز » في انتصاره ممن كفر به إذا شاء « الحكيم » في حجة وعذره إلى عباده . ثم قال : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ أى فيهن حجة الرب وعصمة العباد ، ودفع الخصوم والباطل ، ليس لهن تصريح ولا تحريف عما وُضِعَ عليه . ﴿ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ أى لهن تصريح وتأويل ، آتت الله فيهن العباد ، كما آتت لهم في الحلال والحرام ، ألا يصرّفن إلى الباطل ولا يحرفن عن الحق .

قال الله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ﴾ أى ميل عن الهدى . ﴿ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ﴾ أى ما تصرف منه ؛ ليصدقوا به ما ابتدعوا وأحدثوا لتكون لهم حجة وشبهة على ما قالوا . ﴿ آتِغَاءَ الْفِتْنَةِ ﴾ أى اللبس ﴿ وَآتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾ أى تأويل ذلك على

مَارِكِبُوا مِنَ الضَّلَالَةِ فِي قَوْلِهِمْ : خَلَقْنَا وَقَضَيْنَا . يقول تعالى : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ﴾ فكيف يختلف وهو قول واحد ، من رب واحد . يقول : ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ أى فى مثل هذا . ثم قال تعالى : ﴿ رَبَّنَا لَا تَزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ . ثم قال تعالى : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ ﴾ يشهدون بذلك . ﴿ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ﴾ أى بالعدل ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ . إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ أى ما أنت عليه يا محمد من التوحيد للرب والتصديق للرسول . قال تعالى : ﴿ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ﴾ أى العلم الذى جاءك أن الله الواحد الذى ليس له شريك . ثم قال : ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ يقول تعالى : ﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ ﴾ أى فيما يأتون به من الباطل من قولهم : خَلَقْنَا وَقَعَلْنَا وَأَمَرْنَا ، فإنما هى شبهة باطل قد عرفوا ما فيها من الحق ﴿ فَقُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا رَسُولَهُ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَتِهِمْ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ بِكَافَّةٍ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ أُولُو عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ أى الذين لا كتاب لهم ﴿ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ .

ثم جمع تعالى أهل الكافرين من اليهود والنصارى فيما أحدثوا وأبدعوا ، فقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ إلى قوله : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ ﴾ أى رب العباد والملك الذى لا يقضى فيهم غيره . ﴿ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ إِنَّكَ الْخَبِيرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ أى

٤٢
١٦

٣٠ (١) فسر ابن هشام هذه الآية فقال : « ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا » أى لا تملى قلوبنا وإن

ملنا بأحداثنا .

لَا يَقْدِرُ عَلَى هَذَا غَيْرُكَ بِسُلْطَانِكَ وَقُدْرَتِكَ ﴿تُوجِلُّ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُوجِلُّ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ أَيْ بِتِلْكَ الْقُدْرَةِ . ﴿وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أَيْ لَا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ غَيْرُكَ وَلَا يَصْنَعُهُ إِلَّا أَنْتَ ، أَيْ إِنْ كُنْتَ سَلَطْتَ عِيسَى عَلَى الْأَشْيَاءِ الَّتِي بَهَا يَزْعَمُونَ أَنَّهُ إِلَهُ ، مِنْ إِحْيَاءِ الْمَوْتَى ، وَإِبْرَاءِ الْأَسْقَامِ ، وَإِخْلَاقِ مِنَ الطِّينِ ، وَالْإِخْبَارِ عَنِ الْغُيُوبِ ، لِأَجْعَلَهُ بِهِ آيَةً لِلنَّاسِ ، وَتَصَدِّقًا لَهُ فِي نَبَوْتِهِ الَّتِي بَعَثَهُ بِهَا إِلَى قَوْمِهِ ، فَإِنْ مِنْ سُلْطَانِي وَقُدْرَتِي مَا لَمْ أُعْطَ^(١) مِنْ إِبْلَاجِ اللَّيْلِ فِي النَّهَارِ وَالنَّهَارِ فِي اللَّيْلِ ، وَإِنْ خَرَجَ الْحَيُّ مِنَ الْمَيِّتِ ، وَإِنْ خَرَجَ الْمَيِّتُ مِنَ الْحَيِّ ، وَرِزْقُ مَنْ شِئْتُ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ بِغَيْرِ حِسَابٍ ، فَكُلُّ ذَلِكَ لَمْ أُسَلِّطْ عِيسَى عَلَيْهِ ، وَلَمْ أُسَلِّكْ إِيَّاهُ ، أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِي ذَلِكَ عِبْرَةٌ وَبَيِّنَةٌ ! إِنْ لَوْ كَانَ إِيَّاهُ كَانَ ذَلِكَ كُلَّهُ إِلَيْهِ ، وَهُوَ فِي قَوْلِهِمْ يَهْرُبُ مِنَ الْمُلُوكِ وَيَتَقَلُّ مِنْهُمْ فِي الْبِلَادِ ، مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ .

ثُمَّ وَعِظَ الْمُؤْمِنِينَ وَحَدِّثَهُمْ فَقَالَ تَعَالَى : ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ أَيْ مَاضِي مِنْ كُفْرِكُمْ ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ . قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿يَقُولُ : أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأَنْتُمْ تَعْرِفُونَهُ وَتَجِدُونَهُ فِي كِتَابِكُمْ﴾ ، ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أَيْ عَلَى كُفْرِهِمْ .

ثُمَّ أَسْتَقْبَلَ أَمْرَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَكَيْفَ كَانَ بَدَأَ مَا أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ فَقَالَ : ﴿إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ . ثُمَّ ذَكَرَ أَمْرَ امْرَأَةِ عِمْرَانَ فَقَالَ : ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾ أَيْ جَعَلْتَهُ عَقِيقًا يَبْعُدُ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ ، لَا يَنْتَفِعُ بِهِ لَشَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا ﴿فَتَقَبَّلَ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ . فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ

(١) عبارة ابن هشام : « مَا لَمْ أُعْطَ عَلَيْكَ الْمُلُوكُ بِأَمْرِ النُّبُوَّةِ ، وَوَضَعَهَا حَيْثُ شِئْتُ ... أَخْ » .

إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ) [أى ليس الذكر كالأنثى لما جعلتها مُحَرَّرًا لك نذيرة] ^(١) (وَأِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) . يقول الله تعالى : (فَقَبِّلْهَا رَبُّهَا يَقْبُولُ حَسَنًا وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا) أى كفَّلها بعد أبيها وأُمها ، يذكرها باليم ، ثم قصَّ خبرها وخبر زكريا ، وما دعا به وما أعطاه ، إذ وهب له يحيى ، ثم ذكر مريم ، وقول الملائكة لها ، فقال تعالى : (وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ) قال الثعلبي : القائل من الملائكة جبريل وحده ، «اصْطَفَاكِ» بولادة عيسى عليه السلام من غير أب ، «وَطَهَّرَكِ» من مَسِيس الرجال . وقيل : كانت مريم عليها السلام لا تحيض و «اصْطَفَاكِ» بالتحجير في المسجد «على نساء العالمين» قال : على عالمي زمانها ، ولم تُحرَّرْ أنثى غيرها . (يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ) قال الثعلبي : قوله «اقْنُتِي» أطيعي وأطيلي الصلاة لربك ، قال : كلمتها الملائكة شفأها . قال الأوزاعي : لما قالت لها الملائكة ذلك ، قامت في الصلاة حتى وُرمَت قدماها ومالتا دماً وقبحا .

ثم قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : (ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَفَلَا مَعَهُمْ آيَاتُهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ) قال ابن إسحق : كفَّلها ها هنا جُرِّجُ الراهب رجل من بنى إسرائيل نجار ، خرج السَّهْمُ عليه حملها ، وكان زكريا قد كفَّلها قبل ذلك ، فأصابته بنى إسرائيل أزمة شديدة ، فعجز زكريا عن حملها ، فاستهموا عليها ، فخرج السَّهْمُ على جُرِّجِ الراهب فكفَّلها . يقول تعالى : (وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ) أى ما كنت معهم إذ يختصمون في كفالتها ، فخره تعالى

(١) الزيادة من سيرة ابن هشام . والمحذر يطلق على النذير والنذيرة .

بِخَفَى مَا كَتَمُوا مِنْهُ مِنَ الْعِلْمِ عِنْدَهُمْ ؛ لِتَحْقِيقِ نَبَوْتِهِ ، وَالْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ بِمَا يَأْتِيهِمْ بِهِ
مِمَّا أَخْفَوْا مِنْهُ .

ثم قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ
الْمَسِيحُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ ﴾ أى هكذا كان أمره ، لا كما يقولون فيه . ﴿ وَجِئْنَا فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ ﴿ وَجِئْنَا ﴾ أى شريفا ذا جاد وقدر « وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ » عند الله
﴿ وَبُكِّمُ النَّاسِ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ يخبرهم بحالاته التى يتقلب فيها فى عمره ؛
كتقلب بنى آدم فى أعمارهم صغارا و كبارا ، إلا أن الله تعالى خصه بالكلام فى مهده
آيةً لنبوته وتزيتها لأمه . وقوله : « وَكَهْلًا » قال مقاتل : (١) إذا اجتمع قبل أن يرفع
إلى السماء . وقال الحسين بن الفضل : « كَهْلًا » بعد نزوله من السماء . وقال ابن كيسان :
أخبرها أنه يبقى حتى يكتمل . وقيل : يُكَلِّمُ النَّاسَ فى المهد صبيا وكهلا ؛ بشرها
بنبوته ، فلأمله فى المهد مُعْجِزَةٌ وفى الكهولة دَعْوَةٌ . وقال مجاهد : « وَكَهْلًا »
أى حَلِيًّا . (٢)

قال تعالى إخبارا عن مريم : ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ
قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ ثم أخبرها بما
يريد به فقال تعالى : ﴿ وَبُعِثْنَاهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾ قوله « الْكِتَابَ »
أى الكتابة والخط . « وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ » التى كانت فيهم من عهد موسى قبله « وَالْإِنْجِيلَ »
كتبا آخر أنزله الله إليه ، لم يكن عندهم إلا ذكره أنه كائن . يقول تعالى : ﴿ وَرَسُولًا
إِلَى بَنِي إِسْرَآئِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ أى يُحَقِّقُ بِهَا نَبَوْتِى أَنَّى رَسُولٌ مِنْهُ
إِلَيْكُمْ . ﴿ أَنَّى أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾

(١) اجتمع الرجل : آسرت لحبه ، وبلغ غاية شبابه .

(٢) على هذا يكون « كهلا » معطوفا على « وجيها » .

قال الثعلبي: قراءة العامة بالجمع؛ لأنه خلق طيرا كثيرة، وقراء أهل المدينة «طائرا» ذهبوا إلى أنه نوع واحد من الطير؛ لأنه لم يخلق غير الخفّاش، قال: وإنما خصّ الخفّاش لأنه أكل الطير خلقا؛ ليكون أبلغ في القدرة؛ لأن لها ثديا وأسنانا وهي تحيض وتطير، قال وهب: كان يطير ما دام الناس ينظرون إليه، فإذا غاب عن أعينهم سقط ميتا؛ لتمييز فعل الخلق من فعل الله عز وجل؛ وليعلم أن الكمال لله. (وَأَبْرَأُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ) «الأكمه» الذي يولد أعمى وجمعه كُمه. وقيل: هو الأعمى وهو المعروف من كلام العرب؛ قال سويد بن أبي كاهل:

كَيْهَتْ عَيْنَاهُ حَتَّى أَبْيَضَتْ * فَهُوَ يَلْحَى نَفْسَهُ حَتَّى تَزْعُ^(١)

والأبرص الذي فيه وضح، قال: وإنما خصّ هذين؛ لأنهما عيّاان وكان الغالب على زمن عيسى عليه السلام الطّب؛ فأراهم الله تعالى المعجزة من جنس ذلك.

قال وهب: ربما أجمع على عيسى عليه السلام من المرضى في اليوم الواحد نحسون ألقا، من أطاق منهم أن يبلغه بلغه، ومن لم يطق أتاه عيسى عليه السلام، وإنما كان يداوهم بالدعاء، على شرط الإيمان. (وَأَخِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ) قال الثعلبي: أحيا أربعة أنفس العازر وكان صديقا له، فأرسلت أخته إلى عيسى: إن أخاك العازر يموت فأتّه، وكان بينه وبينه مسيرة ثلاثة أيام، فأتاه هو وأصحابه، فوجدوه قد مات منذ ثلاثة أيام، فقال لأخته: أنظلي بنا إلى قبره.

فأنطلقت معهم إلى قبره وهو في صحرة مطبقة، فقال عيسى عليه السلام: «اللهم رب السموات السبع، إنك أرسلتني إلى بني إسرائيل أدعوهم إلى دينك، وأخبرهم أني أخى الموتى بإذنك، فأخى العازر»، قال: فقام عازر وودّكه يقطر، فخرج من قبره وبقي وولّد له. وأحيا ابن العجوز، مرّ به ميتا على عيسى عليه السلام،

(١) معنى البيت: أن الحسد قد يبيض عيه.

وهو يحمل على سرير، فدعا الله تعالى عيسى، فجلس على سرير، ونزل عن أعناق الرجال، ولبس ثيابه، وحمل السرير على عنقه، ورجع إلى أهله، فبقي وولد له، وآبئة العاشر قيل له: أتحييها وقد ماتت بالأمس؟ فدعا الله عز وجل فعاثت وبقيت وولدت، وسام بن نوح عليهما السلام، ودعا عيسى بأسم الله الأعظم، فخرج من قبره وقد شاب نصف رأسه، فقال: قد قامت القيامة؟ قال: لا، ولكني دعوتك بأسم الله الأعظم، ثم قال له: مُت، قال: بشرط أن يُعْذِرَني الله من سكرات الموت، فدعا الله سبحانه ففعل.

قال الكلبي: كان يُحيي الأموات بهياحي يا قيوم.

قال [تعالى]: ﴿وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْرُحُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ أي آية لكم أني رسول من الله إليكم.

يقول [تعالى]: ﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ﴾ أي لما سبقني منها. ﴿وَلِأَحْلَلْ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ أي أخبركم أنه كان عليكم حراما فتركتموه، ثم أحله لكم تخفيفا عنكم، فتصيبون يسره وتخرجون من تباعته.

يقول [تعالى]: ﴿وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَاطِيعُوا. إِنْ اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ أي هذا الهدى قد حملكم عليه وجئكم به. يقول تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ. رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ

(١) وهي التي كان أبوها يأخذ العشور.

(٢) زيادة يقتضها المقام.

(٣) التباعة (بالكسر): الشيء الذي لك فيه بنية شبه غلامه ونحوها، وهي التبعة.

فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ) أى هكذا كان قولهم وإيمانهم، لا كما يقول هؤلاء الذين يحاجونك، ثم ذكر تعالى رَفَعَهُ عِيسَى إِلَيْهِ حينَ اجْتَمَعُوا لِقَتْلِهِ، فقال: ﴿وَمَكُرُوا وَمَكَّرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ قال أهل المعانى: المكر السُّعْيُ بالفساد فى سِتْرٍ ومُدَاجَاةٍ. وقال الفراء: المكر من المخلوقين الخُبُّ والخديعة والحيلة، وهو من الله استِدْرَاجُهُ الْعِبَادَ. ثم أخبرهم تعالى، وردَّ عليهم فيما أقروا به لليهود من صَلْبِهِ، وأنَّ الله عَصَمَهُ مِنْهُمْ، ورفَّعه إليه، فقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ رَافِعُكَ إِلَى يَدِىَّ وَأُخْرِجُكَ مِنَ الْكَافِرِينَ وَكَافُرُوا وَكَافَرُوا وَلَئِنْ أَتَيْتُكَ بِتُورٍ مَذِينَةٍ تَزِيدُكَ إِيمَانًا وَخَشْيَةً وَأَنْتَ تَكْفُرُ بِهَا فَأَمَّا الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَيَكُونُونَ لَكَ آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ فَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ. وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَتُوفِّيهِمْ أَجْرَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ. ذَلِكَ نَبَلُّهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ قال الثعلبي: اختلفوا فى معنى التوفى هاهنا؛ فقال كُتِبَ وَالْحَسَنُ وَالْكَلْبَى وَمَطَرُ الْوَرَقِ وَمُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ الزَّيْرِ وَأَبْنُ جُرَيْجٍ وَأَبْنُ زَيْدٍ: معناه إني قابضك ورافعك من الدنيا إلى من غير موت. قال: وعلى هذا القول تأويلان: أحدهما — إني رافعك إلى واقفٍ لم ينالوا منك شيئاً؛ من قولهم تَوَفَّيْتُ هَذَا، وَاسْتَوْفَيْتُهُ أَيْ أَخَذْتَهُ تَامًا.

والآخر — إني مُسَلِّمُكَ؛ من قولهم تَوَفَّيْتُ مِنْهُ كَذَا أَيْ تَسَلَّمْتُهُ. وقال الربيع بن أنس: معناه إني مُنِمْكَ ورافعك إلى قى نومك؛ ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ﴾ أَيْ يُنِمْكُمْ؛ لِأَنَّ النَّوْمَ أَخُو الْمَوْتِ. وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ﴾ الآية. وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: إني مُنِمْكَ. ويدل عليه قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ﴾ وقوله: ﴿أَوْ تَوَفِّيَنَّكَ﴾ قال: وله على هذا القول تأويلان: أحدهما — ما قال وهب: تَوَفَّى اللَّهُ تَعَالَى

عيسى عليه السلام ثلاث ساعات من النهار ثم رفعه إليه . وقال ابن إسحق :
النصارى يزعمون أن الله تعالى توفاه سبع ساعات من النهار، ثم أحياه ورفع .
والآخر - ما قال الضحاك وجماعة من أهل المعاني : إن في الكلام تقدما وتأخيرا ،
معناه إني رافعك إلى ومطهرك من الذين كفروا ، ومتوفيك بعد أن أنزلك من
السماء . وقال أبو بكر بن محمد بن موسى الواسطي : معناه « إني متوفيك » عن
شهوأتك وحفظ نفسك . قال : وذلك أنه لما رُفِعَ إلى السماء صار حاله حال
الملائكة . وقوله : « وَرَافِعُكَ إِلَيَّ » قال البُنَّانِي والشَّيْبَانِي : كان عيسى عليه
السلام على طُورِ زَيْتَا فهبَّت رِيحٌ ، فهُرَّوَلَ عيسى ، فرفعه الله عز وجل في هَرَوَلته ،
وعليه يَدْرَعَةٌ من شَعَرٍ . وقيل : معناه ورافعك بالدرجة في الجنة ، ومقربك إلى
بالإكرام .

وقوله : « وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا » أى مُخْرِجُكَ مِنْ بَيْنِهِمْ وَمُنْجِيكَ مِنْهُمْ .
وقوله : « وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » قال قتادة والربيع
والشَّعْبِي ومقاتل والكأبي : هم أهل الإسلام الذين اتبعوا دينه وسُنَّته من أمة
محمد صلى الله عليه وسلم ، فوالله ما أتبعه من دعاة رِبَا . « فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا »
ظَاهِرِينَ فَاهِرِينَ بِالْعِزِّ وَالْمَنْعَةِ وَالِدَلِيلِ وَالْجُنَّةِ . وقال الضحاك وعلي ومحمد بن أبان :
يعنى الحوارين فوق الذين كفروا . وقيل : هم الرُّوم . وقال ابن زيد : وجاعل
النصارى فوق اليهود ، فليس بلده فيه أحد من النصارى إلا وهم فوق اليهود ، واليهود
مُسْتَدَلُّونَ مَقْهُورُونَ . قال : وعلى هذين القولين يكون معنى الاتباع : الادعاء
والحبة لا اتباع الدين والملة . « ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ » أى فى الآخرة . « فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ
فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ » أى من الدين وأمر عيسى .

قوله : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعْدَبَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا ﴾ بالقتل والسبي والحزبة والدلة . (والآخرة) بالنار . (وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ) . قوله : ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ الآية ظاهرة المعنى . قوله : ﴿ ذَلِكَ تَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴾ أى هذا الذى ذكرته لك ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « هو القرآن » . وقيل : هو اللوح المحفوظ ، وهو مُعلق بالعرش ، من دُرّة بيضاء ، و « الحكيم » هو المحكم من الباطل ، قاله مقاتل . وقال ابن إسحق : أى القاطع الفاصل ، الحق الذى لا يخالطه الباطل ، من الخبر عن عيسى ، وعما اختلفوا فيه من أمره ، فلا تقبل خبرا غيره . فقال : ﴿ إِنْ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ . الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ أى قد جاءك الحق فلا تتردد فيه ، وإن قالوا خلق عيسى من غير [ذكر] ^(١) ، فقد خلقت آدم [من تراب] ^(٢) بتلك القدرة من غير أنى ولا ذكر ، فكان لحما ودمًا وعظمًا وشعرًا وبشرًا ، كما كان عيسى ، فليس خلق عيسى من غير ذكر بأعجب من هذا .

ثم قال تعالى : ﴿ قَدْ كَانَ حَاجَتَكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ﴾ أى من بعد ما قصصت عليك من خبره ﴿ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ تَبَيَّلْ لَنُحْلِلَ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ قوله : « تَبَيَّلْ » أى تتضرع فى الدعاء . وقيل : نخلص فى الدعاء . وقيل : نجتهد ونبالغ فنقول لعن الله الكاذب منا ومنكم . قال ابن إسحق : ﴿ إِنْ هَذَا ﴾ الذى جئت به من الخبر عن عيسى ﴿ لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ﴾ من أمره . (وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) . فَإِنْ تَوَلَّوْا أى إن أعرضوا عن الإيمان ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴾ أى الذين يعبدون غير الله تعالى ، ويدعون الناس إلى عبادة غير الله .

(١) فى الأصول : « ذلك » وهو تحريف ، والتصويب من سيرة ابن هشام .

(٢) الزيادة من سيرة ابن هشام .

ثم قال تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ فدعاهم إلى النصف ، وقطع عنهم الحجة ، قال : فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من الله عز وجل عن عيسى ، والفصل من القضاء بينه وبينهم ، وأمره بما أمره به من ملاعتهم إن ردوا ذلك عليه ، دعاهم إلى ذلك ، فقالوا : يا أبا القاسم ، دعنا ننظر في أمرنا ، ثم نأتيك بما نريد أن نفعل فيما دعوتنا إليه ، فأنصرفوا عنه ، ثم خلوا بالعاقب ، فقالوا : يا عبد المسيح ، ماترى ؟ فقال : والله يا معشر النصارى لقد عرفتم أن محمداً لبيّ مرسل ، لقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم ، ولقد علمتم ما لآعن قوم نبياً قط فبقى كبيرهم ، ولا نبت صغيرهم ، وأنه الاستئصال منكم إن فعلتم ، فإن كنتم قد أبيتم إلا إلف دينكم ، والإقامة على ما أتمم عليه من القول في صاحبكم ، فوادعوا الرجل ، ثم أنصرفوا إلى بلادكم . فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا أبا القاسم ، قد رأينا ألا نلاعنك ، وأن تتركك على دينك ، ونرجع على ديننا ، ولكن أبعث معنا رجلاً من أصحابك ، ترضاه لنا ، يحكم بيننا في أشياء اختلفنا فيها من أموالنا ، فإنكم عندنا رضاء . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أئتوني العشيّة أبعث معكم القويّ الأمين » فكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : ما أحييت الإمارة قط حبيّ إياها يومئذ رجاء أن أكون صاحبها ، فخرجت إلى الظهر مهجراً^(١) ، فلما صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر ، سلم ثم نظر عن يمينه ويساره ، فجعلت أخطاؤه له ليران ، فلم يزل يلتمس ببصره حتى رأى أبا عبيدة بن الجراح فدعاه له ، وذلك قبل الهجرة .

(١) المهجر : الذى يسير فى الهجرة ، وهى شدة الحر .

فقال : « أخرج فاقض بينهم بالحسب فيما اختلفوا فيه » قال عمر : فذهب بها أبو عبيدة . هذا ما رواه ابن هشام عن ابن إسحق .

وقال محمد بن سعد في طبقاته : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرض عليهم المباحلة أنصرفوا عنه ، ثم أتاه عبد المسيح ورجلان من ذوى رأيهم ، فقال : قد بدا لنا إلا نبأهك ، فأحكم علينا بما أحبت نعطك ونصالحك . فصالحهم على ألفى حلة : ألف في شهر رجب ، وألف في صفر ، أو قيمة كل حلة من الأواق ، وعلى عارية ثلاثين درهماً ، وثلاثين رُحماً وثلاثين بعيراً ، وثلاثين فرساً : إن كان باليمن كيداً .^(١) ولتجران وحاشيتهم جوار الله وذمة عهد النبي رسول الله ، على أنفسهم وميتهم وأرضهم وأموالهم وغائبهم وشاهدهم وبيعتهم ، لا يغير أسقف من سقيفاه ، ولا راهب من رهبانيته ، ولا واقف من وقفايته ، وفي بعض الروايات لا يغير وافته من وقفيته ، ولا قسيس من قسيسيته . والواقف : قيم الكنيسة .

قال : وأشهد على ذلك شهوداً . منهم أبو سفيان بن حرب ، والأقرع بن حابس والمخيرة بن شعبة ، ورجعوا إلى بلادهم ، فلم يلبث السيد والعاقب إلا يسيراً حتى رجعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فأسلما وأنزلما في دار أبي أيوب الأنصاري ،

(١) كيد : حرب .

(٢) الأسقف : رئيس النصارى في الدين . وسقيفاه : مصدر كالخليفة من الخلافة ؛ أى لا يمنع من تسقفه وما يعاينه من أمر دينه وتقدمته .

(٣) الواقف : خادم البيعة ؛ لأنه وقف على خدمتها . وقفايته : خدمته ، ويروى « رقيفاه » بالكسر والتشديد ؛ وهى مصدر كالخصيصي والخليفة .

(٤) ورواه ابن الأعرابي « واقف » وكأنه مقلوب .

وأقام أهل تجران على ما كتب لهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قبضه الله تعالى . ثم ولى أبو بكر فكتب بالوصاة بهم عند وفاته ، ثم أصابوا ريباً فانخرجهم عمر بن الخطاب من أرضهم ، وكتب لهم :

« هذا ما كتب عمر أمير المؤمنين لتجران . من سار منهم إنه آمن بأمان الله ، لا ينصرهم أحد من المسلمين ، وفاء لهم بما كتب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر - أما بعد - فمن وقَّعوا به من أمراء الشام وأمراء العراق فليوسعهم من جريب الأرض ، ما اعتَمَلُوا من ذلك فهو لهم صدقة ، وعقبة لهم بمكان أرضهم ، لا سبيل عليهم فيه لأحد ولا مغرم - أما بعد - فمن حضرهم من رجل مسلم فلينصرهم على من ظلمهم ، فإنهم أقوام لهم الذمة . وجزيتهم عنهم متروكة أربعة وعشرين شهراً بعد أن يقدموا ، ولا يكلفوا إلا من ضيعتهم ، غير مظلومين ولا معنوف عليهم .^(١) شهد عثمان بن عفان ومُعَيْقِب بن أبي فاطمة .

قال : فوقع ناسٌ منهم بالعراق ، فنزلوا التجرانية التي هي ناحية الكوفة .

وحيث ذكرنا وفادات العرب ، فلا بأس أن نصل هذا الفصل بما يناسبه من خبر الجثن في إسلامها ، ونلحق ذلك بما يتعلق به من إخبار الجثن أصحابهم بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن أسلم بسبب ذلك ، فإننا عند ذكرنا للبشترات برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ذكرنا من ذلك طرفاً ، وأخرنا بقيته لندكره في هذا الفصل ، ونبينا عليه هناك .

(١) وقعوا : نزوا . (٢) جريب : هو في الأصل الوادي ، ثم استعمل للقطعة المتميزة من الأرض . ما اعتَمَلُوا : استعملوه في الزراعة . (٣) في طبقات ابن سعد : « من ضيعتهم التي احتلوا » . (٤) لا معنوف عليهم : أي لا يشتد عليهم في المعاملة ، بل يعاملون باللين والرفق .

ذكر خبر إسلام الجن

ودعاهم قومهم إلى الإيمان عند سماعهم القرآن

قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ . قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ . يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرَكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ . وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۝ ﴾ (١)

وكان من خبر الجن ما روى عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ، قال :
 أنطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم في طائفة من أصحابه ، عامدين إلى سوق عكاظ
 وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء ، وأُرسلت عليهم الشُّبُه ، فرجعت
 الشياطين ، فقالوا : ما لكم ؟ فقالوا : قد حيل بيننا وبين خبر السماء ، وأُرسلت علينا
 الشُّبُه ، قالوا : ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا ما قد حَدَثَ ، فأضربوا مشارق
 الأرض ومغاريبها ، فانظروا ما هذا الأمر الذى قد حَدَثَ ، فأنطلقوا فضرَبوا مشارق
 الأرض ومغاريبها ، ينظرون ما هذا الأمر الذى حَالَ بينهم وبين خبر السماء ، وأنطلق
 الذين تَوَجَّهوا إلى نحو تهامة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بخِلة (٢) وهو عامد إلى
 سوق عكاظ ، وهو يصلى بأصحابه صلاة الفجر ، فلما سمعوا القرآن تَسَمَّعُوا له فقالوا : هذا (٣)

(١) الآيات من ٢٩ - ٣٢ سورة الأحقاف .

(٢) خِلة : اسم موضع يعرف بخِلة البغاثية بواد يأخذ إلى قرن والطائف ، قال في المصباح : « بها كان

ليلة الجن » ، وبها صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف لما سار إلى الطائف ، بينها وبين مكة ليلة .

(٣) تسمعوا له : تكلفوا سماعه .

الذى حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَيْرِ السَّمَاءِ . فَمِنْ ذَلِكَ رَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ (فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا
مُحَجَّبًا . يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَأَمَّا بِنَا وَلَكِنْ نَشْرِكُ رَبَّنَا أَحَدًا) . وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ) . وَإِنَّمَا أُوحِيَ إِلَيْهِ قَوْلُ الْجِنِّ ،
رواه البخاري في صحيحه عن موسى بن إسماعيل ، عن أبي عروانة ، عن أبي بشر
عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس .

وفذهب محمد بن سعد إلى أن استماع الجن كان بخلة ، عند عود رسول الله
صلى الله عليه وسلم من الطائف ، لما توجه يدعوهم إلى الإسلام فلم يستجيبوا له ،
وذلك قبل الهجرة .

وقال الشيخ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي في كتابه المترجم « بدلائل النبوة » ،
ومعرفة أحوال صاحب الشريعة « بعد أن ساق حديث البخاري قال : وهذا الذي
حكاه عبد الله بن عباس إنما هو في أول ما سمعت الجن قراءة النبي صلى الله عليه
وسلم ، وعلمت بحاله ، وفي ذلك الوقت لم يقرأ عليهم ولم يهرم كما حكاه ، ثم أتاه
داعى الجن مرة أخرى ، فذهب معه ، وقرأ عليهم القرآن ، كما حكاه عبد الله
ابن مسعود .

وقد روى البيهقي بسنده إلى عبد الله بن مسعود خبر الجن في القِصتين : أما
الأولى فإنه قال : هبطوا على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ القرآن بطن نخلة ،
فلما سمعوه قالوا : أنصتوا - قالوا صه - وكانوا سبعة ، أحدهم زوبعة ، فأنزل
الله تعالى : (وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا
أَنْصِتُوا) إلى قوله : (أَوَلَيْكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) . وعن ابن مسعود أن النبي
صلى الله عليه وسلم آذنته بالجن شجرة ، رواه البخاري ومسلم في الصحيحين .

وأما القصة الثانية ، فرواها عن الشَّعْبِيِّ عن عَلْقَمَةَ قال : قلت لعبد الله بن مسعود هل صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلةَ الجحِّ منكم أحدٌ ؟ فقال : ما صحبه منا أحدٌ ، ولكنا فقدناه ذات ليلةَ بمكة فقلنا : اغْتِيلَ ؟ اسْتُطِيرَ ؟ ما فعل ؟ قال : فَبِتْنَا بِشَرِّ لَيْلَةٍ بات بها قومٌ ، فلما كان في وجه الصُّبْحِ أو قال في السَّحَرِ ، إذا نحن به يحيى من قبل حِراءَ ، فقلنا : يا رسول الله ، فذكروا الذى كانوا فيه ، فقال : « إنه أتانى داعى الجحِّ فأتيتهم فقرأت عليهم » قال : فَأَنْطَلِقُ فَأَرَانَا آثَارَهُمْ ، وَأَثَارَ نيرانهم ، قال : وقال الشَّعْبِيُّ فَمَسَّأَلُوهُ الرَّادَ ، وقال ابنُ أبى زائدة : قال عامر سألوهُ لَيْلَتِيذِ الرَّادِ ، وكانوا من جحِّ الجزيرة ، فقال : « كُلُّ عَظْمٍ ذَكَرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ يَقَعُ فِي أَيْدِيكُمْ أَوْ فَرَمًا كَانَتْ لَحْمًا ، وَكُلُّ بَعْرَةٍ أَوْ رَوْثَةٍ عُلِفَ لِدَوَابِّكُمْ - قال - فلا تَسْتَنْجُوا بهما فإنهما زاد إخوانكم من الجحِّ » رواه مسلم في صحيحه . وكان فيما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم : « الرَّحْمَنُ . عَلَّمَ الْقُرْآنَ » السورة ؛ ويدل على ذلك ما رواه محمد بن المنكدر ، عن جابر بن عبد الله قال : لما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم « الرَّحْمَنُ » على الناس سَكَتُوا فلم يقولوا شيئا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَيْفَ كَانُوا أَحْسَنَ جَوَابًا مِنْكُمْ لِمَا قَرَأْتُ عَلَيْهِمْ » فَيَأَى آلاءَ رَبِّكَ تُكَذِّبَانِ » قالوا لا ولا بشيء من آلاء ربنا نكذب . ومن رواية أخرى عنه : « قالوا لا ولا بشيء من نِعَمِكَ رَبَّنَا نَكْذِبُ فَلَكَ الْحَمْدُ » .

وعن أبى المُلَيْحِ الهُدَلِيِّ أنه كتب إلى عبيدة بن عبد الله بن مسعود : أين قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجحِّ ؟ فكتب إليه : إنه قرأ عليهم يشعُبُ يقال له المَجْجُونُ . وروى عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم « أن نفرا

(١) الذي في نسخة الليثي مخطوطة : « قالوا لا بشيء من آلائك ربنا نكذب » .

من الحق خمسة عشر بنى إخوة وبنى عم ياتوننى الليلة فأقرأ عليهم القرآن . وقيل : كانوا أكثر من هذا . وقد جاء عنه : أنه ذهب إلى موضعهم ، قال : فرأيت موضع مبرك ستين يبراً . ولما رأى عبد الله بن مسعود رجال الزط^(١) قال : ما رأيت شبههم إلا الحق ليلة الحق ، وكانوا مستنفرين يتبع بعضهم بعضاً .

ذكر إخبار الحق أصحابهم

بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وإسلامهم بسبب ذلك .
 روى أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى رحمه الله في صحيحه ، بسنده عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : ما سمعتُ عمر رضى الله عنه لشيء قط يقول ، إني لأظنه كذا إلا كان كما يظن^(٢) ؛ بينما عمر جالس إذ مرَّ رجلٌ جميل ، فقال : لقد أخطأ ظنى أو إن هذا على دينه في الجاهلية ، ولقد كان كاهنهم ؛ على الرجل ، فدعى له ، فقال له عمر : لقد أخطأ ظنى أو إنك على دينك في الجاهلية أو لقد كنت كاهنهم ، فقال : ما رأيت كالיום استقبل به رجلٌ مسلم . قال : فإني أعزيم عليك إلا ما أخبرتنى . قال : كنت كاهنهم في الجاهلية . قال : فما أعجب ما جاءتك به جيتك ؟ قال : بينما أنا يوماً في سوق جاءني أعرف فيها الفزع ، قالت :

(١) الزط : جنس من السودان والهند .

(٢) لأن عمر رضى الله عنه كان من المحدثين (بتشديد الدال المفتوحة) أى الملهمين بالصواب .

(٣) قال البيهقي : « يشبه أن يكون هو سواد بن قارب » .

(٤) أى في كونه في الجاهلية بأن صار مسلماً (القبطاني) .

(٥) أعزيم عليك : أتركك .

أَلَمْ تَرَ الْجَنِّ وَإِبْلَاسَهَا * وَيَأْسَهَا بَعْدُ وَإِبْلَاسَهَا^(١)
وَلُحُوقَهَا بِالْقِلَاصِ وَأَحْلَاسَهَا * وَيَأْسَهَا بَعْدُ مِنْ أَنْسَاكِهَا^(٢)

قال عمر : صدق ، بينا أنا نائمٌ عند آلهتهم ، إذ جاء رجلٌ بعجلٍ فذبحه ،
فصرخَ منه صارخٌ لم أسمع صارخاً قطُّ أشدَّ صوتاً منه يقول : يا جَلِيجُ^(٣) ، امرُ نَجِيجِ ،
رجلٌ يصيحُ ، يقول لا إله إلا الله ، فوثب القومُ ، قلتُ : لا أبرحُ حتى أعلم ما وراء
هذا ، ثم نادى : يا جَلِيجُ ، امرُ نَجِيجِ ، رجلٌ يصيحُ ، يقول لا إله إلا الله ،
فقلت لا أبرحُ حتى أعلم ما وراء هذا ، ثم نادى : يا جَلِيجُ ، امرُ نَجِيجِ ، رجلٌ
يصيحُ ، يقول لا إله إلا الله . فقمتُ فأنشبتُ أن قيل هذا نبي .

قال البيهقي : ظاهر هذه الرواية يُوهم أن عمر رضى الله عنه بنفسه سمع
الصارخَ يصرخ من العجل الذي دُبح ، وكذلك هو صريح في رواية ضعيفة عن عمر
في إسلامه ، وسائر الروايات تدل على أن الكاهن أخبر بذلك عن رؤيته وسماعه ،
والله تعالى أعلم .

ذكر خبر سَوَادِ بْنِ قَارِبٍ

روى البيهقي رحمه الله تعالى بسنده عن البراء ، قال : بينا عمر بن الخطاب
رضي الله عنه يخاطب الناس على منبر النبي صلى الله عليه وسلم ، إذ قال : أيها الناس ،
أفيكم سَوَادُ بْنُ قَارِبٍ ؟ قال : فلم يجبه أحدٌ تلك السنة ، فلما كانت السنة المقبلة ،

(١) إبلاسا : تحيرها ودهشها . (النهاية) .

(٢) القلاص (جمع قلوص) : الناقة الشابة . أحلاسها : أكديتها . وأنساكها : متعباتها . والبيان

ورد هكذا في الأصول والدلائل ، وفي البخاري : أَلَمْ تَرَ الْجَنِّ وَإِبْلَاسَهَا * وَيَأْسَهَا مِنْ بَعْدِ أَنْسَاكِهَا *

ولحوقها بالقلاص وأحلاسها . وروى الشطر الأخير ليكون موزوناً : (ورحلها العيس بأحلاسها) .

(٣) يا جليج ؛ قال ابن الأثير : « جليج اسم رجل قد ناداه » . ويحتمل أن يكون معناه :

المكافئ والمكاشف بالعداوة . ونجيج : من النجاح ، وهو الظفر بالغة . (القسطلاني) .

٤٨
١٦

قال : أيها الناس ، أفیکم سَوَادُ بن قَارِب ؟ قال فقلت : يا أمير المؤمنين ، وما سَوَادُ
أبن قارب ؟ فقال : إنا سَوَادُ بن قَارِب كان بدء إسلامه شيئا عجيبا ! قال :
فينا نحن كذلك ؛ إذ طلع سَوَادُ بن قَارِب ، فقال له عمر : يا سَوَادُ ، أخبرني ببدء
إسلامك كيف كان ؟ قال سَوَادُ : فإني كنتُ نازلا بالهند وكان لي رَيٌّ من
الحنّ ، قال : فينا أنا ذات ليلة نائم ؛ إذ جاءني في منامي ذلك ، قال : قم فأفهم
وأعقل إن كنت تعقل ، قد بعث رسول من كُؤى بن غالب ، ثم أنشأ يقول :

عَجِبْتُ لِلْبَنِّ وَأَنْجَامِهَا * وَشَدَّهَا الْعِيسَ بِأَحْلَامِهَا ^(١)
تَهْوِي إِلَى مَكَّةَ تَبْغِي الْهَدَى * مَا مُؤْمِنُوهَا مِثْلُ أَرْجَامِهَا
فَأَنْهَضُ إِلَى الصَّفْوَةِ مِنْ هَاشِم * وَأَسْمُ بَعِيَّتِكَ إِلَى رَأْسِهَا

ثم أنبئني وأفرغني ، وقال : يا سَوَادُ بن قَارِب ، إن الله عز وجل بعث نبيا فأنهض
إليه تهتد وترشد ، فلما كان في الليلة الثانية أتاني فأنبئني ، ثم أنشأ يقول كذلك :

عَجِبْتُ لِلْبَنِّ وَتَطْلَاهَا * وَشَدَّهَا الْعِيسَ بِأَقْنَامِهَا ^(٢)
تَهْوِي إِلَى مَكَّةَ تَبْغِي الْهَدَى * لَيْسَ قُدَامَاهَا كَأَذْنَاهَا ^(٢)
فَأَنْهَضُ إِلَى الصَّفْوَةِ مِنْ هَاشِم * وَأَسْمُ بَعِيَّتِكَ إِلَى نَاحِيهَا ^(٣)

(١) في مختصر الدلائل :

عجبت للبن وأنجاسها * وشدها العيس بأحلامها
تهوي إلى مكة تبغي الهدى * ماخير الجن كأنجاسها

(٢) في مختصر الدلائل :

تهوي إلى مكة تبغي الهدى * ماصادق الجن ككذابها
فارحل إلى الصفوة من هاشم * ليس قداماها كأذناها

(٣) تاب القوم : سيدهم ورئيسهم ، ومايسو : طلب المزوالشرف .

فلما كان في الليلة الثالثة أتاني فأنبئني، ثم قال كذلك :

عَجَبْتُ لِنَبِيِّ، وَتَحَبَّارِهَا * وَشَدَّهَا الْعَيْسَ بِأَكْوَارِهَا
تَهَوَّى إِلَى مَكَّةَ تَبْنِي الْهُدَى * لَيْسَ ذُووُ الشَّرِّ كَأَخْيَارِهَا^(١)
فَأَنْهَضَ إِلَى الصَّفْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ * مَا مُؤْمِنُو الْحَرِّ كَكُفَّارِهَا

قال : فلما سمعته يكرر ليلة بعد ليلة وقع في قلبي حُب الإسلام من أمر النبي صلى الله عليه وسلم ما شاء الله، فأنطلقتُ إلى رَحْلِي فشددته على راحلتي، فَمَا حَلَلْتُ نِسْعَةً وَلَا عَقَدْتُ أُخْرَى حَتَّى أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإذا هو بالمدينة والناس عليه كَعُرْفِ الْفَرَسِ، فلما رَأَيْتُ قَالَ : « مَرَحِبًا بِكَ يَا سَوَادُ بْنُ قَارِبٍ، قَدْ عَلِمْنَا مَا جَاءَ بِكَ » قَالَ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ قُلْتُ شِعْرًا فَأَسْمِعْهُ مِنِّي، قَالَ سَوَادُ فَقُلْتُ :

أَتَانِي رَيْئِي بَعْدَ لَيْلٍ وَهَجْمَةٍ * وَلَمْ يَكْ فِيمَا قَدْ بَلَوْتُ بِكَاذِبٍ^(٢)
ثَلَاثَ لَيَالٍ قَوْلُهُ كُلِّ لَيْلَةٍ * أَتَاكَ نَبِيٌّ مِنْ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبٍ^(٣)
فَشَمَّرْتُ عَنْ سَاقِي الْإِزَارِ وَسَطَّتْ * فِي الذَّعْلَبِ الْوَجْنَاءُ عِنْدَ السَّبَاسِبِ^(٤)

(١) نَحْوُ غَضْمِ اللَّامِ : الْفَرَسُ السَّيْرُ لَا مِنْ نَسِيمٍ :

تَهَوَّى إِلَى مَكَّةَ تَبْنِي الْهُدَى * مَا مُؤْمِنُو الْحَرِّ كَكُفَّارِهَا

١٥ فَأَرْحَلُ إِلَى الصَّفْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ * بَيْنَ رَوَابِيهَا وَأَهْجَارِهَا

(٢) النِسْعَةُ : سَيْرٌ مَضْفُورٌ، يَجْعَلُ زِمَامًا لِلْبَعِيرِ وَغَيْرِهِ، وَشَدَّ بِهِ الرَّحَالُ أَيْضًا، وَالْمُرَادُ أَنِّي لَمْ أَفْعَلْ شَيْئًا حَتَّى جِئْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(٣) عُرْفُ الْفَرَسِ : مَنبَتُ الشَّعْرِ مِنَ الْعُنُقِ .

(٤) الرَّئِي بَوْرَنُ كَيْ : النَّاسُ مِنَ الْجَنِّ، سَمِيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ يَرَاهُ شَيْعُوهُ، أَوْ هُوَ مِنَ الرَّأْيِ مَنْ قَوْلِهِ :

٢٠ فَلَانِ رَأَى قَوْمَهُ إِذَا كَانَ صَاحِبَ رَأْيِهِمْ، وَقَدْ تَكَسَّرَ رَأْيُهُ لِاتِّبَاعِهِمَا بَعْدَهَا . وَالْهَجْمَةُ الطَّاقَةُ مِنَ اللَّيْلِ . وَرَوَايَةُ الْبَيْهَقِيِّ وَالْبُخَارِيِّ : وَلَمْ أَكْ فِيمَا قَدْ بَلَوْتُ .

(٥) شَمَّرْتُ عَنْ سَاقِي الْإِزَارِ : كَتَبْتُ عَنْ الْجِدِّ . وَالذَّعْلَبُ الْوَجْنَاءُ : النَّاقَةُ السَّرِيعَةُ الْغَلِيظَةُ الصَّلْبَةُ .

السَّبَاسِبُ (جَمْعُ سَبَسَبٍ) : الْأَرْضُ الْفَقْرُ الْبَعِيدَةُ وَالْمَقَاظَةُ .

فأشهد أن الله لا شئَ غَيره * وأنتَ مأمونٌ على كُلِّ غائبٍ

وأنتَ أذنَى المُرسلين شَفاعةً * إلى الله يابن الأكرمين الأطايِبِ

فَقرنا بما يأتِيكَ يا خَيرَ مَنْ مَشَى * وإن كانَ فيما جاءَ شَيْبُ الدَّوائِبِ ^(١)

فَكُنْ لي شَفيعاً يَوْمَ لا ذوَ شَفاعةٍ * سِوَاكَ يَمُغْنِ عن سِوَادِ بِنِ قَارِبِ ^(٢)

قال : فضحك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى بدتْ نواجِذه ، وقال لي :

« أَفَلَحْتَ يا سِوَادُ » فقال عمر : هل يأتِيكَ رَئيكَ الآن ؟ فقال : مُنذُ قرأتُ القرآنَ

لم يأتني ، ونِعَمَ العِوضُ كُتَابُ الله عزَّ وجلَّ من الحِلَقِ .

قال البيهقي : ويشبه أن يكون هذا هو الكاهن ، الذي لم يذكر اسمه في الحديث

الصحيح ، وهو الحديث الذي ذكرناه آنفاً قبل خبر سِوَادِ .

وقد روى أيضاً عن سِوَادِ بِنِ قَارِبِ ، من رواية سعيد بن جُبَيْر بنحو هذا ،

إلا أنه قال : كان سِوَادُ في جبلٍ من جبالِ الشَّراةِ ، وقال : أتيتُ رسولَ الله ^(٣)

صلى الله عليه وسلم وهو بمكة ، وقد ظهر ، فأخبرته الخبر ، وبايعته .

قال البيهقي رحمه الله : وقوله أتيت مكة أقرب إلى الصَّحَّةِ [مما رويناه

في الروایتين الأوليين] ^(٥) . والله تعالى أعلم .

(١) الدوائِبُ : جمع ذُوابة ، وهي الصَّغيرة من الشعر إذا كانت مرسله . يقول : مرنا بما يوحى إليك ولو كان فيه شيب شعرنا .

(٢) ويروى : يمغن قتيلاً .

(٣) النواجد : قال ثعلب : المراد الأنياب ، وقيل : الأضراس كلها .

(٤) الشَّراة : جبل شاخ عن يسار عسفان ، وبه سلسلة تذهب إلى ناحية الحجاز .

(٥) الزيادة من دلائل البيهقي .

ذِكْرُ خَيْرِ خُفَّافٍ بِنِ نَضْلَةِ الثَّقَفِيّ

رَوَى أَبُو بَكْرِ الْبَيْهَقِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ بِسَنَدِهِ إِلَى ذَائِلِ بْنِ طُقَيْلٍ بْنِ عَمْرِو الدَّوْمِيِّ ،
 أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَعَدَ فِي مَسْجِدِهِ ذَاتَ يَوْمٍ ، فَقَدِمَ عَلَيْهِ خُفَّافٌ بِنِ نَضْلَةِ
 أَبِي عَمْرِو بْنِ بَهْدَلَةَ الثَّقَفِيِّ ، فَانْشَدَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

كَمْ قَدْ تَحَطَّمَتِ الْقُلُوصُ بِالدَّجَى * فِي مَهْمَةٍ قَفَرٍ مِنَ الْقَلَوَاتِ ^(١)
 فِئْلٌ مِنَ التَّوْرِيسِ لَيْسَ بِقَاعِهِ * نَبَتْ مِنَ الْإِنْسَانِ وَالْأَزْمَاتِ ^(٢)
 إِنِّي أَنَا فِي الْمَنَامِ مُسَاعِدٌ * مِنْ جَنٍّ وَجَرَّةٍ كَانَ لِي وَمَوَاتٍ ^(٣)
 يَدْعُو إِلَيْكَ لِيَالِيًا وَلِيَالِيًا * ثُمَّ أَحْزَالَ وَقَالَ تَسْتُ يَاتٍ ^(٤)
 فَرَكِبْتُ نَاجِيَةً أَضْرَ بَنِيهَا * جَمْرٌ تَحَبُّ بِهِ عَلَى الْأَكْمَاتِ ^(٥)
 حَتَّى وَرَدْتُ إِلَى الْمَدِينَةِ جَاهِدًا * كَيْمَا أَرَاكَ تَفْقِرُجَ الْكُرْبَاتِ

قال : فَأَسْتَحْسِنُهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَالَ : « إِنَّ مِنْ الْبَيَانِ كَالسَّحَرِ ،
 وَإِنْ مِنْ الشَّعْرِ كَالْحِكَمِ » .

(١) تحطمت : حطمت الأرض بأخفافها . والقُلُوصُ : الناقة الفتيّة ، الدجى : سواد الليل مع
 غيم ، مهمه : مفازة بعيدة ، القلوات جمع فلاة : وهي الصحراء الواسعة ، أو المفازة لأماء فيها .

(٢) فِئْلٌ : خالية ، والتوريس : صبح أصفر ؛ يريد أن المهمة القفر خال من اللون الأصفر الذي
 يكون على وجه الأرض عند المحل ، لهذا قال ليس بقاعه نبت لسبين المحل وأزماته . والأرض يكسو
 وجهها عند المحل لون اصفرار ، فإذا زال بشدة المحل بدا قاع الأرض وهو وجهها كأنها غير منبثة .

(٣) وجرة : موضع بين مكة والبصرة موحش . وموات : موافق ومطارع .

(٤) أحزّال : أرتفع .

(٥) الناجية : الناقة السريمة التي تنجو بصاحبها . بنيسا : بلحمها ونحمها ، وفي الإصابة :
 « بنتها » أي يظهرها . وفي الدلائل : « بنيسا » وهو تصحيف . الجمر : السير السريع . وفي الدلائل :
 جمر بالزاي : وهو ضرب من العدو . تحب : تسرع . الأكمت : التلال والروابي .

ومن ذلك ما روى عن علي بن حسين ، قال : أول خبر قدم المدينة ، أن امرأة من أهل يثرب تدعى فاطمة ، كان لها تابع من الجن بقاءها يوماً فوق عجل جدارها ، فقالت : مالك لا تدخل ؟ فقال : إنه قد بعث نبي يحرم الزنى ، فحدث بذلك المرأة عن تابعها من الجن ، وكان أول خبر يحدث به بالمدينة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وعن جابر قال : أول خبر قدم المدينة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أن امرأة من أهل المدينة كان لها تابع ، بقاء في صورة طائر حتى وقع على حائط دارهم ، فقالت له المرأة : أنزل تحريكاً وتحزيناً ، قال : لا ، إنه بعث بمكة نبي منع من القرار ، وحرم علينا الزنى .

ومنه ما روى عن محمد بن عمر بن واقد ، عن تميم الدارجي أنه قال : سرت إلى الشام فأدركني الليل ، فأنيت وادياً فقلت : أنا في جوارٍ عظيم هذا الوادي الليلة ، فلما أخذت مضجعي إذا قائل لا أراه يقول : عُد بالله الأحد ، فإن الجن لا يُجير على الله أحداً ، وأنه قد بعث رسول الأُميين ، وصلينا خلفه بالبحون ، وأسلمنا وأتبعناه ، وأما به وصدقناه ، فأسلم تسلم . قال تميم : فلما أصبحت ذهبت إلى دير أيوب ، فسألت راهبه عما سمعت من الهاتف ، فقال : صدق . وكان ذلك سبب إسلام تميم .

ومنه ما روى عن أبي خريم فاطك أنه قال : خرجت في الجاهلية أطاب إبلا

(١) في الدلائل « فضيلة » : بالتصغير .

(٢) دير أيوب : قرية بحوران من نواحي دمشق كان بها أيوب عليه السلام .

(٣) هو فاطك بن الأثرم الأسدي .

أضلتها ، فلما كنت بأبرق المزاف^(١) ، عقلتُ ناقتي وتوسدتُ ذراعها ، وقلت :
أعوذ بعظيم هذا المكان ، فسمعت هاتفا يقول :

تَعَوَّذَنْ بِاللَّهِ ذِي الْجَلَالِ * وَوَحَّدِ اللَّهَ وَلَا تُبَالِي
* مَا هَوْلَ الْجَنِّ مِنَ الْأَهْوَالِ^(٢) *

قال فقلت : يَبْنَ لِي يَرْحَمَكَ اللَّهُ ، فقال :

هَذَا رَسُولُ اللَّهِ دُورُ الْخَيْرَاتِ * يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالنَّجَاةِ
* يَأْمُرُ بِالصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ *

قال : فوقع في قلبي الإسلام ، فقلت : مَنْ أَنْتَ أَيُّهَا الْهَاتِفُ ؟ فقال : أَنَا مَالِكُ بْنُ
مَالِكٍ ، إِنِّي أَرَدْتُ الْإِسْلَامَ فَأَنَا أَكْفِيكَ طَلَبَ ضَاتِكَ حَتَّى أَرُدَّهَا إِلَى أَهْلِكَ ،
قال : فركبتُ راحلتي وقصدتُ المدينة ، فقَدِمْتُهَا فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ ، فَأَتَيْتُ الْمَسْجِدَ
فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ ، فَأَنْخَسْتُ بَابَ الْمَسْجِدِ قُلْتُ أَلْبَسْتُ حَتَّى
يُفْرَغَ مِنْ خُطْبَتِهِ ، وَإِذَا أَبُو ذَرٍّ قَدْ خَرَجَ فَقَالَ لِي : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ وَهُوَ يَقُولُ لَكَ : « مَرَحَبًا قَدْ بَلَغَنِي إِسْلَامُكَ فَادْخُلْ فَصَلِّ مَعَ النَّاسِ »
قال : فَتَطَهَّرْتُ وَدَخَلْتُ فَصَلَّيْتُ ، ثُمَّ دَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَبَايَعَنِي
وَأَخْبَرَنِي بِالْخَبْرِ قَبْلَ أَنْ أَذْكُرَهُ لَهُ ، وَقَالَ لِي : « أَمَّا إِلَيْكَ فَقَدْ بَلَغْتُ أَهْلَكَ ، وَقَدْ
وَفَّقِي لَكَ صَاحِبِكَ » فقلت : جَزَاهُ اللَّهُ خَيْرًا وَرَحِمَهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ : « آمِينَ » .

(١) أبرق المزاف كشداد : ما لبني أسد بن خزيمه سموه بذلك لأنهم يسمعون فيه عزيف الجن
أى صوتهم ، وهو صوت يسمع بالمقايذ بالليل من الرياح .
(٢) في أسد الغابة في ترجمة مالك بن مالك الجنى : ما هول ذى الجن من الأهوال .

ومنه ما روى عن مالك بن نفع أنه قال : تدبيري ، فركبت نجية وطلبت ،
حتى ظفرت به ، فاخذته وأنكفأت راجعا إلى أهلي ، فأسريت ليلة حتى كدت
أصيح ، فأنخت النجية والجل وعقلتُهما ، وأضطجعت في ذرى كئيب رمل ،
فلما حكلي الوسن سمعت هاتفا يقول : يا مالك ، يا مالك ، لو خصت عن مبرك
العود البارك ، لسكر ما هنالك ، قال : فثرت وأثرت البعير عن مبركه ، وأحفرت ،
وإذا صنم بصورة امرأة ، من صفاة صفراء كالورس ، مجلوة كالمرأة ، فاستخرجتها
ومسحتها بنوبي ونصبها ، فاستوت قائمة ، فاتماكت أن تحررت ساجدا لها ،
ثم قت فتحررت البعير لها ورششتها بدمه ، وسميتها غلاب ، ثم حملتها على النجية
وأيت بها أهلي ، فحسدني كثير من قومي عليها ، وسألوني نصها لهم ليعبدوها
معي ، فأيت عليهم ، فانفردت بعبادتها ، وجعلت لها على نفسى كل يوم عتيرة ،
وكانت لي ثلة من الضان فأيت على آخرها ، وأصبحت يوما وليس لي ما أعتره ،
وكرهت الإخلاف بنذرى ، فأيتها فشكوت إليها ذلك ، فإذا هاتف من
جوفها يقول : يا مال يا مال ، لا تأس على المال ، يسر إلى طوى الأرقم ، فخذ
الكلب الأنهم ، والوالغ في الدم . ثم صد به نعم . قال مالك : فخرجت من
فورى إلى طوى الأرقم ، فإذا كلب أسهم هائل المنظر ، قيد وثب على قرهيب
— يعنى ثورا وحشيا — فصرعه وأنا أنظر إليه ، ثم بقر بطنه ، وجعل يلغ
في دمه ، قال : فتميته ، ثم أقدمت عليه وهو مقبل على عتيرته لم يلتفت إلى ،
فشددت في عنقه حبلا ، ثم جذبته فتعنى ، فأيت راحلي فائرتها ، وقذتها إلى

(١) العود : الجمل الكبير المسن المدرج . (٢) أحضر : أخرج التراب من الأرض .

(٣) العتيرة : ما يذبح للأصنام . والثلة : جماعة الغنم . (٤) يا مال : أى يا مالك ؛

فهو مرغم . (٥) الطوى : البر ، والأرقم ، أحد الأرقام : وهى أحياء من العرب ، ولعل المراد

ناحية بئر الأرقم ، والأسهم : الشديدة للسواد . (٦) سيأتي خبر نعامه أصطادها مالك بالكلب الأنهم .

الْقَرْهَبِ ، فَانْتَحَبَهَا وَجَرَرْتَهُ وَحَمَلْتَهُ عَلَيْهَا ، ثُمَّ قُدُّتُهَا قَاصِدًا إِلَى الْحَيِّ ، وَالْكَلْبُ
 يَلُودُ بِي فَعَنَّتْ لِي ظَلِيَّةً ، فَجَحَلَ الْكَلْبُ يَنْبُ وَيَحَاذِبُنِي الْمَرْسَ ، فَتَرَدَّدَتْ ^(١)
 فِي إِرْسَالِهِ ثُمَّ أَرْسَلْتُهُ ، فَبَزَّ كَالْمَسْمُومِ حَتَّى أَخْطَفَهَا ، فَأَتَيْتُهُ بِغَافِئَتِهِ إِذَاهَا فَارِسُهَا
 فِي يَدِي ، فَاسْتَفْزَنِي السُّرُورُ ، وَأَتَيْتُ أَهْلَ فَعَتَرَتِ الظُّلِيَّةَ لِفَعْلَابَ ، وَوَزَعْتُ لَحْمَ
 الْقَرْهَبِ ، وَبِتُّ بِخَيْرِ لَيْلَةٍ ، ثُمَّ بَاكَرْتُ بِهِ الصَّيْدَ ، فَلَمْ يَفْتَهُ حِمَارٌ ، وَلَا مَا ظَلَهُ ثُورٌ ،
 وَلَا أَعْتَصَمَ مِنْهُ وَتَمَلَّ ، وَلَا أَعْجَزَهُ ظُلِيٌّ ، فَتَضَاعَفَ سُرُورِي بِهِ ، وَبَالَغْتُ فِي إِكْرَامِهِ ،
 وَسَمِيَتْهُ سُبْحَامًا ، فَلَبِثَ بِذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ ، فَإِنِّي لَذَاتُ يَوْمٍ أَصِيدُ بِهِ ، فَبَصُرْتُ بِنِعْمَةٍ
 عَلَى أُذْحِيهَا ^(٢) ، وَهِيَ قَرْيَةٌ مِنِّي ، فَارْسَلْتُهُ عَلَيْهَا ، فَاجْفَلَتْ أَمَامَهُ ، وَأَتْبَعْتَاهَا عَلَى فَرَسٍ
 جَوَادٍ ، فَلَمَّا كَادَ الْكَلْبُ يَنْبُ عَلَيْهَا ، أَنْقَضْتُ عَلَيْهِ عُقَابَ مِنَ الْجَوْ فَكَّرَ رَاجِعًا نَحْوِي
 فَبَصَحْتُ بِهِ فَمَا كَذَّبَ ^(٣) ، وَأَمْسَكَتِ الْفَرَسَ بِجَاءِ سُبْحَامَ حَتَّى دَخَلَ بَيْنَ قَوَائِمِهَا ، وَنَزَلَتْ
 الْعُقَابُ أَمَامِي عَلَى صَخْرَةٍ ، وَقَالَتْ : سُبْحَامَ ، قَالَ الْكَلْبُ : لَيْتِكَ ، قَالَتْ : هَلَكْتَ
 الْأَصْنَامَ ، وَظَهَرَ الْإِسْلَامَ ، فَأَسْلِمَ تَنْجُ بِسَلَامٍ ، وَإِلَّا فَلَيْسَتْ بِدَارِ مَقَامٍ . ثُمَّ طَارَتْ
 الْعُقَابُ ، وَتَبَصَّرْتُ سُبْحَامًا فَلَمْ أَرَهُ ، وَكَانَ آخِرَ عَهْدِي بِهِ .

ومنه مما يشبه هذه القصة ما روى عن قتادة عن عبد الله بن أبي ذؤبان ^(٤) عن

أبيه ، أنه قال : كنت مولعًا بالصيد ، وكان لنا صنم اسمه قراض ، كنت كثيرًا

(١) المرس : الحبل . وفي نسخة أ : « الرس » وهو تحريف .

(٢) الأذحي (بالضم والكسر) : الموضع الذي تبيض فيه النعامة وتفرخ ، فهي أذحية أضربة من

الدحو وهو البسط .

(٣) فما كذب (بالتشديد) : أي ما أنقضى وما رجع ، وفي الأصول : « فما كرب » بالراء وهو

تصحبف . ويؤيد ما أثبتناه ما بهامش نسخة ج : « فما كرب : فافرولا آتني » .

(٤) أبو ذؤبان ، يقال فيه « ذؤبان » بدون كنية ، كما تقدم . (راجع ص ١٨ من هذا الجزء

والإصابة في ذؤبان) .

ما أذبح له ، ولم أكن أتخذ جارحاً للصيد إلا رُبي بآفة ، فلما أذبح الحى صيداً
حياً ، لأنى كنت لا أدركه إلا وقد أشفى على الهلاك ، فلما طال بى ذلك أتيت
فَرَّاضاً ، فَعَثَرْتُ له عَتيرة ، ولَطَخْتُهُ من دمها ، وقلت :

فَرَّاضُ أَشْكَو نَكَدَ الْجَوَارِحِ ^(١) * مِنْ طَائِرِ ذِي خَلْبٍ وَنَاجٍ ^(٢)
وَأَنْتَ لِلْأَمْرِ الشَّدِيدِ الْفَادِحِ * فَأَتَيْتُ فَقَدْ أَسْهَلْتَ الْمَفَاحِ
فَاجَابَنِى مُجِيبٌ مِنَ الصَّنَمِ ؛ فَقَالَ :

دُونَكَ كَلْبًا جَارِحًا مَبَارَكًا * أَعَدَّ لِلْوَحْشِ سِلَاحًا شَابِكًا ^(٣)
* يَقْرِ حُزُونَ الْأَرْضِ وَاللَّذَّكَادَا ^(٤)

قال : فَأَنْقَلَبْتُ إِلَى خِيَابَنِى ، فَوَجَدْتُ به كَلْبًا خِلَاسِيًّا بِهِمَا عَظِيمًا ؛ أَهْرَتْ ^(٥) ^(٦)
الشَّدَقِينَ ، شَابِكُ الْأَنْيَابِ ، شَرْنُ الْبِرَائِنِ ، أَشْعَرُ مَهُولِ الْمَنْظَرِ ، فَصَفَرْتُ به فَأَتَانِى ، ^(٧)
فَلَاذِبِ وَبَصْبِصٍ ، فَسَمِيَتْهُ حَيَاضًا ، فَأَتَخَذْتُ له مَرِيطًا بِإِزَاءِ فِرَاشِى وَأَكْرَمْتُهُ ، ثُمَّ ^(٨) ^(٩) ^(١٠)
خَرَجْتُ به إِلَى الصَّيْدِ ، فَإِذَا هُوَ أَبْصَرَ بِالصَّيْدِ مَيِّى ، وَكَانَ لَا يَثْبِتُ له شَيْءٌ مِنْ
الْوَحْشِ ، فَقُلْتُ فِيهِ :

حَيَاضُ إِنَّكَ مَأْمُولٌ مَنَافِعُهُ * وَقَدْ جَعَلْتُكَ مَوْقُوفًا لِفَرَّاضِ

- ١٥ (١) النكد : التئوم . (٢) الفادح : المتقل الصعب .
(٣) شابك : ناشب . (٤) يفرى : يشق . حزون الأرض : ما غلظ من الأرض وهو
شد السهولة . الذكادك جمع ذكك : وهو من الرمل ما تكبس بالأرض أو التبد بها .
(٥) الخلاسى : ما كانت أمه سوداء وأبوه أبيض أو العكس .
(٦) الهميم : الأسود . (٧) أهرت : واسع .
(٨) الشن : التليظ ، والبرائن للسيج كالأصابع للإنسان .
(٩) بصص الكلب : حرك ذنبه طمعاً أو خوفاً .
(١٠) كذا فى الأصول .
- ٢٠

وكنيت أَعْرَفَ قَرَأَضٍ مِنْ صَيْدِهِ، وَأَقْرَى الصَّيْفِ، فَلَمْ أَزَلْ بِهِ مِنْ أَوْسَعِ الْعَرَبِ رَحَلًا^(١)، وَأَكْثَرَهَا ضَيْفًا، إِلَى أَنْ ظَهَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَتَلَ بِي ضَيْفٌ كَانَ زَارَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَسَمِعَ مِنْهُ الْقُرْآنَ، فَخَذَنِي عَنْهُ، وَرَأَيْتُ حِيَاضًا كَأَنَّهُ يُنْصِتُ لِحَدِيثِهِ، ثُمَّ إِنِّي غَدَوْتُ أَقْتَنِصُ بِحِيَاضٍ، بِفَعْلٍ يَجَاذِبُنِي وَيَأْبَى أَنْ يَتَّبِعَنِي فَأَجْذِبُهُ وَأَمْسَحُهُ، إِلَى أَنْ بَلَغْتُ لِي تَوَلَّى: — يَعْنِي جَحْشًا مِنْ حِمِيرِ الْوَحْشِ — قَالَ: فَأَرْسَلْتُهُ عَلَيْهِ فَقَصَدَهُ، حَتَّى إِذَا قَلَبْتُ قَدْ أَخَذَهُ حَادَّ عَنْبِهِ، فَسَاءَنِي ذَلِكَ، ثُمَّ أَرْسَلْتُهُ عَلَى رَأْلِ — يَعْنِي فَرْخِ نَعَامَةٍ — فَصَنَعَ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ أَرْسَلْتُهُ عَلَى بَقْرَةٍ، ثُمَّ عَلَى خِشْفٍ^(٢)، كُلُّ ذَلِكَ لَا يَأْتِي بِخَيْرٍ، فَقُلْتُ:

أَلَا مَا لِلْحِيَاضِ يَحِيدُ كَأَنَّمَا * رَأَى الصَّيْدَ مَمْنُوعًا بَزُرُقِ اللَّهَازِمِ^(٣)

قَالَ: فَأُجَابُنِي هَاتِفًا لَا أَرَاهُ:

يَحِيدُ لِأَمْرِ لَوْ بَدَا لَكَ عَيْنُهُ * لَكُنْتُ صَفُوحًا عَادِلًا قَصِيرَ لَائِمٍ

قَالَ: فَأَخَذْتُ الْكَلْبَ وَأَنْكَفَأْتُ رَاجِعًا، فَإِذَا شَخْصٌ إِنْسَانٍ عَظِيمِ الْخَلْقِ، قَدْ رَكِبَ حِمَارًا وَحْشِيًّا، فَتَرَبَّعَ عَلَى ظَهْرِهِ، وَهُوَ يَسِيرُ شَخْصًا مِثْلَهُ رَاكِبًا عَلَى قَرْهَبٍ، وَخَلْفَهُمَا عَبْدٌ أَسْوَدُ يَقُودُ كِلَابًا عَظِيمًا بِسَاجُورٍ^(٤)، فَأَشَارَ أَحَدُ الرَّاكِبِينَ إِلَى حِيَاضٍ وَأَنْشَدَ:

وَيْلَكَ يَا حِيَاضُ لِمَ تَصِيدُ * أَخْفَسُ وَحْدًا حَوْتَهُ الْيَدِ^(٥)
اللَّهُ أَعْلَى وَلَهُ التَّوْحِيدُ * وَعَبْدُهُ مُحَمَّدُ السَّيِّدُ
مُحَقِّقًا لِقَرَأَاضٍ وَمَا يَكِيدُ * قَدْ ظَلَّ لَا يُبْدِي وَلَا يُبْعِدُ

(١) الرجل: مسكن الرجل وما يتبعه من الأنثى، وفي الأصول: «رجلا» بالميم، وهو تصحيف.

(٢) الخشف (مثل الخاء): ولد الظبي أول ما يولد، أو أول مشبه.

(٣) اللهازم (جمع لهدم): القاطع من الأسنة. والزروق: صفة الأسنة للونها.

(٤) الساجور: خشبة تعلق في عنق الكلب. (٥) أخفس: كائن، واليد: الصحراء.

قال : فَمِلْتُ رُجْعًا ، وَذَلَّ الْكَلْبُ فَمَا يَرْفَعُ رَأْسًا ، وَأَتَيْتُ أَهْلِي مَغْمُومًا كَأَيْفِ
 الْبَالِ ، فَبِتُّ أَتَمَلَّلُ عَلَى فِرَاشِي ، ثُمَّ حَفَّتْ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ إِذَا نَفْعَةٌ ، فَفَتَحْتُ عَيْنِي ^(٢)
 فَرَأَيْتُ الْكَلْبَ الَّذِي كَانَ الْأَسْوَدُ يَقُودُهُ ، وَإِذَا حِيَاضٌ يَقُولُ لَهُ : أَحْسِبْ صَاحِبِي
 يَقْظَانَ ، قَالَ : فَتَنَاضْتُ ، ثُمَّ قَصَدَنِي فَتَأَمَّلَنِي وَرَجَعَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : قَدْ نَامَ ، فَلَا عَيْنَ
 وَلَا سَمْعَ ، قَالَ : أَرَأَيْتَ الْعِفْرَيْنِ ؟ وَسَمِعْتُ مَا قَالَا ، قَالَ حِيَاضٌ : نَعَمْ ، قَالَ :
 إِنَهُمَا قَدْ أَهْلَمَا وَأَتَبَعَا مَجْدًا ، وَقَدْ سُلِّطَا عَلَى شَيَاطِينِ الْأَوْتَانِ ، فَمَا يَتَرَكَانِ لَوْثِ شَيْطَانَا ،
 وَقَدْ عَذَّبَانِي عَذَابًا شَدِيدًا ، وَأَخَذَا عَلَيَّ مَوْتًا أَلَا أَقْرَبُ وَثْنِي ، وَأَنَا خَارِجٌ إِلَى
 جَزَائِرِ الْهِنْدِ ، فَمَا رَأَيْكَ لِنَفْسِكَ ؟ قَالَ حِيَاضٌ : مَا أَمَرْنَا إِلَّا وَاحِدًا ، وَذَهَبَا ، فَقُمْتُ
 أَنْظُرَ فَلَا عَيْنَ وَلَا أَثَرَ ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ أَخْبَرْتُ قَوْمِي بِمَا رَأَيْتُ وَسَمِعْتُ ، وَقُلْتُ لَهُمْ :
 تَخَيَّرُوا مَنْ يَنْطَلِقُ مَعِيَ إِلَى هَذَا النَّبِيِّ مِنْ حُلُمَائِكُمْ وَخُطَبَائِكُمْ ، فَقَالُوا لِي : أَرْتَبُ
 عَنْ دِينِ آبَائِكَ ؟ فَقُلْتُ لَهُمْ : إِذَا كَرِهْتُمْ شَيْئًا كَرِهْتَهُ ، فَمَا أَنَا إِلَّا وَاحِدٌ مِنْكُمْ ، ثُمَّ
 أَنْسَلْتُ مِنْهُمْ فَكَسَرْتُ الصَّخْمَ ، ثُمَّ قَصَدْتُ الْمَدِينَةَ فَاتَيْتُهَا وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ يَخْطُبُ ، بَخَسْتُ بِإِزَاءِ مِنبَرِهِ فَعَقَّبَ خَطْبَتَهُ بِأَنْ قَالَ : « بِإِزَاءِ مِنبَرِي رَجُلٌ مِنْ
 سَعْدِ الْعَشِيرَةِ ، قَدِمَ عَلَيْنَا رَاغِبًا فِي الْإِسْلَامِ ، وَلَمْ يَرْنِي وَلَمْ أَرِدْ إِلَّا سَاعَتِي هَذِهِ ، وَلَمْ أَكَلِمَهُ
 وَلَمْ يَكَلِّمْنِي قَطُّ ، وَسَيُخْبِرُكُمْ خَبْرًا عَجَبِيًّا » وَنَزَلَ فَصَلَّى ، ثُمَّ قَالَ : « أَدُنْ يَا أَخَا سَعْدِ
 الْعَشِيرَةِ » فَدَنَوْتُ فَقَالَ : « أَخْبِرْنَا عَنْ حِيَاضٍ وَقَرَاضٍ وَمَا رَأَيْتُ وَسَمِعْتُ » قَالَ :
 فَقُمْتُ عَلَى قَدَمِيَّ وَقَصَصْتُ الْقِصَّةَ ، وَالْمُسْلِمُونَ يَسْمَعُونَ ، فَسَمِعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ ، وَدَعَانِي إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَتَلَا عَلَيَّ الْقُرْآنَ فَاسْلَمْتُ ، وَقُلْتُ فِي ذَلِكَ :
 تَبِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ بِالْهُدَى * وَخَلَفْتُ فِرَاضًا يَدَارُ هَوَانٍ
 شَدَّدْتُ عَلَيْهِ شِدَّةً فَتَرَكْتُهُ * كَأَنْ لَمْ يَكُنِ وَالْذَّهْرُ ذُو حَدَثَانٍ

(١) ذل : خضع ، وفي الأصول « دل » بالذال المهملة . (٢) النعمة : الكلام الخفي .

رَأَيْتُ لَهُ كَلْبًا يَقُومُ بِأَمْرِهِ • فَهَدَّدَ بِالتَّحْكِيلِ وَالرَّجْفَانِ
وَلَمَّا رَأَيْتُ اللَّهَ أَظْهَرَ دِينَهُ • أَجَبْتُ رَسُولَ اللَّهِ حِينَ دَعَانِي
وَأَصْبَحْتُ لِلْإِسْلَامِ مَاعِشْتُ نَاصِرًا • وَالْقَيْتُ فِيهِ كَلْكَلِي وَجَرَائِي
فَمَنْ مُبْلِغٌ سَعْدَ الْعِشِيرَةِ أَنِّي • شَرِيتُ الَّذِي يَبْقَى بَمَا هُوَ فَانِي

وقد تقدم في خبر وفد سعد العشيرة ذكر هذه الأبيات ، وأنها لذباب ، وأنه الذي
كسر الصنم ، إلا أنه لم يذكر البيت الذي فيه ذكر الكلب ، والله تعالى أعلم .

ومنه : ما روي أن ربيعة بن أبي براء ، قال أخبرني خالي فقال : لما أظهر
الله علينا رسوله صلى الله عليه وسلم جُئْنِ أَنْشَبْنَا فِي كُلِّ مَشْعَبٍ ، لَا يَلْوِي حِمِيمٌ عَلَى
حِمِيمٍ ، فِينَا أَنَا فِي بَعْضِ الشَّعَابِ ، رَأَيْتُ ثَعْلَبًا قَدْ تَحَوَّى عَلَيْهِ أَرْقَمُ ، وَالثَّعْلَبُ يَعْدُو
صَدَّوًا شَدِيدًا ، فَاتَّحَيْتُ لَهُ بِحَجَرٍ فَا أَخْطَاهُ ، وَأَتَيْتُ إِلَيْهِ ، إِذَا الثَّعْلَبُ قَدْ سَبَقَنِي
بِنَفْسِهِ — أَيْ هَلَكَ قَبْلَ أَنْ أَصِلَ إِلَيْهِ — وَإِذَا الْأَرْقَمُ قَدْ تَقَطَّعَ وَهُوَ يَضْطَرِبُ ،
فَقَعْتُ لِأَنْظُرَ إِلَيْهِ ، فَهَتَفَ هَاتِفٌ مَا سَمِعْتُ أَفْطَعُ مِنْ صَوْتِهِ يَقُولُ : تَعَسَّا لَكَ
وَبُؤْسًا ، فَقَدْ قَتَلْتَ رَئِيسًا ، وَوَرِثْتَ بَيْتًا ، ثُمَّ قَالَ : يَا دَائِرُ يَا دَائِرُ ، فَأَجَابَهُ
مُجِيبٌ مِنَ الْعُدَّةِ الْآخَرَى بَلْبِيكَ لَيْيَكُ ، فَقَالَ : بِادِرُ بِادِرُ ، إِلَى بَنِي الْعَدَاوَةِ ،
وَأَخْبَرَهُمْ بِمَا صَنَعَ الْكَافِرُ ، فَنَادَيْتُ : إِنِّي لَمْ أَشْعُرْ ، وَأَنَا عَائِذُكَ فَأَجِرْنِي • قَالَ :
كَلَّا ، وَالْحَرَمِ الْأَمِينِ ، لَا أَجِيرُ مَنْ قَاتَلَ الْمُسْلِمِينَ ، وَعَبَدَ غَيْرَ رَبِّ الْعَالَمِينَ • قَالَ :
فَنَادَيْتُ : إِنِّي أَسْلِمُ ، فَقَالَ : إِنْ أَسْلَمْتَ مَقَطَ عَنْكَ الْقَصَاصُ ، وَالْبَيْتُ الْخِلَاصُ ،

٥٢
١٦

(١) راجع ص ١٨ من هذا الجزء . (٢) تحوى : التف وأستدار .

(٣) اتَّحَيْتُ لَهُ : عرضت له وقصدت . (٤) فِي الْأَصُولِ : « أَضْعَع » .

(٥) بَيْتًا : شجاعًا . (٦) الْعُدَّةُ (مطلة العين) : شاطئ الوادي ، والمكان المرتفع .

(٧) أَلْبَيْتُكَ : أهلك .

وإلا فلا مناص . قال فقلت : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ،
فقال : نَجَوْتَ وَهَدَيْتَ ، لولا ذلك لرديت ، فارجع من حيث جيت . قال :
فرجعت أقفو أدراجي ، فإذا هو يقول : أَمِنْتَ السَّمْعَ الْأَزَلَّ ، يَعْلُ بِكَ التَّلَّ ،
فهناك أبو عامر يتبع القلَّ . قال : فآلُفْتُ فإذا سَمِعَ كالأسد التَّهْدَ ، فركبته
وَمَرَّ يَنْسِلُ ، حَتَّى آتَيْتُ إِلَى تَلٍّ عَظِيمٍ ، فَتَوَقَّلْتُ فِيهِ إِلَى أَنْ تَسَنَّهُ ، فَأَشْرَفْتُ مِنْهُ عَلَى
خَيْلِ الْمَسَامِينِ ، فَتَزَلَّتْ عَنْهُ وَصَوَّبْتُ الْحُدُورَ نَحْوَهُمْ ، فَلَمَّا دَنَوْتُ مِنْهُمْ نَجَحْتُ إِلَى
فَارِسٍ ، كَالْفَالَجِ الْهَاتِحِ ، فَقَالَ : أَلَيْسَ سَاحِلكَ لَا أُمُّ لَكَ ، فَأَلْقَيْتُ سِلَاحِي . فَقَالَ :
مَا أَنْتَ ؟ قُلْتَ : مُسْلِمٌ ، قَالَ : فَسَلَامٌ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ ، قُلْتَ : وَعَلَيْكَ السَّلَامُ
وَالرَّحْمَةُ وَالْبَرَكَةُ ، مَنْ أَبُو عامر ؟ قَالَ : أَنَا هُوَ ، قُلْتَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ ، قَالَ : لَا بَأْسَ
عَلَيْكَ ؛ هَؤُلَاءِ إِخْوَانُكَ الْمَسَامِينُ ، أَمَا رَأَيْتَكَ بِأَعْلَى التَّلِّ فَارِسًا فَأَيْنَ فَرَسُكَ ؟ قَالَ :
فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ الْقِصَّةَ ، فَأَعْجَبَهُ مَا سَمِعَ مِنِّي : وَسِرْتُ مَعَ الْقَوْمِ أَقْفُو بِهِمْ أَنَارَ هَوَازِنَ
حَتَّى بَلَّغُوا مِنْ ذَلِكَ مَا أَرَادُوهُ .

والأخبار في مثل ذلك كثيرة ، وقد أتينا منها بما نكتفي به ، فنلذ كر خلاف ذلك
من سيرة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

- ١٥ (١) رديت : أهلكت . (٢) أقفو : أتبع ، أدراجي : طرق .
(٣) السمع (بكسر السين) : سبع تلده الضبع وأبوه الذئب ؛ وهو أخبث السباع وأشدّها . الأزَل :
الصغير العجز ، صفة لازمة له . (٤) أبو عامر صحابي يأتي ذكره .
(٥) القل : المنزيمون . (٦) التهد : العظيم الخلق .
(٧) ينسل : من التسلان ، وهو سرعة المشي ، وفي الأصل للذئب .
(٨) توقل : تصعد في الجبل ، وتسنّه : ارتقى ذروته . (٩) الحدور : الأعداد .
٢٠ (١٠) الفالج : الجمل الضخم ذر السنامين .

ذكر رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين بعثهم

إلى الملوك وغيرهم ، وما كتب به إليهم ، وما أجابوا به

كانت رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، على ما أورده الشيخ أبو محمد عبد المؤمن بن خلف الدمايطي رحمه الله ، أحد عشر رجلاً ؛ وهم : عمرو بن أمية الضمري ، ودحية بن خليفة الكلبي ، وعبد الله بن حذافة السهمي ، وحاطب بن أبي بلتعة النخعي ، وعمرو بن العاص ، وسليط بن عمرو العامري ، وشجاع بن وهب الأسدي ، والمهاجر بن أبي أمية المخزومي ، والعلاء بن الحضرمي ، وأبو موسى الأشعري ، ومعاذ بن جبل . هؤلاء الذين أثبتهم .

وقد ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الحارث بن عمير الأزدي إلى ملك بصرى بكتاب ، فلما نزل مؤنة قتله شريحيل بن عمرو النساني ، وبسبب قتله بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية مؤنة على ما قدمنا ذكره .

ولعل الشيخ رحمه الله ، إنما أثبت من الرسل من بلغ الرسالة . وهذا لم يمهل حتى يبلغها ، ولم يقتل لرسول الله صلى الله عليه وسلم رسول غيره . وقد ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث غير هؤلاء ، ممن نذكرهم إن شاء الله تعالى .

فكان أول ما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الرسل في المحرم ، سنة سبع من مهاجرة ، وأرسل ستة من هؤلاء الرسل إلى ستة ملوك ، وذلك أنه صلى الله عليه وسلم لما رجع من الحديبية في ذي الحجة سنة خمس جهز الرسل إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام ، وكتب إليهم كتباً ، فقبل له : يا رسول الله ، إن الملوك لا يقرعون كتاباً إلا محتوماً ، فاتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ خاتماً من

(١) مؤنة : موضع من أرض الشام من عمل اللقاة .

فَصِيَّةُ فَصِّهِ مِنْهُ، تَقْشُهُ ثَلَاثَةُ أَسْطُرٍ: «مُحَمَّدٌ» سَطْرٌ «رَسُولُ» سَطْرٌ «اللَّهُ» سَطْرٌ. وَخَتَمَ بِهِ الْكُتُبَ، فَخَرَجَ سِتَّةَ نَفَرٍ مِنْهُمْ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ وَذَلِكَ فِي الْحَرَمِ سِتَّةَ سَبْعٍ، وَأَصْبَحَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ يَتَكَلَّمُ بِلِسَانِ الْقَوْمِ الَّذِي بَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ؛ حَكَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ فِي طَبَقَاتِهِ بِسَنَدِهِ.

وقال أبو عبد الله محمد بن إسحق بن يسار: حدثني يزيد بن أبي حبيب المصري أنه وجد كتاباً فيه ذكر من بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى البلدان، وملوك العرب والعجم، وما قال لأصحابه حين بعثهم، قال: فَبَعِثْتُ بِهِ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ شِهَابِ الزُّهْرِيِّ، فَعَرَفَهُ، وَفِيهِ: إِنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ عَلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ لَهُمْ: «إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي رَحْمَةً وَكَافَّةً، فَأَدُّوا عَنِّي بِرَحْمَةِ اللَّهِ، وَلَا تَخْتَلَفُوا عَلَيَّ كَمَا اخْتَلَفَ الْخَوَارِيزِيُّونَ عَلَى عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ كَانَ اخْتِلَافُهُمْ؟ قَالَ: «دَعَاهُمْ لِمِثْلِ مَا دَعَوْتَكُمْ لَهُ، فَأَتَمُّ مَنْ قَرَّبَ بِهِ فَأَحَبُّ وَسَلَّمٌ، وَأَمَّا مَنْ بَعْدَ بِهِ فَكَرَهُ وَأَبَى، فَشَكَا ذَلِكَ عِيسَى مِنْهُمْ إِلَى اللَّهِ، فَأَصْبَحُوا وَكُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ يَتَكَلَّمُ بِلُغَةِ الْقَوْمِ الَّذِينَ وَجَّهَ إِلَيْهِمْ».

قال أبو محمد عبد الملك بن هشام: حدثني من أثنى به عن أبي بكر الهذلي، قال: بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه. وساق نحو الحديث

ذكر إرسال عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي

ملك الحبشة وإسلامه

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي، وكتب معه كتابين، يدعوه في أحدهما إلى الإسلام، ويتلو عليه القرآن، فأخذ النجاشي كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه على عينيه، ونزل عن سريره فجلس على الأرض، ثم أسلم

(١) قرب به: بعثه مبعثاً قريباً. (٢) بعد به: بعثه مبعثاً بعيداً.

وشهد شهادة الحق، وقال : لو كنت أستطيع أن آتية لأنته، وكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بإجاسته، وتصديقه وإسلامه على يدى جعفر بن أبى طالب لله رب العالمين . وكان جعفر ممن هاجر إلى الحبشة كما قدمنا ذكر ذلك . وفى الكتاب الثانى ، يأمره أن يزوجه أُم حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب ، وكانت قد هاجرت إلى أرض الحبشة مع زوجها عبد الله بن جحش الأسدى ، فتتصر هناك ومات ، وأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعث إليه من قبله من أصحابه الذين هاجروا إلى الحبشة وأن يحملهم ، ففعل ، وزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أُم حبيبة ، وأصدقها أربعائة دينار ، وأمر بجهاز المسلمين وما يصلحهم ، وحملهم فى سفينتين مع عمرو بن أمية ، وجعل كتابى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حَقٍّ من عاج ، وقال : لن تزال الحبشة بخير ما كان هذان الكتابان بين أظهرها .

ذكر إرسال دحية بن خايقة الكلبي إلى قيصر ملك الروم

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه ، وكتب إليه : « بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم ، سلام على من أتبع الهدى — أما بعد — فإني أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم يؤتيك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فإنما عليك إثم اليريسين ، و (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا آرِبَاءًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) .

(١) اليريسون (جمع يريس) : الفلاحون والزراعون؛ فيه هم على جمع الزمايا، وفى رواية الأريسون .

و بإسنادنا المتقدم، إلى أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري،
 قال : حدثنا الحكم بن نافع أبو اليمان ، قال حدثنا شعيب ، عن الزهري ، قال
 أخبرنا عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، أن عبد الله بن عباس أخبره ،
 أن أبا سفيان بن حرب أخبره ، أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش ، وكانوا
 تجارا بالشام ، في المدة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مآذ فيها أبا سفيان
 وكفار قريش ، فأتوه وهم بإيليا ، فدعاهم في مجلسه ، وحوله عظماء الروم ، ثم دعاهم
 ودعا ترجمانه فقال : أيكم أقرب نسبا بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي ؟
 قال أبو سفيان : فقلت أنا أقربهم نسباً ، فقال : أدنوه مني ، وقربوا أصحابه ،
 فاجعلوهم عند ظهره ، ثم قال ترجمانه : قل لهم إني سائل هذا عن هذا الرجل ،
 فإن كذبت فكدِّبوه ، فوالله لولا الحياء من أن يأتروا على كذبا لكذبت عنه . ثم
 كان أول ما سألني عنه أن قال : كيف نسبُ فيكم ؟ قلت : هو فينا ذو نسب ،
 قال : فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله ؟ قلت : لا ، قال : فهل كان من
 آباءه من ملك ؟ قلت : لا ، قال : فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم ؟ قلت :
 بل ضعفاؤهم ، قال : أيزيدون أم ينقصون ؟ قلت : بل يزدون ، قال :
 فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه ؟ قلت : لا ، قال : فهل
 كنتم تهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قلت : لا ، قال : فهل يقدر ؟
 قلت : لا ، ونحن منه في مدة لا ندرى ما هو فاعل فيها ، قال : ولم تمكني كلمة

(١) المدة : هي مدة صلح الحديبية على وضع الحرب عشر سنين .

(٢) « عنه » توافق رواية البخاري ، وفي « وهامش ج » : « عليه » .

(٣) في رواية : « من ملك » على أن « من » حرف جر و « ملك » بفتح الميم وكسر اللام .

(٤) سخطة : كراهة . (٥) يقدر : يتقضى العهد .

(٦) قال القسطلاني : « هي مدة صلح الحديبية ، أو غيظه وأقنطاع أخباره عنا » .

أَدْخَلَ فِيهَا شَيْئًا غَيْرَ هَذِهِ الْكَلِمَةِ، قَالَ : فَيَقُولُ قَاتِلْتُمُوهُ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ، قَالَ : فَكَيْفَ
 كَانَ قِتَالِكُمْ إِيَّاهُ ؟ قُلْتُ : الْحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ نِجَالٌ^(٢)، يَنَالُ مِنَّا وَنَنَالُ مِنْهُ ، قَالَ :
 مَاذَا يَا مَرْكَمُ ؟ قُلْتُ : يَقُولُ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ، وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَتْرَكُوا مَا يَقُولُ
 آبَاؤُكُمْ، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ، وَالصَّدَقِ، وَالْعَنَافِ، وَالصَّلَةِ، فَقَالَ لَتَرْجُمَانَهُ : قُلْ لَهُ
 سَأَلْتُكَ عَنْ نَسَبِهِ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ فِيكُمْ ذُو نَسَبٍ ، وَكَذَلِكَ الرَّسُلُ تَبْعُثُ فِي نَسَبِ
 قَوْمِهَا، وَسَأَلْتُكَ هَلْ قَالَ أَحَدٌ مِنْكُمْ هَذَا الْقَوْلَ، فَذَكَرْتَ أَنَّ لَا، فَقُلْتُ : لَوْ كَانَ^(٤)
 أَحَدٌ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ قَبْلَهُ ، لَقُلْتُ رَجُلٌ يَأْتِيهِ بِقَوْلٍ قِيلَ قَبْلَهُ ، وَسَأَلْتُكَ هَلْ كَانَ
 مِنْ آبَائِهِ مَنْ مَلَكَ، فَذَكَرْتَ أَنَّ لَا، قُلْتُ : فَلَوْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مَنْ مَلَكَ ، قُلْتُ
 رَجُلٌ يَطْلُبُ مَلِكَ أَبِيهِ، وَسَأَلْتُكَ هَلْ كُنْتُمْ تَتَهَمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ،
 فَذَكَرْتَ أَنَّ لَا، فَقَدْ أَعْرِفُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَذَرَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ ، وَيَكْذِبَ عَلَى
 اللَّهِ، وَسَأَلْتُكَ أَأَشْرَافُ النَّاسِ أَتَّبِعُوهُ أَمْ ضَعَفَاؤُهُمْ، فَذَكَرْتَ أَنَّ ضَعَفَاءَهُمْ أَتَّبَعُوهُ،
 وَهُمْ أَتْبَاعُ الرَّسُلِ، وَسَأَلْتُكَ أِزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ، فَذَكَرْتَ أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ، وَكَذَلِكَ
 أَمْرُ الْإِيمَانِ حَتَّى يَتِمَّ ، وَسَأَلْتُكَ أَرَأَيْتَ أَحَدٌ مِنْهُمْ سَخَطَ لَدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ،
 فَذَكَرْتَ أَنَّ لَا، وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ حِينَ تَخَالُطُ بَشَاشَتَهُ الْقُلُوبَ ، وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَقْدِرُ،
 فَذَكَرْتَ أَنَّ لَا، وَكَذَلِكَ الرَّسُلُ لَا يَقْدِرُ، وَسَأَلْتُكَ يَمُ يَا مَرْكَمُ، فَذَكَرْتَ أَنَّهُ يَا مَرْكَمُ
 أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَبَيْنَهُمْ عِبَادَةُ الْأَوْثَانِ، وَيَأْمُرُكُمْ بِالصَّلَاةِ
 وَالصَّدَقِ وَالْعَنَافِ ، فَإِنْ كَانَ مَا يَقُولُ حَقًّا، فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمَيْ هَاتَيْنِ ، وَقَدْ

(١) يريد شيئا أنقصه به . (٢) نجال : نوب ؛ أى توبة عليه وتوبة علينا .

(٣) يقصد المقاتلة التي كانت في غزوة بدر، وأحد، والخطق .

(٤) قُلْتُ : أى في نفسي . (٥) يأتى : يقتدى .

كنت أعلم أنه خارج^(١) ، لم أكن أظن أنه منكم ، فلو أني أعلم أني أخلص إليه
لتجشمت لقاءه^(٢) ، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه^(٣) . ثم دعا بكتاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، الذي بعث به دحية إلى عظيم بصرى ، فدفعه إلى هرقل فقرأه ،
فإذا فيه « بسم الله الرحمن الرحيم » وذكره كما تقدم .

قال أبو سفيان: فلما قال ما قال وفرغ من قراءة الكتاب ، كثر عنده الصخب ،
وآرتفعت الأصوات^(٤) ، وأخرجنا ، فقلت لأصحابي حين أخرجنا : لقد أمر أمر^(٥)
أبن أبي كبشة^(٦) ، إنه ليخافه ملك بنى الأصفر ، فما زلت موقناً أنه سيظهر حتى أدخل
الله على الإسلام .

قال : وكان ابن الناطور صاحب إيلياء^(٧) وهرقل أسقفًا على نصارى الشام يحدث
أن هرقل حين قدم إيلياء أصبح يوما خبيث النفس^(٨) ، فقال بعض بطارقه : قد
استكرنا هيئتك ، فقال ابن الناطور ، وكان هرقل حزاء^(٩) : ينظر في النجوم ، فقال
لهم حين سألوه : إني رأيت الليلة حين نظرت في النجوم ملك الختان قد ظهر ،
فمن يمتحن من هذه الأمة ؟ قالوا : ليس يمتحن إلا اليهود ، فلا يمتحنك شأنهم ،

(١) خارج : أى سيعث في هذا الزمان . (٢) تجشمت : تكلفت الوصول إليه .

(٣) المراد المبالغة في الخدمة . (٤) أى من عظماء الروم .

(٥) أمر (فتح الحزنة وكسر الميم) : عظم . أمر ابن أبي كبشة : يعنى شأن النبي صلى الله عليه وسلم .
وأبو كبشة : كنية أبي النبي من الرضاع ، وأسمه الحارث بن عبد المزي .

(٦) بنو الأصفر : الروم . (٧) صاحب : منصوب على الاختصاص ، ويجوز رفعه على
الصفة ، راجع القسطلاني ج ١ ص ١٠٨ . (٨) فى رواية البخارى : أمقف . بالياء للجهول .

(٩) خبيث النفس : رديها ، مما حل به من المم .

(١٠) حزاء : كاهن ، أو أنه ينظر في النجوم ، قال القسطلاني : « ينظر في النجوم خبرتان لكان
إن قلنا إنه ينظر في الأمرين ، أو هو تفسير لحزاء ، لأن الكهانة تؤخذ تارة من ألقاظ الشياطين ، وتارة
من أحكام النجوم » .

وَأَكْتُبَ إِلَى مَدَائِنَ مُلْكِكَ فَلْيَقْتُلُوا مِنْ فِيهِمْ مِنَ الْيَهُودِ، فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى أَمْرِهِمْ، إِذْ أَتَى
 هِرَقْلَ بَرَجِلٌ، أَرْسَلَ بِهِ مَلِكَ غَسَّانَ، يُخْبِرُ عَنْ خَبَرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
 فَلَمَّا أَسْتَخْبِرَهُ هِرَقْلُ قَالَ : آذِهِبُوا فَأَنْظُرُوا أَمَحْتَنُّ هُوَ أَمْ لَا، فَنَظَرُوا إِلَيْهِ، فَخَذُّوهُ
 أَنَّهُ مَحْتَنُّ، وَسَأَلَهُ عَنِ الْعَرَبِ، فَقَالَ : هُمْ يَحْتَنُّونَ، فَقَالَ هِرَقْلُ : هَذَا مَلِكُ هَذِهِ
 الْأُمَّةِ قَدْ ظَهَرَ . ثُمَّ كَتَبَ هِرَقْلُ إِلَى صَاحِبِ لِهْ بَرْوِيَّةَ^(١)، وَكَانَ نَظِيرَهُ فِي الْعِلْمِ ،
 وَسَارَ هِرَقْلُ إِلَى حِمَصَ^(٢)، فَلَمْ يَرَمْ حِمَصَ حَتَّى أَتَاهُ كِتَابٌ مِنْ صَاحِبِهِ ، يُوَافِقُ رَأْيَ
 هِرَقْلَ عَلَى خُرُوجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَنَّهُ نَبِيٌّ، فَأَذِنَ هِرَقْلُ لِعِظَمَاءِ الرُّومِ
 فِي دَسَكَةِ لِهْ بَحْمَصَ^(٣)، ثُمَّ أَمَرَ بِأَبْوَابِهَا فُتِّلَتْ، ثُمَّ أَطْلَعَ فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ الرُّومِ هَلْ
 لَكُمْ فِي الْفَلَاحِ وَالرُّشْدِ ؟ وَأَنْ يَثْبِتَ مُلْكُكُمْ قَتَابِعُوهَا لِهَذَا النَّبِيِّ، فَحَاصُوا حِيصَةَ^(٤)
 حُجْرِ الْوَحْشِ إِلَى الْأَبْوَابِ فَوَجَدُوهَا قَدْ غُلِّقَتْ ، فَلَمَّا رَأَى هِرَقْلُ تَقَرُّبَهُمْ، وَأَيْسَ
 مِنْ الْإِيمَانِ، قَالَ : رُدُّوهُمْ عَلَيَّ، وَقَالَ : إِنِّي قُلْتُ مَقَالَتِي أَنَا أَخْبَرْتُ بِهَا شِدَّتَكُمْ
 عَلَى دِينِكُمْ فَقَدْ رَأَيْتُ . فَسَجَدُوا لَهُ وَرَضُوا عَنْهُ ، فَكَانَ ذَلِكَ آخِرَ شَأْنِ هِرَقْلَ .
 رَوَاهُ صَالِحُ بْنُ كَيْسَانَ وَيُونُسُ وَمَعْمَرُ بْنُ الزُّهْرِيِّ .

وَقَدْ قَدَّمْنَا مِنْ خَبَرِ هِرَقْلَ فِي شَأْنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَتَحْقِيقِ
 نُبُوَّتِهِ عِنْدَهُ ، فِي فَصْلِ مَنْ بَشَّرَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا تَقِفُ عَلَيْهِ هُنَاكَ .

(١) رومية : من المدائن بدير القرس . (٢) حمص : إحدى مدن الشام المشهورة

وهي بين دمشق وحلب . (٣) لم يرم : لم يرح منها أو لم يصل إليها .

(٤) الدسكة : القصر حوله البيوت . (٥) حاصوا : تقروا .

(٦) أي شِدَّتَكُمْ، لَخَذْفِ الْمَقْعُولِ لِلْعَلَمِ بِهِ .

ذكر إرسال عبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى ملك الفُرس

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه، يدعوهُ إلى الإسلام، وكتب معه كتاباً، قال عبد الله: فدفعته إليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقُرئ عليه ثم أخذهُ فزقه، فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «اللهم مَرِّقْ مُلْكَهُ». وكتب كسرى إلى بَازَانَ عَامِلِهِ على اليَمَن: أن أبعث من عندك رجلين جَلْدَيْنِ إلى هذا الرجل الذي بالجَاز، فليأتيا بَخْبَرِهِ. فبعث بَازَانُ قَهْرْمَانَهُ^(١)، ورجلاً آخر، وكتب معهما كتاباً، فقدمَا المدينة، فدفعَا كتابَ بَازَانَ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتبسّم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهما إلى الإسلام، وفرائضهما تُرْعَد، وقال: «أرجعا عني يومكما هذا حتى تأتياي الغد فأخبركما بما أريد» فجاءاه الغد، فقال لهما: «أبلغا صاحبكما أن ربِّي قد قتل رَبَّهُ كِسْرَى في هذه الليلة لسبع^(٢) ساعات مَضَتْ منها — وهي ليلة الثلاثاء لعشر ليلال مضين من بُحَادَى الأولى سنة سبع من الهجرة — وأن الله تعالى سَلَطَ عليه أبنه شَيْرَوَيْه فقتله» فرجعا إلى بَازَانَ بذلك، فأسلم هو والأبناء^(٣) الذين باليمن.

(١) قهرمانه: هو كاخازن والوكيل لما تحت يده، والقائم بأمور الرجل. فارسيّ معرب.

(٢) في المواهب: «تسع ساعات...»

(٣) الأبناء: هم الذين أرسلهم كسرى مع سيف بن ذي يزن، لما جاء يستجدهم على الحبشة، فنصروه وملكوا اليمن وتديروها وتزوجوا في العرب؛ فقليل لأولادهم الأبناء، وغلب عليهم هذا الاسم.

ذكر إرسال حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس صاحب الإسكندرية
عظيم القبط ، وأسمه بجرج بن مينا

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه ، يدعوهُ إلى الإسلام ، وكتب معه كتاباً
فأتاه ، وأوصل إليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأه ، وقال خيراً ، وجعل
الكتاب في حَقٍّ من عاج ، وختم عليه ودفعه إلى جاريته ، وكتب إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم : قد علمت أن نبياً قد بقي ، وكنت أظن أنه يخرج بالشام ،
وقد أكرمت رسولك ، وبعثت إليك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم ، وقد
أهديت لك كسوة وبغلة تركبها .

ولم يزد على هذا ، ولم يُسلم المقوقس ، فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم
هديته ، وأخذ الجاريتين ، وهما مارية أُم إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، واختها شيرين ، وبغلة بيضاء ، لم يكن في العرب يومئذ غيرها ، وهي دُلْدُلُ ،
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في المقوقس : « ضَنْ الخَيْث بملكه ولا بقاء
لملكه » ^(١) . قال حاطب : كان المقوقس مُكرماً لي في الضيافة ، وقلة اللَّبث ببابه ،
وما أقيمت عنده إلا خمسة أيام .

وقال أبو عمر بن عبد البر : إن المقوقس أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم خَصِيّاً
أسمه مَآبُورُ ، وذكر ذلك في ترجمة مارية ، ويقال : هو ابن عم مارية ، والله أعلم .
وقد ذكرنا في (الحجة البالغة ، والأجوبة الدامغة) ما كان بينهما من المحاورات ،
وذلك في الباب الرابع عشر ، من القسم الخامس ، من الفن الثاني ، في السفر الثامن
من هذه النسخة .

(١) قال النبي صلى الله عليه وسلم ذلك حين أخبره حاطب بقول المقوقس : « القبط لا تطاوعني
على آتياعه ، وأنا أض بملكي أن أفارقه » . (المواهب : ٣ : ٤١٩) .

ذكر إرسال شجاع بن وهب الأسدي إلى الحارث بن أبي شمر^(١)

قالوا : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم شجاع بن وهب الأسدي ، إلى الحارث بن أبي شمر الغساني ، ملك البلقاء من أرض الشام ، يدعوهُ إلى الإسلام ، وكتب معه كتاباً ، قال شجاع : فأتيتهُ وهو بقُوطة دمشقي ، وهو مشغول بتهيئة الأنزال والألطف لقيصر^(٢) ، وهو جاء من حصص إلى إيلياء ، فأقمت على بابهِ يومين أو ثلاثة ، فقلت لحاجبه : إني رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه ، فقال : لا تصل إليه حتى يخرج يوم كذا وكذا . وجعل حاجبه — وكان روميّاً اسمه مُزى^(٣) — يسألني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكنت أحدثهُ عن صفته ، وما يدعو إليه ، فبرق حتى يغلبه البكاء ، ويقول : إني قرأت الإنجيل فأجد صفة هذا النبي بعينه ، فانا أومنُ به وأصدقهُ ، وأخاف من الحارث أن يقتلني ، وكان يكرمني ويحسن ضيافتي ، وخرج الحارث يوماً بفارس ، ووضع التاج على رأسه ، فأذن لي عليه ، فدفعته إليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقرأهُ ثم رمى به ، وقال : من يتّرع مني ملكي ؟ أنا مائر إليه ، ولو كان باليمن جئتُهُ ، على الناس ! فلم يزل يقرض حتى قام ، وأمر بالخيول تُنعل ، ثم قال : أخبر صاحبك ما ترى . وكتب إلى قيصر يخبره خبري وما عزم عليه ، فكتب إليه قيصر : ألا تسير إليه ، وآله عنه ، ووافني بإيلياء . فلما جاءه جواب كتابه دعاني فقال لي : متى تريد أن تخرج إلى صاحبك ؟ فقلت : غداً ، فأمر لي بمائة مثقال ذهب ، ووصلني مُزى ،

(١) في أسد الغابة : « ابن أبي وهب ويقال ابن وهب » .

(٢) الأنزال (جمع نزل) : مكان النزول ، والألطف : وسائل الراحة .

(٣) ضبطه في الطبقات بضم الميم ، وقال شارح المواهب : هو بكسر الميم مخففاً .

(٤) يفرض : يقطع ويوجب للهند عطاءهم من المال بـ يأمرهم بالتأهب للحرب .

وأمر لي بنفقة وكسوة، وقال : « أَقْرَأْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنِّي السَّلام . فَقَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرْتُهُ ، فَقَالَ : « بَادَ مُلْكُهُ » وَأَقْرَأْتُهُ مِنْ مُرَيِّ السَّلام ، وَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « صَدَقَ » وَمَاتَ الْحَارِثُ بْنُ أَبِي شِمْرٍ عَامَ الْفَتْحِ .

ذكر إرسال سَالِيطِ بْنِ عَمْرِو الْعَامِرِيِّ إِلَى هُوَذَةَ بْنِ عَلِيٍّ الْحَنْظَلِيِّ بِالْإِمَامَةِ ^(١)

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه ، يدعو به إلى الإسلام ، وكتب معه كتاباً ، فقدم عليه فأنزله وحباه ، وقرأ كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكتب إلى النبي صلى الله عليه وسلم : ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله ، وأنا شاعر قومي وخطيبهم والعرب تناب مكاني ، فأجعل لي بعض الأمر أتبعك . وأجاز سَالِيطُ بْنُ عَمْرِو بِمِائَةِ وَكْسَاءٍ أَنْوَاباً مِنْ نَسِجِ هَجَرَ ، فَقَدِمَ بِذَلِكَ كُلَّهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَخْبَرَهُ عَنْهُ بِمَا قَالَ ، فَقَرَأَ كِتَابَهُ وَقَالَ : « لَوْ سَأَلَنِي سَيَابَةُ ^(٢) مِنَ الْأَرْضِ مَا فَعَلْتُ ، بَادَ وَبَادَ مَا فِي يَدَيْهِ » فَاتَّعَمَّ الْفَتْحِ . فَهَؤُلَاءِ السَّنَةُ الَّذِينَ بَعَثَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَرَمِ سَنَةَ سَبْعٍ ^(٣) ^(٤)

وبعث صلى الله عليه وسلم العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن سَائِى الْعَبْدِيِّ

مَلِكِ الْبَحْرَيْنِ .

(١) هُوَذَةُ : فَتْحٌ وَإِعْجَامُ الذَّالِ هَذَا هُوَ الصَّحِيحُ ، وَغَطُّوا مِنْ ضَمٍّ وَأَهْمَلُوا .

(٢) السَّيَابَةُ (بَفَتْحِ السِّينِ وَتَخْفِيفِ الْيَاءِ وَتَشْدِيدِ) : أَيْ قِطْعَةٌ . وَفَرَسُهُ بَعْضُهُمُ بِالْبَالِغِ أَوْ الْبَسِيرِ ، عَلَى تَقْدِيرِ مِضَافِ أَيْ قَدْرُ لِحْجَةٍ أَوْ بَسْرَةٍ مِنَ الْأَرْضِ ، أَوْ الْمُرَادُ نَفْسُ الْبِلْحَةِ أَوْ الْبَسْرَةِ بِتَقْدِيرِ نَاشِئَةٍ .

(٣) بَادَ : هَلَكَ .

(٤) - فِي أَسَدِ الْغَابَةِ : « سَنَةٌ سِتٌّ أَوْ سَبْعٌ » .

قال محمد بن سعد : بعثه عند مُنْصَرَفِهِ مِنَ الْجُمُعَةِ^(١) إِلَيْهِ ، يَدْعُوهُ إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ كِتَابًا . فَكَتَبَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِسْلَامِهِ وَتَصَدِيقِهِ ، وَ« أَنِّي قَرَأْتُ كِتَابَكَ عَلَى أَهْلِ قَهْرٍ ، فَهُمْ مِنْ أَحَبِّ الْإِسْلَامِ ، وَأَعْجَبِهِ وَدَخَلَ فِيهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ كَرِهَهُ ، وَبَارِضِي مَجُوسٍ وَيَهُودٍ ، فَأَحْدِثْ إِلَيَّ فِي ذَلِكَ أَمْرَكَ » فَكَتَبَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّكَ مَهْمَا تُصْلِحْ فَلَنْ نَنْزِلَكَ عَنْ عَمَلِكَ ، وَمَنْ أَقَامَ عَلَى يَهُودِيَّتِهِ أَوْ مَجُوسِيَّتِهِ فَعَلَيْهِ الْحِزْبُ ، وَبِالْأُتُكْحِ نَسَاؤُهُمْ وَلَا تُؤْكَلُ ذِبَابُهُمْ » .

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ أَبَا هُرَيْرَةَ مَعَ الْعَلَاءِ بْنِ الْحَضَرَمِيِّ ، وَأَوْصَاهُ بِهِ خَيْرًا ، وَكَتَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْعَلَاءِ فَرَائِضَ الْإِبِلِ ، وَالْبَقَرِ وَالنَّعَمِ ، وَالثَّمَارِ وَالْأَمْوَالِ ، فَقَرَأَ الْعَلَاءُ كِتَابَهُ عَلَى النَّاسِ وَأَخَذَ صَدَقَاتِهِمْ .

وَبَعَثَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عُمَرَ بْنَ الْعَاصِ إِلَى مَلِكِ عُثْمَانَ .

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ : بَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ ، سَنَةَ ثَمَانٍ مِنْ مُهَاجَرِهِ ، إِلَى جَبْرِ وَعَبْدِ أَبِي الْجَلَنْدِيِّ ، وَهُمَا مِنَ الْأَزْدِ ، وَالْمَلِكُ مِنْهُمَا جَبْرٌ ، يَدْعُوهُمَا إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَكَتَبَ مَعَهُ إِلَيْهِمَا كِتَابًا ، قَالَ عُمَرُ : لَمَّا قَدِمْتُ عُثْمَانَ عَمَدْتُ إِلَى عَبْدِ ، وَكَانَ أَحْلَمَ الرِّجَالِ وَأَسْهَلَهُمَا خُلُقًا ، فَقُلْتُ : إِنِّي رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْكَ وَإِلَى أَخِيكَ ، فَقَالَ : أَنَحَى الْمُقَدَّمُ عَلَى السَّنَةِ وَالْمَلِكُ وَأَنَا أَوْصَلُكَ إِلَيْهِ حَتَّى تَقْرَأَ كِتَابَكَ ، فَكَثُتُ أَيَّامًا بِبَابِهِ ، ثُمَّ دَعَانِي فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ

(١) الجمعة : موضع قريب من مكة . وقد تكسر العين وتشدد الراء .

(٢) أي نساء المجوس وذبائحهم بخلاف اليهود ، قال ابن سعد : « وَكَتَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى مَجُوسِ هَجَرَ يَرْضَ عَلَيْهِمُ الْإِسْلَامَ فَإِنْ أَبَوْا أَخَذَتْ مِنْهُمْ الْجِزْيَةَ ، وَبِأَن لَا تُتَكْحَنَ نِسَاؤُهُمْ » . الْحَدِيثُ .

(٣) الجَلَنْدِيُّ ، يَقْصُرُ قُضْمَ لَامِهِ ، وَيَجِدُ فَتْفَحَ ، كَمَا فِي الْقَامُوسِ .

فدفعته إليه الكتاب محتوماً ، فَقَضَ حَاتَمَهُ وَقَرَأَهُ حَتَّى أَتَمَّهُ إِلَى آخِرِهِ ، ثُمَّ دَفَعَهُ إِلَى أَخِيهِ
فَقَرَأَهُ مِثْلَ قِرَاءَتِهِ ، إِلَّا أَنِّي رَأَيْتُ أَخَاهُ أَرْقَى مِنْهُ ، فَقَالَ : دَعْنِي يَوْمَ هَذَا وَأَرْجِعْ
إِلَى غَدَا ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ رَجَعْتُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : إِنِّي فَكَّرْتُ فِيمَا دَعَوْتَنِي إِلَيْهِ ،
فَإِذَا أَنَا أَوْعَفُ الْعَرَبِ إِنْ مَلَكَتْ رِجَالًا مَا فِي يَدَيَّ ، قُلْتُ : فَإِنِّي خَارِجٌ غَدَا ،
فَلَمَّا أَتَيْتُ بَخْرَجِي أَصْبَحَ فَأَرْسَلَ إِلَيَّ ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ فَأَنْجَابَ إِلَى الْإِسْلَامِ هُوَ
وَأَخُوهُ جَمِيعًا ، وَصَدَقَا بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَخَلَا بَيْنِي وَبَيْنَ الصَّدَقَةِ ، وَبَيْنَ
الْحَكْمِ فِيمَا بَيْنَهُمْ ، وَكَانَا لِي عَوْنًا عَلَى مَنْ خَالَفَنِي ، فَأَخَذْتُ الصَّدَقَةَ مِنْ أَغْنِيائِهِمْ ،
فَرَدَدْتُهَا فِي فَقَرَائِهِمْ ، وَلَمْ أَزَلْ مُقِيمًا بَيْنَهُمْ حَتَّى بَلَغْنَا وَفَاةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

٥٧
١٦

١٠ . وَبَعَثَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُهَاجِرِينَ أَبِي أُمِيَّةَ الْخَزْزَمِيَّ إِلَى الْحَارِثِ الْجُمَيْرِيِّ ،
وَهُوَ الْحَارِثُ بْنُ عَبْدِ كَلَّالٍ مَلِكِ الْيَمَنِ .

وَبَعَثَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ ، وَمُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ إِلَى الْيَمَنِ .
وَكَانَا جَمِيعًا دَاعِينَ إِلَى الْإِسْلَامِ ، فَأَسْلَمَ عَامَّةُ أَهْلِ الْيَمَنِ ، مُلُوكُهُمْ وَعَامَتُهُمْ طَوْعًا .
هَؤُلَاءِ الرِّسَالُ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ الشَّيْخُ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ بْنُ خَلْفٍ الدِّمَاطِيُّ
فِي مَخْتَصَرِ السِّيَرَةِ .

١٥

وَقَدْ ذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ بْنُ مَنْبِيعٍ فِي طَبَقَاتِهِ الْكُبْرَى ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ جَرِيرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيَّ إِلَى ذِي الْكُلَّاعِ بْنِ ثَاكُورَ بْنِ حَبِيبِ
أَبْنِ مَالِكِ بْنِ حَسَّانَ بْنِ تُبَيْعٍ ، وَإِلَى ذِي عَمْرٍو يَدْعُوهُمَا إِلَى الْإِسْلَامِ ، فَأَسْلَمَا وَأَسْلَمَتْ
ضَرِيئَةُ بِنْتُ أَبِيهِ ^(١) . وَتَوَفَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَرِيرَ
عِنْدَهُمْ ، فَأَخْبَرَهُ ذُو عَمْرٍو بِوَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَارْجَعَ جَرِيرٌ إِلَى الْمَدِينَةِ .

٢٠

(١) ضَرِيئَةُ بِنْتُ أَبِيهِ أُمَامَةَ ذِي الْكُلَّاعِ كَافِي الطَّبَقَاتِ .

ولم يذكر محمد بن مسعود المهاجر، وقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى اليمن مع معاذ بن جبل مالك بن مزارعة .

وذكر أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر الخزرجي ، في كتابه المترجم بالاستيعاب ، في ترجمة بن أبي أمية ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه إلى الجارث كما قدمنا .

قال ابن سعد : وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جبلة بن الأيهم ملك غسان يدعوهم إلى الإسلام فأسلم ، وكتب بإسلامه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأهدى له هدية ، ولم يذكر اسم المرسل إليه ، ثم كان من أمر جبلة بن الأيهم ، وخبر ارتداده ما ذكره إن شاء الله تعالى ، في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

وقال محمد بن إسحق رحمه الله : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث أمراءه وعماله على الصدقات ، إلى كل ما أوطأ الإسلام من البلدان .

فبعث المهاجر بن أبي أمية بن المغيرة إلى صنعاء ، فخرج عليه العنسي وهو بها . وبعث زياد بن لبيد ، أخا بني بياضة الأنصاري ، إلى حضرموت وعلى صدقاتها . وبعث عدى بن حاتم على طي ، وصدقاتها ، وعلى بني أسد . وبعث مالك بن نويرة الألبوبي على صدقات بني حنظلة ، وفزق صدقات بني سعد على رجلين منهم ؛ فبعث الزبرقان بن بدر على ناحية منها ، وقيس بن عاصم على ناحية .

قال : وكان قد بعث العلاء بن الحضرمي على البحرين ، وبعث علي بن أبي طالب إلى أهل نجران ليجمع صدقاتهم ، ويقدم عليه بحزبتهم .

هذا ما وقفنا عليه من أخبار رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلنذكر من أخباره صلى الله عليه وسلم خلاف ذلك .

(١) في الأصول : « من أوطأ الإسلام » والتصويب من ابن هشام .

ذكر أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم

وهن : خديجة بنت خويلد ، وسودة بنت زمعة ، وهاشمة بنت أبي بكر الصديق ، وحفصة بنت عمر بن الخطاب ، وزينب بنت خزيمة بن الحارث ، وأم سلمة هند بنت أبي أمية ، وزينب بنت جحش ، وجويرة بنت الحارث ، وربحانة بنت زيد ، وأم حبيبة رملة بنت أبي سفيان بن حرب ، وصفيّة بنت حيي ابن أخطب ، وميمونة بنت الحارث ، هؤلاء المدخول بهن ، وهن ثلث عشرة امرأة رضوان الله عليهن . وسنذكر إن شاء الله تعالى ، بعد أن نذكر أخبار هؤلاء ، من تزوجهن صلى الله عليه وسلم ، ولم يدخل بهن ، ومن وهبت نفسها له ، ومن خيّرهما فأختارت الدنيا ، ومن فارقتها صلى الله عليه وسلم ، ولنذكر أخبارهن على حسب اتصالحن به صلى الله عليه وسلم .

فأول امرأة تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم :

خديجة بنت خويلد

أبن أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب القرشية ، رضى الله عنها ، وكانت تدعى في الجاهلية الطاهرة ، وأمها فاطمة بنت زائدة بن الأصم ، وأسم الأصم جندب^(١) ابن هيرم بن رواحة بن مجسر بن معيص بن عامر بن لؤي . وكانت خديجة عند أبي هالة بن ذرارة بن تباش بن عدي بن حبيب بن صرد بن سلامة بن جروة بن أسيد بن عمرو بن تميم التميمي . قال أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر ابن عاصم التميمي : هكذا نسب الزبير ، وأما الجرجاني النسابة فقال : كانت خديجة قبل عند أبي هالة هند بن تباش بن ذرارة بن قعدان بن حبيب بن سلامة بن عدي

(١) كانت توصف أو تنادى في الجاهلية بالطاهرة ؛ لتركها ما كانت تفعله نساء الجاهلية . (المواهب) .

ابن جرّوة بن أسيد بن عمرو بن تميم ، فولدت له هنداً ، قال : ثم آتفقا فقالا :
ثم خالف عليها بعد أبي هالة عتيق بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، ثم خالف
عليها بعد عتيق المخزومي رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال قتادة : كانت خديجة تحت عتيق بن عابد المخزومي ، ثم خلف عليها بعده
أبو هالة هند بن زُدارة ، قال أبو عمر : والأول أصح .

وقال أبو محمد عبد المؤمن بن خلف : إنها ولدت لعتيق جارية تدعى هنداً ،
ثم هلك عنها خلف عليها أبو هالة فولدت له أبناً وبنتاً . وقال ابن إسحق : ولدت
هند بن أبي هالة ، وزينب بنت أبي هالة ، وولدت لعتيق عبد الله وجارية ، قال :
ثم هلك فترّجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد قدّمنا ذكر زواجه صلى الله
عليه وسلم بها ، فلا حاجة إلى إعادته . وولدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم جميع
أولاده ، إلا إبراهيم . وقال أبو عمر : لا يختلفون أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم لم يتزوج في الجاهلية غير خديجة ، ولا تزوج عليها أحداً من نسائه حتى ماتت ،
وهي أول من آمن بالله عز وجل ، وبرسوله صلى الله عليه وسلم على الإطلاق .

قال ابن إسحق رحمه الله : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يسمع من
المشركين شيئاً يكرهه ، من ردّ عليه وتكذيب له إلا فرج الله عنه بخديجة ، تنبّه
وتصدّق وتحقّف عنه وتهوّن عليه ما يلقي من قومه ، وقد تقدّم من أخبارها في ابتداء
الوحي وأمّتها الأمر ، وقولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الذي يأتيه ملك ،

(١) كذا في الأصول وابن إسحق ، وفي الاستيعاف لابن عبد البر « عائد » .

(٢) مقام بينا عليه الصلاة والسلام يقتضى أن تتأدّب معه فتقول قبل النبوة أو قبل البعثة .

(٣) أمّتها الأمراء أي أمر الوحي ، وأن الذي يأتيه ملك لاشيطان . (راجع ابن هشام ١ :

وغير ذلك ما وقف عليه هناك، مما يستدل به على أنها رضى الله عنها أول من آمن بالله تعالى ورسوله، وقد جاءت الأحاديث الصحيحة المنتشرة، بفضل خديجة رضى الله عنها؛ فمن ذلك ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «سَيِّدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ الْخَنَةِ بَعْدَ مَرْيَمَ بِنْتِ عِمْرَانَ فَاطِمَةُ وَخَدِيجَةُ وَأَسِيَّةُ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ». وعن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت: مَا غُرْتُ عَلَى امْرَأَةٍ مَا غُرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ، وَمَا بِي أَنْ أَكُونَ أَدْرَكْتُهَا، وَلَكِنْ ذَلِكَ لِكَثْرَةِ ذِكْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهَا، وَأَنْ كَانَ لِيَذْجُ الشَّاةَ فَيَتَنَبَّعُ بِذَلِكَ ضِدَائِي خَدِيجَةَ يَهْدِيهَا لِي، وَعَنْهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَكَادُ يَخْرُجُ مِنَ الْبَيْتِ حَتَّى يَذْكُرَ خَدِيجَةَ فَيُحَسِّنُ عَلَيْهَا الثَّنَاءَ، فَذَكَرَهَا يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ فَأَدْرَكْتَنِي الْغَيْرةُ فَقُلْتُ: هَلْ كَانَتْ إِلَّا عَجُوزًا قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهَا؟ فغَضِبَ حَتَّى آهَرْتُ مُقَدِّمَ شَعْرِهِ مِنَ الْغَضَبِ، ثُمَّ قَالَ: «لَا وَاللَّهِ مَا أَبْدَلَنِي اللَّهُ خَيْرًا مِنْهَا، آمَنْتُ بِي إِذْ كَفَرَ النَّاسُ، وَصَدَّقَنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ، وَوَسَّتَنِي فِي مَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ، وَرَزَقَنِي اللَّهُ مِنْهَا أَوْلَادًا إِذْ حَرَمَنِي أَوْلَادُ النِّسَاءِ» قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ فِي نَفْسِي لَا أَذْكُرُهَا بِسَيِّئَةٍ أَبَدًا.

وقد قدّمنا من فضلها وما بَشَّرَها به جبريل عليه السلام، وذكر وفاتها عند ذكرنا لزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم لها ما يستغنى عن إيراده في هذا الموضع، وهو في الجزء الرابع عشر من كتابنا هذا من هذه النسخة.

ولما ماتت خديجة تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وفاتها بأيام:

سَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ بْنِ قَيْسٍ

أَبْنُ عَبْدِ شَمْسٍ بْنِ عَبْدِ وَدٍّ بْنِ نَضْرٍ بْنِ مَالِكٍ بْنِ حِجْلٍ بْنِ عَامِرٍ بْنِ لُؤَيٍّ ،
وَيُقَالُ فِي حِجْلٍ : حُسَيْلٌ . وَأُمُّهَا الشُّمُوسُ بِنْتُ قَيْسٍ بْنِ زَيْدٍ بْنِ عَمْرٍو بْنِ لَيْبٍ
أَبْنِ خِدَاشٍ بْنِ عَامِرٍ بْنِ غَنَمٍ بْنِ عَدِيِّ بْنِ النَّجَّارِ ، تَزَوَّجَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ ، بَعْدَ مَوْتِ خَدِيجَةَ ، وَقَبْلَ الْعَقْدِ عَلَى عَائِشَةَ عَلَى الْمَشْهُورِ ، وَكَانَتْ قَبْلُ
عِنْدَ أَبِي عَمٍّ لَهَا يُقَالُ لَهُ السَّكْرَانُ بْنُ عَمْرٍو ، وَهُوَ أَخُو مُهَيْلٍ بْنِ عَمْرٍو ، مِنْ بَنِي عَامِرٍ
أَبْنِ لُؤَيٍّ . وَأَسْنَتُ سَوْدَةَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهَمَّ بِطُلَاقِهَا ، فَقَالَتْ
لَهُ : لَا تَطْلُقْنِي وَأَنْتَ فِي حِلٍّ مِنْ شَأْنِي ، فَإِنَّا أُرِيدُ أَنْ أُحْشَرَ فِي أَزْوَاجِكَ ، وَإِنِّي
قَدْ وَهَبْتُ يَوْمِي لِعَائِشَةَ ، وَإِنِّي مَا أُرِيدُ مَا تَرِيدُ النِّسَاءَ . فَأَمْسَكَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَارَ يَقْسِمُ لِبَقِيَةِ أَزْوَاجِهِ دُونَهَا ، وَنَوَيْتُهَا لِعَائِشَةَ ، فَكَانَتْ كَذَلِكَ حَتَّى
تُوفِيَ عَنْهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ مَنْ تُوُفِيَ عَنْهُمْ مِنْ أَزْوَاجِهِ .

قَالَ أَبُو عَمْرٍو : وَفِي سَوْدَةَ نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى : « وَإِنْ أَمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا
تَشُورًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ » . وَقِيلَ :
نَزَلَتْ فِي عُمَرَةَ ، وَيُقَالُ : خَوْلَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ بِنْتُ مَسْلَمَةَ ، وَفِي زَوْجِهَا سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ .
وَيُقَالُ فِي غَيْرِهَا . وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَكَانَتْ وَفَاةً سَوْدَةَ فِي آخِرِ زَمَانِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ،
ثُمَّ تَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ سَوْدَةَ :

(١) آيَةُ ١٢٨ سُورَةِ النَّسَاءِ . - (٢) هَكَذَا فِي نَسْخِ الْأَمَلِ ، وَفِي الْإِجَابَةِ أَنَّ الَّذِي نَزَلَ
فِي عُمَرَةَ بِنْتُ حَزْمٍ قَوْلُهُ تَعَالَى : « وَيَسْتَفْئُونَكَ فِي النَّسَاءِ » الْآيَةُ ، حَتَّى قَتَلَ زَوْجَهَا سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ بِأَحَدِ
بِغَاةٍ تَطْلُبُ مِيرَاثَ أَيْتَانِهَا مِنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . (٣) لَيْسَتْ بِنْتُ مُحَمَّدٍ بِنْتُ مَسْلَمَةَ زَوْجَةُ لِسَعْدِ بْنِ
الرَّبِيعِ وَإِنَّمَا هِيَ زَوْجَةُ لِرَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ كَمَا فِي لِسَابِ الْقَوْلِ لِلْسَّيْرُطِيِّ وَغَيْرِهِ ، قِيلَ فِيهَا نَزَلَتْ الْآيَةُ ،
وَفِي الْأَصُولِ : خَوْلَةُ بِنْتُ مَسْلَمَةَ ، وَالتَّصْحِيحُ مِنْ تَفْسِيرِ الْقُرْطُبِيِّ (ج ٥ : ٣٠ : ٤) وَكَذَا أَسْبَابُ الزُّرْدِ
لِلْوَاحِدِيِّ ذَكَرَ أَنَّ آيَةَ مُحَمَّدٍ بِنْتُ مَسْلَمَةَ نَزَلَتْ فِيهَا الْآيَةُ .

عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها

وأما أم رومان ابنة عامر بن عويمر بن عبد شمس بن عتاب بن أذينة بن
سبيع بن دهمان بن الحارث بن غنم بن مالك بن كنانة، تزوجها رسول الله صلى الله
عليه وسلم بمكة، في شوال سنة عشر من النبوة، قبل الهجرة بثلاث سنين، وهي
بنت ست أو سبع، وبني بها بالمدينة على رأس سبعة أشهر من الهجرة، وهي ابنة
تسع سنين، وتوفي عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي بنت ثمانى عشرة سنة،
ولم يتزوج صلى الله عليه وسلم بكراً غيرها، وكانت عائشة رضي الله عنها تذكّر لجبير
أبن مطعم بن عدي^(١) وتسمى له، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أرى عائشة
في المنام في سرقة من^(٢) حرير متوفى خديجة، فقال: «إن يكن هذا من عند الله
يُمَيِّضِهِ» فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم في شوال وأبنتى بها في شوال، فكانت
تحب أن تدخل النساء من أهلها وأحبها في شوال على أزواجهن، ونقول: هل
كان في نسائه عنده أحظى مني، وقد نكحني وأبنتى بي في شوال.

قال أبو عمر: فكان مكثها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع سنين، روى
عنها أنها قالت: تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا بنت سبع سنين،
وبني بي وأنا بنت تسع، وقُبِضَ عني وأنا بنت ثمانى عشرة.

قال أبو عمر: وأستأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكنية فقال لها:
«أَكْتَنِي بِأَبْنِكَ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ الزَّيْبِرِ» يعني ابن أختها، وكان مسروق إذا حدث عن
عائشة يقول: حدثتني الصادقة ابنة الصديق، البريئة المبرأة بكذا وكذا. ذكره
الشعبي عن مسروق. وقال أبو الضحا عن مسروق: رأيت مشيخة أصحاب محمد

(١) كان خطيبا مطعم بن عدي لابنه جبير، غطها النبي صلى الله عليه وسلم لأنه لم يعلم بالخطبة،
أو كان قبل النهي. (المواهب ٣: ٢٧٤). (٢) السرقة بفتحات: شقة الحرير.

صلى الله عليه وسلم الأكاير يسألونها عن الفرائض . وقال عطاء بن أبي رباح : كانت عائشة أفقه الناس ، وأعلم الناس رأيا في العاقبة . وقال هشام ابن عروة عن أبيه : ما رأيت أحدا أعلم بفقه ولا يطب ولا يشعر من عائشة .

وعن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه ، قال : ما رأيت أحدا أروى لشعر من عروة ، فقبل له : ما أرواك يا أبا عبد الله ! قال : وما روايتي في رواية عائشة ،

ما كان يتزل بها شيء إلا أنشدت فيه شعرا . قال الزهري : لو جمع علم عائشة إلى

جميع علم أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلم جميع النساء ، لكان علم عائشة

أفضل . وروى عن عمرو بن العاص قال : قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم

أى الناس أحب إليك ؟ قال : « عائشة » ، قلت : فمن الرجال ؟ قال : « أبوها » .

ومن حديث أبي موسى الأشعري ، وأنس بن مالك عن رسول الله صلى الله

عليه وسلم أنه قال : « فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » .

ومن فضل عائشة أن الله عز وجل أنزل في براءتها ما أنزل ، وقد ذكرنا ذلك

في حديث الإفك ، في حوادث سنة خمس من الهجرة ، وهو في الجزء الرابع عشر

من كتابنا هذا ، من هذه النسخة . وروى عن مالك بن أنس رحمه الله أنه قال :

من سب أبا بكر جليل ، ومن سب عائشة قتل ، فقيل له : لم ؟ قال : من رماها

فقد خالف القرآن ؛ لأن الله تعالى يقول : « يَعْظُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ » . فمن عاد لمثله فقد كفر . وعن القاضي أبي بكر بن الطيب قال :

إن الله تعالى إذا ذكر في القرآن ما نسب إليه المشركون سبّح نفسه لنفسه ؛ كقوله :

(١) في رواية الترمذي عن عروة : « ما رأيت أحدا أعلم بالقرآن ، ولا بقرضة ، ولا بحرام ، ولا بحلال ، ولا بفقه ، ولا بشعر ، ولا بطب ، ولا بحديث العرب ولا ينسب من عائشة » .

(٢) خرج هذا الحديث البخاري في باب الثريد وغيره ، ورواه مسلم في فضل عائشة .

(٣) آية ١٧ سورة النور .

« وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ ^(١) » في آي كثير . وذكر تعالى ما نسبته المنافقون إلى عائشة فقال : « وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ ^(٢) » سبح نفسه في تنزيهها من السوء ، كما سبح نفسه في تنزيهه من السوء . وفضائلها رضى الله عنها كثيرة مشهورة .

وسنذكر إن شاء الله تعالى ، عند ذكرنا لوفاة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما خصها به صلى الله عليه وسلم ، في مرضه الذي مات فيه ، من تمر يرضه في بيتها ، وأنه مات صلى الله عليه وسلم في بيتها وفي نوبتها ، وبين سحرها ونحرها ^(٣) ، وآخر ما دخل فيه ريقها ، وناهيك بها فضيلة وخصوصية . وكانت وفاة عائشة رضى الله عنها بالمدينة ، في سنة سبع وخمسين ، وقيل : في سنة ثمان وخمسين ، ليلة الثلاثاء ، لسبع عشرة خلت من شهر رمضان ، وأمرت أن تُدفن ليلاً ، فدفنت بعد الوتر بالبقيع ، وصلى عليها أبو هريرة ، ونزل في قبرها خمسة : عبد الله ، وعروة ، أبنا الزبير ، والقاسم بن محمد ، وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر ، وعبد الله بن محمد بن أبي بكر ، والله أعلم .

وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد زواج عائشة :

حَفْصَةُ بنت عمر بن الخطاب رضى الله عنها

وهي أخت عبد الله بن عمر لأبيه وأمه ، وأما زَيْنَب بنت مَطْعُون بن حَبِيبِ بْنِ وَهَبِ بْنِ حُذَافَةَ بْنِ جُبَّحٍ ، وكانت حَفْصَةُ من المهاجرات ، وكانت قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم عند خُتَيْسِ بْنِ حُذَافَةَ بْنِ قَيْسِ بْنِ عَدَى السَّهْمِيِّ ، وكان

(١) آية ٢٦ سورة الأنبياء . (٢) آية ١٦ سورة النور .

(٣) السحر : الرقة ، والنحر : أعلى الصدر ؛ أى مات صلى الله عليه وسلم وهو مستند إلى صدرها وما يحاذي سحرها منه . وفيه غير ذلك .

بدياً، فلما مات عنها وتأيّمت، ذكرها عمر لأبي بكر وعرضها عليه، فلم يرجع إليه أبو بكر كلمة، فغضب من ذلك عمر، ثم عرضها على عثمان حين ماتت رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال عثمان: ما أريد أن أتزوج اليوم، فأطلق عمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكا إليه عثمان، وأخبره بعرضه حفصة عليه، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يتزوج حفصة من هو خير من عثمان، ويتزوج عثمان من هي خير من حفصة» ثم خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عمر فتزوجها، فلقى أبو بكر الصديق عمر بن الخطاب فقال: لا تجد علي في نفسك، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ذكر حفصة، فلم أكن لأفشي سر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولو تركها لتزوجتها. وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم على رأس ثلاثين شهراً من مهاجره. قال أبو عمر: وطلقها رسول الله صلى الله عليه وسلم وتطلقه ثم أرتجعها، وذلك أن جبريل عليه السلام قال له: «راجع حفصة فإنها صوامة قوامة، وأنها زوجتك في الجنة». وروى عن عقبة بن عامر قال: طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة بنت عمر، فبلغ ذلك عمر فخى على رأسه التراب، وقال: ما يعيا الله بعمر وأبنته بعد هذا، فترل جبريل من الغد على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: «إن الله يأمرك أن تراجع حفصة بنت عمر راحة لعمر».

قال أبو عمر: وأوصى عمر بعد موته إلى حفصة، وأوصت حفصة إلى عبد الله ابن عمر بما أوصى به إليها عمر، وبصدقة تصدقت بها [بمال] ^(١) وقتته بالغابة. وأختلف في وفاتها، فقال اللؤلؤي: عن أحمد بن محمد بن أيوب، توفيت

(١) الزيادة من أسد الغابة عن ابن عبد البر، والذي في ابن عبد البر «وبال ...» بزيادة الواو.

والغابة: موضع قريب من المدينة من جبالها وبها أموال لأهلها.

في سنة سبع وعشرين ، وقال أبو معشر : توفيت في جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين ، وقال غيره : توفيت في شعبان سنة خمس وأربعين بالمدينة ، وصلى عليها مروان بن الحَكَم ، وحمل سريرها ، وهو إذ ذاك أمير المدينة لمعاوية بن أبي سفيان ، وهذا الذي أشار إليه الشيخ أبو محمد الديماطي في مختصر السيرة . قال : ثم تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد زواج حفصة بنت عمر :

زينب بنت خزيمة بن الحارث

أَبْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ هِلَالٍ بْنِ عَامِرٍ بْنِ صَعْمَةَ بْنِ مَعَاوِيَةَ
 (١) أَبْنُ بَكْرٍ بْنِ هَوَازِنَ الْقَيْسِيَّةِ الْهَوَازِنِيَّةِ الْعَامِرِيَّةِ الْهَلَالِيَّةِ ، وَكَانَتْ تَدْعَى فِي الْجَاهِلِيَّةِ
 أُمَّ الْمَسَاكِينِ ، وَكَانَتْ قَبْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ الطَّفِيلِ بْنِ الْحَارِثِ
 ١٠ ابْنِ الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ فَطَلَقَهَا ، فَخَلَفَ عَلَيْهَا أَخُوهُ عُيَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ فَقَتَلَ عَنْهَا
 يَوْمَ بَدْرٍ شَهِيدًا ، فَخَلَفَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ عَلَى
 رَأْسِ أَحَدٍ وَثَلَاثِينَ شَهْرًا مِنْ مُهَاجَرِهِ . وَقِيلَ : كَانَتْ تَحْتَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ فَقَتَلَ
 عَنْهَا يَوْمَ أُحُدٍ ، فَتَزَوَّجَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَعَلَى الْأَوَّلِ اعْتَمَدَ الشَّيْخُ
 أَبُو مُحَمَّدٍ ، قَالَ : وَمَكَثَتْ عِنْدَهُ ثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ ، وَتَوَفَّتْ فِي آخِرِ شَهْرِ رَجَبِ الْآخِرِ ،
 ١٥ وَصَلَّى عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَدَفَنَهَا بِالْبَقْعِ ، وَقَدْ بَلَغَتْ ثَلَاثِينَ سَنَةً
 أَوْ نَحْوَهَا ، وَلَمْ يَمِتْ مِنْ أَزْوَاجِهِ فِي حَيَاتِهِ غَيْرُهَا ، وَغَيْرُ خَدِيجَةَ ، قَالَ : وَفِي رِجَالِهِ
 خَلَافٌ . وَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجَرَجَانِيُّ الْقَسَابِيُّ : كَانَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ
 خُرَيْمَةَ أُخْتُ مَيْمُونَةَ لِأُمِّهَا ، قَالَ أَبُو عَمْرٍو : وَلَمْ أَرِ ذَلِكَ لغيره ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

ثم تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد زينب بنت خزيمة :

- (١) في الجاهلية قيد تحببه الزهري في رواية الطبراني وابن إسحق ، وذكره ابن أبي خينة وقال :
 « أي وأولى في الإسلام » .
 (٢) ريحانة بنت شمعون إحدى زوجات النبي صلى الله عليه وسلم ، روى وفاتها خلاف . وسيأتي ذكرها .

أُم سَلَمَةَ هِنْدُ بِنْتُ أَبِي أُمِيَّةٍ

حَدَّثَنَا الْمَعْرُوفُ بَرَادُ الزَّكَاكِيُّ بْنُ الْمُنِيرَةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ مَخْرُومٍ بْنِ يَعْظَةَ
ابْنِ مُرَّةٍ بْنِ كَعْبٍ بْنِ لُؤَيٍّ الْقُرَشِيُّ الْخَزْرُمِيُّ . وَكَانَ أَبُو هَا أَحَدَ أَجْوَادِ قُرَيْشِ
الْمَشْهُورِينَ بِالْكَرَمِ . وَأُمُّهَا عَاتِكَةُ بِنْتُ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ خُرَيْمَةَ بْنِ عَلَقَمَةَ
ابْنِ قُرَاسٍ . وَكَانَتْ قَبْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ أَبِي سَلَمَةَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
عَبْدِ الْأَسَدِ بْنِ هَالِلِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ مَخْرُومٍ ، وَهُوَ ابْنُ بَرَّةَ بِنْتُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ
عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَوُلِدَتْ لَهُ عَمْرُو بْنُ زَيْنَبٍ ، فَكَانَا رِبِّي رَسُولِ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ أَبُو عَمْرٍ : وَلِدَتْ لَهُ عَمْرُو سَلَمَةَ وَدُرَّةَ وَزَيْنَبَ .
قَالَ ، وَكَانَتْ هِيَ وَزَوْجُهَا أَوَّلَ مَنْ هَاجَرَ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ ، وَيُقَالُ أَيْضًا : أُمُّ
سَلَمَةَ أَوَّلَ ظَعِينَةٍ دَخَلَتْ الْمَدِينَةَ مُهَاجِرَةً ، وَقِيلَ : بَلْ لَيْلَى بِنْتُ أَبِي حَتَمَةَ زَوْجِ
عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ .

تَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّ سَلَمَةَ فِي لَيَالٍ بَقِيْنَ مِنْ شَوَّالِ سَنَةِ أَرْبَعٍ
مِنْ مُهَاجَرِهِ ، وَقَالَ أَبُو عَمْرٍ : تَزَوَّجَهَا فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ مِنَ الْهَجْرَةِ بَعْدَ وَقْعَةِ بَدْرٍ ،
عَقَدَ عَلَيْهَا فِي شَوَّالٍ ، وَأَبْتَنَى بِهَا فِي شَوَّالٍ ، وَقَالَ لَهَا : « إِنْ شِئْتَ سَبَعْتُ عِنْدَكَ ،
وَسَبَعْتُ لِنِسَائِي ، وَإِنْ شِئْتَ ثَلَاثُ وَدُرْتُ » فَقَالَتْ : ثَلَاثُ . قَالَ ابْنُ هِشَامٍ :
زَوْجَهُ إِيَّاهَا أَبْنَاهَا سَلَمَةُ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ ، وَأَصْدَقَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِرَاشًا
حَشَوْهُ لَيْفٌ وَقَدَحًا وَصَحْفَةً وَمِحْشَةً . وَقَدْ اِخْتَلَفَ فِي وِفَاتِهَا ، فَقِيلَ : تَوَفَّتْ
فِي سَنَةِ سِتِينَ مِنَ الْهَجْرَةِ ، وَقِيلَ : فِي شَهْرِ رَمَضَانَ أَوْ شَوَّالِ سَنَةِ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ ،

(١) فِي ابْنِ هِشَامٍ « رَفِيقَةٌ » مَكَانَ « دُرَّةٍ » .

(٢) الْجَاهِلُونَ عَلَى أَنَّ الزَّوْجَ كَانَ سَنَةِ أَرْبَعٍ ؛ لِأَنَّ أَبَا سَلَمَةَ مَاتَ بَعْدَ غَزْوَةِ أُحُدٍ ، وَكَانَتْ سَنَةُ

ثَلَاثَ بَاقِي . (٣) الْمِحْشَةُ : الرَّحَى .

وقال الشيخ أبو محمد عبد المؤمن : توفيت في سنة اثنتين وستين . قال أبو عمر :
 وصلى عليها أبو هريرة ، وقيل : سعيد بن زيد بوصية منها ، ودخل قبرها عمر
 وسامة أبنا أبي سلمة ، وعبيد الله بن عبد الله بن أبي أمية ، وعبد الله بن وهب بن
 ربيعة ، ودفنت بالبقيع رحمها الله ، وهى آخر أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم
 موتا ، وقيل : بل ميمونة آخرهن . والله أعلم .
 ثم تزوج صلى الله عليه وسلم بعدها :

زينب بنت جحش بن رثاب

أبن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير - بالباء الموحدة - ابن غنم بن دودان
 ابن أسد بن خزيمه .

- ١٠ وكان اسم زينب برة ، فسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب ، وأما
 أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم ، عممة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال الشيخ
 أبو محمد عبد المؤمن : تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلال ذى القعدة سنة
 أربع على الصحيح ، وهى يومئذ بنت خمس وثلاثين سنة ، وكانت قبل ذلك
 عند زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم فارقتها ، فلما حلت
 ١٥ زوجه الله إياها ، وهى التى قال الله تعالى فيها : ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَا كُهَا ۖ ﴾
 ولما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلم فى ذلك المنافقون ، وقالوا حرم

(١) لا يصح القول بأن سعيد بن زيد صلى الله عليه وسلم مات سنة ثنتين أو إحدى
 أو اثنتين ، بخلاف ، قال فى الإصابة : « ويمكن تأويله بأنها مرضت فأوصت بذلك ثم عوفيت فمات
 سعيد قبلها » . (٢) رجع بعضهم كافى المواب ستة خمس ، وفى الإصابة ستة ثلاث .

(٣) أى آفقت عذتها فحلت للزواج . (٤) آية ٣٧ سورة الأحزاب .

٦٢
١٦

محمد نساء الولد وقد تزوج امرأة ابنه ، فانزل الله عز وجل : (مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ ^(١) مِنْ رِجَالِكُمْ) . وقال تعالى : (أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ) ^(٢) ، فدعى زيد يومئذ زيد بن حارثة ، وكان قبل ذلك يدعى زيد بن محمد . قالت عائشة رضي الله عنها : لم يكن أحد من نساء النبي صلى الله عليه وسلم يُسَامِينِي فِي حَسَنِ الْمِرْلَةِ ^(٣) عنده غير زَيْنَب بنت جحش ، وكانت تَفْخَرُ عَلَى نِسَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ تقول : إِنْ أَبَاءَ كُنْ أَنْكَحُوكُنَّ وَأَنْ اللَّهَ أَنْكَحَنِي إِيَّاهُ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ . وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لزيد بن حارثة : « أَذْكَرَهَا عَلَيَّ » قال زيد : فَأَنْطَلَقْتُ فَقُلْتُ لَهَا : يَا زَيْنَبُ ، أَبْشِرِي ، فَإِنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْسَلَ بِذِكْرِكَ . فقالت : مَا أَنَا بِصَانِعَةِ شَيْءٍ حَتَّى ^(٤) أَوْامِرَ رَبِّي ؛ فَقَامَتْ إِلَى مَسْجِدِهَا ، وَنَزَلَ الْقُرْآنُ ، وَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَخَلَ عَلَيْهَا بِغَيْرِ إِذْنٍ . وعن عبد الله بن شداد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه : « إِنْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ أَوْاهَةٌ » فقال رجل : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا الْاَوْاهَةُ ؟ قال : « الْخَاشِعُ الْمَتَضَرِّعُ ، وَ (إِنْ إِبْرَاهِيمَ حَلِيمٌ أَوْاهٌ مُنِيبٌ) ^(٥) . وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ؛ قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما لنسائه : « أَسْرَعَكُنَّ لِحَاقًا بِي أَطْوَلَكُنَّ يَدًا » ^(٦) ، قالت : فَكُنَّ يَتَطَاوَلْنَ إِيَّاهُ أَطْوَلُ يَدًا ، قالت : فَكَانَتْ أَطْوَلُنَا يَدًا زَيْنَبُ ؛ لِأَنَّهَا كَانَتْ تَعْمَلُ بِيَدَيْهَا وَتَتَصَدَّقُ . وعن عائشة رضي الله عنها أيضا ، قالت كانت زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ

(١) آية ٤ سورة الأحزاب . (٢) آية ٥ سورة الأحزاب .

(٣) تضاهيني وتفاخرن بجمالها ومكانتها عنده عليه السلام .

(٤) أوامر : استنير . (٥) آية ٧٥ سورة هود . (٦) طول اليد ، كناية عن الجود

والكرم ؛ وكانت رضي الله عنها صانع اليد ، تدبغ وتخز وتصدق .

تساميني في المتزلة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما رأيت امرأة قط خيرا في الدين من زينب ، وأتقى الله وأصدق حديثا ، وأوصل للرحم ، وأعظم صدقة . ومن رواية أخرى عنها أنها ذكرت زينب فقالت : ولم تكن امرأة خيرا منها في الدين ، وأتقى الله ، وأصدق حديثا ، وأوصل للرحم ، وأعظم صدقة ، وأشد تبذلا في نفسها في العمل الذي تتصدق به ^{تتقرب} وتتقرب إلى الله عز وجل . وكانت وفاة زينب بالمدينة في سنة عشرين من الهجرة ، في خلافة عمر ، وقيل : في سنة إحدى وعشرين ، ودفنت بالبيق رضى الله عنها .

ثم تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد زينب :

جُوَيْرِيَةُ بنت الحارث

١٠. ابن أبي ضرار بن حبيب بن عائذ بن مالك بن جَدِيمَةَ ، وهو المصطلق بن سعد ابن كعب بن عمرو بن ربيعة ، وهو الحَيَّ بن حارثة بن عمرو مُرَيْقِيَاءَ بن عامر ماء السماء ، الأزدية الخزاعية المصطلقية . سباه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم المريسيع ف وقعت جُوَيْرِيَةُ في سهم ثابت بن قيس بن شماس ، وكانت على تسع أواق ، فأذى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها ثيابها وتزوجها . وقيل : جاء أبوها فأقدها ، ثم أنكحها رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنة ست من الهجرة . وروى عن عائشة رضى الله عنها قالت : لما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا بني المصطلق ، وقعت جُوَيْرِيَةُ بنت الحارث في السهم لثابت بن قيس بن شماس — أو لابن عم له —

(١) البذل : ترك الزين والتبذير بالهيئة الحسنة على جهة التواضع ، وفي « ابتدالا » .

(٢) مَرَقِيَاءَ : لقب عمرو بن عامر المذكور ، ملك من ملوك اليمن .

(٣) المريسيع (تصغير مرسوع) : ماء لبني خزاعة من الأزد وهذه الفزرة هي المروزة بضمزة بن

فكاتبته على نفسها ، وكانت امرأة حُلوة مَلَاحة^(١) ، لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم تستعينه في كتابتها ، قالت عائشة : فوالله ما هو إلا أن رأيتها على باب حجرى فكرهتها ، وعرفت أنه سيرى منها ما رأيت ، فدخلت عليه ، فقالت : يا رسول الله ، أنا جُورِيَّة بنت الحارث بن أبى ضَرَار سَيِّد قومه وقد أصابني من البلاء ما لم يخف عليك ، فوقعْتُ في السهم لثابت بن قيس بن ثُمَّاس — أولابن عزمه — فكاتبته على نفسى ، بختك أمتعينك على كتابتى ، قال : « فهل لك في خير من ذلك » ؟ قالت : وما هو يا رسول الله ؟ قال : « أقض عنك كتابتك وأتزوجك » ، قالت : نعم يا رسول الله ، قال : « قد فعلت » ؛ قالت : وخرج الخبر إلى الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تزوج بجويرة بنت الحارث فقال الناس : أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأرسلوا ما بأيديهم ، فلقد أعتق بترويجها إياها مائة أهل بيت من بنى المصطلق ، فما أعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها .

قال أبو عمر : وكانت جويرة قبلُ تحت مُسَافِع بن صَفْوَانَ المصطلق ، قال : وكان اسمها برة ، فغير رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمها وسمها جُورِيَّة ، وحفظت جويرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وروى عنه ، وتوفيت بالمدينة في شهر ربيع الأول سنة ست وخمسين ، وصلى عليها مروان بن الحكم وهو والى المدينة وقد بلغت سبعين سنة ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم تزوجها وهى بنت عشرين سنة . وقيل : توفيت فى سنة خمسين . والله أعلم .

ثم تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد جويرة :

(١) مَلَاحة : أى شديدة الملاحة ، وهو من أبنية المبالغة .

رَبِيعَةُ بِنْتُ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ خُثَيْفَةَ بْنِ شَمْعُونِ

قال أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القزويني رحمه الله: هي رُبَيْعَةُ بنت شَمْعُونِ بن زَيْدِ بن خُثَيْفَةَ^(١) من بَنِي قُرَيْظَةَ، وقيل من بَنِي النَّضِيرِ. قال: والأكثر من بَنِي قُرَيْظَةَ. قال الشيخ أبو محمد عبد المؤمن بن خلف رحمه الله: وكانت متروجة رجلا من بَنِي قُرَيْظَةَ، يقال له الْحَكَمُ، وكانت قد وقعت في السبي يوم بَنِي قُرَيْظَةَ، وذلك في ليال من ذِي الْقَعْدَةِ سنة خمس من الهجرة، فكانت صَفِيَّةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بغيرها بين الإسلام. ودينها فاخترت الإسلام فأعتقها وتزوجها، وأمهرها أثنى عشرة أوقية ونَسًا، وأعرس بها في المحرم سنة ست، في بيت أم المنذر سلمى بنت قيس من بَنِي النجار، وضرب عليها الحجاب، فنارت عليه غيرة شديدة، فطلقها تطليقة، فأكثر البكاء فراجعها، فكانت عنده حتى ماتت بعد رجوعه من حَجَّةِ الْوَدَاعِ، فدفنها بالبقيع. وقيل: إنه لم يتزوجها وكان يطؤها بملك اليمن، وأنه خيرها بين العتيق والترويح، أو تكون في ملكه، فقالت: أكون في ملكك أخف عليّ وعليك، فكانت في ملكه حتى توفى عنها. قال: والأول أثبت.

ثم تزوج صلى الله عليه وسلم:

معين التارح

أُم حَبِيبَةَ رَمْلَةَ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ لِأَهْلِ التَّارِحِ

صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي القرشي الأموية، وأُمها صَفِيَّةُ بِنْتُ أَبِي الْعَاصِ بن أمية عمة عثمان بن عفان، هاجرت أُم حَبِيبَةَ مع زوجها عُبَيْدِ اللَّهِ بن جَحْشٍ إلى أرض الحبشة في الهجرة الثانية، فولدت له هناك

(١) خُثَيْفَةُ، بالحاء. أو خُثَيْفَةُ بِالْقَافِ . (٢) الصفي: ما يختاره رسول الله من الغنية.

(٣) في نسخ الأصل: «عبد الله»، والصحيح: عبيد الله، بالتصغير كما في الإصابة وشرح المواهب؛ لأن أخاه عبد الله بن جحش استشهد بأخذ رضى الله عنه.

حبيبة فكثبت بها ، وتنصر عبيد الله زوجها ، وأرتد عن الإسلام ، ومات على ذلك ، وثبتت أم حبيبة على دين الإسلام ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي ، كما قدمنا ذكر ذلك فزوجه إياها ، وكان الذي عقد عليها خالد بن سعيد بن العاص بن أمية على الأصح ، وأصدقها النجاشي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع مائة دينار ، وبعث بها مع شُرَيْحِل بن حسنة فوجهها إلى المدينة ، وذلك في سنة سبع من الهجرة ، وهذا هو المعروف المشهور .
وقيل : إن الذي زوجها عثمان بن عفان ، وأن العقد كان بالمدينة بعد رجوعها من أرض الحبشة . والأول أثبت .

وروى الزبير بن بكار قال : حدثني محمد بن حسن عن عبد الله بن عمرو بن زهير ، عن إسماعيل بن عمرو أن أم حبيبة قالت : ما شعرت وأنا بأرض الحبشة إلا برسول النجاشي جارية يقال لها أبرهة ، كانت تقوم على ثيابه ودُفْنِه ، فاستأذنت على فأذنت لها ، فقالت : إن الملك يقول لك إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كتب إلى أن أزوجه فقلت : بَشَّرَك الله بخير ، وقالت : يقول لك الملك وكل من يزوجه ، فأرسلت إلى خالد بن سعيد فوكلته ، وأعطيت أبرهة سوارى فضة كانتا علي ، وخواتم فضة كانت في أصابعي سرورا بما بَشَّرَنِي ، فلما كان العشي أمر النجاشي جعفر بن أبي طالب ومن هناك من المسلمين يحضرون ، وخطب النجاشي فقال : الحمد لله الملك القدوس ، السلام المؤمن المهيمن ، العزيز الجبار ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، وأنه الذي بشر به عيسى بن مريم أما بعد — فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إلى أن أزوجه أم حبيبة بنت

(١) حسنة : هي أمه التي ربه ، وأبو عبد الله بن المطاع الكندي : (المواهب : ٣ : ٢٨٩) .

(٢) في شرح المواهب : « أن أزوجه لها » .

... ..

أبى سفيان ، فأجبتُ إلى ما دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد أصدقتهما
أربعمائة دينار . ثم سَكَبَ الدنانير بين يدي القوم ، فتكلم خالد بن سعيد ، فقال :
الحمد لله أحمده وأستعينه ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله ،
أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون - أما بعد -
فقد أجبت إلى ما دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وزوجته أم حبيبة بنت
أبى سفيان ، فبارك الله لرسوله . ودفع النجاشي الدنانير إلى خالد بن سعيد فقبضها ؛
ثم أرادوا أن يقوموا ، فقال النجاشي : أجلسوا فإن سنة الأنبياء عليهم السلام إذا
تزوجوا أن يؤكل طعامٌ على الترويح ، فدعا بطعام فأكلوا ثم تفرقوا . وماتت أم
حبيبة سنة أربع وأربعين ^(١) . وروى عن علي بن حسين قال : قدمت منزلي في دار
علي بن أبي طالب ، فخرجنا في ناحية منه فخرجنا منه حجرا فإذا فيه مكتوب ، هذا
قبر رَمْلَةَ بنتِ حَنْزَلٍ ، فاعدناه مكانه ، حكاه أبو عمر بن عبد البر في الاستيعاب
في ترجمة أم حبيبة ^(٢) .

ثم تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أم حبيبة :

صَفِيَّةُ بنتُ حُجَيِّ بنِ أَخْطَبَ

١٥. **أَبْنُ سَعْيَةَ بنُ ثَعْلَبَةَ بنِ عَبِيدَ بنِ كَعْبَ بنِ الْحَارِثِ بنِ أَبِي حَبِيبَ بنِ النَّضِيرِ بنِ**
النَّحَامِ بنِ نَحُومٍ ، من بني إسرائيل من سبط هرون بن عمران عليه السلام .
كان أبوها سَيِّدُ بني النَّضِيرِ ، وأُمُّها بَرَّةُ بنتُ سَمُوعَ ، أخت رِفَاعَةَ ، وكانت
صَفِيَّةً عند سَلَامَ بنِ مِشْكَمَ الْقُرْطِيِّ الشاعر ، ففارقها تخلف عليها كَنَانَةُ بن الربيع
(١) هذا ما جزم به ابن عبد البر وابن سعد ، ورجحه البلاذري ؛ وقيل سنة اثنتين وأربعين . (راجع
المواهب ٣ : ٢٩٢) . (٢) هو في ترجمة « رَمْلَة » لا ترجمة أم حبيبة .

(٣) نحوم ؛ في أسد الغابة : « ناخوم » قاله اليهود وهم أعلم بلسانهم .
(٤) في شرح المواهب : أمها ضرة بنت الضاد المعجمة . على أن أسد الغابة موافق لما هنا .
(٥) رِفَاعَةُ صحابي ، قال في الإصابة : « له ذكر في الصحيح من حديث عائشة ... » الخ .

أَبْنُ أَبِي الْحَقِيقِ النَّضْرِيُّ^(١) الشَّاعِرُ، فَقَتَلَ يَوْمَ خَيْرٍ، وَلَمْ تَلِدْ لِأَحَدٍ مِنْهُمَا شَيْئًا، فَاصْطَفَاهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِنَفْسِهِ فَأَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا وَجَعَلَ عَتَقَهَا صَدَاقَهَا، وَلَمْ يَبْلُغْ يَوْمَئِذٍ سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً.

وَحَكَى مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ فِي مَغَازِيهِ، وَأَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْبَيْهَقِيُّ فِي دَلَائِلِ النَّبُوَّةِ، فِي غَزَاةِ خَيْرٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا أَفْتَتَحَ الْقَمُوصَ: — حَصْنُ ابْنِ أَبِي الْحَقِيقِ — أُنِيَ بِصَفِيَّةَ بِنْتِ حُجَيْيٍّ بْنِ أَخْطَبٍ، وَبِأُخْرَى مَعَهَا، فَمَرَّ بِهِمَا يَلَالٌ عَلَى قَتْلِ مَنْ قَتَلَ يَهُودَ، فَلَمَّا رَأَتْهُمُ الَّتِي مَعَ صَفِيَّةَ صَاحَتْ وَصَوَّتَتْ وَجْهَهَا وَحَنَّتِ التَّرَابَ عَلَى رَأْسِهَا، فَلَمَّا رَأَاهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَغْرَبُوا عَنِّي هَذِهِ الشَّيْطَانَةَ» وَأَمَرَ بِصَفِيَّةَ لِحَيْزَتِ خَلْفِهِ، وَالَّتِي عَلَيْهَا رِدَآءُهُ، فَعَرَفَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ اصْطَفَاهَا لِنَفْسِهِ، وَكَانَتْ صَفِيَّةَ قَدْ رَأَتْ فِي الْمَنَامِ، وَهِيَ عَرُوسُ بَيْكَاةَ بْنِ الرَّبِيعِ، أَنْ قَرَأَ وَقَعَ فِي حَجْرِهَا، فَعَرَضَتْ رُؤْيَاهَا عَلَى زَوْجِهَا، فَقَالَ: مَا هَذَا إِلَّا أَنْكَ تَمْنَيْنِ مَلِكِ الْحِجَازِ مُحَمَّدًا: فَلَطَمَ وَجْهَهَا لَطْمَةً خَضَرَ عَيْنَهَا مِنْهَا، فَأَتَى بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبِهَا أَثَرُ مَنَّهُ، فَسَالَهَا مَا هُوَ فَأَخْبَرَتْهُ هَذَا الْخَبْرَ.

وَرَوَى عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ مِنْ رِوَايَةِ صُهَيْبٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا جَمَعَ مَبْنَى خَيْرٍ جَاءَهُ دِحْيَةُ فَقَالَ: أَعْطِنِي جَارِيَةً مِنَ السَّبْيِ، قَالَ: «أَذْهَبْ نَخْذُ جَارِيَةً» فَأَخَذَ صَفِيَّةَ بِنْتَ حُجَيْيٍّ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهَا سَيِّدَةُ قَرِيطَةَ وَالنَّضِيرِ،

(١) هذه النسبة إلى النضير، حذفوا الياء وقلبوها كسر الضاد فتعا.

(٢) أغربوا: أبعدوا وفي نسخة: «أغربوا»، والمعنى واحد.

(٣) في أسد الغابة: «فذكرت ذلك لأبيها».

(٤) كذا في نسخ الأصل، والمعنى: ترك بها أثرا أسود، والعرب تقول للأسود أخضر،

وفي شرح المرامب: «لطمها على عينها فاحضرت».

ما تصلح إلا لك، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «خذ جارية من السَّبْيِ غيرها» .
وقال ابن شهاب: كانت مما أفاء الله عليه، حجَّها وأولم عليها بتمر ومويق، وقسم
لها، وكانت إحدى أمهات المؤمنين، قال أبو عمر: روى أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم دخل على صفية وهي تبكي، فقال لها: «ما يبكيك؟» قالت:
بأنني أن عائشة وحَفْصَة تنالان مني، وتقولان نحن خير من صفية، نحن بنات
عم رسول الله وأزواجه، قال: «ألا قلت لهنَّ كيف تكن خيرا مني وأبي هرون،
وعمي مومي، وزوجي محمد صلى الله عليه وسلم» . وكانت صفية حليلة عاقلة
فاضلة؛ روى أن جارية لها أتت عمر بن الخطاب رضى الله عنه، فقالت: إن
صفية تحب السَّبْيَ وتصل اليهود، فبعث إليها عمر يسألها، فقالت: أما السَّبْيُ
فلأنى لم أحبه منذ أبدلني الله به يوم الجمعة، وأما اليهود فإن لي فيهم رجا فانا أصلها،
ثم قالت للجارية: ما حملك على ما صنعت؟ قالت: الشيطان، قالت: فأذهبي
فأنت حرة. وتوفيت صفية في شهر رمضان سنة خمسين، وقيل: سنة اثنتين
 وخمسين. ودفنت بالبقيع، وورث مائة ألف درهم بقيمة أرض وعرض،
وأوصت لابن أختها بثُلثها، وكان يهوديا.

ثم تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها:

ميمونة بنت الحارث

ابن حَزْن بن بِجَر بن هُزَم بن رُوَيْبَة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صَعَصَعَة بن
معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خَصَفَة بن قيس عيلان بن مضر.
وأما هند بنت عوف بن زهير بن الحارث بن حاطة بن حِمير، وقيل: من
كِنانة، وأن زهير بن الحارث بن كِنانة.

(١) هزم — في القاموس — كفر، وكذلك في شرح المواهب وابن إسحق، وفي الأصول: «الهرم».

وأخوات مميونة لأبيها وأما : أم الفضل ثبابة الكبرى بنت الحارث ، زوج العباس بن عبد المطلب . وثبابة الصغرى زوج الوليد بن المغيرة ، أم خالد بن الوليد . وعصماء بنت الحارث ، كانت تحت أبي بن خلف الجمحي . وعزة بنت الحارث ، كانت عند زياد بن عبد الله بن مالك الهلالي .

وأخواتها لأما : أسمية بنت عميس ؛ كانت تحت جعفر بن أبي طالب ، فولدت له عبد الله ، وعونا ومحمدا ، ثم خلف عليها أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، فولدت له محمدا ، ثم خلف عليها علي بن أبي طالب ، فولدت له يحيى ، وقيل : إن أسمية كانت تحت حمزة بن عبد المطلب ، فولدت له أمة الله بنت حمزة ، ثم خلف عليها بعده شداد بن أسامة بن الهاد اللثمي ، فولدت له عبد الله ، وعبد الرحمن . وسلامة بنت عميس أخت أسماء . وسلمى بنت عميس كانت تحت عبد الله بن كعب بن منبه الخثعمي . وزينب بنت نزيمة أخت مميونة لأما .

قال أبو عمر بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنهما : كان اسم مميونة برة ، فسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم مميونة ، وقال : لما توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة معتمرا في سنة سبع ، وهي عمرة القضاء ، خطب جعفر بن أبي طالب عليه مميونة بنت الحارث الهلالية ، وكانت أختها لأما أسماء بنت عميس عند جعفر ، وسلمى بنت عميس عند حمزة ، وأم الفضل عند العباس ، فأجاب جعفر ابن أبي طالب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجعلت أمرها إلى العباس بن عبد المطلب ، فأنكحها النبي صلى الله عليه وسلم وهو محرم ، فلما رجع بنى بها بسيرف^(١) حلالا ، وكانت قبله عند أبي رهم بن عبد العزى بن أبي قيس بن عبد ود بن

(١) سرف ككف : موضع قرب التميم من ضواحي مكة .

نصر بن مالك بن حِسل بن عامر بن لؤي، ويقال: بل كانت عند سبرة بن أبي رهم.
 يحكاها أبو عبيدة، وقال عبد الله بن محمد بن عقيل: كانت مميونة قبل النبي صلى الله
 عليه وسلم عند حوِيطب بن عبد العزى، وقيل: كانت في الجاهلية عند مسعود بن
 عمرو بن عمير الثقفي ففارقها، وخلف عليها أبو رهم أخو حوِيطب فتوفى عنها،
 فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال ابن شهاب: وهى التى وهبت نفسها
 للنبي صلى الله عليه وسلم، وكذلك قال قتادة، قال: وفيها نزلت ﴿وَأَمْرًا مُمِينَةً
 إِنَّ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ الآية، وقد قيل: إن الواهبة خولة وقيل: أم شريك.
 قال قتادة: وكانت مميونة قبله عند قروة بن عبد العزى بن أسد بن غنم بن دودان،
 قال أبو عمر: هكذا قال قتادة وهو خطأ، والصواب ما تقدم. والله أعلم. قال الشيخ
 أبو محمد الديلمى: وماتت مميونة بسيرف في سنة إحدى وخمسين على الأصح؛ وقد
 بلغت ثمانين سنة.

فهؤلاء نساؤه المدخول بهن، ومات صلى الله عليه وسلم عن تسع منهن؛ وهن:
 عائشة بنت أبي بكر الصديق، وحفصة بنت عمر، وسودة بنت زمعة، وأم سلمة
 بنت أبي أمية، وزَيْنَب بنت جحش، وجويرية بنت الحارث وأم حبيبة بنت أبي سفيان،
 وصفيّة بنت حيي بن أخطب، ومميونة بنت الحارث رضوان الله عليهم أجمعين.

ذكر من تزوجهن رسول الله صلى الله عليه وسلم من النساء

ولم يدخل بهن، ومن دخل بهن وطلقهن، ومن وهبت نفسها له صلى الله عليه وسلم:

فاطمة بنت الضحّاك

ابن سفيان بن عوف بن كعب بن أبي بكر، وهو عيسد بن كلاب بن ربيعة
 ابن عامر الكلابية.

تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذي القعدة ، سنة ثمان من الهجرة ، منصرفه
من الجعرانة ، فلما دنا منها قالت : أعوذ بالله منك ، فقال : « لقد عذت بعظيم
الحق بأهلك » فكانت إذا استأذنت على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم تقول :
أنا الشقية إنما خُذْتُ . وَدَلَّهْتُ وَذَهَبَ عَقْلُهَا ، وماتت سنة ستين . وروى عن
أبن إسحق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجها بعد وفاة أخته زَيْنَب ، وخيرها
حين أنزلت آية التخيير فأختارت الدنيا ففارقها ، فكانت بعد تَلَقُّطِ البعر ، وتقول :
أنا الشقية اخترت الدنيا . قال أبو عمر بن عبد البر : وهذا عندي غير صحيح ؛
لأن أبن شهاب يروى عن أبي سلمة وعروة عن عائشة : أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم حين خَيرَ أزواجه بدأ بها فاختارت الله ورسوله قالت وتتابع أزواج النبي صلى
الله عليه وسلم على ذلك ، قال قتادة وعكرمة : كان عنده حين خيرهن تسع نسوة
وهن اللواتي تُوقى عنهن ، قال الشيخ أبو محمد عبد المؤمن : وقيل إنما طلقها لياض
كان بها . وقيل : إنما فارقها لأنه كان إذا خرج طلعت إلى المسجد . وقيل : إن
الضحاك عَرَضَ أخته فاطمة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : إنها لم تصدع
قط ، فقال : « لا حاجة لي بها » . وروى عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال :
كان في نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم مَنَاء بنت سُفْيَان بن عوف بن كعب
أبن أبي بكر بن كلاب . ومنهن :

- (١) الحنيفة (بكر الهزلة وضع الحاء ، وقيل بالعكس) : كناية عن الطلاق بالنية ، والمعنى طلقتك .
- (٢) دله كفرج : ذهب قتاده من هم أومضت ؛ وقوله : « ذهب عقلها » تفسير « دلجت » .
- (٣) آية التخيير ٢٨ ، ٢٩ سورة الأحزاب . (٤) قال المواهب : « ولعل ذلك لئيمه
من ضيق عيشها » . (٥) في رواية ، وضح ؛ والمراد البرص . (٦) تصدع : تمصصها صداع وهو وجع
الرأس ، وفي رواية المعارف لابن قتيبة : إنها لم تمرض قط ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما لهذه
عند الله من خير » . (٧) ذكر ابن سعد الاختلاف في أسم الكلابية في (ج ٨ : ١٠٠) .

عَمْرَةَ بِنْتُ يَزِيدَ بْنِ الْجَوْنِ الْكَلَابِيَّةِ

وقيل : عَمْرَةَ بِنْتُ يَزِيدَ بْنِ عُيَيْدِ بْنِ رُوَاسِ بْنِ كِلَابِ الْكَلَابِيَّةِ ، وهو أَصَحُّ .
وفي رواية قال أبو عمر : تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبلغه أن بها
برصاً فطلقها ، ولم يدخل بها . وقيل : إنها التي تعوذت منه حين أدخلت عليه .
وقيل غيرها . ومنهن :

الْعَالِيَّةُ بِنْتُ ظِيَّانَ بْنِ الْجَوْنِ

أَبْنُ عَوْفٍ بْنُ كَعْبٍ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بْنُ عُيَيْدِ بْنِ كِلَابِ الْكَلَابِيَّةِ . قال أبو عمر :
تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت عنده ماشاء الله ثم طلقها ، قال : وقيل
من ذكرها . هؤلاء اللاتي ذُكرن من بنى كِلَابِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَامِرٍ . قال أبو محمد :
ومن الناس من جعل التي تزوجها من بنى عامر واحدة ، آخلف في اسمها ، وأنه
لم يتزوج من بنى عامر غيرها ، قال : ومنهم من جعلهن جميعاً ، وذَكَرَ لكل واحدة
منهن قصة ، وهؤلاء اللاتي ذَكَرناهن ، هن المشهورات من بنى عامر .
ومن ذَكَرَنَ في أزواجه صلى الله عليه وسلم فاطمة بنت شُرَيْحٍ . ذكرها
أبو عبيدة في أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومنهن :

أَسْمَاءُ بِنْتُ النَّعْمَانِ بْنِ أَبِي الْجَوْنِ

ابن الأسود بن الحارث بن شراحيل بن الجَوْنِ بْنِ آكلِ الْمَرَارِ الْكِنْدِيِّ ، تزوج
بها رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنة تسع من الهجرة ، زوجه إياها أبوها
حين قدم ، على آتني عشرة أوقية ونش ، وبعث معه أبا أُسَيْدٍ فحملها من
(١)

تَجِدُ حَتَّى تَزِلَ بِهَا فِي أَلَمٍ بَنَى سَاعِدَةً ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ : قَدْ وَضَعَ يَدَهُ فِي الْغُرَائِبِ ^(١)
يُوشِكُ أَنْ يَصْرِفَ وَجْهَهُ عَنَّا ، وَكَانَتْ مِنْ أَجْلِ النِّسَاءِ ، فَقَالَتْ حَفْصَةُ لِعَائِشَةَ ،
أَوْ عَائِشَةُ لِحَفْصَةَ : أَخْضِيبِيَا أَنْتِ وَأَنَا أَمْشِطُهَا ، فَفَعَلْنَا ، ثُمَّ قَالَتْ لَهَا إِحْدَاهُمَا :
إِنَّهُ يَعْجِبُهُ مِنَ الْمَرْأَةِ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهِ أَنْ تَقُولَ : أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ ؛ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ
وَأَغْلَقَ الْبَابَ ، وَأَرْنَحَى السِّتْرَ ، مَدَّ يَدَهُ إِلَيْهَا ، فَقَالَتْ : أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ ، فَقَالَ :
« لَقَدْ عُدْتُ بِمَعَاذِ الْحَقِّ بِأَهْلِكَ » وَأَمَرَ أَبَا أُسَيْدٍ أَنْ يَرُدَّهَا إِلَى أَهْلِهَا ؛ وَقَالَ :
« سَمِعْتُهَا بِرَازِقَتَيْنِ » ^(٢) يَعْنِي كِرَاسَيْنِ ، فَكَانَتْ تَقُولُ : أَدْعُونِي الشَّقِيَّةَ ، وَإِنَّمَا خُدِعَتْ ؛
لَمَّا رَأَى مِنْ جَاهِلِهَا وَهَيْئَتِهَا ، وَذَكَرَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ حَلِّهَا عَلَى
مَا قَالَتْ ، فَقَالَ : « إِنَّهُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ وَكَيْدَهُنَّ عَظِيمٌ » قَالَ : فَلَمَّا طَلَعَ بِهَا
أَبُو أُسَيْدٍ عَلَى أَهْلِهَا تَصَاحَبُوا ؛ وَقَالُوا : إِنَّكَ لَغَيْرُ مَبَارَكَةٍ ، مَا دَعَاكَ ؟ فَقَالَتْ :
خُدِعْتُ ، وَقِيلَ لِي كَيْتٌ وَكَيْتٌ ، فَقَالُوا : لَقَدْ جَعَلْتُنَا فِي الْعَرَبِ شُهْرَةً ، فَقَالَتْ :
يَا أَبَا أُسَيْدٍ قَدْ كَانَ مَا كَانَ فَمَا الَّذِي أَصْنَعُ ؟ قَالَ : أَقْبِى فِي بَيْتِكَ وَأَحْتَجِى
إِلَّا مِنْ ذِي رَحِمٍ ، وَلَا يَطْمَعُ فِيكَ طَامِعٌ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَإِنَّكَ
مِنْ أَمْهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ ؛ فَأَقَامَتْ لَا يَطْمَعُ فِيهَا طَامِعٌ ، وَلَا تُرَى إِلَّا لَذَى نَحْرٍ ، حَتَّى
تَوَفَّيَتْ فِي خِلَافَةِ عُمَانَ بْنِ عَفَّانَ عِنْدَ أَهْلِهَا بِتَجْدٍ .

وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو : أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَزَوَّجَهَا ، وَآخْتَلَفُوا
فِي قِصَّةِ فِرَاقِهِمَا ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : لَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ دَعَاهَا فَقَالَتْ : تَعَالَ أَنْتَ ،
وَأَبَتْ أَنْ تَحْبِيَ ، هَذَا قَوْلُ قَتَادَةَ وَأَبَى عُبَيْدَةَ . وَزَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّهَا قَالَتْ : أَعُوذُ بِاللَّهِ

(١) الألم : بناء مرتفع كالحصن . (٢) الغرائب (جمع غريبة) : وهى البعيدة عنهم ؛
قال فى الطبقات : « فلما جعل رسول الله يتزوج فى الغرائب قالت عائشة قد وضع يده فى الغرائب ... الخ » .
(٣) رازقيتين : الرازقية ثوب تكان أبيض ، كبراسين : بيان للرازقيتين فارسى معرب . ومنعة المرأة
ما وصلت به بعد الطلاق من ثياب أو مال أو طعام .

منك، فقال : « لقد عُذِّتَ بِمَعَاذِ، وقد أعَاذَكَ اللهُ مِنِّي » فطلقتها، قال قتادة : وهذا باطل إنما قال هذا لأمراة جميلة تزوجها من بنى سُلَيْم . وقال أبو عُبَيْدَة : كِلْتَاهُمَا عَاذَنَا بِاللّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . والله تعالى أعلم . وروى البخارى في صحيحه حديث أبى أُسَيْد السَّاعِدِيّ قال : تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم :

أُمَيَّةَ بِنْتِ شَرَّاحِيلَ

فلما دخلت عليه بسط يده إليها ، فكأنها كرهت ذلك ، فأمر أبا أُسَيْد أن يجهزها ويكسوها ثوبين ، وفي لفظ آخر، قال أبو أُسَيْد : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحنونية، فلما دخل عليها قال : « هي لى نفسك » فقالت : وكيف تهب الملكة نفسها للسوقة ؟ فأهوى بيده إليها ليسكتها فقالت : أعوذ بالله منك، قال : « قد عُذِّتَ بِمَعَاذِ » ثم خرج عليه السلام فقال : « يا أبا أُسَيْد آكسها رازقتين وألحقها بأهلها » . وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : خَلَفَ عليها المُهاجر بن أبى أُمَيَّة بن المُغيرة ، فأراد عمر أن يماقبهما ، فقالت : والله ما ضُرب على الحجاب ولا سميت بأتم المؤمنين ، فكف عنهما ، وقيل : تزوجها عكرمة ابن أبى جهل فى الردة ، وقيل : خَلَفَ عليها بعد المُهاجر قيس بن مَكشُوح المرادى ، وقال ابن أُبَرَّى : الحنونية التى استعادت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم تستعِدْ منه امرأة غيرها .

قال أبو عمر رحمه الله : الاختلاف فى الكِنْدِيَّة كبير جدا ، منهم من يقول : هى أَسْمَاء بنت النعمان ، ومنهم من يقول : أُمَيَّة بنت النعمان ، ومنهم من يقول : أُمَامَة بنت النعمان ، قال : وأختلافهم فى سبب فراقها على ما رأيت ، والأضطراب فيها وفى صواحباتها اللواتى لم يجتمع عليهن من أزواجه صلى الله عليه وسلم عظيم . ومنهن :

قَتِيلَةُ بِنْتِ قَيْسٍ

أخت الأشعث بن قيس بن معد يكرب بن معاوية الكندي . روى عن عبد الله
 ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما استعازت أسماء بنت النعمان من النبي صلى الله
 عليه وسلم خرج والغضب يُعرف في وجهه ، فقال له الأشعث بن قيس : لا يسؤك الله
 يا رسول الله ، ألا أزوجك من ليس دونها في الجمال والحسب ؟ قال : « من » ؟ قال :
 أختي قتيلة ، قال : « قد تزوجتها » قال : فأنصرف الأشعث إلى حضرموت ، ثم حملها
 حتى إذا فصل من اليمن ، بلغه وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فردّها إلى بلاده
 وأرثت وأرثت معه فيمن أرثت ؛ فلذلك تزوجت ؛ ففساد النكاح بالآرثداد . قال
 الشيخ أبو محمد : وكان تزوجها قيس بن مكشوح المرادي ، وقيل : تزوجها عكرمة
 ابن أبي جهل ، فوجد أبو بكر من ذلك وجدا شديدا ، وقال : لقد هممت أن أحرق
 عليهما بيتهما . فقال له عمر : يا خليفة رسول الله ، إنها والله ما هي من أزواجه ،
 ما خيرها ولا تحجبها ، ولقد برأها الله منه بالآرثداد الذي أرثت مع قومها . وكان
 تزوجه لإياها سنة عشر ، وقيل : قبل موته بشهرين ، وقيل : تزوجها في مرضه .
 وقال قائلون : إنه صلى الله عليه وسلم أوصى أن تُخبر ، فإن شاءت ضرب عليها
 الحجاب وتحرم على المؤمنين ، وإن شاءت طلقها فلتنكح من شاءت ، فأختارت
 النكاح ، فتزوجها عكرمة بن أبي جهل . وكان عروة بن الزبير يكر ذلك ، ويقول :
 لم يتزوج النبي صلى الله عليه وسلم قتيلة بنت قيس ، ولا تزوج كندية إلا أخت بني
 الجحون ، ملكها ، وأتى بها فلما نظر إليها طلقها ، ولم يبين بها صلى الله عليه وسلم .
 ومنهن :

عُمَرَةُ بِنْتُ مَعَاوِيَةَ الْكِنْدِيَّةُ

تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال الشعبي : تزوج امرأة من كندة ،
بغى بها بعد وفاته صلى الله عليه وسلم . ذكر ذلك أبو الفرج بن الجوزي
في التلخيص . ومنهن :

أَسْمَاءُ بِنْتُ الصَّلْتِ

وقيل : سَنَاءُ بِنْتُ الصَّلْتِ ، قال أبو عمر : وهو الصواب ؛ قال : وقال علي
أبن عبد العزيز بن علي بن الحسن الطرجاني النسابة : هي وَسَنَاءُ بِنْتُ الصَّلْتِ
أبن حبيب بن حارثة بن هلال بن حرام بن سَمَّاك بن عَوْف بن أميئ القيس
أبن بُهْثَةَ بن سُليم السَّامِيَّةِ ؛ تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمات قبل أن
يصل إليه . وقال غيره : فلما بُشِّرَتْ بذلك صَحَّكَت ، ومات من الفرح . وقال
أبن إسحاق : سَنَاءُ بِنْتُ أَسْمَاءُ بِنْتُ الصَّلْتِ السَّامِيَّةِ ، تزوجها رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم طلقها . وقال أبو نصر آبن ما كولا : سَنَاءُ بِنْتُ أَسْمَاءُ ماتت قبل أن يدخل
بها . وقيل : لما مات إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت أَسْمَاءُ :
لو كان نبيا ما مات حبيبه ، نفق سبيلها . وقال عبد الله بن عبيد بن عمير اللبي :
جاء رجل من بني سليم إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، إن لي
أبنة من جملها وعقلها ما إنى لأحسد الناس عليها غيرك ، فهم النبي صلى الله عليه
وسلم أن يتزوجها ، ثم قال : وأخرى يا رسول الله ، لا والله ما أصابها عندى مَرَضٌ
قَطُّ ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « لا حاجة لنا في أبنتك ، تَجِثْنَا نَحْمِلُ
خطاياها ! لا خير في مال لا يَرْزَأُ مِنْهُ ^(١) ، ولا جسم لا يُثَالُ مِنْهُ » . وقال أبو عمر
أبن عبد البر : وفي سبب فراقها اختلاف ، ولا يثبت فيها شيء من جهة الأستاذ . ومنهن :

(١) يَرْزَأُ : ينقص منه بالمصيبة . وقوله : « جسم لا يُثَالُ مِنْهُ » أى بالمرض .

مُليكة بنت كعب الليثي

روى محمد بن عمر الواقدي ، عن أبي معشر ، قال : تزوج النبي صلى الله عليه وسلم مُليكة بنت كعب ، وكانت تذكر بحال بارع ، فدخلت عليها عائشة فقالت : أما تستحيين أن تنكحي قاتل أبيك ؟ فاستعازت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فطلقها ، فجاء قومها إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله ، إنها صغيرة ولا ولي لها ، وأنها خُدعت فأرتجيعها ، فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستأذنه أن يزوجه قريبا لها من بنى عذرة ، فأذن لهم فترجعا العذري ، وكان أبوها قُتل يوم فتح مكة ، قتله خالد بن الوليد بالخنْدَمَة ^(١) . قال محمد بن عمر : مما يضعف هذا الحديث ، ذكر عائشة أنها قالت : ألا تستحيين ، وعائشة لم تكن مع النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح ، وعن عطاء بن يزيد الخُنْدُعي قال : تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم مُليكة بنت كعب الليثي في شهر رمضان ، سنة ثمان ، ودخل بها فمات عنده ، قال محمد بن عمر : وأصحابنا ينكرون ذلك ، ويقولون لم يتزوج كنانة قط ، وعن الزهري مثل ذلك . ومنه :

آبنة جندب بن صَمْرَةَ الخُنْدُعي

قال أبو محمد الديلمي رحمه الله : روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج آبنة جندب بن صَمْرَةَ الخُنْدُعي ، وأنكر ذلك الواقدي ، وقال : لم يتزوج كنانة قط . ومنه :

(١) في الطبقات : لا رأى لها . (٢) الخندمة : جبل بمكة كانت به وقعة يوم فتح مكة ،

وله يوم يعرف به ، هزم فيه خالد المشرقي .

الغفارية

قال أبو محمد الدمياطي : قال بعضهم تزوج النبي صلى الله عليه وسلم امرأة من غفار، فأمرها فترعت ثيابها، فرأى بها بياضا، فقال : « ألحقى بأهلك » ويقال : إنما رأى البياض بالكلابية . ومنهن :

٦٩
١٦

خولة بنت الهديل بن هيرة

أَبْنُ قُبَيْصَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ حَبِيبِ بْنِ حُرْقَةَ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ بَكْرِ بْنِ حَبِيبِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَثَمِ بْنِ ثَعْلَبَةَ .

وأماها [خريق] ^(١) بنت خليفة بن فروة بن فضالة بن زيد بن أمريئ القيس الكلبي، أخت دحية بن خليفة . تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهلك في الطريق قبل وصولها إليه . حكاه أبو عمر بن عبد البر عن الجرجاني النسابة . ومنهن :

شَرَّافُ بِنْتُ خَلِيفَةَ بْنِ فَرَوَةَ الْكَلْبِيَّةِ، أُخْتُ دِحْيَةَ بْنِ خَلِيفَةَ الْكَلْبِيِّ ^(٢)

قال أبو محمد الدمياطي : قال ابن الكلبي حدثنا الشرقى بن القطامي قال : لما هلكت خولة بنت الهديل، تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم شراف بنت خليفة أخت دحية، ثم لم يدخل بها . وقال أبو عمر بن عبد البر : فهلك قبل دخوله بها . وروى عن عبد الرحمن بن سابط ، قال : خطب رسول الله صلى

(١) الزيادة من المواهب (٣ : ٣١٢) .

(٢) في شرح المواهب عن الاستيعاب : « شراف بنت فتح وتختيف الرا . وضم الفاء ، وعن كتاب العيون بكسرهما » . (٣) في نسخ الأصل وطبقات ابن سعد : « الشرقى بن القطامي » وفي شرح

المواهب : « سري — بالسين — ابن قطامي فتح القاف والطاء ومع وتختية خفيفة » .

الله عليه وسلم امرأة من كلب ، فبعث عائشة تنظر إليها ، فذهبت ثم رجعت ، فقال لها : « ما رأيت » ؟ فقالت ما رأيت طائلا . فقال صلى الله عليه وسلم : « لقد رأيت خالا يخذها أقشعرت كل شعرة منك » فقالت : يا رسول الله ، ما دونك سر . ومنهن :

خولة بنت حكيم .

أَبْنُ أُمَيَّةَ بْنِ حَارِثَةَ بْنِ الْأَوْقَصِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ هِلَالِ بْنِ فَالِحِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ ذَكْوَانَ
أَبْنِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ سُلَيْمٍ ^(١) . وَيُقَالُ فِيهَا : خُوَيْلَةُ بِنْتُ حَكِيمٍ ، وَأُمُّهَا صَفِيَّةُ
بِنْتُ الْعَاصِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ قُصَيٍّ . قَالَ ابْنُ الْكَلْبِيِّ :
كَانَتْ خَوْلَةُ بِنْتُ حَكِيمٍ مِنَ اللَّاتِي وَهَبْنِ أَنْفُسَهُنَّ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَرْجَاهَا
وكَانَتْ تَخْدُمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَانَتْ عِنْدَ عِثَانَ بْنِ مَطْعُونٍ مَاتَ عَنْهَا .
وَعَنْ عُرْوَةَ قَالَ : خَوْلَةُ بِنْتُ حَكِيمٍ مِمَّنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
وَقَالَ أَبُو عَمْرِو بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ : خَوْلَةُ تُكْنَى أُمُّ شَرِيكٍ ، وَهِيَ الَّتِي وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ ،
فِي قَوْلِ بَعْضِهِمْ ، وَكَانَتْ أَمْرَأَةً فَاضِلَةً صَالِحَةً ، رَوَى عَنْهَا سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ ،
وَسَعِيدُ بْنُ الْمُسَيْبِ ، وَهِيَ الَّتِي قَالَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنْ فَتَحَ اللَّهُ
عَلَيْكَ الطَّائِفَ فَأَعْطِنِي حُلِيَّ بَادِيَةَ بِنْتِ غَيْلَانَ ، أَوْ حُلِيَّ الْفَارِغَةَ بِنْتُ عَقِيلٍ
كَمَا تَقْدِّمُ . وَمِنْهُنَّ :

ليلى بنت الخطيم بن عدي

أَبْنُ عَمْرِو بْنِ سَوَادٍ بْنِ ظَفَرٍ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ الْحَزْرَجِ بْنِ عَمْرٍو ، وَهُوَ النَّبِيُّ بْنُ
مَالِكِ بْنِ الْأَوْسِ ، وَهِيَ أُخْتُ قَيْسِ بْنِ الْخَطِيمِ ، وَأَسَمُ الْخَطِيمِ نَابِتٌ ، وَأَسَمُ ظَفَرٍ
كُتِبَ .

(١) فِي أَسَدِ الْغَابَةِ وَالْإِسَابَةِ : فَالِحُ بْنُ ذَكْوَانَ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ يَهُدَى بْنِ سُلَيْمٍ .

(٢) فِي طَبَقَاتِ أَبِي سَعْدٍ : « ضَعِيفَةٌ » .

قال محمد بن سعد : عن عاصم بن عمر بن قتادة ^(١) قال : كانت ليلي بنت الحطيم وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فقبلها ، وكانت تركب بعولتها ^(٢) ركوبا شديداً ، وكانت سيئة الخلق ، فقالت : لا والله ، لأجعلن عدا لا يتزوج في هذا الحى من الأنصار ، والله لا يتننه ، ولأهبن نفسي له ، فأتت النبي صلى الله عليه وسلم وهو قائم مع رجل من أصحابه ، فما راعه إلا بها واضعة يديها عليه ، فقال : « من هذا ؟ أكله الأسد » فقالت : أنا ليلي بنت سيد قومها ، قد وهبت نفسي لك ، قال : « قد قبلتك ، أرجعي حتى يأتيك أمرى » فأتت قومها فقالوا : أنت امرأة ليس لك صبر على الضرائر ، وقد أحل الله لرسوله أن ينكح ما شاء ، فرجعت فقالت : إن الله أجل لك النساء ، وأنا امرأة طويلة اللسان لا صبر لي على الضرائر ، وأستقائه فقال : « قد أقتلك » .

وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : أقبلت ليلي بنت الحطيم إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو مولى ظهره إلى الشمس ، فضربت على منكبيه ، فقال : « من هذا ؟ أكله الأسد » وكان كثيراً ما يقولها ، فقالت : أنا بنت مطعم الطير ومباري الريح ، أنا ليلي بنت الحطيم ، جئتكم لأعرض عليكم نفسي ، تزوجني ، قال : « قد فعلت » فرجعت إلى قومها ، فقالت : قد تزوجني النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : بئس ما صنعت ، أنت امرأة غيرة ، والنبي صلى الله عليه وسلم صاحب نساء ، تغارين عليه فيدعو الله عليك ، فاستقبله نفسك ، فرجعت فقالت : يا رسول الله ، أقتني ، قال : « قد أقتلك » قال : فتزوجها مسمود بن أوس بن سواد بن ظقر ، فولدت له ، فبينما هي في حائط من حيطان المدينة تغتسل ، إذ وثب عليها ذئب فأكل بعضها ، وأدركت فماتت . ومنهن :

(١) كذا في الأصل ، والسند في ابن سعد : « أخبرنا محمد بن عمر ، حدثني محمد بن صالح بن دينار ، عن عاصم بن عمر بن قتادة قال ... » . (٢) تركب بعولتها : المراد أنها شديدة التسلط على أزواجها .

لَيْلى بنت حَكِيم الأنصارية

الأوسية، التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم، قال أبو عمر بن عبد البر: ذكرها أحمد بن صالح المصري في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم؛ ولم يذكرها غيره فيما علمت. والله تعالى أعلم. ومنه:

أم شريك وأسمها غزيرة

بنت دودان بن عوف بن عمرو بن عامر بن رَوَاحَة بن مُنْقِذ بن عُثَيْر بن مَعِص ابن عامر بن لُؤَي. وقال أبو عمر: غَزِيلَة الأنصارية من بني النجَّار.

قال الشيخ أبو محمد عبد المؤمن رحمه الله: اختلف فيها، فكان محمد بن عمر يقول: هي من بني مَعِص بن عامر بن لُؤَي، وكان غيره يقول: هي دُوسِيَة من الأزد، وقيل: هي أنصارية. وروى ابن سعد، عن محمد بن عمر، عن موسى بن محمد ابن إبراهيم التيمي، عن أبيه قال: كانت أم شريك امرأة من بني عامر بن لُؤَي، مَعِصِيَة وهبت نفسها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقبلها، فلم تزوج حتى ماتت. وروى عن وكيع عن زكريا عن عامر في قوله عز وجل: «تُرْجَى مِنْ نَسَاءٍ مِنْهُمْ»؛ قال: كل نساء وهبن أنفسهن للنبي صلى الله عليه وسلم، فدخل بعضهن وأرجأ بعضا فلم ينكحن بعده، منهن: أم شريك. وعن الشعبي قال: المرأة التي عزل رسول الله صلى الله عليه وسلم أم شريك الأنصارية. وعن علي بن الحسين:

(١) تعقبه في أسد الغابة فقال: «هي ليلي بنت الخطيم الأنصارية الأوسية التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم، ويشبهه الخطيم بالحكيم».

(٢) ورجحه أبو عمر وقال: «وهو الصواب إن شاء الله».

(٣) آية ٥١ سورة الأحزاب. (٤) عزل: فارق.

أن النبي صلى الله عليه وسلم تزوج أم شريك الدوسية، ومثله عن عكرمة . وروى محمد بن سعد عن محمد بن عمر قال : حدثني الوليد بن مسلم ، عن مئير بن عبد الله الدوسي قال : أسلم زوج أم شريك^(١) - وهي غزيرة بنت جابر بن حكيم الدوسية من الأزد - وهو أبو العكر، فهاجر إلى النبي صلى الله عليه وسلم مع أبي هريرة، ومع دوس حين هاجروا، قالت أم شريك : بغضائي أهل أبي العكر فقالوا : لعلك على دينه ، قلت : إني والله ، إني لعلى دينه ، قالوا : لا جرم ، والله لعنذبك عذابا شديدا ، فارتحلوا بنا من دارنا ، ونحن كما يذى الخلصة ، فساروا يريدون منزلا ، وحملوني على حمل^(٢) فقال ، شر ركبهم وأغلظه ، يطعموني الخبز بالعسل ، ولا يسقوني قطرة من ماء ، حتى إذا انتصف النهار وسخت الشمس ، ونحن قانظون^(٣) ، فنزلوا فضربوا أخبيتهم وتركوني في الشمس حتى ذهب عقل وسمي وبصري ، ففعلوا بي ذلك ثلاثة أيام ، فقالوا لي في اليوم الثالث : أتركي ما أنت عليه ، قالت : فما دريت ما يقولون إلا الكلمة بعد الكلمة ، فأشير بإصبعي إلى السماء بالتوحيد ، قالت : فوالله إني لعلى ذلك ، وقد بلغت الجهد ، إذ وجدت برد دلو على صدرى ، فأخذته فشربت منه نفسا واحدا^(٤) ، ثم أترع مني ، فذهبت أنظر فإذا هو معلق بين السماء والأرض ، فلم

(١) في الإصابة ما يدل على أن أبا العكر والد أم شريك ، ثم قال : « ويمكن الجمع بأن تكون كنية والدها وزوجها اتفقتا » ، وفي أسد الغابة : أنه ابن أم شريك .

(٢) بحاشية نسخة ج : « جعل فقال بضغ الثاء المثلثة أى بطى » ، وبكسر الثاء جلد يسط تحت الرحي يسقط عليه الدقيق .

(٣) في الفعل نونان ، الأولى علامة الرفع ، والثانية فاصلة بين الفعل والياء ، وحذفت إحداهما تخفيفا . وقرأ بالخذف في : « أتجوني » و « تأمروني » .

(٤) قانظون : أى في وقت القيظ وهو شدة الحر .

(٥) النفس بالتحريك : الجرعة .

٧١
١٦

أقدر عليه، ثم دُلِّي الثانية فشربت منه نفساً، ثم رفع، فذهبت أنظره، فإذا هو بين السماء والأرض، ثم دُلِّي الثالثة فشربت منه حتى رويت، فأهرقت على رأسي ووجهي وثيابي، قالت: نخرجوا فنظروا، فقالوا: من أين لك هذا يا عدوة الله؟ قالت فقلت لهم: إن عدو الله غيبي، من خالف دينه، فأما قولكم من أين هذا فمن عند الله رزقا رزقيته الله، قالت: فأطلقوا سراحا إلى قريتهم فوجدوها موكاة لم تحل، فقالوا: نشهد أن ربك هو ربنا، فإن الذي رزقك ما رزقك في هذا الموضع بعد أن فعلنا بك ما فعلنا، هو الذي شرع الإسلام، فأسلموا وهاجروا جميعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وكانوا يعرفون فضلي عليهم، وما صنع الله إلي، قال: وهي التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم، وكانت جميلة وقد أسنت، فقالت: إني وهبت نفسي لك، وأتصدق بها عليك، فقبلها النبي صلى الله عليه وسلم، فقالت عائشة: ما في امرأة حين تهب نفسها لرجل خير، قالت أم شريك: فانا تلك؛ فسيماها الله مؤمنة، فقال تعالى: «وَأَمْرَأَةٌ مُؤْمِنَةٌ إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ» . فلما نزلت هذه الآية قالت عائشة: إن الله ليسرع لك في هواك^(٢) يا رسول الله . ومنهن :

الشَّهْنَاءُ

ذكرها الشيخ أبو محمد عبد المؤمن بن خلف الدِّمياطي رحمه الله، في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يذكر لها ترجمة . فلنذكر من خطبته صلى الله عليه وسلم .

(١) آية ٥٠ سورة الأحزاب . (٢) في هواك: أي في رضاك؛ قال القرطبي: «هذا قول

أبرزه الدلال والغبية ولا فلا يجوز إضافة أخرى إليه صلى الله عليه وسلم» .

ذِكْرُ مَنْ خَطَبَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ النِّسَاءِ
وَلَمْ يَتَّفِقْ تَزْوِيجُهُنَّ . مِنْهُنَّ :
أُمُّ هَانِي بِنْتُ أَبِي طَالِبٍ

أَبْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ ، وَأَسْمَا فَاتِحَةَ ، وَقَالَ ابْنُ الْكَلْبِيِّ : أَسْمَاهَا هِنْدٌ ،
وَهِيَ أُخْتُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَعَقِيلٌ وَجَعْفَرٌ وَطَالِبٌ ، شَقِيقَتُهُمْ ، وَأُمُّهُمْ فَاطِمَةُ .
بِنْتُ أَسَدِ بْنِ هَاشِمٍ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ . رَوَى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ،
قَالَ : خَطَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَبِي طَالِبٍ ابْنَتَهُ أُمَّ هَانِيٍّ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ،
وَخَطَبَهَا هُبَيْرَةُ بْنُ أَبِي وَهَبٍ ^(١) بَنُ عُمَرُو بْنِ عَائِذِ بْنِ عِمْرَانَ بْنِ غَزْوَمٍ ، فَزَوَّجَهَا هُبَيْرَةَ ،
فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَا عَمُّ ، زَوَّجْتَ هُبَيْرَةَ وَتَرَكْتَنِي ! » فَقَالَ : يَا بَنُ أَخِي
إِنَّا قَدْ صَاحَرْنَا إِلَيْهِمْ ، وَالكَرِيمُ يَكْفِي الْكَرِيمَ . ثُمَّ أَسْلَمْتُ فَفَزَقَ الْإِسْلَامَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ
هُبَيْرَةَ ، نَخَطَبَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى نَفْسِهَا فَقَالَتْ : وَاللَّهِ إِنْ كُنْتُ
لَأُحِبَّكَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، فَكَيْفَ فِي الْإِسْلَامِ ، وَلَكِنِّي أَمْرَأَةٌ مُصْطَبَةٌ وَأَكْرَهُ أَنْ يُؤْذَنَكَ .
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « خَيْرُ نِسَاءٍ رَكِبْنَ الْمَطَايَا نِسَاءَ قُرَيْشٍ ، أَحْنَاهُ ^(٢)
عَلَى وَلَدٍ فِي صِغَرِهِ ، وَأَرْعَاهُ عَلَى زَوْجٍ فِي ذَاتِ يَدِهِ » . وَمِنْهُنَّ :

ضُبَاعَةُ بِنْتُ عَامِرِ بْنِ قُرْطٍ

أَبْنُ سَلَمَةَ بْنِ قُشَيْرٍ بْنِ كَعْبٍ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَامِرِ بْنِ صَعَصَعَةَ .

رَوَى هِشَامُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكَلْبِيُّ ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي عَبَّاسٍ قَالَ :
كَانَتْ ضُبَاعَةُ بِنْتُ عَامِرٍ عِنْدَ هَوْدَةَ بِنْتِ عَلِيِّ الْحَنْفِيِّ ، فَهَلَكَ عَنْهَا فَوْزُهَا مَا لَا كَثِيرًا ،

(١) فِي أَسَدِ الْغَابَةِ وَالْإِسَابَةِ : « هُبَيْرَةُ بْنُ عُمَرُو » .

(٢) أَحْنَاهُ : أَشْفَقَهُ . وَأَرْعَاهُ : أَحْفَظَهُ ، وَذَكَرَ الضَّمِيرَ فِي « أَحْنَاهُ » وَ « أَرْعَاهُ » وَكَانَ الْقِيَاسُ

« أَحْنَاهُنَّ » وَ « أَرْعَاهُنَّ » بِإِغْيَارِ اللَّفْظِ أَوْ الْجِنْسِ أَوْ الشَّخْصِ أَوْ الْإِنْسَانِ . (الْقِسْطَانِ ٨ : ١٧) .

فزوجها عبد الله بن جُدعان التيمي، وكان لا يولد له فسالته الطلاق فطلقها،
فزوجها هشام بن المغيرة فولدت له سلمة، وكان من خيار المسلمين، فتوفى عنها
هشام، وكانت إذا جلست أخذت من الأرض شيئاً كثيراً، وكانت تغطي جسدها
بشعرها، فذكر جمالها عند النبي صلى الله عليه وسلم، فخطبها إلى ابنها سلمة بن هشام
ابن المغيرة، فقال: حتى أستأمرها، وقيل للنبي صلى الله عليه وسلم: إنها قد كبرت
فأناها آينها فقالت: ما قلت له؟ قال: قلت حتى أستأمرها، فقالت:
وفي النبي صلى الله عليه وسلم يستأمر! أرجع فزوجه، فرجع إلى النبي صلى الله عليه
وسلم فسكت عنه. ومنه:

صَفِيَّةُ بِنْتُ بَسَامَةَ بْنِ نَضْلَةَ الْعَنْبَرِيَّةِ^(١)

قال أبو محمد: كان أصابها سباءٌ، فخيرها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال:
«إن شئت أنا، وإن شئت زوجك» فقالت: بل زوجي، فأرسلها فلمنمها
بنو تميم. ومنه:

جَمْرَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ بْنِ عَوْفٍ الْمُزَنِيَّةِ

خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال أبوها: إن بها سوءاً ولم يكن بها،
فرجع إليها أبوها وقد برصت، وهي أُم شَيْبِ بْنِ الْبَرَصَاءِ الشَّاعِر. ومنه:

سَوْدَةُ الْقُرَشِيَّةُ

خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت مُصْبِيَةً فقالت: أكره أن
تَضْفُو صِيتِي^(٢) عِنْدَ رَأْسِكَ، فحَمَدَهَا وَدَمَاهَا، ذَكَرَهَا وَالتَّى قَبْلَهَا ابْنُ الْجَوْزِيِّ

(١) بفتح الموحدة وتخفيف الشين، وقيل: بشدها.

(٢) أى يصحرون ويكونون بهجرون.

في التلقيح . وروى عن مجاهد قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب فردّ لم يعد ، فخطب امرأة ، فقالت : حتى أستاذٍ أرى ، فلقيت أباها فأذن لها ، فلقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له ، فقال : « قد ألحقتنا لحافاً غيرك » ولم يسم مجاهد اسم هذه المرأة .

وعرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم :

أُمَامَةُ بِنْتُ عَمِّهِ حَمَزَةَ

أَبْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، وَقِيلَ : أَسْمَاهُ عِمْرَةَ ، فَأَتَاهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَالَ : « تِلْكَ ابْنَةُ أُخَى مِنَ الرِّضَاعَةِ » . وَعُرِضَتْ عَلَيْهِ أُمُ حَبِيبَةِ أُخْتِهَا .

بِجَمِيعٍ مِنْ ذَكَرَ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدْخُولِ بِهِنَّ ، وَغَيْرِ الْمَدْخُولِ بِهِنَّ ، وَمَنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لَهُ ، أَوْ خَطَبَهَا وَلَمْ يَتَّفَقْ تَرْوِيحُهَا ، أَوْ عُرِضَتْ عَلَيْهِ فَأَبَاهَا ، نَحْوُ أَرْبَعِينَ أَمْرًا عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الْأَخْتِلَافِ ، وَمِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ مَنْ يَنْكَرُ بَعْضَهُنَّ ، وَيَقُولُ : إِنَّمَا تَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ أَمْرًا ، سِتٌّ مِنْهُنَّ قَرَشِيَّاتٌ لِأَشْكَ فِيهِنَّ ، وَهُنَّ : خَدِيجَةُ ، وَعَائِشَةُ ، وَسُودَةُ ، وَأُمُ سَلَمَةَ ، وَأُمُ حَبِيبَةَ ، وَحَفْصَةَ .

وَمِنْ الْعَرَبِ : زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ ، وَمَيْمُونَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ ، وَجُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ ، وَأَسْمَاءُ بِنْتُ الثَّمَانِ ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ الصَّحَّاحِ ، وَزَيْنَبُ بِنْتُ نُحْرَيْمَةَ .

وَمِنْ غَيْرِهِمْ : رَيْحَانَةُ بِنْتُ زَيْدٍ مِنْ بَنِي النَّضِيرِ ، وَصَفِيَّةُ بِنْتُ حُجَيْجٍ بْنِ أَخْطَبٍ .

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى بْنِ حَبَّانٍ قَالَ : تَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَمْسَ عَشْرَةَ أَمْرًا ، فَسَمَى هَؤُلَاءِ ، وَزَادَ مُلَيْكَةَ بِنْتُ كَعْبِ اللَّيْثِيَّةِ . وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ :

تَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَمَانِي عَشْرَةَ أَمْرًا .

وقال محمد بن عمر الواقدي : المجمع عليه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج أربع عشرة امرأة ، وهن اللائي سُمين ، وفارق منهن الجوثية والكلاية ، ومات عنده خديجة ، وزينب بنت خزيمة ، وريحانة بنت زيد ، وقُبِضَ عن تسع ، وهن المذكورات اللاتي قدمنا ذكرهن .

وقال أبو سعيد في شرف النبوة : إن جملة أزواج النبي صلى الله عليه وسلم إحدى وعشرين امرأة ، طلق منهن ستا ، ومات عنده خمس ، وتوفي عن عشر ، واحدة لم يدخل بها ، وكان صدّاقه لِنِسائه لكل واحدة خمسمائة درهم ، إلا صفية فإنه جعل عتقها صدّاقها ، وأم حبيبة أضدّقها عنه النجاشي .

ذكر سراري رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهن :

مارية بنت شمعون القبطية

وهي أم ولده إبراهيم ، وكانت من جفن من كورة أنصتا من صعيد مصر ، أهداها له المقوقس جرج بن مينا ، ولدت مارية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ابنه إبراهيم قال : « أعتقها ولدها » . وتوفيت مارية في المحرم سنة ست عشرة ، في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وكان عمر يحشر الناس بنفسه لشهود جنازتها ، وصلى عليها عمر ، ودُفِنَت بالبيع .

وريحانة بنت زيد النضرية ، وقد تقدّم خبرها في الزوجات . وقال أبو عبيدة : كان له أربع ، وهن مارية وريحانة ، وأخرى جميلة أصابها في السبي ، وجارية وهبتها له زينب بنت جحش . وقال قتادة : كان للنبي صلى الله عليه وسلم وليدتان مارية وريحانة ، وبعضهم يقول : ربيعة القرطية .

(١) ذكر شارح المواهب أن اسمها « حفن » بفتح المهملة وسكون الفاء ، وكذا في شرح القاموس ، والأصول بالميم . (٢) ربيعة بالتصغير ، وقيل : النضرية ، والذي في الإصابة كما في الأصول « ربيعة » بالباء . الموحدة ولكن شارح المواهب رسمها بالياء . الصفة المثناة .

ذكر أولاد رسول الله صلى الله عليه وسلم

روى عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال : كان أول من ولد لرسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة قبل النبوة القاسم وبه كان يكنى ، ثم ولدت له زينب ، ثم رقية ، ثم فاطمة ، ثم أم كلثوم ، ثم ولد له في الإسلام عبد الله فسمى الطيب والطاهر ، وأمهم كلهم خديجة رضى الله عنها . وكان أول من مات من ولده القاسم ، ثم عبد الله ماتا بمكة ، فقال العاصي بن وائل السهمي : قد أقطع ولده فهو أبتر ، فأنزل الله تعالى : « ^(١) إِنْ شَأْنُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ » وقيل : الطيب والطاهر أثنان سوى عبد الله . وقيل : كان له الطاهر والمطهر ولدا في بطن . وقيل : كان له الطيب والمطيب ولدا أيضا في بطن . وقيل : لأمهم كلهم ماتوا قبل النبوة ، وكان بين كل ولدين لها سنة ، وكانت تسترضع لهم . وأما البنات فكلهن أدركن الإسلام ، وأسلمن وهاجرن ، وسند كره أن شاء الله تعالى أخبارهن ومن تزوجهن ، وما ولدن على ما تقف عليه ، وهؤلاء كلهم أولاد خديجة ولدا بمكة ، ثم ولدت له مارية القبطية :

إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم

ولد في ذي الحجة ، سنة ثمان من الهجرة ، قال أبو عمر بن عبد البر : ذكر الزبير عن أشياخه ، أن أم إبراهيم مارية ولدته بالعالية ، في المسأل الذي يقال له اليوم (مشربة إبراهيم) بالقف ، وكانت قاباتها سلمى مولاة النبي صلى الله عليه وسلم ،

- (١) الأول أن يقول بعد النبوة . (٢) شأنك : معضك ، والعرب تسمى من مات له ولد ذكر أبتر ، ومن ليس له ولد ذكر . وقيل السورة نزلت في أبي جهل إذ قال حين مات إبراهيم عليه السلام : بتر محمد .
- (٣) المراد به هنا الأعيان المملوكة بالعالية ، والعالية على ثلاثة أميال من المدينة المنورة .
- (٤) كذا في كل نسخ الأصل . والصحيح (مشربة أم إبراهيم) كما في المواهب وغيرها .
- (٥) القف : واد بالمدينة — على ساكنها السلام — عليه مال لأهلها . (شرح القاموس) .
- (٦) القابلة . المولدة ، وهي قابلة الحسن والحسين رضى الله عنهما .

أمرأة أبى رافع ، فَبَشَّرَ به أبو رافع النبي صلى الله عليه وسلم ، فوهب له عبداً ، فلما كان يوم سابعه عَقَّ عنه بَكْبَشٍ وحلق رأسه ، حلقه أبو هِنْدٌ ، وسماه يومئذ ، وتصدق بوزن شعره ورقاً على المساكين ، وأخذوا شعره فدفنوه فى الأرض .

وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وَلِدَ لى الليلة غلام فسميته بأسم أبى إبراهيم » هذا يدل على أنه سَمَاهُ فى وقت ولادته ، قال الزبير : ثم دفعه

إلى أمِّ سَيْفِ امرأة قَيْنٍ بالمدينة ، يقال له : أبو سيف ، قال الزبير : وتنافس

الأنصار فيمن يُرَضِّعه ، فحاضت أم بُرْدَةَ بنت المنذر بن زيد الأنصارى ، زوجة البراء بن أوس ، فكلمت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أن تُرَضِّعه ، فكانت

تُرَضِّعه بلبن أبنها فى بنى مازن بن النجار ، وترجع به إلى أمِّه ، وأعطى رسول الله

صلى الله عليه وسلم أم بُرْدَةَ قطعة من ثَمَلٍ ، فناقلت بها إلى مال عبد الله بن زَمْعَةَ .

وتوفى إبراهيم فى شهر ربيع الأول سنة عشر ، وقد بلغ سِنَةَ عشر شهراً ، مات

فى بنى مازن عند ظَئْرِهِ أم بُرْدَةَ ، وهى خَدَوْلَةُ بنت المنذر بن لَيْسَ ، وعَسَلَتْهُ

ودُفِنَ بالبقيع . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو عاش لوضعت

الجزية عن كل قبْطِيٍّ » . وقال أيضاً : « لو عاش إبراهيم مارِقٌ له خالٌ » .

وفى حديث أنس بن مالك تصريح أن إبراهيم إنما مات عند ظَئْرِهِ أمِّ سَيْفٍ ، فإنه

يقول : فَأَنطَلَقَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وَأَنطَلَقَتْ معه ، فصَادَقْنَا أبا سَيْفٍ

ينفخ فى كَبِيرِهِ ، وقد آمَتَلَا البيت دُخَانًا ، فَأَسْرَعْتُ فى المشى بين يدي رسول الله

(١) حق : ذبح عقيقة ، وهى الشاة التى تذبح يوم أسبوع الولد ، وقال عليه الصلاة والسلام : « قولوا نسيك ولا تقولوا عقيقة » . (٢) القين : الحداد . (٣) فى الأصول من غير قطع ، وفى الاستيعاب « فناقلت » بالالف كما أثبتناها . (٤) الظئر : الموضع . (٥) وضع الجزية : أسقطها . (٦) رق : صار ورقاً .

- صلى الله عليه وسلم ، حتى أتته إلى أبي سَيف فقلت : يا أبا سَيف ، أَمْسِكْ ،
 جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأَمْسَكَ ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
 بالصَّبي فضمه إليه وقال ماشاء الله أن يقول ، قال : فلقد رأيته يَكِيدُ بِنَفْسِهِ ،
 فدمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « تدمع العين ويحزن القلب
 ولا نقول إلا ما يَرْضَى الرَّبُّ ، وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون » وقال أبو عمر بن
 عبد البر : ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بكى على أبنه إبراهيم من غير رفع
 صوت ، وقال : « تدمع العين ويحزن القلب ، ولا نقول إلا ما يَرْضَى الرَّبُّ ،
 وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون » . وعن عطاء ، عن جابر قال : أخذ النبي صلى الله
 عليه وسلم بيد عبد الرحمن بن عوف ، فأتى به النخل ،^(١) فإذا أبنه إبراهيم في حجر أمه
 وهو يحود بنفسه ، فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه في حجره ،
 ثم قال : « يا إبراهيم إنا لا نغنى عنك من الله شيئا » ؛ ثم ذَرَفَتْ عِيْنَاهُ ، ثم قال :
 « يا إبراهيم لولا أنه أَمْرٌ حَقٌّ ووَعْدٌ صِدْقٌ ، وأن آخِرنَا سيلحق أولُنَا لحزننا عليك
 حزنا هو أشد من هذا ، وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون ، تبكى العين ويحزن القلب
 ولا نقول ما يسخط الرَّبُّ » . قالوا : ووافق موت إبراهيم كُسُوفُ الشمس ، فقال
 قوم : إن الشمس أنكسفت لموته ، فخطبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :
 « إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يَحْسِفَانِ لموت أحد ولا لحياته ؛ فإذا
 رأيتم ذلك فافزعوا إلى ذكر الله وإلى الصلاة » . وقال صلى الله عليه وسلم حين
 تَوَفَّى إبراهيم : « إِنْ لَهُ مَرْضَاةٌ فِي الْجَنَّةِ تَمَّ رِضَاةٌ » . وصلى عليه رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ، وكَبَّرَ أَرْبَعًا ، قال ابن عبد البر : هذا قول جمهور العلماء ،

٢٠ (١) يكيد بنفسه : يحود بها ؛ يريد التزع . (٢) النخل : موضع قريب من المدينة .

(٣) ذرفت العين : دمت .

وهو الصحيح ، قال : وقد قيل إن الفضل بن عباس غَسَلَ إبراهيم ، ونزل في قبره مع أُسامة بن زيد ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس على شفير القبر ، قال الزبير : ورُشَّ قبره ، وأُعْلِمَ فيه بعلامة ، وهو أول قبر رُشَّ عليه ^(١) .

فلنذكر بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن تزوجهن ، وما ولدن ووفاتهن ، وهن أربع :

زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم

هي أَسَنُ بناته رضى الله عنهن . قال أبو عمر بن عبد البر : ولدت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنة ثلاثين من مولد النبي صلى الله عليه وسلم ، حكاه عن محمد بن إسحق السراج عن عبيد الله بن محمد بن سليمان الهاشمي ، وتزوج زينب أبو العاص بن ربيع بن عبد العزى بن عبد شمس ، وهو ابن خالتها — أمه هالة بنت خويلد — قبل أن ينزل ^(٢) على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفترق بينهما الإسلام .

وقد ذكرنا من خبر ابن العاص وأسرّه في غزوة بدر وإطلاقه ، وسقنا ذلك كله هناك ، وخبر إسلامه ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ردّ زينب عليه بغير مهر جديد ، ولا نكاح جديد . وقيل : بل بمهر جديد ونكاح جديد — والله تعالى أعلم — وولدت له علياً مات صغيراً ، وأُمَامَة وهي التي حملها رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصلاة ، وعاشت أُمَامَة حتى تزوجها علي بن أبي طالب بعد موت فاطمة ، فكانت عنده حتى أُصِيب ، فخلف عليها المغيرة بن يزيد بن الحارث بن عبد المطلب ، فتوفيت عنده ، وماتت زينب في سنة ثمان من الهجرة .

(١) في أسد الغابة : « ورش على قبره ماء ، وعلم على قبره بعلامة ، وهو أول قبر رش عليه الماء » .
 (٢) أى قبل أن ينزل القرآن على النبي — صلى الله عليه وسلم — بتحريم المسلمات على الكفار (آية ١٠ سورة المنتحة) .

٥

١٠

١٥

٢٠

قال أبو عمر : وكان سبب موتها أنها لما خرجت من مكة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عَمِدَ لها هَبَّار بن الأسود ورجل آخر فدفعها أحدهما فيما ذكروا ، فسقطت على صخرة فَأَسْقَطَتْ وأَهْرَافَتِ الدماءُ ، فلم يزل بها مرضها ذلك حتى ماتت رضى الله عنها .

٧٥
١٦

وَرُقِيَّةُ بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم

- قال أبو عمر بن عبد البر : ذكر أبو العباس محمد بن إسحق السراج ، قال سمعت عبيد الله بن محمد بن سليمان بن جعفر بن سليمان الهاشمي يقول : ولدت رُقِيَّةُ بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم أبن ثلاث وثلاثين سنة ، وكانت رقية عند عُنْتَبَةَ بن أبي لَهَب ، وأختها أُمُّ كَلْثُوم عند عُنْتَبَةَ بن أبي لهب ، فلما أنزل الله تعالى : « تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ » - السورة - قال لها أبوها أبو لهب وأمهما أُمُّ جَحِيل بنت حَرْب بن أمية ، حمالة الحطب : فارقا أَبْنَتِي محمد ، وقال أبو لهب : رأسي من رأسك حرام إن لم تفارقا أبنتي محمد ، ففارقاهما ، فتروج عثمان بن عفان رقية بمكة ، وهاجرت معه إلى أرض الحبشة ، وولدت له هناك أبنًا فسماه عبد الله وبه كان يُكْنَى ، فبلغ الغلام ست سنين ، فنقر عينه دِيكٌ وتَوَرَّمَ وجهه فرض ومات . وماتت رقية رضى الله عنها في شهر رمضان ، على رأس تسعة عشر شهرا من مُهاجِرِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بَدْر ، ودفنت عند وصول زيد بن حارثة بالبشارة بوقعة بدر ، وكانت قد أصابها الحصبة ، وتخلّف عثمان بن عفان رضى الله عنه عن غزوة بَدْر بسبب مرضها ، بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال أبو عمر بن عبد البر : كانت فاطمة هي وأختها أم كلثوم أصغر بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأختلف في الصغرى منهما . وقال ابن السراج : سمعت عبيد الله الهاشمي يقول : ولدت فاطمة رضي الله عنها في سنة إحدى وأربعين من مولد النبي صلى الله عليه وسلم ، وزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم من علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد وقعة أحد . وقيل : إنه تزوجها بعد أن آبى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعائشة رضي الله عنها ، بأربعة أشهر ونصف ، وبني بها بعد تزويجه إياها بتسعة أشهر ونصف ، وكانت سنّها يوم تزوجها خمس عشرة سنة وخمسة أشهر ونصف . قال أبو عمر : وأختلف في مهره إياها ، فروى أنه مهرها درعه ، وأنه لم يكن له ذلك الوقت صفراء ولا بيضاء ، وقيل : تزوجها على أربعمائة وثمانين درهما فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل ثلثها في الطيب ، قال : وزعم أصحابنا أن الدرّ قدّمها على من أجل الدخول ، بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم إياه بذلك ، فولدت رضي الله عنها له حسّنا وحسّينا ومُحسّنا فذهب مُحسّن صغيرا . وروى أبو عمر بن عبد البر بسنده إلى علي رضي الله عنه قال : لما وُلِدَ الحسن جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : «أروني أبني ما سمّيته وه» ؟ قلت : سمّيته حربا ، قال : «بل هو حسن» فلما وُلِدَ الحسين قال : «أروني أبني ما سمّيته وه» ؟ قلت : سمّيته حربا ، قال : «بل هو حسين» فلما وُلِدَ الثالث جاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال : «أروني أبني ما سمّيته وه» ؟ قلت : سمّيته حربا ، قال : «بل مُحسّن» ، ثم قال : «إني سمّيتهم بأسماء ولد هارون شبر وشبير ومُشبر» . وولدت له رُقِيّة وزينب

(١) قال في القاموس وشرحه : «شبر كقيم ، وشبير كقمير مصغرا ، وفي التكملة مثل أمير ، ومشبر

كحدث أبناء هرون عليه السلام .

وَأُمُّ كُثُومٍ، فَهَلَكَتْ رُقِيَّةٌ، وَلَمْ تَبْلُغْ، وَتَزَوَّجَ زَيْنَبُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَعْفَرٍ فَاتَتْ
عِنْدَهُ، وَوُلِدَتْ لَهُ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ، وَتَزَوَّجَ أُمُّ كُثُومٍ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ
فَوُلِدَتْ لَهُ زَيْدُ بْنُ عُمَرَ، ثُمَّ خَلَفَ عَلَيْهَا بَعْدَهُ عُونَ بْنُ جَعْفَرٍ فَلَمْ تَلِدْ لَهُ حَتَّى مَاتَ،
وَخَلَفَ عَلَيْهَا بَعْدَهُ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ فَوُلِدَتْ لَهُ حَارِثَةُ وَمَاتَ عَنْهَا. نَخَلَ عَلَيْهَا عَبْدُ اللَّهِ
أَبْنُ جَعْفَرٍ فَلَمْ تَلِدْ لَهُ شَيْئًا وَمَاتَ عِنْدَهُ، وَقِيلَ: بَلْ تُؤَوِّقُ عَنْهَا، وَمَاتَ فَاطِمَةُ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بَعْدَ وَفَاةِ أَبِيهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ، وَقِيلَ:
بِسِتَةِ أَشْهُرٍ، وَقِيلَ: بِثَمَانِيَةِ .

وَأُمُّ كُثُومٍ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قَدْ ذَكَرْنَا الْإِخْتِلَافَ فِي أَيِّهَا أَصْفَرُ سِنَاهُ أَوْ فَاطِمَةُ، وَكَانَتْ عُنَيْتُ بِنْتُ
أَبِي لَهَبٍ، فَلَمَّا قَالَ لَهُ أَبَوَاهُ وَلَاخِيهِ مَا قَالَا طَلَّقَا بِنْتِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ وَلَمْ يَبْنِيَا بِيهَا، وَجَاءَ عُنَيْتُ حِينَ فَارَقَ أُمُّ كُثُومٍ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَقَالَ: كَفَرْتَ بِدِينِكَ وَفَارَقْتَ أَبْنَتَكَ وَسَطًا عَلَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ: «أَمَّا إِنِّي أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَسْلُطَ عَلَيْكَ كَلْبًا مِنْ كَلَابِهِ» وَكَانَ خَارِجًا إِلَى
الشَّامِ تَاجِرًا مَعَ نَفَرٍ مِنْ قُرَيْشٍ، حَتَّى نَزَلُوا مَكَانًا مِنَ الشَّامِ يُقَالُ لَهُ الزَّرْقَاءُ لَيْلًا،
فَاطَّافَ بِهِمُ الْأَسَدُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، فَجَعَلَ عُنَيْتُ يَقُولُ: يَا وَيْلَ أُمِّهِ، هُوَ وَاللَّهِ آكَلَهُ
بَدْعُوهُ مَجْدٌ، قَاتِلِي أَبْنِ أَبِي كَبْشَةَ وَهُوَ بِمَكَّةَ وَأَنَا بِالشَّامِ. وَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: يَا مَعْشَرَ
قُرَيْشٍ، أَعَيْنُونَا هَذِهِ اللَّيْلَةَ، فَإِنِّي أَخَافُ دَعْوَةَ مَجْدٍ، فَجَمَعُوا أَحْمَالَهُمْ وَفَرَشُوا لِعُنَيْتُ
فِي أَعْلَاهَا وَنَامُوا حَوْلَهُ، فَقِيلَ: إِنَّ الْأَسَدَ أَنْصَرَفَ عَنْهُمْ حَتَّى نَامُوا وَعُنَيْتُ

(١) اطَّافَ بِهِمْ: أَحَاطَ بِهِمْ، وَفِي الْمَصْبَاحِ: اطَّافَ بِالنَّاسِ. أَحَاطَ بِهِ .

(٢) الرواية المشهورة: «يَا وَيْلَ أُمِّ، آكَلَتْ...». وكذا في شرح المواهب وغيره .

(٣) في شرح المواهب: «أَقَاتِلِي». بِاسْتِفْهَامٍ .

في وسطهم ، ثم أقبل يتخطاهم ويتشممهم حتى أخذ برأس عتيبة ففدغه ^(١) . قال أبو عمر : ولما ماتت رقية تزوج عثمان بن عفان بأم كلثوم في شهر ربيع الأول من السنة الثالثة من الهجرة ، وبني عليها في جمادى الآخرة من السنة ، وتوفيت أم كلثوم رضى الله عنها في السنة التاسعة من الهجرة ، ولم تلد لعثمان شيئا ، وكانت وفاتها في شعبان ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان : « لو كانت عندنا ثالثة زوجتنا كلها يا عثمان » وصلى عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل في حفرتها على بن أبي طالب ، والفضل بن العباس وأسامة بن زيد . وقد روى أن أبا طلحة الأنصاري استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتزل معهم في قبرها فأذن له . وغسلتها أسماء بنت عميس وصفيّة بنت عبد المطلب ، وهى التى شهدت أم عطية غسلها ، وحكت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أغسلنها وترا ثلاثا أو خمسا أو أكثر من ذلك » الحديث ^(٢) . قال : وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبر أم كلثوم .

ذكر أعمام رسول الله صلى الله عليه وسلم

كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم من العمومة أحد عشر ، أولاد عبد المطلب ابن هاشم ، وهم :

الحارث — وبه كان يُكنى ، لأنه أكبر ولده ، ومن ولد الحارث وولد ولده جماعة لهم صحبة من النبي صلى الله عليه وسلم ، منهم أبو سفيان بن الحارث ،

(١) فدغه : شدخه وكسره .

(٢) الحديث في أسد الغابة في ترجمة أم عطية : « أغسلنها وترا ثلاثا أو خمسا أو أكثر من ذلك إن رأيتن وأغسلنها بما وسدروا جعلن في الآخرة كافورا أو شيئا من كافور فإذا فرغن فأذنى » فلما فرغا أذناه فألقى إلينا حقوه فقال : « أشمرنها إياه » والحقو : الإزار ، وقوله : « أشمرنها » أى أجعله شعارها الذى يلى جسدها ، تبركا بأثره الشريف .

أسلم عام الفتح كما ذكرنا في غزوة الفتح وشهد حُنَيْنًا ، ونَوَافِلَ بن الحارث هاجر
وأسلم أيام الحُنْدُق ، وعبد شمس وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله .

وقُتِمَ بن عبد المطلب — وهو أخو الحارث لأبويه ؛ مات صغيرا .

الثالث — الزبير بن عبد المطلب ، وكان من أشراف قريش . وأبنته عبد الله

أبن الزبير شهد حُنَيْنًا وثبت يومئذ وأَشْفَهْدَ بِأَجْنَادِينْ ، وَضُبَاعَةَ بنت الزبير ، لها
صحبة ، وأم الحكم بنت الزبير ، روت عن النبي صلى الله عليه وسلم .

الرابع حمزة بن عبد المطلب

كان يقال له : أسد الله وأسد رسوله ، ويكنى أبا عماره وأبا يعلى^(٢) . وهو أخو رسول

الله صلى الله عليه وسلم من الرضاع^(٣) . وقد قَدَّمْنَا في أنباء هذه السيرة خبر إسلامه

ومقتله في غزوة أُحُد . ولم يكن له إلا أبنَةٌ واحدة . وقيل : أبنتان . وقد
ذكرناهما فيمن عُرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم من النساء فأباهن .

والخامس العباس بن عبد المطلب

كان يكنى أبا الفضل بأبنته الفضل بن العباس ، وكان العباس أَسَنَ من رسول

الله صلى الله عليه وسلم بستين ، وقيل : بثلاث سنين ، وأمه تَتْلَةُ ، ويقال :

تُتَيْلَةُ بنت جَنَاب بن كُليب بن مالك بن عمرو بن عامر بن زيد مَنَاء بن عامر وهو

(١) أجنادين : موضع بنواحي فلسطين كانت به وقعة بين المسلمين والروم مشهورة ، وهي من

الحروب الحاسمة كانت الغلبة فيها للمسلمين .

(٢) في أسد الغابة : « أبو يعلى وقيل أبو عماره كنى بأبنته يعلى وعمارة » .

(٣) أرضعتها ثويبة جارية أبي لهب ، وهي غير حليلة المشهورة التي أرضعت النبي صلى الله

(١) الضَّحْيَانِ بن سعد بن الخَزَرَجِ بن تَيْم الله بن النِّمِر بن قَاسِط . وهى أول عَرَبِيَّة كَسَتْ البيت الحرام الحريرَ والدِّيباجَ وأصنافَ الكِسْوَةِ . وذلك أن العباسَ ضَلَّ وهو صَبِيٌّ ، فنذرتُ إن وَجَدْتُهُ أن تكسو البيت الحرام ، فوجدته ففعلت .

وقد تقدّم من خَبَرِ العباس في غزوة بدرٍ عند أسره ، وقوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إني كنتُ مُسْلِمًا ، وإن القوم استكروني على الخروج .

وقال أبو عمر بن عبد البر : أسلم العباس قبل خَبَرٍ وكان يكتم إسلامه . قال : ويقال إنه أسلم قبل بدرٍ ، وكان يكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأخبار المشركين ، وكان يُجِيبُ أن يُقدِّم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن مُقَامَكَ بِمَكَّةَ خَيْرٌ » فلذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر : « من لقي منكم العباس فلا يقتله فإنه أخرج كرها » . وكان العباس أنصَرَ الناس لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أبي طالب ، وولى السَّقَايَةَ بعد أبي طالب وقام بها ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُكْرِمُ العباس بعد إسلامه ويُعَظِّمُهُ وَيُجِيزُهُ ، ويقول : « هذا عمي وصِيتو أبى » . وكان العباس جَوَادًا مُطِيعًا ، وَضُولًا لِلرَّحِمِ ، ذا رأى حسن ، ودَعْوَةٌ مَرُجُوَّةٌ .

وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أَمْسَقَ بالعباس في سنة سبع عشرة وذلك عام الرَّمَادَةِ (٢) وكانت الأرض أجْدَبَتْ إَجْدَابًا شَدِيدًا . فقال كَعْبٌ لعمر : يا أمير المؤمنين ، إن بنى إسرائيل كانوا إذا أصابهم مثل هذا أَمْسَقُوا بَعْضُهُم

(١) أول من كسا الكعبة الديباج تبع ملك حمير على المشهور ، وكان المصنف أراد أول امرأة عربية ، وتلة كحرة ونقيلة كجبهة بنون وتاء . والتلة بيض النعام .

(٢) الرمادة : من أرمَد القوم أحلوا وأسئروا حتى هلكت المواشى ، وقيل : متى عام الرمادة لتتابع الجدب حتى صير الأرض والشجر مثل لون الرماد . وقيل : عام الرمادة سنة ثمان عشرة واقتصر عليه البعض من ابن سعد .

الأنبياء . فقال عمر رضى الله عنه : هذا عم النبي صلى الله عليه وسلم وصنو أبيه ،
وسيد بنى هاشم . فمشى إليه عمر فشكا إليه ما فيه الناس . ثم قال : اللهم إنا قد
تَوَجَّهنا إليك بعم نينا وصنو أبيه ، فأسقنا الغيث ، ولا تجعلنا من القانطين . ثم قال :
يا أبا الفضل قم فادع . فقام العباس فقال بعد حمد الله والثناء عليه : اللهم إن عندك
محابا وعندك ماء ، فأنثر السحاب ، ثم أنزل الماء منه علينا ، فأشدُّ ^(١) [به] الأصل ،
وأطل به القرع ، اللهم إنك لم تنزل بلاء إلا بذنب ، ولم تكشفه إلا بتوبة ، وقد
توجه القوم بى إليك فأسقنا الغيث ، اللهم شفعنا فى أنفسنا وأهلينا ، اللهم إنا شفعاء
عن لا ينطق من بهائمنا وأنعامنا ، اللهم أسقنا مقيًا وأدعا ، نافعًا طبقًا ^(٢) سخا عانا .
اللهم لا نزجو إلا إياك ، ولا ندعو غيرك ، ولا نرغب إلا إليك . اللهم إليك نشكو
جوع كل جائع ، وعزى كل عار ، وخوف كل خائف ، وضعف كل ضعيف .
فى دعاء كثير .

قال ابن عبد البر : وهذه الألفاظ كلها لم تجئ فى حديث واحد ، ولكن
جاءت فى أحاديث جمعتها وأختصرتها ولم أخالف شيئا منها ، وفى بعضها : فسقوا
والحمد لله . وفى بعضها قال : فأرخت السماء عز إليها ^(٣) فجاءت بأثال الجبال ، حتى
استوت ^(٤) الجفر بالأكام ، وأخصبت الأرض ، وعاش الناس . فقال عمر : هذا
والله الوسيلة إلى الله والمكان منه . وقال حسن بن ثابت فى ذلك :

(١) الزيادة من الاستيعاب .

(٢) طبقا : ما تلا للأرض مغطيا لها . سخا : شديد الانصباب .

(٣) العزال : جمع عزلا . وزان حراء : فم المزادة الأسفل . وأرسلت السماء عز إليها إشارة إلى شدة

وقوع المطر على التشبيه بزلوله من أفواء المزادات . ويروى : « فأرخت السماء شأيب مثل الجبال » .

(٤) الجفر (جمع جفرة) : وهى الحفرة الواسعة المستديرة .

سَأَلَ الْإِمَامُ وَقَدْ تَتَابَعَ جَدُّنَا * فَسَقَى النَّهَامُ بُنْوَرةَ الْعَبَّاسِ
عَمُّ النَّبِيِّ وَصِنُو وَالِدِهِ الَّذِي * وَرِثَ النَّبِيُّ بِذَلِكَ دُونَ النَّاسِ
أَحْيَا إِلَهُهُ بِالْبِلَادِ فَاصْبَحَتْ * مُحَضَّرَةُ الْأَجْنَابِ بَعْدَ الْيَاسِ

وقال الفضل بن عباس بن عتبة بن أبي لهب :

بَعَى سَقَى اللَّهِ الْحِجَارَ وَأَهْلَهُ * عَشِيَّةً يَسْتَسْقِي بِشَيْبَتِهِ عُمَرَ
تَوَجَّهَ بِالْعَبَّاسِ فِي الْحَدِيدِ رَاغِبًا * فَمَا كَرَّ حَتَّى جَاءَ بِالْدِّيمَةِ الْمَطَرُ

وتوفي العباس - رضى الله عنه - بالمدينة يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رَجَب . وقيل : من شهر رمضان سنة اثنتين وثلاثين في خلافة عُثْمَانَ بْنِ عَفَّان وصلى عليه عُثْمَانُ ، ودفن بالبقيع وهو ابن ثمان وثمانين سنة . وقيل : تسع وثمانين سنة . وقال خَلِيفَةُ بْنُ خَيْطٍ : كانت وفاة العباس سنة ثلاث وثلاثين ، ودخل قبره ابنه عبد الله . وكان للعباس من الولد : الفضل وهو أكبر أولاده وبه كُتِبَ ، وعبد الله ، وعبيد الله ، وقُم . ولهم صحبة . وعبد الرحمن ومعبود ولدا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم استشهدا بإفريقية في خلافة عُثْمَانَ بْنِ عَفَّان ، وأم حبيب ، كلهم من أم الفضل لُبَّابة بنت الحارث بن حَزَن الهلالية ، وهى أخت مَيْمُونَةَ زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، يقال : لأنها أول امرأة أسلمت بعد خديجة ، وكانت من الْمُتَنَجِّبَات ، وفيها يقول عبد الله بن يزيد الهلالي :

مَا وَلَدَتْ نَحِيْبَةً مِنْ قَلِيلٍ * يَجْبَلُ نَعْلُهُ وَسَهْلٍ
كَيْسَتِهِ مِنْ بَطْنِ أُمِّ الْفَضْلِ * أَكْرَمَ بِهَا مِنْ كَهْلَةٍ وَكَهْلٍ
عَمَّ النَّبِيُّ الْمُصْطَفَى ذِي الْفَضْلِ * وَخَاتَمَ الرُّسُلِ وَخَيْرَ الرُّسُلِ

وكان له من غير أم الفضل أربعة ذكور، وهم : عون^(١)، والحارث أمه من هذيل .
وكثير وتمام أمهما أم ولد^(٢)، وكان أصغر أولاد العباس فكان العباس يحمله ويقول :
نَمَوْا بِتَمَامٍ فَصَارُوا عَشْرَةً * يَا رَبِّ فَاجْعَلْهُمْ كِرَامًا بَرَرَةً
* واجعل لهم ذِكْرًا وَأَنْتُمْ الثَّمَرَةُ *

ويقال : ما رؤيت قبوراً أشد تباعدا بعضها من بعض من قبور بني العباس ، ولدتهم
أمهم أم الفضل في دار واحدة ، استشهد الفضل بأجنادين ، ومات معبد وعبد الرحمن
بإفريقية ، وتوفي عبد الله بالطائف ، وعيّد الله باليمن ، وقُتِمُ بِسَمَرْقَنْدَ وَكثير ببنج .
وتوفي العباس بعد أن كَفَّ بصره . ولم يُسلم من أعمام رسول الله صلى الله عليه
وسلم إلا حمزة والعباس رضي الله عنهما .

والسادس من عمومه صلى الله عليه وسلم — أبو طالب وأسمه عبد مناف
وهو أخو عبد الله أبي النبي صلى الله عليه وسلم لأبويه . وعاتكة صاحبة الرؤيا
في شأن بدر ، أمهم فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم . وقد تقدّم
من أخباره ونصرته لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما نستغنى عن إعادته في هذا
الموضع . وكان له من الولد طالب مات كافراً ، وعقيل وجعفر وعلي وأم هاني
لهم صحبة ، وجمانة . وحكى أبو عمر بن عبد البر : كان علي بن أبي طالب أصغر
من أخيه جعفر بعشر سنين ، وكان جعفر أصغر من عقيل بعشر سنين ، وكان عقيل
أصغر من طالب بعشر سنين .

والسابع من عمومة رسول الله صلى الله عليه وسلم — أبو لهب .

(١) قال أبو عمر : « لم ألق على اسم أمه » .

(٢) قال في أسد الغابة : « أمه أم ولد رومية » .

وأسمه عبد العزى تكاه أبوه بذلك لحسن وجهه، ومن أولاده عتبة، ومعتب
تبتا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين، وعتبة قتله الأسد بالزرقاء
كما تقدم^(١).

الثامن — عبد الكعبة، وقيل: هو المقوم^(٢)، ومنهم من جعل المقوم غير
عبد الكعبة فجعل عمومته اثني عشر.

والتاسع — حجل وأسمه المغيرة^(٣).

والعاشر — ضرار وهو أخو العباس لأبويه.

والحادى عشر — الفيداق سمي بذلك لأنه كان أكرم قريش، وأكثرهم إطعاما.

ومنهم من جعل الفيداق حجلا وعدهم عشرة. حكاه ابن عبد البر. وقد عد الزبير

ابن بكار أولاد عبد المطلب ثلاثة عشر، وعد المقوم غير عبد الكعبة، وجعله شقيق

حمزة وحجل وصفيه. والله أعلم بالصواب

ذكر عمات رسول الله صلى الله عليه وسلم

كان له من العمات صلى الله عليه وسلم ست: الأولى — صفية بنت عبد المطلب،

وأُمها هالة بنت وهيب بن عبد مناف بن زهرة، وهى شقيقة حمزة والمقوم وحجل،

كانت صفية فى الجاهلية تحت الحارث بن حرب بن أمية بن عبد شمس، ثم هلك

عنها وتزوجها العوام بن خويلد بن أسد فولدت له الزبير والسائب وعبد الكعبة.

وتوفيت فى خلافة عمر بن الخطاب سنة عشرين من الهجرة ولها ثلاث وسبعون

سنة. ودفنت بالبقيع بفناء دار المغيرة بن شعبة، ولها هجرة.

(١) راجع ص ٢١٤ من هذا الجزء، والمواب ٣ : ٢٣٧

(٢) فى السيرة الحلية بفتح الواو وكسرهما مشددة.

(٣) فى السيرة الحلية : بتقديم الجيم على الحاء والحجل السقاء الضخم، وقيل بتقديم الحاء مفتوحة على

الجيم — وهو التابت هنا — وهو فى الأصل القيد والخلخال. (٤) وأسمه مصعب وقيل نوقل.

وعاتِكَةُ بنت عبد المطلب

أختلف في إسلامها، وهى صاحبة الرؤيا^(١)، وكانت عند أبي أمية بن المغيرة
 ابن عبد الله المخزومي، فولدت له عبد الله أسلم وله حجة^(٢)، وزهيرا، وقريبة الكبرى.

وأروى بنت عبد المطلب

- وقد أختلف أيضا في إسلامها، وكانت عند عمير بن وهب بن عبد الدار
 ابن قصي، فولدت له طليب بن عمير، وكان من المهاجرين الأولين، شهد بدرًا
 وقتل بأجنادين شهيدا.

وأُمَيَّة بنت عبد المطلب

- كانت عند جحش بن رياح، ولدت له عبد الله بن جحش قتل بأحد شهيدا،
 وأبا أحمد الأعمى الشاعر وأسمه عبد^(٣)، وزينب زوج النبي صلى الله عليه وسلم،
 وأم حبيبة وحنّة^(٤)، كلهم له حجة، وعبيد الله بن جحش، أسلم ثم تنصروا
 بالحبشة كافرا.

٧٩
 ١٦

(١) وهى رؤياها فى رقعة بدر؛ قالت: رأيت فى المنام قبل قدوم خبر العير ثلاث ليل رجال
 أقبل على بعير، فوقف بالأبطح فقال: آفروا يا آل غالب لمصارعكم، فى ثلاث، ثم أخذ صخرة فأرسلها
 من رأس الجبل فأقبلت تهوى حتى ما بقى دار ولا بيت إلا دخل فيها بعضها. فصدق الله رؤياها. راجع
 الإصابة وغيرها من كتب السيرة.

(٢) أفراد عبد الله بالصحة يشعر أن زهيرا ليس بصحابة، والذي فى شرح المواهب أنهما أسلمتا
 وصحبا. وفيه: قرينة بفتح القاف — وقيل بالتصغير.

(٣) فى المواهب (٣: ٢٤٦): «عبد بلا إضافة، وقيل عبد الله وهو هم من السابقين».

(٤) أم حبيبة بها آخرها، ويروى أم حبيب بلاها.

وبرة بنت عبد المطلب

وكانت عند عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، فولدت له
أبا سلمة وأسمه عبد الله ، وكان زوج أم سلمة قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب

وكانت عند كُرَيْز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف ، فولدت
له أروى بنت كُرَيْز ، وهي أم عثمان بن عفان .

هؤلاء أعمامه صلى الله عليه وسلم وعماته ؛ أسلم منهم حمزة والعباس وصفية
بلا اختلاف ، واختلف في عائكة وأروى ، وبقيتهم ماتوا على شركهم . قال أبو عمر
ابن عبد البر : كان عبد الله أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو طالب والزبير
وعبد الكعبة وأم حكيم وأُمَيَّة وأروى وعائكة ، أمهم كلهم فاطمة بنت عمرو
ابن عائذ بن عمران بن مخزوم ، وكان حمزة والمقوم وحجل وصفية أمهم هالة بنت
وهيب ، وكان العباس وضرار وقثم أمهم نذيلة ، وأم الحارث تمرأ بنت جندب
ابن جندب بن حُرَّان بن سُوَاعة بن عامر بن صعصعة ، وقيل : صفية بنت جندب
ابن حُجَير بن رباب بن حبيب بن سُوَاعة ، وأم أبي لهب أُمَيَّة بنت هاجر بن خراعة .
والله تعالى أعلم .

فلنذكر خدمه صلى الله عليه وسلم :

ذكر خدم رسول الله صلى الله عليه وسلم

الأحرار وهم أحد عشر رجلا

أنس بن مالك بن النضر

ابن حنظل بن زيد الأنصاري التجارى ، كان يكنى أبا حمزة ، وأمه أم سليم
بنت مِطْحَانَ الأنصارية . خدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن عشرين ،
عند مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة للهجرة ، واختلف في وقت

وفاته فقيل : مات في سنة إحدى وتسعين ، وقيل : سنة اثنتين وتسعين ، وقيل : سنة ثلاث وتسعين . قال خليفة ابن خياط : مات أنس وله مائة وثلاث سنين ، وقيل : كانت سنة إذ مات مائة وعشر سنين ، وقيل : غير ذلك . وأقل ما قيل فيه مائة سنة إلا سنة ، حكى هذه الأقوال أبو عمر بن عبد البر ؛ قال : ويقال إنه آخر من مات بالبصرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقال : إنه قدم من صُلبه وولد ولده نحوًا من مائة قبل موته ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا له فقال : « اللهم أرزقه مالا . وولدا وبارك له » قال أنس : فإني لمن أكثر الأنصار مالا . ويقال : إنه ولد لأنس ثمانون ولدا منهم ثمانية وسبعون ذكرا وأُنثيان .

وهند وأسماء ابنا حارثة

ابن هند الأسلمي ؛ شهدا بيعة الرضوان في إخوة لها ستة ، وهم : هند وأسماء وخرّاش ودؤيب وقُضالة وسَلَمَة ومالك ومُحرّاب ، ولم يشهدا أخوة في عددهم غيرهم ، ولزم منهم النبي صلى الله عليه وسلم هند وأسماء ، وكانا من أهل الصُّفّة ، ومات هند بالمدينة في خلافة معاوية ، وتوفي أَسْمَاء في سنة ست وستين . بالبصرة وهو ابن ثمانين سنة .

وربيعة بن كعب الأسلمي

وهو ربعة بن كعب بن مالك بن يعمر الأسلمي أبو فراس ، وكان من أهل الصُّفّة ، وكان يلزم رسول الله صلى الله عليه وسلم في السفر والحضر ، وصحبه قديما ، ومات في سنة ثلاث وستين بعد الحزّة .

وعبد الله بن مسعود

أَبْنُ غَافِلِ بْنِ حَبِيبِ بْنِ شَمِخِ بْنِ فَارِ بْنِ غَزُومِ بْنِ صَاهِلَةَ بْنِ كَاهِلِ بْنِ الْحَارِثِ
 أَبْنِ تَمِيمِ الْهُذَلِيِّ، وَكَتَبَتْهُ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَهُوَ حَلِيفُ بَنِي زُهْرَةَ، وَأُمُّهُ : أُمُّ عَبْدِ
 بَنَتِ عَبْدَ وَدٍّ بْنِ سِوَاءَ بْنِ قُوَيْمِ بْنِ صَاهِلَةَ بْنِ كَاهِلِ بْنِ هُدَيْلٍ . أَسْلَمَ عَبْدُ اللَّهِ
 فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ، وَكَانَ سَبَبَ إِسْلَامِهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِهِ وَهُوَ
 يَرعى غَنَمًا لِعُقَيْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ، فَأَخَذَ شَاةَ حَاتِلًا مِنْ تِلْكَ الْغَنَمِ فَدَرَسَتْ عَلَيْهِ لَبَنًا غَزِيرًا
 فَاسْلَمَ، ثُمَّ صَحَّه رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِ، وَكَانَ يَلْبَسُهُ نَعْلَيْهِ إِذَا قَامَ،
 وَإِذَا جَلَسَ جَعَلَهُمَا فِي دُرَّاعَتِهِ حَتَّى يَقُومَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ يَمْشِي
 أَمَامَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا مَشَى، وَيَسْتَرُهُ إِذَا ائْتَسَلَ، وَيُوقِظُهُ إِذَا نَامَ،
 وَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «إِذْنُكَ عَلَيَّ أَنْ يُرْفَعَ الْحِجَابُ وَأَنْ تَسْمَعَ سَوَادِي
 حَتَّى أَتَاهَا» . وَكَانَ يَعْرِفُ فِي الصَّبَاةِ بِصَاحِبِ السَّوَادِ وَالسَّوَالِكِ، وَهُوَ أَحَدُ مَنْ
 شَهِدَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحَنَّةِ، وَمَاتَ أَبْنُ مَسْعُودٍ بِالْمَدِينَةِ فِي مِائَةِ
 أَلْفَيْنِ وَثَلَاثِينَ، وَصَلَّى عَلَيْهِ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، وَقِيلَ : عَمَّارٌ، وَقِيلَ : الزَّيْبِرُ بْنُ الْعَوَّامِ
 وَدَفَنَهُ بِالْبَقِيعِ لَيْلًا بِإِصْصَانِهِ إِلَيْهِ بِذَلِكَ، وَلَمْ يَعْلَمْ عُثْمَانُ فَعَاتَبَ الزَّيْبِرَ، وَكَانَ يَوْمَ تُوُفِّيَ
 أَبْنُ يَضْعُ وَثْنِينَ سَنَةً .

(١) فِي شَرْحِ الْمَوَاهِبِ : ابْنُ شَمِخِ بْنِ فَارِ، بَشَاءُ، فَأَلْفَ فَرَاءَ . وَكَذَلِكَ فِي الْإِصَابَةِ وَأَمْدُ الْغَايَةِ .
 وَفِي نَسْخَةِ ج : ابْنُ فَارِصَ .

(٢) فِي الْإِصَابَةِ : سِوَاءَ . (٣) الْإِسْتِغْيَابُ : ابْنُ قَدِيمٍ .

(٤) الدَّرَاعَةُ : نَوْعٌ مِنَ الثِّيَابِ . (٥) فِي النِّهَايَةِ : تَسْمَعُ .

(٦) سَوَادِي : سَرَارِيْ؛ يُقَالُ : سَارَدَتِ الرَّجُلَ إِذَا سَارَرْتَهُ .

وعُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ بْنِ عَبْسٍ

الْجُهَنِيُّ مِنْ جُهَيْنَةَ بْنِ زَيْدٍ بْنِ سَوْدٍ بْنِ أَسْلَمَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْحَافِ بْنِ قُضَاعَةَ ،
 وَكَانَ يَكْنَى أَبَا حَمَادٍ ، وَقِيلَ : أَبَا أَسَدٍ ، وَقِيلَ : أَبَا عَمْرٍو ، وَقِيلَ : أَبَا سَعَادٍ ،
 وَقِيلَ : أَبَا الْأَسْوَدِ ، وَقِيلَ : أَبَا عَمَّارٍ ، وَأَبَا عَامِرٍ . وَكَانَ عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ صَاحِبَ
 بَغْلَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَقُودُهَا بِهِ فِي الْأَسْفَارِ . قَالَ أَبُو عَمْرٍو : سَكَنَ
 عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ مِصْرَ ، وَكَانَ وَالِيًا عَلَيْهَا ، وَأَبْتَنَى بِهَا دَارًا ، وَتَوَفَّى فِي آخِرِ خِلَافَةِ مُعَاوِيَةَ .

وَبِلَالُ بْنُ رَبَاحِ الْمُؤَدَّبِ

مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، وَكَانَ يَكْنَى أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، وَيُقَالُ :
 أَبَا عَبْدِ الْكَرِيمِ ، وَقِيلَ : أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، وَقِيلَ : أَبَا عَمْرٍو ، وَقَدْ تَقَدَّمَ خَبْرُهُ فِي أَوَّلِ
 السِّيرَةِ . وَأُمُّهُ حَمَامَةُ ، وَكَانَ خَازِنًا لِلرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَخِي بَيْتُهُ وَيَمِينُ
 عُيَيْدَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، وَكَانَ بِلَالُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صَادِقَ الْإِسْلَامِ طَاهِرَ
 الْقَلْبِ ، وَكَانَ مِنْ مُؤَلَّدِي السَّرَاةِ^(٣) . مَاتَ بِدِمَشْقَ سَنَةَ عَشْرِينَ ، وَهُوَ آبَنُ ثَلَاثِ
 وَسْتِينَ سَنَةٍ ، وَدُفِنَ بِمَقْبَرَتِهَا عِنْدَ الْبَابِ الصَّغِيرِ ، وَقِيلَ : مَاتَ سَنَةَ إِحْدَى وَعَشْرِينَ
 [وَهُوَ آبَنُ سَبْعِينَ سَنَةً^(٤)] .

وَسَعْدُ مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، خَدَمَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَرَوَى عَنْهُ الْحَسَنُ
 الْبَصْرِيُّ ، وَيَعُدُّ فِي أَهْلِ الْبَصْرَةِ .

(١) فِي النَّاجِ وَغَيْرِهِ . « زَيْدُ بْنُ لَيْثٍ بْنُ سَوْدٍ ... أَخٌ » .

(٢) وَفِي أَسَدِ الْغَابَةِ : وَقِيلَ : أَبُو لَيْدٍ ، وَأَبُو عَمْرٍو ، وَأَبُو عَبْسٍ ، وَأَبُو أَسَدٍ وَغَيْرَ ذَلِكَ .

(٣) السَّرَاةُ : مَوْضِعٌ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ كَمَا سَبَقَ لِلزُّوْلَفِ . وَفِي الْأَصُولِ : « السَّرَاةُ » بِالْمَعْجَمَةِ .

وَمَا أَتَيْنَاهُ عَنْ أَسَدِ الْغَابَةِ وَغَيْرِهِ . (٤) مَا بَيْنَ الْقَوْسَيْنِ سَاقِطٌ مِنْ أ .

وذو محمّر بن أنحى النجاشي

ويقال : ابن أخته ، ويقال فيه : ذو محمّر ، خدام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال ابن عبد البر : وقد عده بعضهم في موالى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، له أحاديث نرجها أهل الشام وهو معدود فيهم .

وبكير بن شدّاخ اللّيثي

وقيل فيه : بكر ، عده الشيخ أبو محمد الديلمطي في خدام رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١) .

وأبو ذرّ الغفاريّ

ويقال : أبو الذرّ ، والأوّل أشهر . واختلف في اسمه اختلافا كثيرا ، فقليل : جندب بن جنادة ، وهو أصحّ ما قيل فيه إن شاء الله . وذكر أبو عمر بن عبد البر الاختلاف في اسمه ، وترجم عليه بعد ذلك : جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد ابن الواقفة بن حرام بن غمار بن مليل بن ضمرة بن كنانة بن خزيمية بن مدركة ابن إلياس بن مضر بن نزار الغفاريّ ، وأمه رَمْلَة بنت الوقيعة ، من بني غفار ، تقدّم خبر إسلامه في وفد غفار في أوّل هذا السّفر ، وأقام أبو ذرّ عند قومه بعد إسلامه حتى مضت بدر واحد والخنْدَق ، ثم قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) ترجم له أسد الغابة ، وذكر أنه من خدام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنه كان يخدمه وهو غلام فلما أحسن جاء إلى رسول الله فقال له : إن كنت أدخل على أهلِكَ وقد بلغت مبلغ الرجال ، فقال له رسول الله : " اللهم صدق قوله ولقاه الظفر " ، وأورد قصة له في عهد عمر بن الخطاب كانت من أعلام النّبوة ، وبركة دعوته صلى الله عليه وسلم .

(٢) الذي في الاستيعاب لابن عبد البر : « جندب بن سفيان بن جنادة بن عبيد » الخ .

(٣) راجع ص ٣ وما بعدها من هذا الجزء .

فصحبته إلى أن مات . وقد ذكرنا قصة أبي ذر في غزوة تبوك ، وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رحم الله أبا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده » وكان من خبره أنه خرج بعد وفاة أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى الشام ، فلم يزل به حتى كانت خلافة عثمان بن عفان ، فاستقدمه عثمان لشكوى معاوية ، وأسكنه الرُبْدَةَ^(١) ، فمات بها وصلى عليه عبد الله بن مسعود ، وكان قد أقبل من الكوفة فدعى إلى الصلاة عليه ، فقال : من هذا ؟ فقيل : أبو ذر ، فبكى طويلاً وقال : أخى وخليلى عاش وحده ، ومات وحده ، ويبعث وحده ، طوبى له . وذلك في سنة ست وثلاثين من الهجرة . روى عن أبي ذر جماعة من الصحابة ، وكان من أوعية العلم المبرزين في الزهد والورع والقول بالحق ؛ سئل على رضي الله عنه عن أبي ذر فقال : ذاك رجل وعى علماً عجز عنه الناس ، ثم أوكأ^(٢) عليه ولم يخرج شيئاً منه . وروى عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما أظلت الخضراء ولا أقلت العسراء^(٣) من ذى طجة^(٤) أصدق من أبي ذر » و« من سره أن ينظر إلى تواضع عيسى بن مريم فلينظر إلى تواضع أبي ذر » . وفضائله كثيرة رضي الله عنه .

وذكر أبو عمر بن عبد البر في خدام رسول الله صلى الله عليه وسلم « أَسَمِعَ ابن شريك » الأعرجي التيمي خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصاحب راحلته ، وأبو سلام الهاشمي ، خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومولاه .

(١) الرُبْدَةُ (بفتح) : موضع قرب المدينة . (٢) أوكأ : شد عليه بركاه وهو جيل

يشد به فم القرية ، أراد لم ينفره بين الناس . (٣) الخضراء : السماء ، والقبراء : الأرض ،

وأقلت : حلت . (٤) الطجة : اللسان .

(٥) الرواية في الجامع الصغير : « من سره أن ينظر إلى تواضع عيسى فلينظر إلى أبي ذر » .

ذكر موالى رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال الشيخ أبو محمد الديلمى رحمه الله تعالى : وموالىه من الرجال أحد وثلاثون ، وهم :

زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي - وكان لخديجة فاستوبه رسول الله صلى الله عليه وسلم منها وأعتقه ، وقد تقدمت أخباره ومقتله في مؤنة ^(٢) .

وأسماء بنت زيد بن حارثة - وأمه أم أيمن ، بركة مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وماتت أسماء في خلافة معاوية ، في سنة ثمان وخمسين ، وقيل : سنة تسع ، وقيل : سنة أربع وخمسين ، وصححه أبو عمر . وكان عمره يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع عشرة سنة ، وقيل : عشرين ، وقيل : ثمانى عشرة ، وسكن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وادى القرى ، ثم رجع إلى المدينة فمات بالجوف .

وثوبان بن جُحْد - وكنيته أبو عبد الله على الأصح ، وهو من أهل السراة ^(٣) ، والسراة موضع بين مكة واليمن ، وقيل : من حمير ، وقيل : إنه من حكم بن سعد العنيزة ، أصابه سبأ فاشتره رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعتقه ، ولم يزل معه في السفر والحضر إلى أن توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج إلى الشام فقتل الرملة ، ثم انتقل إلى حصن فأبقي بها داراً : وتوفي بها سنة أربع وخمسين ،

(١) في « شيخنا » .

(٢) مؤنة ، بضم الميم وسكون الواو وبغير همز ، عند الأكثر ، وبالحمز عند بعضهم : موضع من عمل البقاء بالشام ، وهي غزوة مشهورة ، ومن الوقائع الحاسمة .

(٣) في الأصول : « السراة » وتقدم القول فيه .

وكان ممن حفظ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأدى ما وعى . روى عنه جماعة من التابعين .

وأبو كبشة سُليم - شهد بدرا والمشاهد كلها ، قيل : هو من فارس ، وقيل : من مولدى أرض دوس ، وقيل : من مولدى مكة ، آتباعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعتقه ، وتوفى في سنة ثلاث عشرة ، في اليوم الذى استخلف فيه عمر بن الخطاب ، وقيل : توفى في سنة ثلاث وعشرين ، في اليوم الذى ولد فيه عُرْوَةُ بن الزبير . والله تعالى أعلم .

وَأَنَسَةُ - ويكنى أبا مَسْرُوح ، ويقال أبو مَسْرُوح - وكان من مولدى السراة - اشتراه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعتقه . ذكره موسى بن عقبة فيمن شهد بدرا ، وقال ابن إسحق : كان يَأْذَن على النبي صلى الله عليه وسلم إذا جلس فيما حكاه مصعب الزبيرى ، ومات في خلافة أبى بكر رضى الله عنه .

وَشُقْرَان - وأسمه صالح ، وكان حبشيا ، قيل : ورثه رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبيه وأعتقه بعد بدر ، قيل : اشتراه من عبد الرحمن بن عوف وأعتقه ، وقيل وهبه له فاعتقه وأوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته .^(١)

وَرَبَاحُ - وكان أسود ثوبيا اشتراه من وفد عبد القيس وأعتقه ، قال أبو عمر : وربما أذن على النبي صلى الله عليه وسلم أحيانا ، إذا انفرد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأخذ عليه الإذن .

وَيَسَارُ - وكان ثوبيا أصابه رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض غزواته ، وهو الذى قتله العُربُيون كما تقدم .

(١) فى أ « بعد » .

وأبو رافع — وأسمه أسلم ، وقيل ؛ إبراهيم ، وكان عبدا للعباس ، فوهبه للنبي صلى الله عليه وسلم ، فلما أسلم العباس بشر أبو رافع رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسلامه ، فأعتقه وزوجه سلمى مولاته ، فولدت له عبيد الله ، وكان عبيد الله كاتباً لعلى بن أبي طالب رضى الله عنه في خلافته كلها ، قيل : وخازناً أيضاً . ومات أبو رافع في آخر خلافة عثمان بالمدينة ، وقيل : في خلافة علي ، قيل : وكان أبو رافع قبطياً .

وأبو موهبة — وكان من مَوْلَى مُزَيْنَةَ ، أشتراه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعتقه .

ورافع — قال الشيخ أبو محمد عبد المؤمن رحمه الله : كان مولى لسعيد بن العاص ، فورثه ولده ، فأعتقه بعضهم وتمسك بعضهم ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعينه فوهب له ، فكان يقول : أنا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد حكى أبو عمر ذلك في أحد القولين عن أبي رافع المتقدم ذكره . والله أعلم .

وفضالة — وهو مذكور في موالى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال ابن عبد البر : لا أعرفه بغير ذلك ، قيل : إنه مات بالشام .

ومدغم — أسود ، وهبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم رفاعة بن زيد الجُدَامِي ، وهو الذى قتل بوادى القرى ، وقال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن السَّمْلَةَ التى غَلَّها تُشعل عليه نارا » .

وكركرة — وكان على بغلة النبي صلى الله عليه وسلم وكان نوبياً أهده له هَوْدَةَ ابن على فأعتقه .

(١) كنيته أبو الهيثم ، في أسد الغابة : فأتى النبي يستشفع به على الرجل فوهب الرجل نصيبه إلى النبي صلى الله عليه وسلم . (٢) الذل : أخذ شئ من الفينة قبل القسمة ، وقد أخذ مدغم شاة من في المسلمين يوم خيبر قبل القسمة . (٣) ضبط في الإصافة بفتح الكافين وكسرهما ، والنووى بكسر الثانية جزماً .

وزيد - وهو جد إلال بن يسار بن زيد .^(١)

وعبيد ، وطهمان - موليا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واختلف في طهمان ،
ف قيل : طهمان ، وقيل : طهوان ، وقيل : ذكوان ، وأما عبيد فروى عنه
سليمان التيمي .

ومأبور - أهداه إليه المقوقس ، وقيل : كان خصيا .

وواقيد ، وأبو واقيد ، وهشام ، وهو الذي قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم :
يا رسول الله إن أمرأتى لا تمنع يد لائس ، قال : « طلقها » قال : إنها تعجبني .
قال : « فاستمع بها » .^(٢)

وأبو ضميرة - قيل : اسمه مسعد الحميري ، قال البخاري : وقيل في اسمه غير
ذلك . وكان مما أفاء الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو جد حسين
ابن عبد الله بن ضميرة ، وقيل : وكان من العرب فاعتقه رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، وكتب له كتابا يوصى به فهو بيد ولده ، قال أبو عمر : وقدم حسين
ابن عبد الله بن ضميرة على المهدي بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالإيصاء
بأبي ضميرة وولده ، فوضعه المهدي على عنيته ، ووصله بثلاثمائة دينار .

وحنين - قال أبو عمر بن عبد البر : كان عبدا وخادما للنبي صلى الله عليه
وسلم ، فوهبه لعمه العباس فاعتقه العباس قال : وقد قيل إنه مولى على بن أبي طالب ،
وعده الشيخ أبو محمد في موالى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) في نسخ الأصل : هلال ، والصواب ما أثبتناه ، من المواهب وغيره .

(٢) أسد الغابة اعتبرهما واحدا - وإن أفرد كلامهما بترجمة - حيث أورد حديث « من أطاع الله ... »

عن واقيد كما أورده عن أبي واقيد ، وعدهما في شرح المواهب واحدا أيضا وقال : « واقيد أو أبو واقيد » .

(٣) قال ابن الأثير مادة (لئس) : « قبل معنى لا ترد يد لائس أنها تعطى من ماله من يطلب منها ،
وهذا أشبه » قال أحمد : لم يكن ليأمره بإمساكها وهي تفجر » .

وأبو عَيسِب — وأسمه أَحْمَر .

وأبو عَيْدَة سَفِينَة ^(١) — فكان عبدا لأم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم فأعتقته ، واشترطت عليه أن يخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مدة حياته ، فقال : لو لم تسترطى على ذلك ما فارقتك ، وكان اسمه رَبَاح ، وقيل : عُثَيْر ، وقيل : رُومَان .
وقيل : مِهْرَان . قال الواقدي : وقال أبو عمر : مِهْرَان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مَفِينَة .

سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم سَفِينَة بهذا الاسم ؛ لأنه كان معه في سفره ؛ فكان كل من أعيأ إلى عليه متاعه سيفاً أو ثوباً ، فتر النبي صلى الله عليه وسلم به فقال : « أنت سفينة » وكان أسود من مَوْلَى الأعراب .

وأبو هِنْد — وهو الذى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حقه زوجوا أبا هند وتزوجوا إليه ، قال أبو محمد : آتباعه رسول الله صلى الله عليه وسلم مُنْصَرَفَه من الحُدَيْدِيَّة وأعتقه .

وَأَنْجَشَة — وكان حادياً للجمال ، وهو الذى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم له « يَا أَنْجَشَةُ رَفَقاً بِالْقَوَارِيرِ » ^(٢) .

(١) في أسد الغابة : أبو عيّد مولى رسول الله . هكذا بنى هاء ، وأورد رواية عنه من طريق شهر ابن حوشب . وفي أسد الغابة أن سفينة مولى رسول الله عليه السلام غير أبي عيّد ، وذكر أن سفينة قال : ركب سفينة فأنكسرت فركبت لوحاً منها فطرحني إلى الساحل فلقيني أسد فقلت : أنا سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فطأ طأ رأسه ، فجعل يدفعني بجانبه حتى أوقفني على الطريق ، فلما أوقفني على الطريق همهم فظننت أنه يودعني . (٢) أنجشة عبد أسود حسن الصوت بالحاء — وهو الغناء — فحدا بأزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع فأعتقت الإبل وأمرعت ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أنجشة ... » الحديث ويروى « يا أنجشة رويدك ... » الحديث ، والقوارير جمع فارورة : إنا من زجاج شبه به النساء لأنه يسرع إليها الكمر .

وَأَتَيْتَهُ — وكان حبشيا فصبها شهد بدرا، وأعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة .

وَأَبُو لُبَابَةَ — كان لبعض عمّات رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعتقه ، وهو معدود في موالى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وَرُوَيْفِع — سباه رسول الله صلى الله عليه وسلم من هَوَازِن فَأعتقه .

وَسَعْد — وهو الذى روى عنه أبو عثمان النهدي . ذكره أبو عمر بن عبد البر .

هَؤُلَاءِ المشهورون من موالى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال أبو محمد عبد المؤمن رحمه الله : وقد قيل إنهم أربعون ، وزاد يوسف بن الجوزي :

أَبَا كَنْسَدِير ، وَسَلْمَانَ الْفَارِسِي ، وَسَلْمًا ، وَسَابِقًا — ذكره أبو عمر — خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وَزَيْدُ بْنُ رِضْوَلَا ، وَعُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ أَسْلَمَ ، وَنُبَيْتَةُ : وَقِيلَ فِيهِ : النَّبِيَّةُ ، وَقِيلَ النَّبِيَّةُ ، بضم النون وفتحها ، وَوَزْدَان .

وذكر أبو عمر بن عبد البر في موالى رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة أخرى ، منهم أَبُو الْحَمْرَاءُ وَأَسْمَةُ هَلَالُ بْنُ الْحَارِث ، وَيُقَال : هَلَالُ بْنُ ظَفَرٍ ، وَأَفْلَحُ ، وَذَكْوَانُ ، وَفِي أَسْمِهِ خَلَّافُ ، وَأَبُو عُيَيْدٍ ، لَهُ رِوَايَةٌ ، وَأَبُو لَقِيْطٍ ، وَأَبُو السَّمْحِ أَيَّادُ ،

وَقِيلَ : خَادِمُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَصُفِيَّةُ بْنُ أَبِي صُفِيَّةٍ ، قَالَ أَبُو عَمْرٍ : مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأُمِّ صُفِيَّةٍ وَهِيَ تَبْكِي فَقَالَ : « مَا يَبْكِيكَ أَجَائِزَةٌ أَنْتِ أُمُّ عَارِيَةٍ ؟ » فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَرَّقَ بَيْنِي وَبَيْنَ ابْنِي ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا يَفْرُقُ بَيْنَ وَالِدَةٍ وَوَلَدِهَا » ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى الَّذِي عَنْدهُ صُفِيَّةُ فَأَبْتَاها مِنْهُ .

(١) كذا في كلا الأصلين وفي الإصابة وأسد الغابة « زيد بن بولا » .

(٢) في هامش الاستيعاب : « زياد » .

وَكَيْسَانَ ، أَوْ مِهْرَانَ - وَأَسْمُهُ هُرْمُزُ يَكْنَى أَبَا كَيْسَانَ ، اختلف فيه على عطاء
 ابن السائب ، فقيل : كيسان ، وقيل : طهمان ، وقيل : ذكوان ، وأبو بكره نُفَيْعُ
 ابن مَسْرُوح ، وهو ابن سُمَيَّةَ جارية الحارث بن كَلْدَةَ الثَّقَفِي ، معدود في موالى
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعنته لما
 نزل إليه من حصن الطائف ، وأسلم فكان يقول : أنا مولى رسول الله صلى الله
 عليه وسلم فإن أبى الناس إلا أن ينسبوني فأنا نُفَيْعُ بن مَسْرُوح ، وكناه رسول الله
 أبا بكره ؛ لأنه تدلى إليه من بكره من الحصن .

وأبو سَلَمَى - راعى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قيل : اسمه حارث ، فهو لأ
 عشرة آخر لتكلمة خمسين . والله أعلم .

ومن النساء : أم عياش ، وأميمة ؛ وأم رافع سَلَمَى ، وبركة أم أيمن ، ومارية ،
 وربحانة ، وربيعه ، وميمونة بنت [أبي] عسيب ، وخضرة ، ورضوى ، وأم صميرة .
 وذكر أبو عمر بن عبد البر أميمة لها رواية ، وميمونة بنت أبي عتبة غير ميمونة
 المذكورة آنفاً ، والله أعلم .

(١) قوله : ومن النساء . معطوف على ترجمة الباب حيث قال : ومواله صلى الله عليه وسلم
 من الرجال . (٢) أم عياش : قيل كانت أمة لرقية بنت رسول الله في رواية ، وقيل خادم رسول
 الله ومولاه . (٣) أمية مولاة رسول الله ، كانت ترضى رسول الله . (٤) أم رافع :
 قابلة إبراهيم بن رسول الله وقابلة أبي فاطمة الزهراء الحسن والحسين رضوان الله عنهما ، وخادم رسول الله
 صلى الله عليه وسلم . (٥) وبركة أم أيمن : حاضنة رسول الله ومولاه وهى حبشية .

(٦) مارية القبطية : مولاة رسول الله وسريته أم إبراهيم عليه السلام بن رسول الله صلى الله عليه وسلم .
 (٧) ربحانة : سريته رسول الله بن بنى قريظة ، ويقال : ربيعة كما في أسد الغابة فتكون نفس ربحانة .
 (٨) فى أسد الغابة بنت أبي عسيب . وقيل بنت أبي عتبة .

(٩) خضرة ، ورضوى : ذكرنا فى موالى رسول الله ، ولم يرو عنهما شئ .
 (١٠) أم صميرة : هى التى ورد بسببها حديث : « لا يفرق بين والده وولدها » .

ذكر حُرَّاس رسول الله صلى الله عليه وسلم

في غزواته، وهم ثمانية : سعد بن معاذ حرسه يوم بدر حين نام بالعريش ،
وَدَكْوَان بن عبد الله بن قَيْس ، ومحمد بن مَسْلَمَةَ الأنصاري حرسه بأحد، والزَّيَّير
ابن العوام حرسه يوم الخندق، وعَبَّاد بن يَشْر ، وسَعْد بن أَبِي وقاص، وأبو أيوب
الأنصاري حرسه بخيبر ليلة بَنِي بَصْفِيَّة ، وِلَال حرسه بوادي القُرَى . ولما أُنزل
الله تعالى : « يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ
رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ » ^(١) ترك عند ذلك الحرس .

ذكر كُتَّاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

وهم : أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب
وعاصم بن مُهَيَّزَة، وعبد الله بن الأرقم، وأَبِي بن كَعْب، وثابت بن قيس بن شماس،
وخالد بن سعيد بن العاص، وحَنْظَلَة بن الربيع الأسدي، وزيد بن ثابت، ومعاوية
ابن أَبِي سُفْيَان ، وشَرْحِبِيل بن حَسَنَة، وكان معاوية وزيد يكتبان الوحي .
قال الشيخ الإمام الفاضل محمد بن أحمد بن بكر بن فَرَح الأنصاري الخزرجي
الأندلسي ثم القرطبي رحمه الله تعالى في كتاب الأعلام له : والعلاء بن الحضرمي،
قال : وكان المداويم على الكتابة زيد ومعاوية، قال : ويقال إن معاوية لم يكتب له
من الوحي شيئا، وإنما كان يكتب إلى الأطراف، وكتب له عبد الله بن سرح
ثم أرتد، فلما كان يوم الفتح أسلم وحسن إسلامه، وذكر القضاعي : وكان الزبير
ابن العوام وجههم بن سعد يكتبان أموال الصدقة، وكان حُذَيْفَة بن اليمان يكتب
نَحْرَس النخل، وكان المغيرة بن شعبة والحُصَيْن بن مُثَنَّى يكتبان المداينات والمعاملات .

(١) آية ٦٧ سورة المائدة .

وذكر الحافظ أبو الخطاب بن دحية : أن كتابه عليه السلام يتمون إلى سنة وعشرين ، والله أعلم .

قال : وقد قدمنا ذكر رسله صلى الله عليه وسلم .

ذكر رُفقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم

النَّبِيَاءُ وهم اثنا عشر : أبو بكر، وعمر، وحمة، وعلي، وجعفر، وأبو ذر، والمقداد، وسلمان، وحذيفة، وابن مسعود، وعمار بن ياسر، وبلال بن رباح .
وكان علي بن أبي طالب والزبير بن العوام ومحمد بن مسلمة وعاصم بن أبي الأفلح^(١) والمقداد، رضوان الله عليهم أجمعين يضربون الأعناق بين يديه صلى الله عليه وسلم، وحيث ذكرنا من سيرته صلى الله عليه وسلم ما ذكرنا، فلنأخذ الآن في ذكر صفاته الذاتية والمعنوية وأحواله صلى الله عليه وسلم .

ذكر صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذاتية

قد وردت الأخبار الصحيحة والمشهورة من حديث علي بن أبي طالب وأنس ابن مالك وأبي هريرة والبراء بن عازب وعائشة أم المؤمنين وابن أبي هالة وأبي جحيفة وجابر بن سمرة وأم معبد وابن عباس، ومعرض بن معيقب وأبي الطفيل، والعداء بن خالد وحرث بن ثابت وحكيم بن حزام، وغيرهم رضوان الله عليهم : أنه كان صلى الله عليه وسلم رُبعة من القوم : لا بَاطن من طُول، ولا تَقْتَحِمُه عين من قصر،

(١) الذي في أسد الغابة : عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح .

(٢) أم معبد : هي عائكة بنت خالد الخزاعية .

(٣) رُبعة بسكون الباء والفتح لغة : أي معتدل ، وقد فسر الرُبعة بها بعده .

(٤) الباطن هنا : المفرط في الطول . (٥) لا تقتحمه : لا تتجاوزه أزدرأه له .

غُضْن بين غُضَيْن، بعيد ما بين المنكبين، أبيض اللون، مُشرب حمرة، وفي رواية
 أزهر اللون، ليس بالأبيض الأمهق، ولا بالآدم، له شعر رجل، يبلغ شخمة^(١)
 أذنيه إذا طال، وإذا قصر إلى أنصافهما، لم يبلغ شيبه في رأسه ولحيته عشرين^(٢)
 شعره، كأن عنقه جيد دُمِيَّة، في صفاء الفضة، وظاهر الوضاء مبلج الوجه،
 يتلألاً وجهه ثلاثو القمر ليلة البدر، حسن الخلق معتدله، لم تبعه ثجلة ولم تُزربه^(٣)
 صعلة، وسمياً قسيماً، في عينه دجج، وفي بياضهما عروق رفاق حمراء، وفي أشفاره^(٤)
 غطف، وفي صوته صهل، وروى صحل، وفي عنقه سطح، وفي لحيته كثانة،
 إذا صمت فعليه الوقار، وإن تكلم سما وعلاه البهاء، أجمل الناس وأبهأه من بعيد،^(٥)

(١) الأمهق : الكريه البياض كون الجص .

(٢) رجل بكسر الجيم : بين شدة الجمودة ، وشدة السيولة .

(٣) الجيد : العتيق ، والدمية بضم الدال : الصورة المنحوتة من رخام أو عاج .

(٤) الوضاء : الحسن .

(٥) المبلج : المشرق المضي .

(٦) الثجلة : عظم البطن .

(٧) الصعلة : صفر الرأس ، والدقة والنحول في البدن أيضا .

(٨) الوسيم : الثابت الحسن . والقسيم : جميل الوجه كله ، كأن كل موضع منه أخذ منها

من الجلال .

(٩) الدجج : شدة سواد العين في شدة بياضها .

(١٠) الغطف : بفتحتين هو أن يطول شعر الأجناف ثم ينعطف ، ويرى بالعين المهملة .

(١١) صهل : حدة وصلابة ، والصحل : بحة في الصوت وعدم حدة .

(١٢) السطح : طول العتيق .

(١٣) الكثانة : كثافة الشعر في غير دقة ولا طول .

(١٤) الوقار : الحلم والرزاقة .

(١٥) سما : ارتفع ودلا على جلسائه .

وأحلاه وأحسنه من قريب ، ^(١) حُلُو المَنطَق قُصِل : لا تَزُر ولا هَـذُر ^(٢) كَأَنَّ مَنْطِقَهُ
نَحْرَازَاتٍ تَنْظُمُ يَخْدُرْنَ ، ^(٣) وَأَسْعَ الجَيْنِ ، ^(٤) أَزْجَ الحَوَاجِبِ ^(٥) فِي غَيْرِ قَرْنٍ ، بَيْنَهُمَا عَرَقُ
يُدْرَهُ الغَضَبِ ، ^(٦) أَفْقَى العَرْنِ ، ^(٧) لَهُ نَوْرٌ يعلوه ، يَحْسِبُهُ مَنْ لَمْ يَتَأَمَّلْهُ أَشْمٌ ، ^(٨) سَهْلٌ
الْخَلْدَيْنِ ، ^(٩) ضَلِيعُ الفَمِ ، ^(١٠) أَشْنَبُ ، ^(١١) مَقَالِجُ الأَسْنَانِ ، ^(١٢) دَقِيقُ المَسْرَبَةِ ، ^(١٣) مِنْ لَبَتِهِ إِلَى مُرَّتِهِ
شَعْرٌ يَجْرَى كَالْقَضِيبِ ، ^(١٤) أَيْسٌ فِي بَطْنِهِ وَلَا صَدْرُهُ شَعْرٌ غَيْرُهُ ، ^(١٥) أَشْعَرُ الذَّرَاعَيْنِ ^(١٦) وَالمَتَكَيْنِ ،
بَادِنٌ مِمَّاسِكٌ ، ^(١٧) سَوَاءُ الصَّدْرِ ^(١٨) وَالبَطْنِ ، ^(١٩) سَبِيحُ الصَّدْرِ ، ^(٢٠) ضَخْمُ الكَرَادِيسِ ، ^(٢١) أَنُورُ المُنْتَجِرِدِ

- (١) فصل : بين ظاهر يفصل بين الحق والباطل ، والزور : القليل ، أى ليس بقليل فيدل على عى .
(٢) الهذر : الهذيان ، أى ليس بالقليل الدال على العى ولا بالكثير الفاسد ، وفى هامش ج : لا تزر ولا هذر : أى ليس كلامه بقليل لا يفهم ، ولا بكثير يمل .
(٣) الخرزات جمع خرزة : الجوهر ، ونظامه : جمعه فى سلك . يخدرون : يتأرجحون فى الزول .
(٤) الجين : فوق الصدغ .
(٥) أزج الحواجب : الزجج تقوس فى الحاجب مع طول فى طارفه وانتداد ، وقوله : «عرق يدره الغضب» أى يمتلئ دما إذا غضب كما يمتلئ الضرع لبنا إذا در . النهاية .
(٦) أفقى العرنين : الفقى فى الأنف طوله ورقة أرنبته مع خدب فى وسطه ، والعرنين : الأنف .
(٧) أشم : الشمم ارتفاع قصبة الأنف وأستواء أعلاها وإشراف الأرنبة قليلا .
(٨) سهل الخدين : سائل الخدين غير مرتفع الوجنتين .
(٩) ضليع الفم : أى عظيمه ، وقيل : واسع ، والعرب تمدح بذلك وتذم بعكسه .
(١٠) أشنب : الشنب الياض والبريق والتحديد فى الأسنان .
(١١) مقلج ، وأفلج : والفلقج بالتحريك فرجة بين الثنايا والرباعيات .
(١٢) المسربة : ما دق من شعر الصدر سائلا إلى الجوف .
(١٣) اللبة : الهزرة التى فوق الصدر وتحت العنق .
(١٤) بادن مماسك : البادن الضخم ، والمماسك الذى يمسك بعض أعضائه بعضا فهو معتدل الخلق .
(١٥) سواء الصدر والبطن : هما متساويان لا يفتو أحدهما عن الآخر .
(١٦) سبيح الصدر : عريضه . فى رواية الترمذى : عريض الصدر .
(١٧) الكراديس : رموس العظام ، وقيل : ملقى كل عظمين كالركبتين والرفقتين ، يعنى ضخيم الأعضاء .
(١٨) المنتجرد : ما كشف من جده أى مشرق الجسد .

عريض الصدر، طويل الزندين، رَحْب الراحة، شُنَّ الكَفَيْنِ والقَدَمَيْنِ، سائل
الأطراف، سَبَطَ القَصَبُ، نُحْصَانُ الْأَنْحَصَيْنِ؛ مَسِيحُ القدمين، يَبْذُو عنهما
الماء، إِذَا زَالَ زَالَ قَلْعًا، وفي رواية: إِذَا مَشَى يَقْلَعُ — كناية عن قوة الخطو كالذي
يمشي في طين — وَيَخْطُو تَكْفِيًا ويمشي هَوْنًا، ذَرِيعُ المِشْيَةِ، إِذَا مَشَى كَأَنَّمَا يَخْطُ
من صَبَبٍ، وإذا التفت التفت جميعًا، بين كتفيه خاتم النبوة كأنه زرّ حَجَلَةٍ
أو بيضة حمامة، لونه كالون جسده عليه خِيْلَانٌ، كَأَن عِرْقَهُ اللُّؤْلُؤُ، وَلَرِيحُ عِرْقِهِ
أَطْيَبُ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ الْأَذْفَرِ، يقول ناعته: لَمْ أَرِ قَبْلَهُ وَلَا بَدَّهُ مِثْلَهُ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ الْبَرَاءُ: مَا رَأَيْتُ مِنْ ذِي لِمَةٍ فِي حُلَّةٍ جَمَاءٍ أَحْسَنَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: مَا رَأَيْتُ شَيْئًا أَحْسَنَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَأَن الشَّمْسُ تَجْرِي فِي وَجْهِهِ، وَإِذَا ضَحِكَ يَتَلَأَلُ فِي الْجَذْرِ،

(١) شُنَّ الكفَيْنِ والقَدَمَيْنِ: أى إتهما يميلان إلى اللفظ والقصر.

(٢) سبط القصب: القصب الساعدان والساقان، أى ممددان ليس فيهما تنوء ولا تقعد.

(٣) نُحْصَانُ الْأَنْحَصَيْنِ: أى مرتفع القدمين، وهما أسفل القدمين أى إن ذلك الموضع منهما
شديد التجاف عن الأرض.

(٤) إِذَا زَالَ زَالَ قَلْعًا: أراد قوة مشيه، كأنه يرفع رجله من الأرض رفعًا قويًا، لا كمن يمشى اختيالًا
وبقارب خطأ، فإن ذلك من مشى النساء.

(٥) تَكْفِيًا: تمايل إلى قدام، ويروى بالهدز.

(٦) ذَرِيعُ المِشْيَةِ: مربيه واسع الخطو. (٧) يَخْطُ من صَبَبٍ: من موضع منحدر.

(٨) زَرَّ حَجَلَةٍ: الزر أحد الأزرار التي تشد بها الكلال والستور على ما يكون في حجلة العروس، والحجلة:

بيت كالقبة يستتر بالكل وتكون له أزرار. (٩) خِيْلَانٌ جمع خال: هو الشامة في الجسد.

(١٠) الْأَذْفَرُ: طيب الريح.

(١١) ذِي لِمَةٍ: اللثة من شعر الرأس دون الجملة، فإذا زادت فهي الجملة.

(١٢) الْجَذْرُ جمع جذر: وهو أصول الأسنان، يتلألأ أصول أسنانه، وفي المواهب: إذا تكلم
رؤى كالنور يخرج من بين ثناياه.

وقال جابر بن سُمرة، وقد قال له رجل كَأَن وجهه صلى الله عليه وسلم مثل السيف، فقال : لا، بل مثل الشمس والقمر . وكان مستديرا، وكان عمر بن الخطاب ينشد قول زُهَيْر بن أَبِي سُلمى في هِرَم بن سنان :

لو كُنتَ مِن شَيْءٍ سِوَى بَشَرٍ * كُنتَ الْمُضْيِءَ لِلَّيْلَةِ الْبَسْدِرِ^(١)

ثم يقول عمر وجلساؤه : كذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يكن كذلك غيره . وفيه عليه السلام يقول عمه العباس رضى الله عنه وأرضاه :

وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الْغَنَامُ بِوَجْهِهِ * رَبِيعُ الْيَتَامَى عِصْمَةٌ لِلْأَرْامِلِ^(٢)

تُطِيفُ بِهِ الْهَلَاكُ مِنْ آلِ هَاشِمٍ * فَهَمُّ عِنْدَهُ فِي نِعْمَةٍ وَقَضَائِلِ^(٣)

وَمِيزَانُ حَقٍّ لَا يَخْجِسُ شَعِيرَةً * وَوَزَانُ عَدْلٍ وَزَنُهُ غَيْرُ عَائِلِ^(٤)

(١) في الديوان : كنت المنير ، ويرى : كنت المنورلية .

(٢) في نسخ الأصل : العباس ، والصواب أن قائل القصيدة أبو طالب والقصيدة مشهورة به .

(٣) ربيع اليتامى ؛ المشهور « نمل اليتامى » : الملجأ والغياث ، وقيل : هو المظم في الشدة ، والعصمة : المانع من الضياع والحاجة ، والأرامل : المساكين من رجال ونساء . كذا في النهاية .

(٤) تطيف به : تدور حوله . الهلاك جمع هالك ، وهو الذى يتأب الناس ابتداء . معروفهم .

(٥) هذا البيت ورد في نسخ الأصل على هذا الترتيب وليس كذلك في قصيدة أبي طالب ، وإنما

البيت كما في آين هشام وآين كثير هكذا :

جزى الله عنا عبد شمس ونفلا * عقوبة شر عاجلا غير آجل

ميزان قسط لا يخيس شعيرة * له شاهد من نفسه غير عائل

ويرى : لا يخس ، من أخس أى لا ينقص ، أما يخيس فن قولهم : خاس بالمهد إذا نقضه وأفسده ،

وعائل : جاز .

ذكر صفة خاتم النبوة

الذي كان بين كتفي النبي صلى الله عليه وسلم

روى عن جابر بن سمرة . وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : ورأيت خاتمه عند كتفيه مثل بيضة الحمامة يشبه جسمه ، وعن أبي ريمثة قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أبا ريمثة آذن مني أمسح ظهري » فدنوت منه فمسحت ظهره ، ثم وضعت أصابعي على الخاتم فغرزتها ، فقليل له : وما الخاتم ؟ فقال : شعر مجتمع عند كتفيه . وعنه قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فالتفت فإذا خلف كتفيه مثل الثفاخة ، قلت : يا رسول الله ، إني أداوي فدعني حتى أبطحها وأداويها ، قال : « طيبها الذي خلقها » . وعنه من طريق آخر قلت : يا رسول الله إني طبيب من أهل بيت أطباء ، وكان أبي طبيا في الجاهلية ، معروفا ذلك لنا فأذن لي في التي بين كتفيك ، فإن كانت سلعة بططتها فشفانا الله نبيه ، فقال : « لا طبيب لها إلا الله » وهي مثل بيضة الحمامة .

ذكر صفة شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم وطوله

روى عن أبي إسحق قال : سمعت البراء يصف شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : كان شعره إلى شحمة أذنيه . وعنه قال : سمعت البراء يقول : ما رأيت أحدا من خلق الله أحسن في حلة حمراء من رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

(١) « . » ساقطة في ج .

(٢) النمز : العصر والكبس باليد . وفي كلا الأصلين « غرستها » بالراء . ولعله تصحيف .

(٣) الثفاخة : هبة متفخة تكون في بطن السمكة .

(٤) البطح : شق الدمل والمخارج ونحوهما .

(٥) السلعة : غدة تظهر بين الجلد والحمم إذا غمرت باليد تحركت .

إن جُمته لتضربُ قريبا من منكبَيْه، وفي لفظ، من عاتقَيْه . وعن قتادة قال : قلت لأنس بن مالك كيف كان شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : كان شعرا رجلا ليس بالسَّبَط ولا بالجَمْد من أذنيه وعاتقه . وعن أنس : كان لا يجاوز شعره أذنيه ، وعنه : كان إلى أنصاف أذنيه . وعن علي رضي الله عنه قال : كان شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم فوق الوفرة ^(١) ودون الجمّة . وعن أم هانئ قالت : رأيت في رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم صفائر أربعة . وعن جابر بن سمرة رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم مكة وله أربع غدائر . وعن جابر بن سمرة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير شعر ^(٢) الخمية . وعن جابر بن عبد الله قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسجد على قِصاص شعره ^(٣) .

ذكر عدد شيب رسول الله

صلى الله عليه وسلم ومن قال إنه خَصَب

روى عن حميد الطويل قال : سئل أنس بن مالك هل خَصَب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : ماشاه الله بالشيب ، وما كان فيه من الشيب ما يُخَصَب ، إنما كانت شعرات في مقدم لحيته ، ولم يبلغ الشيب الذي كان به عشرين شعرة . وفي رواية عن أنس أيضا : ما كان في رأسه ولحيته إلا سبع عشرة أو ثمان عشرة . وعن جابر بن سمرة ، وقد سئل عن شيب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : كان إذا دهن رأسه لم يتبين ، وإذا لم يدهنه تبين . وعن محمد بن واسع ؛ قيل :

(١) الوفرة : شعر الرأس إذا وصل إلى شمة الأذن ، والجمّة من شعر الرأس ما سقط على المنكبين .

(٢) هذه رواية مسلم عن جابر بن سمرة ، وفي الأصول : « كثير ، يعني الشعر والخمية » .

(٣) قِصاص شعره : منتهى شعر الرأس حيث يؤخذ بالمقص .

يارسول الله، لقد أسرع إليك الشيب، فقال : « شيتني (١) الرَّ . كَتَابُ أُحِكَّتْ آيَاتُهُ
 ثُمَّ فَصَّلَتْ (٢) وَأَخَوَاتُهَا » . وعن أبي سلمة ؛ قيل : يارسول الله، نرى في رأسك شيبا،
 قال : « مالي لا أشيب وأنا أقرأ هُودًا وإذا الشمس كُوِّرَتْ (٣) » وفي رواية « وما فعل
 بالأُم قبلي » . وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال أبو بكر : أراك قد شبت
 يارسول الله، قال : « شيتني هُودٌ وَالْوَاقِعَةُ الْمُرْسَلَاتُ وَعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ وَإِذَا الشَّمْسُ
 كُوِّرَتْ » ومن رواية « وَأَخَوَاتُهَا أَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ، وَالْمُرْسَلَاتُ وَإِذَا الشَّمْسُ
 كُوِّرَتْ » وفي رواية أخرى عن أنس قال قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه :
 يابى وأبى يارسول الله، وما أخواتها ؟ قال : « الْوَاقِعَةُ وَالْقَارِعَةُ وسأل سائلٌ وَإِذَا
 الشَّمْسُ كُوِّرَتْ » هذا ما رأيناه مما ورد في شبيهه وسببه .

وأما من قال إنه خضب

صلى الله عليه وسلم

فقد روى عن عبد الله بن موهبة (٤) قال : دخلنا على أُمِّ سَمَةَ رضى الله عنها ،
 فأنحرجت إلينا صُرَّةً فيها شعر من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم مخضوباً بالحِثَاءِ
 وَالكَتَمِ . وعن ربيعة بن أبي عبد الرحمن قال : رأيت شعرا من شعره — يعنى
 النبي صلى الله عليه وسلم — فإذا هو أحمر، فسألت عنه فتبيل لى : أحمر من الطَّيِّبِ .
 وعن أبي جعفر قال : شَمِطَ عَارِضًا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فغضبه بِحِثَاءٍ وَكَتَمٍ ،

(١) آية ١ سورة هود . (٢) آية ١ سورة النكور .

(٣) كما في نسخ الأصل ، وكأنه سقط من هنا حديث « شيتني هود وأخواتها » رواه الطبراني

وابن مردويه وابن عساكر، فقال له أبو بكر: وما أخواتها . (٤) تعقبه في التهذيب بأن عبد الله

ابن موهب لا يعرف في الرواية، والحديث عن عثمان أبنة مولى طلحة . (٥) الكتم : دهن من

أدهان العرب أحمر يجعل فيه الزعفران . (٦) الشمط : الشيب .

وعن أبي ريمّة أنه وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ذو وقرة^(١) وبها ردع من حياء^(٢) ، وكان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما يُصَفِّرُ لحيته بالخلوق^(٣) ، ويحلت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يُصَفِّرُ ، وعن عبد الرحمن التَّمَالِي قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُغَيِّرُ لحيته بماء السّدر ، ويأمر بتغيير الشعر مخالفة للأعاجم .

هذا ما أمكن إيراد من صفاته الذاتية ، وسند ذكر إن شاء الله بعد ذكر صفاته المعنوية ، حديث هند بن أبي هالة ؛ لجمعه بين صفاته الذاتية والمعنوية .

ذكر صفات رسول الله المعنوية

صلى الله عليه وسلم

وما ورد في أكله وشرابه ، ونومه وضحكته وعبادته ونكاحه ، وخلقه وحلمه وأحتماله ، وعفوه وصبره على ما يكره ، وجوده وكرمه . وسخائه وسماحته ، وشجاعته ومجده ، وحيائه وإغضائه ، وحسن عشرته وأدبه ، وبسط خلقه ، وشفقته ورأفته ورحمته ، ووفائه وحسن عهده ، وصلته للرحم ، وتواضعه وعدله وأمانته وعفته ، وصدق لمّجته ، ووقاره وصمته وتؤدته ، ومروءته ، وحسن هديه وزهده وخوفه ربه تعالى ، وطاعته له وشدة عبادته صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا .

(١) ردع : لطم لم يمه كفه .

(٢) الخلوق : طيب معروف مركب يتخذ من الزعفران وغيره من أنواع الطيب وتغلب عليه الحرة والصفرة ، وقد ورد تارة بإباحته ، وأخرى بالنهى عنه ، والنهى أكثر وأثبت ؛ لأنه من طيب النساء ، ومن أكثر استعماله . (النهاية لابن الأثير) .

(٣) التؤدة : التأتى والتهميل والزناة .

فأما ما ورد في أكله وشربه ونومه وضحكه وعبادته

- فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخذ من الأكل والشرب بالأقل، وأعتد من ذلك على ما يُمسك الرَّمق وَيُسَدُّ الخَلَّةَ، وقد جاءت الأخبار الصحيحة بذلك، ولم تزل العرب والحكماء تتأدح بقلهما وتذم بكثرتهما؛ لأن كثرة الأكل والشرب دليل على التَّهم والجِرْص والشَّرَه، وقلة ذلك دليل على القناعة وملك النفس وقمع الشهوة . وقد رويناه بإسناد متصل عن المِقْدَام بن مَعْدَى كَرِب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما ملأَ أبْن آدم وعاءَ شرا من بطنه بحسب أبْن آدم أَكَلَات يُقَمِّنُ صُلْبَهُ فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَتَلْت لَطْعَامَهُ وَتَلْت لَشْرَابَهُ وَتَلْت لِنَفْسِهِ » . ولأن كثرة النوم من كثرة الأكل والشرب . وقد روى عنه عليه السلام أنه كان أحب الطعام إليه ما كان على ضَفَف ؛ أى كثرة الأيدي ^(١) . وعن عائشة رضى الله عنها قالت : لم يمتلئ جوف النبي صلى الله عليه وسلم شيئا قط ، وإنه كان في أهله ولا يسألم طعاما ولا يشتهي ، إن أطعموه أَكَل ، وما أطعموه قَبِل ، وما سَقَوْه شَرِب . قال أهل العلم : ولا يُعْتَرَض على هذا بحديث بَرِيْرَة ، وقوله صلى الله عليه وسلم : « أَلَمْ أَرَّ الْبُرْمَةَ فِيهَا لَحْمٌ ؟ إِنْ لَعَلَّ سَبَبَ سُؤَالِهِ ظَنُّهُ أَعْتَقَادَهُمْ أَنَّهُ لَا يَحْسِلُ لَهُ ، فَإِرَادَ بَيَانِ مَنَظَرِهِ ، إِذْ رَأَوْهُ لَمْ يَقْدَمُوا إِلَيْهِ مَعَ عِلْمِهِ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَأْذِنُونَ بِهِ عَلَيْهِ ، فَصَدَّقَ عَلَيْهِمْ ظَنُّهُ ، وَبَيَّنَ لَهُمْ مَا جَهِلُوهُ مِنْ أَمْرِهِ ، بِقَوْلِهِ : « هُوَ لَهَا صَدَقَةٌ وَلَنَا هَدِيَّةٌ » . وَكَانَ جُلُوسُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْأَكْلِ كُلِّ جُلُوسِ الْمُسْتَوْفِزِ ^(٢) ، مُقْبِعًا ، وَيَقُولُ ، « إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ أَكُلُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ وَاجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدُ » . وَفِي حَدِيثٍ صَحِيحٍ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَمَا أَنَا فَلَا أَكُلُ مَتَكًّا » وَأَيْسَ مَعْنَى الْأَتَكِّاءِ

(١) أى تناول مع الناس . (٢) المستوفز : الذى فقد متصباً غير مطمئن ، مقبعا :

أراد أنه كان يجلس على وركيه مستوفزا غير متكن .

عند المحققين الميل على شق، وإنما الاتكاء هو التمكن للأكل، والتعمد في الجلوس له، كالمترع وشبهه من تمكن الجلسات التي يعتمد فيها الجالس على ما تحته، والجالس على هذه الهيئة يستدعى الأكل ويستكثر منه، وكان صلى الله عليه وسلم بخلاف ذلك. وكان صلى الله عليه وسلم إذا رفع الطعام من بين يديه قال: «الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وآوانا وجعلنا مسلمين». وفي رواية يقول: «الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه غير مودع ولا مستغنى عنه ربنا». وكان لا يأكل على خوان، ولا يمتنع من مباح، ولا يتأنق في ما كل، يأكل ما وجد، إن وجد تمرا أكله، أو خبزا أكله أو شيئا أكله، وإن وجد لبنا أكفى به، ولم يأكل خبزا مرققا، وأكل صلى الله عليه وسلم الخبز بالخل وقال: «نعم الإدام الخل» وأكل لحم الدجاج ولحم الحبارى. وكان يحب الدباء^(٥) ويأكله، ويعجبه الذراع من الشاة، وقال: «إن أطيب اللحم لحم الظهر» وقال: «كلوا الزيت وأدهنوا به فإنه من شجرة مباركة» وكان يأكل بأصابعه الثلاث ويلعقهن، وأكل صلى الله عليه وسلم خبز الشعير بالتمر، وقال: «هذا أدم هذا» وأكل البطيخ بالرطب والقشء بالرطب والتمر بالزبد، وكان يحب الحلواء والعسل، وكان يشرب قاعدا، وربما شرب قائما، ويتنفس ثلاثا وإذا قضات منه فضلة وأراد أن يسقيها بدأ بمن عن يمينه، وشرب صلى الله عليه وسلم لبنا، وقال: «من أطعمه الله طعاما فليقل اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيرا منه، ومن سقاه الله لبنا فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه» وقال: «ليس شيء يجزى مكان الطعام والشراب غير اللبن».

(١) غير مودع: أي غير متروك الطاعة، وقيل: من الوداع. و«ربنا» بالنصب على النداء مع حذف الأداة، وفي توجيهات أخرى (راجع المواهب ٤: ٤٢١). (٢) الخوان للطعام كالعادة له. (٣) الخبز المرقق: الأرغفة الواحدة الرقيقة. (٤) الحبارى: طائر يشبه الأوزة له غيرة في لونه. (٥) الدباء: قرع معروف كان صلى الله عليه وسلم يحب أكله، وقيل: هو القرع بأنواعه.

وأما نومه صلى الله عليه وسلم

- فكان قليلا، جاءت بذلك الآثار الصحيحة، وقال صلى الله عليه وسلم : « إن عيني تمانان ولا ينام قلبي » وكان نومه على جانبه الأيمن استظهارا على قلة النوم لأن النوم على الجانب الأيسر أهدأ؛ لهدوء القلب وما يتعلق به من الأعضاء الباطنة؛ ليلها إلى الجانب الأيسر، فيستدعى ذلك الاستئصال فيه والطول، وإذا نام النائم على الجانب الأيمن تعلق القلب وقلبي، فأمرع الإفاقة ولم يغمره الاستغراق. وكان صلى الله عليه وسلم ينام أول الليل ثم يقوم من السَّحَر، ثم يوتر ثم يأتي فراشه، فإذا سمع الأذان وثب، وكان إذا نام نفخ، ولا يَفْطُ غَطِيطًا، وإذا رأى في منامه ما يروعه قال : « هو الله لا شريك له » وإذا أخذ مضجعه وضع كفه اليمنى تحت خده، وقال : « رَبِّ قِنِي عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ » وكان يقول : « اللهم بَأْسَمِكَ أَمُوتَ وَأَحْيَا » وإذا استيقظ قال : « الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماننا وإليه النُّشُور » .

وأما ضحكك صلى الله عليه وسلم

٨٨
١٦

- فكان جُلَّةَ التَّبَسُّمِ، وربما ضحك من شئ، معجب حتى تبدو نواجذه من غير قهقهة صلى الله عليه وسلم، وأما عبارته صلى الله عليه وسلم فكان أفصح الناس، يحاطب كل أمة بلسانها، ويحاورها بلغتها، يباريها في مترع بلاغتها، وقد تقدم من كلامه في كتبه إلى ملوك اليمن وغيرها ما يدل على ذلك، وإن كان ذلك لا يحتاج فيه إلى إقامة دليل بعد أن أنزل القرآن بلغته. وكان صلى الله عليه وسلم إذا تكلم بين كلامه حتى يحفظه من جلس إليه، ويبعد الكلمة ثلاثا لتعقل عنه،

ويخزن لسانه لا يتكلم في غير حاجة ، ويتكلم بجوامع الكلم ، فَضْلٌ لَا فُضُولَ
ولا تقصير ، وكان يَمْتَلِئُ بشيء من الشعر ويمتل بقوله :

* ويأتنيك بالأخبار من لم تزود *

وبغير ذلك ، صلى الله عليه وسلم .

وأما النكاح وما يتعلق به

فهو مما يكثر التمدح بكثرة ذلك ؛ لأنه دليل الكمال وصحة الذكورية ، ولم
يزل التفاحر بكثرة عادة معروفة ، والتماذج به سيرة ماضية وسنة مأثورة ، قال ابن
عباس رضى الله عنهما : أفضل هذه الأمة أكثرها نساء . مشيراً إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، وقال صلى الله عليه وسلم : « تَنَاحُوا فِائِي مِياه بكم الأمم »^(١)
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن أقدره الله تعالى على ذلك وحبيه له ، فكان
صلى الله عليه وسلم يدور على نسائه في الساعة من الليل والنهار ، وهن إحدى عشرة^(٢) ،
رواه أنس ، قال : وكنا نتحدث أنه أعطى قوة ثلاثين ، خرجه النسائي . وعن
طاوس : أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم قوة أربعين رجلاً في الجماع ، ومثله
عن صفوان بن سليم . وقالت سلمى مولاته : طاف النبي صلى الله عليه وسلم
ليلة على نسائه التسع ، ويطهر من كل واحدة قبل أن يأتى الأخرى . وقال :
« هذا أطهر وأطيب » .

(١) البيت لطرفة من مملته ، وأوله :

* سبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً *

(٢) المشهور « تَنَاحُوا تَنَاحُوا فِائِي مِياه بكم الأمم » ولا يعرف حديث بهذا اللفظ الوارد في الأصول

راجع المواهب ج ٥ ص ٧٧ .

(٣) في شرح المواهب : في الليلة الواحدة ثم فسرها بالساعة الواحدة ، ورواية أنس : في الساعة

الواحدة . المواهب ج ٥ ص ٧٣ . (٤) إحدى عشرة : تسع زوجات ومارية وريحانة .

وأما خلقه صلى الله عليه وسلم

فقد قال الله عز وجل فيه مخاطبا له صلى الله عليه وسلم : « وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ » (١) قالت عائشة رضى الله عنها : كان خلقه القرآن يرضى برضاه ويسخط بسخطه ، وقال صلى الله عليه وسلم : « بَعِثْتُ لَأَتُمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ » قل على وأنس رضى الله عنهما : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا . وكان صلى الله عليه وسلم — فيما ذكره المحققون — مجبولا على ذلك فى أصل خلقته وأول فطرته ، لم يحصل ذلك له بآكنساب ولا رياضة ، إلا بجود إلهى وخصوصية ربانية ، ومن طالع سيرته منذ صباه وإلى آخر عمره ، حقق ذلك وكذلك سائر الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه .

وأما حلمه وأحتماله وعفوه

مع القدرة ، والصبر على ما يكره ، فقد جعلوا بين هذه الألقاب فرقا ، فقالوا : الحلم حالة توقيف وثبات عند الأسباب المحركات ، والأحتمال حبس النفس عند الآلام والمؤذيات ، ومثله الصبر ، ومعانيها متقاربة ، وأما العفو فهو ترك المؤاخذة ، وهذا كله مما أدب الله تعالى به نبيه صلى الله عليه وسلم فقال : « خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ » (٢) روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت عليه هذه الآية سأل جبريل عن تأويلها فقال له : حتى أسأل العالم ، ثم ذهب فأتاه فقال : « يا محمد إن الله يأمرك أن تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك » . وقال تعالى مخاطبا له صلى الله عليه وسلم : « وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ

(١) آية ٥ سورة القلم .

(٢) آية ١٩٩ سورة الأعراف .

من عَزَمَ الْأُمُورَ^(١) وقال : « فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزَمِ مِنَ الرُّسُلِ^(٢) » . وقد روى في حلمه وأحتماله وعفوه وصبره أحاديث كثيرة وقصص مشهورة ، قد تقدم منها في أخباره ، في أثناء هذه السيرة جملة كافية ، ونحن نشير الآن في هذا الموضع إليها ، وننبّه في هذه الترجمة عليها ، منها قصة أُحُد حين ناله من أذى كفار قريش ما ناله مما قدمنا ذكره ، فشق ذلك على أصحابه ، وقالوا : يا رسول الله ، لو دعوت عليهم ، فقال : « إني لم أبحث لعمري ولكني بعثت داعياً ورحمةً اللهم أهدي قومي فإنهم لا يعلمون » روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، أنه قال في بعض كلامه : يا بى أنت وأمى يا رسول الله ، لقد دعا نوح على قومه فقال : « رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا^(٣) » ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا من عند آخرنا ، فلقد وُطئَ ظهرك وأدمى وجهك وكسرت رباعتك ، فأيدت أن تقول إلا خيراً ، فقلت : « اللهم أغفر لقومي فإنهم لا يعلمون » . ومنها قصتنا غورث بن الحارث ، ودُعُور بن الحارث حين أراد أن يفتكنا به ، وأظفره الله بهما ، وأمكنه منهما فعفا عنهما ، كما تقدم ذكر ذلك في غزوتي غطفان وذات الرقاع ، ومنها عفوه عن الذين هبطوا عليه في غمرة الحديبية ، وأرادوا قتله فأخذوا فاعتقهم صلى الله عليه وسلم ، ومنها صفحه عن قريش حين أمكنه الله منهم يوم الفتح ، وهم لا يشكون في استئصال شأفتهم وإبادة خضرائهم ، لما تقدم من أذاهم له ، فإزاد على أن عفا وصفح ، وقال : « ما تقولون إني فاعل بكم » قالوا : خيراً ، أخ كريم وأبن أخ كريم ، فقال : « أقول كما قال أخى

(١) آية ١٧ سورة لقمان . (٢) آية ٣٥ سورة الأحقاف .

(٣) آية ٢٦ سورة نوح . (٤) هو الذى سل سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم

ليفتك به فرماه الله بزلقة بين كفتيه ونذر سيفه ، والزلقة وجع في الظهر لا يحرك الإنسان من شدته . ودُعُور بن الحارث سيد غطفان معدود في الصحابة وقصة إسلامه في أسد الغابة ، وفيه الاختلاف في نسبة هذه الحادثة إلى كل من دعُور وغورث .

٥

١٠

١٥

٢٠

يوسف «لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ»^(١) . ومما لم نذكره فيما أتينا عليه من سيرته صلى الله عليه وسلم ، ما ورد في الحديث الصحيح من قول الرجل له : أعدل فإن هذه قسمة ما أريد بها وجه الله . فلم يزد صلى الله عليه وسلم في جوابه إلا أن بين له ما جهله ، ووعظ نفسه وذكرها بما قال له ، فقال : « ويحك فمن يعدل إن لم أعدل خبتُ وخسرتُ إن لم أعدل » ونهى من أراد قتله من أصحابه . ومنه ما روى عن أنس رضى الله عنه قال : كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم وعليه برد غليظ الحاشية ، فحبذته أعرابي بردائه جبذة شديدة حتى أثرت حاشية البرد في صفحة عاتقه . ثم قال : يا محمد ، أحمل لي على بعيري هذين من مال الله الذى عندك ، فإنك لا تحمل لي من مالك ولا من مال أبيك ، فسكت النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال : « المال مال الله وأنا عبده »^(٢) ثم قال : « ويقاد منك يا أعرابي ما فعلت بي » ؟ قال : لا ، قال « لم » ؟ قال : لأنك لا تكافئ بالسبئية السيئة ، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم أمر أن يحمل له على بعير شعير وعلى الآخر تمر .

ومنه خبر زيد بن سعدة حين أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل إسلامه ، وكان من أحبار يهود ، بخاءه يتقاضاه ديناً عليه ، فحبذ ثوبه عن منكبه ، وأخذ يجامع ثيابه وأغاظ له ، ثم قال : إنكم يا بني عبد المطلب^(٣) مطل فاتهره عمر بن الخطاب رضى الله عنه وشدد له في القول ، والنبي صلى الله عليه وسلم يتبسم ، فقال رسول الله

(١) آية ٩٢ سورة يوسف . (٢) يقاد منك : يقتص منك .

(٣) سعدة : بالنون ويقال : سعية بالياء ، والنون أكثر ، كذا في أسد الغابة .

(٤) مطل بضم الميم والمطاء : جمع ماطل ، كذا في شرح المواهب ، وهو خلاف القياس ؛ أى

تسوفون بالوعد مرة بعد أخرى .

صلى الله عليه وسلم : « أنا وهو كما إلى غير هذا منك أحوج يا عمر ، تأمرني بحسن القضاء وتأمره بحسن التقاضى » ثم قال : « لقد بقى من أجله ثلاث » وأمر عمر يقضيه ماله ويزيده عشرين صاعا لما رَوَّه ، فكان سبب إسلامه ؛ وذلك أنه كان يقول : ما بقى من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفتها في عهد إلا أنتين ؟ لم أخبرهما ؛ يسبق حلمه جهله ، ولا يزيده شدة الجهل إلا حلمًا ؛ فأخبرته بهذا فوجدته كما وُصف . والحديث عن حلمه وصبره وغفوه كثير ؛ روى عن عائشة رضى الله عنها قالت : ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مُتصرا من مظلمة ظلمها قط ما لم تكن حُرمة من محارم الله ، وما ضرب بيده شيئا قط إلا أن يجاهد في سبيل الله ، وما ضرب خادما ولا امرأة . وجرى إليه برجل فقيل : هذا أراد أن يقتلك ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لن تُرَاعَ لن تُرَاعَ ولو أردت ذلك لم تُسلَّط على » صلى الله عليه وسلم .

٩٠

١٦

١٠

وأما جرده وكرمه وسخاؤه وسماحته صلى الله عليه وسلم

ومعانيها متقاربة ، وقد فرق بعضهم بينها بفروق فجعلوا الكرم : الإِنْفَاق بطيب النفس فيما يعظم خطره ونفعه — وسموه أيضا خُرَّةً (٣) — وهو ضد النَّذَالَةِ . والسَّخَاءُ : التَّجَانُّى عما يستحقه المرء عند غيره بطيب نفس ، وهو ضد الشَّكَاة . سهولة الإِنْفَاق وتجنب اكتساب ما لا يُحمَد ، وهو الجُود ، وهو ضد التَّقْتِيرِ ؛ فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك بالحمل الأرفع ، بهذا جاءت الأحاديث الصحيحة ، منها ما روينا في صحيح البخارى عن ابن المنكدر

١٥

(١) الجهل هنا المراد به الغضب . (٢) لن ترَاع : أى لا فزع ولا خوف .

(٣) الحرية من معانيها : من لم تملكه الصفات الذميمة ، من الحرص والشره على المقتنيات الدنيوية

٢٠

(مفردات الراغب ١١٠) وقى كلا الأصلين « جرية » بالجمع ولعلها محرفة عما أئتمناه .

- قال : سمعت جابر بن عبد الله يقول : ما سئل النبي صلى الله عليه وسلم شيئا فقال لا .
وعن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما : كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس
بالخير ، وأجود ما كان في شهر رمضان ، وكان إذا لقيه جبريل عليهما السلام
أجود بالخير من الرّيح المُرّسلة . وعن أنس أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه
وسلم فأعطاه غنما بين جبَلَيْن ، فرجع إلى بلده وقال : أسلموا فإن محمدا يُعطى عطاءً
من لا يخشى فاقة . وقد ذكرنا ما أعطاه صلى الله عليه وسلم من غنائم هوازن .
وأخبره صلى الله عليه وسلم في ذلك كثيرة ، وعطاياه فاشية ، لو أسست صيبتها لطل
بها التاليف ، وكان لا يبيت في بيته دينار ولا درهم . فإن فضل ولم يجد من يعطيه
وَحِفْته الليل لم يأو إلى منزله حتى يتبرأ منه إلى من يحتاج إليه ، لا يأخذ مما آناه
الله إلا قوت أهله عاما فقط ، من أيسر ما يجد من التمر والشعير ، ويضع سائر ذلك
في سبيل الله ، ثم يؤثر من قوت أهله حتى يحتاج قبل انقضاء العام ؛ صلى الله عليه
وسلم تسليما كثيرا دائما إلى يوم الدين .

وأما شجاعته وتجدته صلى الله عليه وسلم

- فقد قالوا : الشجاعة فضيلة قوة الغضب ، وأنقيادها للعقل ، والنجدة :
ثقة النفس عند أسترالها إلى الموت حيث يُعجَد فعلها دون خوف ؛ فكان النبي
صلى الله عليه وسلم منهما بالمكان الذي لا يُجْهَل ، قد شهد المواقف الصعبة ،
وقرر الكفاة والأبطال عنه ، وهو ثابت لا يبرح ، ومُقبل لا يُدبر ، وقد قدمنا من
أخباره وثباته وحملاته في يومى أُحُد وحُنين ما تقف عاينه هناك . وقد روينا
بإسناد مُتصل عن البراء ، وقد سأله رجل : أفررت يوم حُنين عن رسول الله

(١) بفتح وبغاء (بالكسر والفتح) : هجم عليه من غير أن يشعر به . (٢) يؤثر : يعطى .

صلى الله عليه وسلم ؟ قال : لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يَقِرَّ ، ثم قال :
لقد رأيته على بقلته البيضاء وأبو سُفْيَانٍ أَخَذَ بِلِجَامِهَا ، والنبي صلى الله عليه وسلم
يقول : « أنا النبي لا كَذِبُ » وزاد غيره « أنا ابن عبد المطاب » قيل : فأريءَ
يومئذ أحدٌ كان أشد منه . وقال غيره : نزل النبي صلى الله عليه وسلم عن بقلته .
وذكر مسلم عن العباس قال : فلما ألتقى المسلمون والكفار ولَّى المسلمون
مُذَبِّرِينَ فَطَفِقَ رسول الله صلى الله عليه وسلم يَرْكُضُ بقلته نحو الكفار وأنا أَخَذُ
بِلِجَامِهَا أَكْثَمَهَا إِرَادَةً إِلَّا تُسْرِعَ وَأَبُو سُفْيَانٍ أَخَذَ بِرِكَابِهِ ، ثم نادى يا المسلمين .
الحديث . وقال ابن عمر : ما رأيت أشجع ولا أنجِدَ ولا أجودَ ولا أَرْضَى من رسول الله
صلى الله عليه وسلم . وقال علي بن أبي طالب رضى الله عنه : إنا كنا إذا حَمَى الْبَاسُ
— و يروى أَشَدَّ الْبَاسُ — وأحمرت الحَدَقُ ، آتَقَيْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه
وسلم فما يكون أحدٌ أَقْرَبَ إِلَى الْعَدُوِّ منه ، ولقد رأيتُني يومَ بَدْرٍ ، ونحن نَلُوذُ
بِالنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، وهو أَقْرَبُنَا إِلَى الْعَدُوِّ ، وكان من أشد الناس يومئذ بأساً .
وقيل : كان الشجاع الذى يقرب منه صلى الله عليه وسلم إذا دَنَا الْعَدُوُّ لِقَرْبِهِ منه .
وعن أنس قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم أَحْسَنَ النَّاسِ وَأَجْوَدَ النَّاسِ
وَأَشْجَعَ النَّاسِ ؛ لَقَدْ فَرَزَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ لَيْلَةً فَأَنْطَلَقَ نَاسٌ قِبَلَ الصَّوْتِ ، فَنَلَقَاهُمْ
رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم رَاجِعًا قَدْ سَبَقَهُمْ إِلَى الصَّوْتِ وَأَسْتَبْرَأَ الْخَبَرَ ، عَلَى
فَرَسٍ لَأَبَى طَلْحَةَ عُمَرَى ، وَالسَّيْفُ فِي عُنُقِهِ ، وَهُوَ يَقُولُ : « لَنْ تَرَاعَوْا » . وقال عِزْرَانُ
ابن حُصَيْنٍ : مَا لَاقَى رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَتِيبَةً إِلَّا كَانَ أَوَّلَ مَنْ يَضْرِبُ .

(١) المشهور : أنه صلى الله عليه وسلم قال لعنه العباس : « ناديا معشر الأنصار ، يا أصحاب
الشجرة » يعنى شجرة الرضوان التى بايعوا تحتها ألا يفروا عنه . كما فى مسلم والبخارى . راجع غزوة حنين
فى شرح المواهب ٣ : ١٤ (٢) استبرأ الخبر : كشفه والوقوف على حقيقةه ، وفى شرح
المواهب : استبرأ فعل ماض . (٣) عمرى : (بضم المهملة وسكون الراء) : ليس عليه مرج
ولا أداة . (٤) لن ترعوا : أى ليس هناك شئ تخافونه .

وأما حيائه وإغضاؤه صلى الله عليه وسلم

والحياء : رِقَّة تَعْتَرِي وجه الإنسان عند فعل ما يُتَوَقَّع كراهته أو ما يكون تركه

خيرا من فعله . والإغضاء : التغافل عما يكره الإنسان بطبيعته ، وكان النبي صلى الله

عليه وسلم أشد الناس حياءً ، وأكثرهم عن العورات إغضاءً ، وقد أخبر الله تعالى

بحيائه فقال : «إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَجِئُ مِنْكُمْ» ^(١) وعن أبي سعيد الخدري :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء في خديها ، وكان إذا كره

شيئا عرفناه في وجهه . وكان صلى الله عليه وسلم لا يُسَافِهُ أحدا بما يكرهه حياءً وكرم

نفس . وعن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا

بلغه عن أحد ما يكرهه لم يقل ما بال فلان يقول كذا ، ولكن يقول : «ما بال أفوام

يصنعون — أو يقولون — كذا» ينهى عنه ولا يسمي فاعله . وروى أنس رضى الله

عنه أنه دخل عليه رجل به أثرُ صُفْرة ، فلم يقل له شيئا — وكان لا يُؤَاجِهُ أحدا

بما يكره — فلما خرج قال : « لو قاتم له يغسل هذا » وروى « يترعها » .

وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان من حيائه لا يثبت بصره في وجه أحد ،

وأنه كان يكتنى عما أضطره الكلام إليه مما يكره ، صلى الله عليه وسلم .

وأما حُسن عشرته وأدبه وبَسْط خُلُقِهِ صلى الله عليه وسلم

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أكرم الناس عشرةً ، وأكثرهم أدبا ،

وأبسطهم خُلُقًا مع أصناف الخلق ، أنتشرت بذلك الأخبار الصحيحة ،

منها ما روينا به بسند متصل عن قيس بن سعد قال : زارنا رسول الله صلى

الله عليه وسلم وذكر قصة في آخرها ، فلما أراد الانصراف قرب له سعد حمرا

ووطأ عليه بَقِيطَةً، فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال سعد : يا قيس،
 أصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال قيس : فقال لى رسول الله صلى الله
 عليه وسلم « أركب » فأبىَّت، فقال : « إما أن تركب وإما أن تنصرف » فأنصرفت،
 وفي رواية أخرى : « أركب أمامى فصاحب الدابة أولى بمقدمها » . وكان صلى الله
 عليه وسلم لا يدع أحدا يمشى معه وهو راكب حتى يحمله ، فإن أبى قال :
 « تقدمنى إلى المكان الذى تريد » وركب صلى الله عليه وسلم حمارا عُرِيًّا إلى قُبَاء،
 وأبو هريرة معه ، فقال : « يا أبا هريرة أحملك » ؟ فقال : ماشئت يا رسول الله،
 فقال : « أركب » وكان فى أبى هريرة ثَقْلٌ، فوثب ليركب فلم يقدر، فاستمسك
 برسول الله صلى الله عليه وسلم فوقعا جميعا ، ثم ركب صلى الله عليه وسلم فقال :
 « يا أبا هريرة أحملك » ؟ فقال : ماشئت يا رسول الله ، فقال : « أركب » فلم
 يقدر على ذلك ، فتعلق برسول الله صلى الله عليه وسلم فوقعا جميعا ، ثم قال :
 « يا أبا هريرة أحملك » ؟ فقال : لا ، والذى بعثك بالحق لا صرعتك ثالثا . وكان
 لا يدع أحدا يمشى خلفه ويقول : « خلوا ظهري لللائكة » . وكان رسول الله
 صلى الله عليه وسلم يؤلف أصحابه ولا ينفرهم ، ويكرم كريم كل قوم ويؤليه عليهم،
 ويحذر الناس ويحترس منهم ، من غير أن يطوى عن أحد منهم بشره ولا خلقه،
 يتفقد أصحابه ، ويعطى كل جاسانه نصيبه، لا يحسب جلسه أن أحدا أكرم عليه
 منه، من جالسه أو قاربه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه، ومن سأل
 حاجة لم يرده إلا بها، أو بميسور من القول، قد ويسع الناس بسطه وخلقهم فصار
 لهم أبا وصاروا عنده فى الحق سواء، هكذا وصفه ابن أبى هالة، قال : وكان دائم
 البشر سهل الخلق لين الجانب ، ليس بفظ ولا غليظ ، ولا سخاب^(١) ولا فحاش ،

(١) سخاب : السخب والسخب الصباح، أى ليس بذى صياح ولا بذى فحش .

يُرْسِن

ولا عِيَاب ولا مَدَاح ، يتغافل عما لا يُشْتَهَى ولا يُؤْكَلُ منه . وكان صلى الله عليه وسلم يجيب من دعاه ، ويقبل الهدية ، ولو كانت كُرَاعاً ، وَيُكَافِي عليها ، قال أنس : خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لى أَفَّ قَطُّ ، وما قال لشيء صنعته لم صَنَعْتَهُ ، ولا لشيء تركته لم تَرَكْتَهُ ، ومن رواية أخرى عنه قال : خدمته نحواً من عشر سنين فوالله ما صحبتته في سفر ولا حضر لأخدمه إلا وكانت خدمته لى أكثر من خدمتى له ، وما قال لى أَفَّ قَطُّ ، ولا قال لشيء فعلته لم فعلت كذا ، ولا لشيء لم أفعله إلا فعلت كذا ؟ . وكان صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره فأمر بإصلاح شاة فقال رجل : يا رسول الله ، على دَبْحُهَا ، وقال آخر : على سَلْحُهَا ، وقال آخر : على طَبْحُهَا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وعلى جَمْعِ الحَطَب » قالوا : يا رسول الله ، نحن نكفيك ، فقال : « علمت أنكم تكفونى ولكنى أكره أن أتميز عليكم فإن الله يكره من عبده أن يراه مُمَيِّزاً بين أصحابه » وقام بجمع الحَطَب . وعن عائشة رضى الله عنها قالت : ما كان أحد أحسن خُلُقاً من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دعاه أحد من أصحابه ولا أهل بيته إلا قال : « لبيك » وكان يُمَارِح أصحابه وَيُخَالِطُهُمْ وَيُجَادِثُهُمْ وَيُدَاعِبُ صِبْيَانَهُمْ وَيُجْلِسُهُمْ فِي حِجْرِهِ ، ويجيب دعوة الحرِّ والعبد والأمة والمُسْكِين ، ويعود المرضى في أقصى المدينة ، ويقبل عذر المعتذر ، قال أنس : ما التقم أحد أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فينتحى رأسه حتى يكون الرجل هو الذى ينتحى رأسه ، وما أخذ أحد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخذ ، ولم ير مقدماً ركبتيه بين يدي جليس له ، وكان يبدأ من لقيه بالسلام ، ويبدأ أصحابه بالمصافحة ، لم يرقط ماداً رجله بين أصحابه حتى يَضِيقَ بهما على

(١) كراع كغراب : مستدق الساق العارى من اللحم .

(٢) معنى التقم هنا : جعل فيه مجاذى أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أحد ، يكرم من يدخل عليه ، وربما بسط له ثوبه ، ويؤثره بالوسادة التي تحته ، ويعزم عليه في الجلوس عليها إن أبى ، ويكنى أصحابه ، ويدعوهم بأحب أسمائهم تكريماً لهم ، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يتجاوز فيقطعه بنهى أو قيام ، ويروى : بانهاء أو قيام ، ويروى : أنه كان لا يجلس إليه أحد وهو يصلى إلا خفف صلاته وسأله عن حاجته ، فإذا فرغ عاد ، إلى صلاته ، وكان أكثر الناس تبساً ، وأطيبهم نفساً ، ما لم يتزل عليه قرآن أو يعظ أو يخطب .

وأما شفقتة ورأفته ورحمته صلى الله عليه وسلم لجميع الخلق

فقد أخبر الله تعالى بذلك ووصفه بهذه الأوصاف ؛ فقال تعالى : « لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ » وقال تعالى : « وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ » فكان من شفقتة على أمته صلى الله عليه وسلم تخفيفه وتسهيله عليهم ، وكراهته أشياء مخافة أن تفرض عليهم ؛ كقوله صلى الله عليه وسلم : « لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسَّوَاك مع كل وضوء » وخبر صلاة الليل ، ونهيهم عن الوصال ، وكراهيته دخول الكعبة لثلاث يعنت أمتة ، ورجته لربه أن يجعل سببه ولعنه لهم رحمة ، وأنه كان يسمع بكاء الصبي فيتجاوز في صلاته . ومن شفقتة صلى الله عليه وسلم أن دعا ربه وعاهده فقال : « أَيُّمَا رَجُلٍ سَبَّيْتُهُ أَوْ لَعَنْتُهُ فَأَجْعَلْ ذَلِكَ لَهُ زَكَاةً وَرَحْمَةً وَصَلَاةً وَطَهُورًا وَقُرْبَةً تَقْرِبُهُ بَهَا إِلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . ومن ذلك أنه لما كذبه قومه أناه جبريل عليه السلام فقال له :

(٢) آية ١٠٧ سورة الأنبياء .

(١) آية ١٢٨ سورة التوبة .

(٤) يعنت : يشق عليهم ،

(٣) الوصال في الصوم : ألا يفطر يومين أو أياما .

(٥) يجوز : يخفف ويقلل .

أى بالازدحام . في هامش ج « في نسخة يشعب أمته » .

(٦) صلاة : دعا .

إن الله تعالى قد سمع قول قومك لك وما ردّوا عليك ، وقد أمر ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم ، فناداه ملك الجبال وسلم عليه ، فقال : مرني بما شئت ، إن شئت أن أطبق عليهم ^(١) الأخشبين ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا » . وروى ابن المنكدر : أن جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم : إن الله أمر السماء والأرض والجبال أن تطيعك ، فقال : « أُؤثّر عن أمتي لعل الله أن يتوب عليهم » . ومن ذلك ما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال : « لا يُبْلَغني أحدٌ منكم عن أحد من أصحابي شيئا ، فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر » . وقال ابن مسعود : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يَخْوَلنا بالموعظة مخافة السّامة علينا ، صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا .

وأما وفاءه وحسن عهده وصلته للرحم

صلى الله عليه وسلم

فكان صلى الله عليه وسلم قد بلغ من ذلك الغاية التي لا يُدرك شأوها ، ولا يُبلّغ مدّاها ، ولا يطعم طامع سواه بالأتصاف بها ، جاءت بذلك الأحاديث الصحيحة والأخبار الصريحة ، من ذلك ما روينا بإسناد متصل عن عبد الله بن أبي الحرساء قال : بايعت النبي صلى الله عليه وسلم ببيع قبل أن يبعث ، وبقيت له بقية فوعده أن آتيه بها في مكانه فنسيت ، ثم ذكرت بعد ثلاث ، فبحث فإذا هو في مكانه ، فقال : « يا فتى لقد شققت عليّ أنا ها هنا منذ ثلاث أنتظرك » . وعن أنس رضي الله عنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتى بهدية قال : « آذهبوا بها إلى بيت فلانة فإنها كانت صديقة لخديجة ، إنها كانت تحب خديجة » . وعن عائشة

(١) الأخشبان : جبلان مطبقان بمكة وهما أبو قيس والأحر .

(٢) يخْوَلنا : يتهمدنا ، من قولهم : فلان خائل مال ، وهو الذي يصلحه وبقوم عليه .

أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : مَا غَرَّتْ عَلَى أَمْرَأَةٍ مَا غَرَّتْ عَلَى خَدِيجَةَ ؛
 لَمَّا كُنْتُ أَسْمَعُهُ يَذْكُرُهَا ، وَإِنْ كَانَ لِيَذْبَحُ الشَّاةَ فَيَهْدِيهَا إِلَى خِلَافَتِهَا ، وَأَسْتَأْذِنُ
 عَلَيْهِ أَخْتَهَا فَأَرْتِاحَ إِلَيْهَا ، وَدَخَلَتْ عَلَيْهِ أَمْرَأَةٌ فَهَشَّ لَهَا ، وَأَحْسَنَ السُّؤَالَ عَنْهَا ، فَلَمَّا
 خَرَجَتْ قَالَ : « إِنَّمَا كَانَتْ تَأْتِينَا أَيَّامَ خَدِيجَةَ ، وَإِنْ حُسِّنَ الْعَهْدُ مِنَ الْإِيمَانِ » .
 وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنْ آلَ أَبِي فَلَانٍ لَيْسُوا إِلَى بَأُولِيَاءٍ غَيْرِ أَنْ لَمْ
 رَحِمًا سَأَلْتُهَا بِبِلَالِهَا » . وَعَنْ أَبِي قَتَادَةَ قَالَ : وَقَدْ وَفَّدَ لِلنَّجَاشِيِّ ، فَقَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْدُمُهُمْ ، فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ : نَكْفِيكَ ، فَقَالَ : « إِنَّهُمْ لَا أَصْحَابَنَا مُكْرِمِينَ
 وَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَكْفِيَهُمْ » . وَلَمَّا جَاءَ بِالشَّيْءِ أَخْتَهُ مِنَ الرِّضَاعَةِ فِي سَبَايَا هَوَازَانَ
 وَتَعَرَّفَتْ لَهُ ، بَسَطَ لَهَا رِدَاءَهُ ، وَقَالَ لَهَا : « إِنْ أَحْبَبْتَ أَقْبَتِ عِنْدِي مَكْرَمَةً مُحِبَّةً
 أَوْ مَتَعَتَكَ وَرَجَعْتَ إِلَى قَوْمِكَ » فَأَخْتَارَتْ قَوْمَهَا فَمَتَعَهَا . وَقَالَ أَبُو الطَّاقِلِ : رَأَيْتُ النَّبِيَّ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا غُلَامٌ ، إِذْ أَقْبَلَتْ أَمْرَأَةٌ حَتَّى دَنَتْ مِنْهُ ، فَبَسَطَ لَهَا رِدَاءَهُ
 بِفَاسَتْ عَلَيْهِ ، فَقُلْتُ مَنْ هَذِهِ ؟ قَالُوا : أُمُّهُ الَّتِي أَرْضَعْتَهُ . وَعَنْ عَمْرِو بْنِ السَّائِبِ
 أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ جَالِسًا يَوْمًا فَأَقْبَلَ أَبُوهُ مِنَ الرِّضَاعَةِ ، فَوَضَعَ
 لَهُ بَعْضُ ثَوْبِهِ فَقَعَدَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ أَقْبَلَتْ أُمُّهُ فَوَضَعَ لَهَا شِشْقًا ثَوْبَهُ مِنْ جَانِبِهِ الْآخَرِ
 فَجَلَسَتْ عَلَيْهِ ، ثُمَّ أَقْبَلَ أَخُوهُ مِنَ الرِّضَاعَةِ فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَجْلَسَهُ
 بَيْنَ يَدَيْهِ . وَكَانَ يَبْعَثُ إِلَى ثَوْبِيَّةَ مَوْلَاةِ أَبِي لُحَبٍ مُرْضِعَتَهُ بِصَلَّةٍ وَكُسُوءٍ ، فَلَمَّا
 مَاتَتْ سَأَلَ مِنْ بَقِيٍّ مِنْ قُرَابَتِهَا فَقِيلَ : لَا أَحَدٌ . وَفِي حَدِيثٍ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

(١) خِلَافَتُهَا : صَوَابُهَا . (٢) الْعَهْدُ : يَرِيدُ الْحِفَاطَ وَرِعَايَةَ الْحَرَمَةِ .

(٣) (الْبِلَالُ) جَمْعُ بِلَالٍ ، وَقِيلَ : كُلُّ مَا بَلَ الْحَلَقُ مِنْ مَاءٍ أَوْ لَبَنٍ أَوْ غَيْرِهِ ؛ أَيْ أَصْلَحَ فِي الدُّنْيَا

وَلَا أَغْنَى عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا . (٤) كَذَا فِي الْأَصُولِ وَالْمَوَاهِبِ ٤ : ٢٧٦ وَقَالَ شَارِحُهَا :

« صَوَابُهُ عَمْرٌ » . وَهُوَ فِي التَّهْذِيبِ « عَمْرٌ » أَيْضًا .

أنها قالت له صلى الله عليه وسلم في ابتداء النبوة : أبشر فوالله لا يُخْزِيكَ اللهُ أبداً ،
إنك لتصل الرحم ، وتغفل الكل ، وتُكْسِبُ^(٣) المعدوم ، وتَقْرِى الضيف ، وتُعِين^(٤)
على نوابِ الحق .

وأما تواضعه صلى الله عليه وسلم مع علو منصبه ورفعة مرتبته

- فكان صلى الله عليه وسلم أشد الناس تواضعاً ، وأقلهم كبراً ، وقد جاء أنه
خبر بين أن يكون نبياً ملكاً ، أو نبياً عبداً ، فأختر أن يكون نبياً عبداً ، فقال له
إسرافيل عند ذلك : فإن الله قد أعطاك بما تواضعت له أنك سيد ولد آدم يوم
القيامة ، وأول من تنشق الأرض عنه ، وأول شافع . ومما رويناه بسند متصل عن
أبي أمامة قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم متوكئاً على عصا ، فقمنا
له فقال : « لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يُعظم بعضها بعضاً » . وقال : « إنما
أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد » وكان يركب الحمار ، ويردف
خلفه ، ويعود المساكين ، ويجالس الفقراء ، ويحيب دعوة العبد ، ويجلس
بين أصحابه مختلطاً بهم ، حيث ما انتهى به المجلس جالس ، وعن أنس : أن امرأة
كان في عقلها شيء جاءته فقالت : إن لى إليك حاجة ، قال : « أجلسي يا أم فلان
في أى طُرق المدينة شئت أجلس إليك حتى أقضى حاجتك » قال : فجلست فجلس
النبي صلى الله عليه وسلم إليها حتى فرغت من حاجتها . قال أنس : حج رسول الله
صلى الله عليه وسلم على رَحْلٍ رَثٍّ وعليه قِطِيفة ما تساوى أربعة دراهم ، فقال :

(١) لا يَنْزِيكَ : لا يَذَلُّكَ ولا يَهِينُكَ .

(٢) الكل : القل من كل ما يتكلف ، والكل العيال .

(٣) تكسب : تعطى الناس الشيء المعدوم عندهم وتوصله إليهم .

(٤) النوايب : ما يَنْزِلُ من الحوادث والمهمات .

« اللهم أجعله حجاً لا رياء فيه ولا شئمة » . هذا وقد أهدى في حجة ذلك مائة بدنة ، ولما فتحت عليه مكة دخلها وقد طأطأ رأسه على رحله حتى كاد يمس قديمته تواضعاً لله تعالى .

ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم أنه لما دخل مكة جاءه أبو بكر الصديق رضي الله عنه بأبيه ليُسَلِّم فقال : « لِمَ عَنَيْتَ^(١) الشيخ يا أبا بكر ألا تركته حتى أكون أنا آتية في منزله » وقد تقدم ذكر ذلك في الفتح . وعن عائشة والحسن وأبي سعيد وغيرهم رضى الله عنهم ، في صفته صلى الله عليه وسلم ، وبعضهم يزيد على بعض ، أنه كان صلى الله عليه وسلم في بيته في مهنة أهله ، يَقْلِي^(٢) ثوبه ، ويحلب شاته ، ويرقع^(٣) ثوبه ، ويخِصِف^(٤) نعله ، ويخدم نفسه ، ويقم^(٥) البيت ، ويعقل البعير ، ويعلف^(٦) ناضجه ، ويأكل مع الخادم ، ويعجن معها ويحمل بضاعته من السوق . وعن أنس : أن كانت الأمة من إماء المدينة لتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنتقل به حيث شاءت حتى يقضى حاجتها . ودخل عليه رجل فأصابته من هيئته رعدة فقال له : « هَوْن عليك فإني لست بمالك إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد » . وعن أبي هريرة قال : دخلت السوق مع النبي صلى الله عليه وسلم فأشترى سراًويل ، وقال للوزان « زِنْ وَأَرْخِجْ » وذكر القصة ، قال : فوثب إلى يد النبي صلى الله عليه وسلم يقبلها بخدب يده ، وقال : « هذا يفعله الأعاجم بملوكها ولست بمالك إنما

(١) عنيه : كلفته ما يشق عليه . (٢) المهنة : الخدمة ، ومهنة أهله خدمتهم .

(٣) يقلى : يزيل ما التزق به من قل غيره ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم نور ، والقمل من الوحش ، وهو

نظيف طاهر . (المواهب : ٤ : ٣١٧) . (٤) الخصيف : ترفع العلف .

(٥) يقم : يكنس . (٦) الناضح : الجمل ، أو الجمل الذي يحمل الماء من النهر أو البر .

(٧) القديد : اللحم المجفف .

أنا رجل منكم » ثم أخذ السراويل فذهبت لأحمله فقال : « صاحبُ الشيء أحق بشيئه أن يحمله » . وقد ذكر الأمين العاصمي - بمض ذلك في قصيدة له فقال :

يا جاعلاً سنن النبي شماره ودناره^(١)
 مُتَمَسِّكاً بمحدثه متبعا أخباره
 سنن الشريعة خُذ بها متوسِّماً^(٢) آثاره
 وكذا الطريقة فاقبَسْ في سُبُلها أنواره
 قد كان يَقْرِى ضيفه^(٣) كرماً ويحفظ جاره
 ويجالس المسكين يؤ رُقْرِبَه وجواره
 الفقير كان رِداءه والجور كان شعاره
 يَلْقَى بغزاة ضاحك^(٤) مستبشراً زواره
 بَسَطَ الرِّداء كرامة لكريم قَوم زاره
 ما كان مُحْتالاً ولا مَرِحاً يَحْزَنُ إزاره^(٥)
 قد كان يركب بالرِّديد يَف من الخُضوع حماره
 في مِهْنَةٍ هو أوْصَل^(٦) ليله ونهاره
 فتراه يَحْلِب شاة من زله ويوقد ناره
 مازال كهف مهاجره م ومُكرِماً أنصاره
 بَرّاً بِمُحْسِنهم مُقيد لَّا لِلْيسى عِناره
 يَهَبُ الذي تحوى يدا ه لطالب إشاره

(١) الدثار : الثوب فوق الشعار . (٢) متوسماً : متعلّياً بآثاره . (٣) يقري : يطعم .

(٤) الغرة : بياض الوجه . (٥) المرح : الأشهر والبطر والتبخر والاختيال .

(٦) المهنة : الخدمة .

زَكَّيَ عَنِ الدُّنْيَا الدِّينَ يَتَهُ رُبُّهُ مِقْدَارُهُ
جَعَلَ الْإِلَهَ صَلَاتَهُ أَبَدًا عَلَيْهِ نُتَارُهُ^(١)
فَاخْتَرَهُ مِنَ الْأَخْلَاقِ مَا كَانَ الرَّسُولُ آخْتَارُهُ
لِتُعَدَّ مَنِيًّا وَنُو شِكْ أَنْ تَبَوَّأَ دَارُهُ^(٢)

وأما عدله وأمانته وعِفِّته وِصْدَقُ هَلْجَتِهِ

صلى الله عليه وسلم

فكان صلى الله عليه وسلم أعدل الناس، وآمن الناس، وأعف الناس، وأصدق الناس لهجة منذ كان، وكان يسمى قبل نبوته الأمين، وقد قال صلى الله عليه وسلم: «والله إني لأمين في السماء أمين في الأرض» وقد صدقه عداه في مواطن كثيرة تقدم ذكرها، وقد قدمنا قوله صلى الله عليه وسلم للرجل: «ويحك إن لم أعدل فمن يعدل خبت وخسرت إن لم أعدل». وقال ابن خالويه: جزأ رسول الله صلى الله عليه وسلم نهاره ثلاثة أجزاء: جزءاً لله، وجزءاً لأهله، وجزءاً لنفسه، ثم جزأ جزأه بينه وبين الناس، فكان يستعين بالخاصة على العامة، ويقول: «أبلغوا حاجة من لا يستطيع إبلاغه فإنه من أبلغ حاجة من لا يستطيع أتمنه الله يوم الفزع الأكبر». وعن الحسن قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا يأخذ أحداً بقرْفٍ أحدٍ^(٣) ولا يُصدِّق أحداً على أحد» صلى الله عليه وسلم، ولم تمس يده امرأة قط لا يملك رِقها أو نكاحها أو تكون ذات محرم».

(١) التار: ما يلقى متفرقا. شبه الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالزلزال المشهور.

(٢) تبوأ: نزل وسكن.

(٣) بهامش ج: «قرفت الرجل بسوء ظننته به أو ربيته به، وقرفته بالأمر إذا أضاه إليه».

وَأَمَّا وَقَارُهُ وَصَمْتُهُ وَتَوَدُّهُ وَمُرُوءَتُهُ

وَحَسَنُ هَدْيِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

- فقد روينا بإسناد متصل عن خارجة بن زيد قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أوقر الناس في مجلسه لا يكاد يُخرج شيئا من أطرافه . وروى أبو سعيد الخُدْرِيُّ رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جلس في المجلس أحتج بيديه ، وكذلك كان أكثر جلوسه محتجاً^(١) . وعن جابر بن سُمرة : أنه ترع ، وربما جلس القرفصاء^(٢) ، وكان كثير السكوت ، لا يتكلم في غير حاجة ، يُعرض عن تكلم بغير جميل ، وكان ضحكه تبسماً وكلامه فصلاً لا فُضُول ولا تَقْصِير ، وكان ضحك أصحابه عنده التَّبَسُّم توقيراً له وأقتداء به ، مجلسه مجلس حِلْم وحياء وخير وأمانة ، لا تُرفع فيه الأصوات ، ولا تُؤبَّن فيه الحرم^(٣) ، إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤسهم الطير . وفي صفته : يَمْحُطُو تَكْفُؤًا ويمشي هَوْنًا كأنما يَمْحُطُ من صَبَب^(٤) . وفي الحديث الآخر : « إذا مشى مشى مجتمعاً ، يعرف في مشيته أنه غير غريض ولا وكل ؛ أي غير صَّيْجِر ولا كسلان . وقال عبد الله بن مسعود : إن أحسن الهدى هَدْيُ محمد صلى الله عليه وسلم . وعن جابر بن عبد الله : كان في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم تَرْتِيلٌ أو تَرْسِيلٌ^(٥) ، قال ابن أبي هالة : كان سكوته على أربع : على الحلم ،

٩٦
١٦

(١) الاحباء : أن يعتمد على ساقيه ويديه . (٢) بهامش ج : « القرفصاء : جلسة

المحتج بيديه ، يقال : قرفص إذا شد يديه تحت رجله ، والحبو ضم الساق إلى البطن بثوب .

(٣) فصلاً : بينا ؛ ظاهراً يفصل بين الحق والباطل ، كقوله تعالى : « إنه لقول فصل وما هو بالهزل » .

(٤) تؤبَّن : أي يسان مجلسه عن رفث القول ولا تذكر فيه الحرم بفتح .

(٥) تكفأ : تمايل إلى قدام ، ويروى غير مهموز « تكفى تكفيا » .

(٦) هونا : الهون الرفق واللين والتثبت . (٧) الصبب : الموضع المنحدر .

(٨) الترتيل : التأتى والتهلل ، و« أو » إشارة إلى أنه روى بكل منهما وروى بالواو فهو عطوف تفسر .

والحدّر، والتقدير، والتفكر . وقالت عائشة رضى الله عنها : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث حديثا لو عدّه العادّ لأحصاه . وكان صلى الله عليه وسلم يحب الطّيب والرائحة الحسنة ويحض عليها ويقول : « حُبّ إلى من دنياكم النّساء ، والطّيب وجُعِلت قُرّة عيني في الصّلاة » . ومن مروّته صلى الله عليه وسلم نيه عن النفخ في الطّعام والشراب ، والأمر بالأكل مما يلي ، والأمر بالسّواك ، وإتقاء البرّاجيم^(١) والرّواجب ، وأسْتعمال خِصال الفِطْرة . صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا أبدا دائما إلى يوم الدين ، آمين .

وأما زُهدُه في الدّنيا صلى الله عليه وسلم

فحسبك من ذلك أنّه صلى الله عليه وسلم توفّي ودُرّعهُ مرهونة عند يهوديّ في نفقة عياله ، بعد أن فتح الله عليه من الفتوحات ما ذكرناه ، وآناه من الأنحاس^(٢) والصفايا^(٣) ما قدمناه ، فأثر بذلك كله ، وكان يقول : « اللهم أجعل رزق آل محمد قوتا » وسند ذكر إن شاء الله تعالى في أحواله ما ناله من شدّة العيش والجوع ما تقف عليه هناك . قالت عائشة رضى الله عنها : لقد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وما في بيتي شيء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير في رفّ لي ، وقال لي : « إني عُرض على أن تُجعل لي

(١) في هامش ج : « البراجيم رموس السلايات من ظاهر الكف إذا قبض القابض كفه نثرت ، واحدتها برجة ، والرّواجب : بطون السلايات ، واحدتها راجبة ، والسلايات واحدتها سلاي ، وهي العظام التي بين كل مفصلين من مفاصل الأصابع ، ويقال لها الفصوص » .

(٢) الفطرة : الإسلام ، والفطرة هنا سمة الأنبياء عليهم السلام التي أمرنا باتّباعها .

(٣) الصفايا جمع صفة : ما يأخذه رئيس الجيش ويختاره لنفسه من الغنيمة قبل القسمة .

(٤) أثر بذلك : فضل وقدم ؛ أي أعطاه لغيره من فقراء المسلمين .

(٥) قوتا : قليلا يكفي لسد الرق .

(٦) شطر شعير ؛ قيل : المراد به بعض شعير أو نصف منه . قاله في شرح المواهب ، والرف (بالفتح والشد) : شبه الطاق في الحائط . (الصراح) .

بَطْحَاء مَكَّةَ ذَهَبًا ، فَقَالَ لَا يَا رَبِّ أَجُوعُ يَوْمًا وَأَشْبِعُ يَوْمًا ، فَأَمَّا الْيَوْمَ الَّذِي أَجُوعُ فِيهِ فَأَتَضَرَّعُ إِلَيْكَ وَأَدْعُوكَ ، وَأَمَّا الْيَوْمَ الَّذِي أَشْبِعُ فَأَحْمَدُكَ وَأُثْنِي عَلَيْكَ » .
 وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ : « إِنْ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَزَلَ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ : إِنْ اللَّهُ يَقْرُوكَ السَّلَامَ وَقَوْلُكَ : أُنْجِبُ أَنْ أَجْعَلَ هَذِهِ الْجِبَالَ ذَهَبًا ، وَتَكُونَ مَعَكَ حِينَئِذٍ كُنْتُ ؟ »
 فَأُطْرُقُ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ : « يَا جَبْرِيلُ ، إِنْ الدُّنْيَا دَارٌ مِنْ لَا دَارَ لَهُ وَمَالٌ مِنْ لَا مَالَ لَهُ قَدْ يَجْمَعُهَا مِنْ لَا عَقْلَ لَهُ » فَقَالَ لَهُ جَبْرِيلُ : ثَبَتَكَ اللَّهُ يَا مُحَمَّدُ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ .
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَأَمَّا خَوْفُهُ رَبَّهُ ، وَطَاعَتُهُ لَهُ ، وَشِدَّةُ عِبَادَتِهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

- ١٠ . فَكَانَ ذَلِكَ عَلَى قَدْرِ عِلْمِهِ بِرَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ فِيمَا رَوَيْنَاهُ بِسَنَدٍ مُتَّصِلٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ : إِنْ أَبَا هُرَيْرَةَ كَانَ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحَكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا » . وَمِنْ رَوَايَةٍ عَنْ أَبِي عِيْسَى التِّرْمِذِيِّ عَنْ أَبِي ذَرٍّ : « إِنْ أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ أَطُتِ السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَنْطَبَّطَ مَا فِيهَا مَوْضِعَ أَرْبَعِ أَصَابِعٍ إِلَّا وَفِيهَا مَلَكٌ سَاجِدٌ لِلَّهِ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ ، وَاللَّهُ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحَكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرُشِ ، وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعْدَاتِ تَجَارُونَ إِلَى اللَّهِ ، لَوَدِدْتُ أَنْ شَجَرَةً تُعْضِدُ^(١) » . رَوَى هَذَا الْكَلَامَ : « وَوَدِدْتُ أَنْ شَجَرَةً تُعْضِدُ » مِنْ قَوْلِ أَبِي ذَرٍّ

١ . (١) أَطُتِ : الْأَطْبُطُ صَوْتُ الْأَقْنَابِ ؛ أَيِ إِنْ كَثُرَ مَا فِيهَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ أَثْقَلَهَا حَتَّى أَطُتْ ، هَذَا مِثْلُ ، وَلَيْسَ هُنَاكَ أَطْبِيطُ .

٢٠ . (٢) الصُّعْدَاتُ جَمْعُ صُعْدَةٍ : وَهِيَ فَنَاءُ بَابِ الدَّارِ وَمَعْرِ النَّاسِ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَتَجَارُونَ : تَرْفَعُونَ أَصْوَاتَكُمْ . (٣) تُعْضِدُ : تَقْطَعُ .

نفسه وهو أصح. وفي حديث آخر: صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أنتفخت قدماه. وفي رواية: كان يصلي حتى ترم قدماه، فقيل له: أنكلف هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «أفلا أكون عبدا شكورا». وقالت عائشة رضي الله عنها: كان عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ديمة^(١)، وأيكم يطيق ما كان يطيق. وقالت: كان يصوم حتى نقول لا يفطر، ويفطر حتى نقول لا يصوم. وكان صلى الله عليه وسلم يصوم الاثنين والخميس، وثلاثة أيام من كل شهر، ويوم عاشوراء، وقل ما كان يفطر يوم الجمعة، وأكثر صيامه في شعبان. وقال عوف بن مالك: كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فاستاك ثم توضأ ثم قام فصلى فقامت معه، فبدأ فاستفتح البقرة، فلا يمر بآية رحمة إلا وقف فسأل، ولا يمر بآية عذاب إلا وقف فتموّد، ثم ركب فكث بقدر قيامه يقول: «سبحان ذي الجبروت والملكوت والعظمة» ثم سجد، وقال مثل ذلك، ثم قرأ آل عمران ثم سورة سورة يفعل مثل ذلك. وعن حذيفة مثله، وقال: سجد نحوا من قيامه، وجلس بين السجدين نحوا منه، وقال: حتى قرأ البقرة وآل عمران والنساء والمائدة. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بآية من القرآن ليلة. وعن عبد الله بن الشخير قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجلوه أزير^(٢) كآزير المُرْجَل. وقال ابن أبي هالة: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متواصل الأحران، دائم الفكرة، ليست له راحة. وقال صلى الله عليه وسلم: إني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة، وروى سبعين مرة. وعن عليّ

(١) ديمة: في النهاية: الديمة المطر الدائم في سكون، شبهت عمله في دوامه مع الاقتصاد بديممة المطر.

(٢) أزير: صوت الغليان، أي حنين من الخوف، وقيل: هو أن يجيش جوفه وينفث بالبكا، والمرجل: الإناث من نحاس ينفل فيه الماء، وقيل: الإناث الذي ينفل فيه الماء مطلقا.

أَبْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ سِتْرِهِ فَقَالَ : « الْمَعْرِفَةُ رَأْسُ مَالِي ، وَالْعَقْلُ أَصْلُ دِينِي ، وَالْحُبُّ أَسَاسِي ، وَالشَّوْقُ مَرَكَبِي ، وَذِكْرُ اللَّهِ أُنْسِي ، وَالثِّقَةُ كَثْرَتِي ، وَالْحُزْنُ رَفِيقِي ، وَالْعِلْمُ سِلَاحِي ، وَالصَّبْرُ زَادِي ، وَالرِّضَا غَنِيمَتِي ، وَالْعِزُّ نَفْسِي ، وَالزُّهْدُ حِرْفَتِي ، وَالْيَقِينُ قُوَّتِي ، وَالصَّدَقُ شَفِيعِي ، وَالطَّاعَةُ حَسْبِي ، وَالْجِهَادُ خُلُقِي ، وَقُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ » . وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ : « وَثَمَرَةُ فُؤَادِي فِي ذِكْرِهِ ، وَغَمِّي لِأَجْلِ أُمَّتِي ، وَشَوْقِي إِلَى رَبِّي » . وَلِنِصْلِ هَذِهِ الْفُصُولِ الَّتِي شَرَحْنَاهَا فِي صِفَاتِهِ الْمَعْنَوِيَةِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا وَرَدَ مِنْ طِيبِ رِيحِهِ ، وَعَرَقِهِ ، وَمَا يَجْرِي هَذَا الْمَجْرَى .

ذَكَرَ نَبْذَةً مِمَّا وَرَدَ فِي نِظَافَةِ جَسَدِهِ ، وَطِيبِ رِيحِهِ ، وَعَرَقِهِ

وَنِزَاهَتِهِ عَنِ الْأَفْذَارِ وَعَوَّارَاتِ الْجَسَدِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ خَصَّهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ ذَلِكَ بِخَصَائِصٍ لَمْ تَوْجَدْ فِي غَيْرِهِ ، وَمَنْحَهُ مَنَحًا لَمْ تَكُنْ فِي سِوَاهُ ؛ مِنْ ذَلِكَ مَا رَوَيْنَاهُ عَنْ مُسْلِمَ بْنِ الْحُجَّاجِ بِإِسْنَادِهِ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : مَا شَمَمْتُ غَنَبًا قَطُّ وَلَا مَسْكًا وَلَا شَيْئًا أَطْيَبَ مِنْ رِيحِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَسَحَ خَدَّهُ ، قَالَ : فَوَجَدْتُ لِيَدِهِ بَرْدًا وَرِيحًا كَأَنَّهَا أُخْرِجُهَا مِنْ جُودَةِ عَطَّارٍ . قَالَ غَيْرُهُ : مَسَمَهَا بِطِيبٍ أَوْ لَمْ يَمَسَمَهَا ، يَصَالِحُ الْمَصَالِحُ فَيُظِلُّ يَوْمَهُ بِحَمْدِ رِيحِهَا ، وَيَضَعُ يَدَهُ عَلَى رَأْسِ الصَّبِيِّ فَيَعْرِفُ مِنْ بَيْنِ الصَّبْيَانِ بِرِيحِهَا . وَرَوَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَامَ فِي دَارِ أَنَسٍ فَعَرِقَ ، بِخَفَاءَتِ أُمِّ أَنَسٍ بِقَارُورَةٍ تَجْمَعُ فِيهَا عَرَقُهُ ، فَسَأَلَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ ذَلِكَ

(١) حَسْبِي (بِالْفَتْحِ) : أَيُّ مَا أَفْنَحُهُ ، وَ(بِالسُّكُونِ) أَيُّ الطَّاعَةِ تَكْفِينِي .

(٢) الْجُودَةُ (بِالضَّمِّ) : الَّتِي يَمُدُّ فِيهَا الطَّيِّبُ وَيَحْرُزُ .

فقلت : نجعله في طيبنا وهو من أطيب الطيب . وذكر البخاري في تاريخه الكبير
عن جابر : لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يترق طريق فيتبعه أحد إلا عرف أنه
سلوكه من طيبه . وذكر إسحق بن راهوييه : أن تلك كانت رائحته بلا طيب صلى
الله عليه وسلم . وروى المزني^(١) عن جابر قال : أردفتي النبي صلى الله عليه وسلم
فألتصمت خاتم النبوة يَفِيءُ وكان يَمُّ عَلَى مِسْكَ . ونقل القاضي عياض بن موسى
قال : حكى بعض المعتنّين بأخباره وشماله صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا أراد
أن يتغوط أنشقت الأرض فأبتلعت غائطه وبوّله ، وفاحت لذلك رائحة طيبة .
وأُسند محمد بن سعد في هذا خبرا عن عائشة رضى الله عنها ، أنها قالت للنبي صلى
الله عليه وسلم : إنك تأتي الخلاء ولا يرى منك شيء من الأذى . فقال : « يا عائشة
أوما علمت أن الأرض تبتلع ما يخرج من الأنبياء فلا يرى منه شيء » قال القاضي
عياض : وهذا الخبر وإن لم يكن مشهورا فقد قال قوم من أهل العلم بطهارة
الحديثين منه صلى الله عليه وسلم . ومن ذلك حديث علي بن أبي طالب في الوفاة
وسنذكره إن شاء الله تعالى . وقد جاء عن أمه آمنة أنها قالت : ولدته نظيفا ما به
قَدَر . صلى الله عليه وسلم . ولتختم هذه الفصول بحديث هند بن أبي هالة لجمعه بين
صفاته صلى الله عليه وسلم الذاتية والمعنوية . والله أعلم .

ذكر حديث هند بن أبي هالة

وما تضمن من أوصاف رسول الله صلى الله عليه وسلم الذاتية والمعنوية
حدثنا الشيخان المحدثان شرف الدين أبو يوسف يعقوب بن أحمد بن يعقوب
الحلبي ، وزين الدين أبو محمد عبد الحق بن قينان بن عبد المجيد القرشي - رحمهما
الله - قراءة عليهما وأنا أسمع في شهر رجب عام ثمانية وسبعائة ، قالا : حدثنا الشيخ

(١) في « المزني » .

- أبو الحسن محمد بن أبي عليّ - الحسين بن عتيق بن ريشيق الرّبيعي المالكي سماعا في شوال سنة ثمان وستين وستمائة بمصر، وبقراءة الشيخ زين الدين الثاني على الشيخ نظام الدين الحسين بن محمد بن الحسن بن الخليلي، وبإجازتهما من الحافظ أبي الحسين يحيى ابن علي بن عبد الله القرشي، وتاج الدين علي بن أحمد بن القسطلاني، قالوا أخبرنا أبو الحسين محمد بن أبي جعفر أحمد بن جبير الكثاني، قال أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن عيسى التميمي إجازة، قال أخبرنا القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي رحمه الله تعالى، قال ابن القسطلاني :
- وأخبرنا أبو جعفر أحمد بن عبد الرحمن بن مضاء إجازة، قال أخبرنا أبو الفضل عياض إجازة، قال القاضي أبو الفضل حدثنا القاضي أبو علي الحسين بن محمد الحافظ رحمه الله بقراءتي عليه سنة ثمان ونعمسمائة، قال حدثنا الإمام أبو القاسم عبد الله ابن طاهر التميمي، قال قرأت عليه : أخبركم الفقيه الأديب أبو بكر محمد بن الحسن النيسابوري، والشيخ الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الحسن المحمدي، والقاضي أبو عليّ - الحسن بن علي بن جعفر الوخشي^(١)، قالوا : حدثنا أبو القاسم علي بن أحمد بن محمد بن الحسن الخزاعي، قال أخبرنا أبو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي، قال أخبرنا أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَورَةَ الحافظ، قال حدثنا مسفيان بن وكيع، قال حدثنا جميع بن عمر بن عبد الرحمن العجلي إملأ من كتابه، قال حدثني رجل من بني تميم من ولد أبي هالة زوج خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها، يكنى أبا عبد الله عن ابن لأبي هالة عن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال سألت خالي هند بن أبي هالة . قال القاضي أبو عليّ رحمه الله : وقرأت على الشيخ أبي طاهر أحمد بن الحسن بن أحمد بن خذاداذ الكرخي الباقلاني، قال
- (١) الونخني نسبة إلى بلد بنواحي بلخ، والذي في شرح القاموس : الحسن بن علي بن محمد بن جعفر.

وأجاز لنا الشيخ الأجل أبو الفضل أحمد بن الحسن بن خيرون ، قالأ أخبرنا
أبو علي الحسن بن أحمد بن إبراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان بن حرب بن مهران
الفارسي ، قراءة عليه ، فأقر به ، قال أخبرنا أبو محمد الحسن بن محمد بن يحيى
أبْن الحسن بن جعفر بن عبيد الله بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي
أبْن أبي طالب المعروف بابن أنحى طاهر العلوى ، قال حدثنا إسماعيل بن محمد
أبْن إسحق بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، قال :

حدثني علي بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ، عن أخيه موسى بن جعفر
ابن محمد ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه محمد بن علي ، عن علي بن الحسين قال قال
الحسن بن علي — واللفظ لهذا السند — : سألت خالي هُند بن أبي هالة عن خلية^(١)

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان وصافا ، وأنا أرجو أن يصف لي منها شيئا
أتعلق به ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نخما^(٢) مفتحا^(٣) يتلأل^(٤) وجهه تلالو^(٥)
القمر ليلة البدر ، أطول من المربع ، وأقصر من المشدب^(٦) ، عظيم الهامة^(٧) ، رجل
الشعر ، إن انفردت عقيقته^(٨) قرق^(٩) ، وإلا فلا يجاوز شعره شحمة^(١٠) أذنه إذا هو وفر ،
أزهر اللون^(١١) ، واسع الحيين^(١٢) ، أزج^(١٣) الحواجب^(١٤) ، سوايغ^(١٥) من غير قرن^(١٦) ، بينهما عرق

(١) الخلية : الزينة ، والصفة . (٢) نخم : عظيم ؛ أى عظيما معظما في الصدر والعيون .

(٣) المشدب : الطويل البائن الطول مع نقص في لحمه . (٤) الهامة : الرأس .

(٥) رجل الشعر : بين الجمودة والبوطة . (٦) انقرت عقيقته ، ويرى : عقيقته ،
أى إن صار شعره فرقين بنفسه في مفرقه تركه ، وإن لم يفرق لم يفرقه .

(٧) أزهر اللون : أى نيره ، والأزهر الأبيض المستنير ، وهو أحسن الألوان .

(٨) وهو ما فوق الصدغين وهما جبينان ، والمراد بسعتهما امتدادهما طولاً وعرضاً ، وذلك محمود ،

وقد مضى : صلت الجبين : أى واتحده . (٩) أزج الحواجب : الزجج تقوس في الحاجب مع

طول في طرفه وامتداد ، النهاية ، وفي القاموس : دقة الحاجبين في طول .

(١٠) سوايغ : تامة طويلة .

يُدْرَهُ الغَضَبُ ، أَفْنَى العِرْنَيْنِ ، لَهُ نور يعلوه ، ويحسبه من لم يتأمله أنتم ، كَثُ^(٤)
 اللحية ، أَدْعَجُ ، سهل الخَدَيْنِ ، ضَلِيعُ الفم ، أَشْنَبُ مُفْلَجِ الأَسْنَانِ ، دَقِيقُ المَسْرِبَةِ ،^(٩)
 كَانَتْ عَقَبُهُ جِدَّةً دَمِيَّةً فِي صفاء الفِضَّةِ ، معتدل الخلق ، بَادِنًا مَتَمَسَكًا ، سواء البطن^(١١)
 وَالصَّدْرُ ، مُشِيعُ الصَّدْرِ ، بعيد ما بين المنكبين ، ضَخْمُ الكَرَادِيسِ ، أنور المتجرد ،^(١٢)
 موصول ما بين اللَّبَّةِ والسُّرَّةِ بشعر يجري كالخط ، عَارِي التدين ، ما سوى^(١٣)
 ذلك ، أشعر الذراعين والمنكبين وأعلى الصدر ، طويل الزندين ، رَحْبُ الراحة ،
 شَتْنُ الكَفَيْنِ والقَدَمَيْنِ ، سَائِلُ الأطراف ، أَوْ قَال سَائِنُ الأطراف ، سَبْطُ القَصْبِ ،^(١٤)^(١٦)^(١٧)

(١) يدْرَهُ : يعلّوه دما كما يحتلّ الضرع لبنا إذا ذر .

(٢) أفنى العرنين : القنا في الأنف رقة أرنبته مع حذب في وسطه ، والعرنين الأنف .

(٣) أشم : الشم ارتفاع قصبة الأنف واستواء أعلاها وإشراف الأذنية قليلا .

(٤) كث اللحية : كثيفها في غير دقة ولا طول .

(٥) أدعج : الشديد سواد العين مع شدة بياضها .

(٦) ضليع الفم : غظيظه ، وقيل : واسعه .

(٧) أشنب ؛ الشنب : البياض والبريق والتحديد في الأسنان .

(٨) مفلج ، وروى : أفلج الأسنان : الفلج بالتخريك : فرجة ما بين النابا والرابعيات .

(٩) المسربة بضم الراء وفتحها : ماذق من شعر الصدر سائلا إلى الجوف .

(١٠) الدمية : الصورة المصورة . (١١) سواء البطن والصدر : متوحيما .

(١٢) مشيع الصدر : عريضه وروى : مسيح . (١٣) الكراديس : ربوس العظام .

(١٤) المتجرد : ما كان منكشفا من جسده ؛ أى مشرق الجسد .

(١٥) عارى التدين ، وروى : التندوتين : أراد أنه لم يكن عليهما شعر ، (ما سوى ذلك)
 قيد للتدين .

(١٦) شتن : أى يميلان إلى اللفظ والقصر . (١٧) سائل الأطراف : أى ممتددا .

(١٨) سبط القصب : سبط يسكون الباء وكسرها : المنفذ الذى ليس فيه تمعد لا تنوء ، والقصب يريد

بها ساعديه وساقيه .

نُحْصَانُ الْأَنْحَصِينَ ، مَسِيحُ الْقَدَمِينَ يَذُو عَنْهُمَا الْمَاءَ ، إِذَا زَالَ زَالَ تَقْلَعًا ، وَيَخْطُو
تَكْفُؤًا ، وَيَمْشِي دُونًَا ، ذَرِيعُ الْمِشْيَةِ ، إِذَا مَشَى كَأَنَّمَا يَخْطُ مِنْ صَبَبٍ ، وَإِذَا
أَلْتَفَتَ أَلْتَفَتَ جَمِيعًا ، خَافِضُ الطَّرْفِ ، نَظَرُهُ إِلَى الْأَرْضِ أَطْوَلَ مِنْ نَظَرِهِ إِلَى
السَّمَاءِ ، جَلَّ نَظَرُهُ الْمَلَاخِظَةَ ، يَسُوقُ أَصْحَابَهُ ، وَيَبْدَأُ مِنْ لَقِيهِ بِالسَّلَامِ . قُلْتُ :
صَفِّ لِي مَنْطِقَهُ ، قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَوَاصِلَ الْأَحْزَانِ ،
دَائِمَ الْفِكْرَةِ ، وَلَيْسَتْ لَهُ رَاحَةٌ ، وَلَا يَتَكَلَّمُ فِي غَيْرِ حَاجَةٍ ، طَوِيلَ السَّكُوتِ ،
يَفْتَتِحُ الْكَلَامَ وَيَخْتِمُهُ بِأَشْدَاقِهِ ، وَيَتَكَلَّمُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ ، فَضْلًا لَا فُضُولَ فِيهِ
وَلَا تَقْصِيرَ ، دِمْنًا لَيْسَ بِالْجَانِي وَلَا الْمُهِينِ ، يَعْظُمُ النِّعْمَةَ وَإِنْ دَقَّتْ ، لَا يَذُمُّ شَيْئًا
لَمْ يَكُنْ يَذُمُّ ذَوَاقًا وَلَا يَمْدَحُهُ ، وَلَا يُقَامُ لِعُضْبِهِ إِذَا تَعَرَّضَ لِلْحَقِّ بِشَيْءٍ حَتَّى يَنْتَصِرَ
لَهُ ، وَلَا يَقْضِبُ لِنَفْسِهِ وَلَا يَنْتَصِرُ لَهَا ، إِذَا أَشَارَ أَشَارَ بِكَفِّهِ كُلِّهَا ، وَإِذَا تَعَجَّبَ

(١) نُحْصَانُ الْأَنْحَصِينَ : الْأَنْحَصُ مِنَ الْقَدَمِ الْمَوْضِعُ الَّذِي لَا يَلْصُقُ بِالْأَرْضِ مِنْهَا عِنْدَ الرُّوْطِ
وَالنَّحْصَانِ الْمُبَالِغُ مِنْهُ ، أَيْ إِنَّ ذَلِكَ الْمَوْضِعَ مِنْهُ شَدِيدُ التَّجَانُّي عَنِ الْأَرْضِ .

(٢) مَسِيحُ الْقَدَمِينَ : أَيْ مَسَاوِيَانِ لِيَتَنَاوَا فِيهَا تَكْسِرًا وَلَا شَفَقًا .

(٣) إِذَا زَالَ زَالَ تَقْلَعًا : أَرَادَ قُوَّةَ مَشْيِهِ كَأَنَّهُ يَرْفَعُ رِجْلَهُ مِنَ الْأَرْضِ رَفْعًا قَوِيًّا لَا كَمَنْ يَمْشِي
اخْتِيَالًا وَيُقَارِبُ خَطَاؤُهُ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ مَشْيِ النِّسَاءِ .

(٤) يَخْطُو تَكْفُؤًا : أَيْ تَمَازِيلَ إِلَى قَدَامٍ . (٥) يَمْشِي دُونًَا : أَيْ فِي رَفَقٍ غَيْرِ مُخْتَالٍ .

(٦) ذَرِيعُ الْمِشْيَةِ : يَرِيدُ أَنَّهُ مَعَ هَذَا الرَّفَقِ مَرِيعُ الْمِشْيَةِ .

(٧) يَخْطُ مِنْ صَبَبٍ : الصَّبَبُ الْإِنْخَادَارُ . (٨) الْمَلَاخِظَةُ : التَّغْرِيبُ الْقَوِيُّ الَّذِي يَلِي الصَّدْعَ .

(٩) الْأَشْدَاقُ : جَوَانِبُ الْقَمِّ وَإِنَّمَا يَكُونُ ذَلِكَ لِرُحْبِ شَدْقِهِ ، وَالْعَرَبُ تَمْدَحُ ذَلِكَ .

(١٠) فَضْلًا لَا فُضُولَ فِيهِ : أَيْ بَيْنَ ظَاهِرٍ يَفْصِلُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ .

(١١) دِمْنًا : يَعْنِي مَهْلًا لَنَا .

(١٢) لَيْسَ بِالْجَانِي وَلَا الْمُهِينِ : يَرِيدُ أَنَّهُ لَا يَجْهَرُ بِالنَّاسِ وَلَا يَهِنْهُمْ ، وَيُرْوَى : الْمُهِينُ بِالْفَتْحِ :

أَيْ لَيْسَ بِالْفُظِّ الْغَلِيظِ الْجَانِي ، وَلَا الْحَقِيرِ الضَّعِيفِ .

قَلْبَهَا ، وَإِذَا تَحَدَّثَ أَتَّصَلَ بِهَا فَضْرَبَ بِإِيهَامِهِ الْيَمْنَى رَاحَتَهُ الْيَسْرَى ، وَإِذَا غَضِبَ
 أَعْرَضَ وَأَشَاحَ ، ^(٢) وَإِذَا فَرِحَ غَضَّ طَرَفَهُ ، جُلَّ ضَحْكُهُ التَّبَسُّمَ ، وَيَقْتَرَعَنَّ ^(٣) مِثْلَ حَبِّ
 الْغَنَامِ . قَالَ الْحَسَنُ : فَكُتِمَتْهَا الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ زَمَانًا ، ثُمَّ حَدَّثَتْهُ فَوَجَدَتْهُ قَدْ سَبَقَنِي
 إِلَيْهِ ، فَسَأَلَ أَبَاهُ عَنْ مَدْخُلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخُرُجِهِ وَمَجْلِسِهِ وَشَكْلِهِ ،
 فَلَمْ يَدَعْ مِنْهُ شَيْئًا ، قَالَ الْحُسَيْنُ : سَأَلْتُ أَبِي - عَلَيْهِ السَّلَامُ - عَنْ دُخُولِ رَسُولِ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : كَانَ دُخُولُهُ لِنَفْسِهِ مَأْدُونًا لَهُ فِي ذَلِكَ ، فَكَانَ إِذَا
 آوَى إِلَى مِثْرَلِهِ جِزْأً دُخُولُهُ ثَلَاثَةَ أَجْزَاءَ : جِزْءٌ لِلَّهِ تَعَالَى ، وَجِزْءٌ لِأَهْلِهِ ، وَجِزْءٌ لِنَفْسِهِ .
 ثُمَّ جِزْءٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ ، فَيَرُدُّ ذَلِكَ عَلَى الْعَامَّةِ بِالْخَاصَّةِ ، وَلَا يَذْخَرُ عَنْهُمْ شَيْئًا ،
 فَكَانَ مِنْ سِيرَتِهِ فِي جِزْءِ الْأُمَّةِ إِيشَارُ أَهْلِ الْفَضْلِ بِإِذْنِهِ ، قَسَمْتُهُ عَلَى قَدَرِ فَضْلِهِمْ
 فِي الدِّينِ ، مِنْهُمْ ذُو الْحَاجَةِ ، وَمِنْهُمْ ذُو الْحَاجَتَيْنِ ، وَمِنْهُمْ ذُو الْحَوَائِجِ ، فَيَنْشَاغِلُ
 بِهِمْ ، وَيُسْغِلُهُمْ فِيمَا أَصْلَحَهُمْ وَالْأُمَّةُ مِنْ مَسَائِلِهِ عَنْهُمْ ، وَإِخْبَارُهُم بِالَّذِي يَنْبَغِي
 لَهُمْ ، وَيَقُولُ : « لِيَبْلُغَ الشَّاهِدُ مِنْكُمْ الْغَائِبَ ، وَأَبْلُغُونِي حَاجَةً مِنْ لَا يَسْتَطِيعُ إِبْلَاغِي
 حَاجَتَهُ ، فَإِنَّهُ مِنْ أَبْلَغِ سُلْطَانَا حَاجَةً مِنْ لَا يَسْتَطِيعُ إِبْلَاغُهَا ثَبَّتَ اللَّهُ قَدَمَيْهِ يَوْمَ
 الْقِيَامَةِ » لَا يَذْكُرُ عِنْدَهُ إِلَّا ذَلِكَ وَلَا يَقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ غَيْرِهِ .

قَالَ فِي حَدِيثِ سَفْيَانَ بْنِ وَكِيعٍ ^(٤) : « يَدْخُلُونَ رُودَادَا ، وَلَا يَتَفَرَّقُونَ إِلَّا عَنْ ذَوَاقٍ ^(٥) ،
 وَيُخْرِجُونَ أُدْلَةً ^(٦) » ، يَعْنِي فَقَهَاءً ، قَالَتْ : فَأَخْبَرَنِي عَنْ مَخْرَجِهِ كَيْفَ كَانَ يَصْنَعُ فِيهِ ، قَالَ :

(١) أَتَّصَلَ : وَصَلَ لِأَحَدٍ يَدِيهِ بِالْأُخْرَى ، وَرَوَى « فَصْل » أَيْ فَصَلَ كَلَامَهُ بِإِشَارَتِهِ .

(٢) أَشَاحَ : جَدَّ فِي الْإِعْرَاضِ . وَفِي هَامِشٍ ج : « أَيْ مَالٍ وَأَقْبَضَ » .

(٣) جُلَّ : يَهْتَرُ ، يَتَّبَسَّمُ ، حُبُّ الْغَنَامِ : الْبَرْدُ ، شَبَّ نَفَرَهُ بِهِ .

(٤) رُودَادَا : أَيْ مُحْتَاجِينَ وَطَالِبِينَ لِمَا عِنْدَهُ مِنَ النِّفَعِ لَدَيْهِمْ وَدُنْيَاهُمْ .

(٥) ذَوَاقٍ : لَا يَتَفَرَّقُونَ إِلَّا عَنْ ذَوَاقٍ : « قِيلَ عَنْ عِلْمٍ يَعْلَمُونَهُ » كَذَا فِي هَامِشٍ ج أَيْ يَقُومُ لَأَنْفُسِهِمْ

وَأَرْوَاحِهِمْ مَقَامَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ لِأَجْسَادِهِمْ .

(٦) أُدْلَةٌ : جَمْعُ دَلِيلٍ جَعَلَهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُدْلَةً مَبَالِغَةً .

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحزن لسانه إلا مما يعينهم ، ويؤلفهم ولا يفرقهم ، يكرم
كريم كل قوم وبوليّه عليهم ، ويحذر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوى عن
أحد بشره وخلقه ، ويتفقد أصحابه ، ويسأل الناس عما في الناس ، ويحسن
الحسن ويصوّبه ، ويقبح القبيح ويؤهّنه ، معتدّل الأمر غير مُخْتَلِف ، لا يغفل
مخافة أن يغفلوا أو يملأوا لكل حال عنده عتادٌ^(١) لا يُقَصِّر عن الحق ولا يحاوره إلى
غيره ، الذين يلونه من الناس خيارهم ، وأفضلهم عنده أعمهم نصيحةً ، وأعظمهم
عنده منزلة أحسنهم ، وأساءة ومؤازرة .

فسألته عن مجلسه عما كان يصنع فيه ، فقال : كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر ، ولا يُوطِّن^(٢) الأماكن ، وينهى عن إبطائها ،
وإذا انتهى إلى القوم جلس حيث ينتهي به المجلس ويأمر بذلك ، ويعطى كل
جلسائه نصيبه حتى لا يحسب جلسيه أن أحدا أكرم عليه منه ، من جالسه أو قاربه
لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه ، من سأله حاجة لم يرده إلا بها
أو بميسور من القول ، قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم أبا ، وصاروا عنده
في الحق متقاربين متفاضلين فيه بالتقوى . وفي الرواية الأخرى : صاروا عنده في
الحق سواء ، مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة ، لا تُرفع فيه الأصوات ولا تُؤبَّن
فيه الحرم ، ولا تُتلى فلتاته^(٣) — وهذه الكلمة من غير الروایتين — يتعاطفون ،

(١) عتاد : أى ما يصلح لكل ما ينفع من الأمور .

(٢) لا يوطن : أى لا يتخذ لمصلا موطنا معلوما ، وقد ورد نهي عن هذا مفسرا في غير هذا

الحديث . كذا في ما مش به .

(٣) تلى : شاع وتذاع .

بالتقوى متواضعين ، يُوقِّرون فيه الكبير ويرحمون الصغير ، ويرفدون ذا الحاجة ويرحمون الغريب .

فسأله عن سيرته صلى الله عليه وسلم في جلسائه ، فقال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دائم البشر ، سهل الخلق ، لين الجانب ، ليس بفظ ولا غليظ ، ولا سخاب^(٢) ولا حقاش ، ولا عياب ، ولا مداح ، يتعافل عما لا يُشْتَهَى ولا يُؤَيَّس منه ، قد ترك نفسه من ثلاث : الرياء ، والإكثار ، وما لا يعنيه ، وترك الناس من ثلاث : كان لا يذم أحدا ولا يعيِّره ، ولا يطلب عورته ، ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه ، إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رءوسهم الطير ، وإذا سكث نكثوا ، لا يتنازعون عنده الحديث ، من تكلم عنده أنصتوا له حتى يفرغ ، حديثهم حديث أولهم ، يضحك مما يضحكون منه ، ويعجب مما يعجبون منه ، ويصبر للغريب على الحفوة في المنطق ، ويقول : « إذا رأيتم صاحب الحاجة يطلبها فأرفدوه » ولا يطلب الثناء^(٣) إلا من مكافئ ، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يتجوزد فيقطعه باتهاء أو قيام . هنا انتهى حديث سفيان بن وكيع .

وزاد الآخر ؛ قالت : كيف كان سكوته صلى الله عليه وسلم ؟ قال : كان سكوته على أربع : على الحلم والحدَر والتقدير والتفكر ، فأما تقديره ففى تسوية النظر والاستماع بين الناس ، وأما تفكره ففيا ببق ويَفنى ، وجمع له الحلم صلى الله عليه وسلم فى الصبر ، فكان لا يُغضبه شئ يَسْتَفِرُّه . وجمع له فى الحدَر أربع : أخذه بالحسن ، ليُقْتَدَى به ، وتركه القبيح ليُنْتَهَى عنه ، واجتهاد الرأى بما أصلحة أُمَّته ، والقيام لهم بما جمع لهم أمر الدنيا والآخرة . صلى الله عليه وسلم . فهذه جملة كافية من أوصافه صلى الله عليه وسلم ، فلنذكر أحواله .

(١) يرفدون : يعينون . (٢) تنقذ شرح هذه الكلمات . (٣) التنا : فى هامش ج : « قوله : ولا يطلب الثناء إلا من مكافئ : قيل مقتصد فى بيانه ومدحه ، وقيل لا من مسلم ، وقيل إلا من مكافئ على يد قد سبقت من النبي صلى الله عليه وسلم له » . وفى الأصول : التبا : وهو تصحيف .

ذكر أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم

في دنياه، وما ناله من شدة العيش فيها، وما رُوي من أحواله في تطيُّبه ولباسه وفراشه، ووسادته، وتختمه وتعلُّه، وخُفِّيه. وسواكه، ومُشطه، ومُكحَّله ومرآته وقَدَحَه، وما ورد في حِجَّامته، وما ملكه من السَّلاح والدَّواب وغير ذلك. صلى الله عليه وسلم

أما ما ناله صلى الله عليه وسلم من شدة العيش في دنياه

فقد تقدَّم من صفاته المعنوية زهده في الدنيا وتقلُّله منها، وأحلنا هناك على ما نورده في هذا الموضع. وسنورد منه ما تقف عليه إن شاء الله.

فمن ذلك ما روى عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما، أن رسول الله صلى

الله عليه وسلم كان يبيت الليالي المتتابعة طاوياً، وأهله لا يجدون عشاءً، وكان عامة

خبزهم الشعير. وعن أنس بن مالك أن فاطمة رضى الله عنها جاءت بكسرة خبز

إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: « ما هذه الكسرة؟ » قالت: قُرْصٌ

خبزته فلم تطب نفسي حتى أتيتك بهذه الكسرة. فقال: « أمَّا إنه أول طعام

دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيام ». وعن أبي هريرة: « أن رسول الله صلى الله عليه

وسلم كان يَسُدُّ صُلْبَهُ بِالْحَجَرِ مِنَ الْفَرَثِ ^(١) ». وعن مسروق قال: بينا عائشة تحدِّثني

ذات يوم إذ بككت، فقلت: ما يبكيك يا أم المؤمنين؟ قالت: ما ملأت بطنى

من طعام فشئت أن أبكى إلا بكيت؛ أذكرُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم

وما كان فيه من الجُهد. وعنه قال: دخلتُ على عائشة أتم المؤمنين وهى تبكى،

فقلت: يا أم المؤمنين ما يبكيك؟ قالت: ما أشبع فأشاء أن أبكى إلا بكيت؛

- وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأتي عليه أربعة أشهر ما يشبع من خبز بُرّ . وعنهما رضى الله عنها قالت : ما شبع آلُ محمدَ غَداءَ وعِشاءَ من خبز الشعير ثلاثة أيام متتابعات حتى لحق بالله . ومن رواية عنها : ما رفع عن مائدته كسرة فضلاً حتى قبض . وعن أبي هريرة قال : كان يمز بآل رسول الله صلى الله عليه وسلم هلالاً ، ثم هلال ، ثم هلال ، لا يُوقَد في شيء من بيوته نار ، لا لخبز ولا لطبخ ، قالوا : بأى شيء كانوا يعيشون يا أبا هريرة ؟ قال : بالأسودين التمر والماء . قال : وكان له جيران من الأنصار - جِزَاهم الله خيراً - لهم منّا^(١) يُرسلون إليه بشيء من لبن . وعن الحسن قال : خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « والله ما أُمسى في آلِ محمد صاع من طعام وإنما لتسعة أبيات » والله ما قالها أستقللاً لرزق الله ، ولكن أراد أن تأمى به أمته . وعن عائشة رضى الله عنها قالت : ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم مرتين حتى لحق بالله ، ولا رفعنا له فضل طعام عن شبع حتى لحق بالله ، إلا أن نرفعه لغائب . فقيل لها : ما كانت معيشتكم ؟ قالت : الأسودان الماء والتمر . قالت : وكان لنا جيران من الأنصار لهم رباب^(٢) يسقونا من لبنها ، جِزَاهم الله خيراً . وعن ابن شهاب : أن أبا هريرة كان يمز بالمغيرة بن الأحنس وهو يطعم الطعام ، فقال : ما هذا الطعام ؟ قال : خبز النَّقى^(٣) واللحم السمين ، قال : وما النَّقى ؟ قال : الدقيق . فتعجب أبو هريرة ثم قال : عجبا لك يا مغيرة ! رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضه

(١) المنّاخ (جمع منيحة) ، وهى المنحة : ناقة أو شاة يضع عليها زماناً ثم يردّها .

(٢) الرباب (جمع ربية) بمعنى مربوبة : الفم التى تكون فى البيت وليست بسائمة ؛ لأن صاحبها

يربىها فى البيت للبنها .

(٣) النقى فسرّه بالدقيق ، والمراد به لباب البر ، بدلالة لفظ : النقى .

(١) الله عز وجل ، وما شيع من الخبز والزيت في يوم مرتين ، وأنت وأصحابك تهذرون هاهنا الدنيا بينكم . وعن قتادة قال : كنا نأتى أنس بن مالك وخبازه قائم ، فقال يوما : كلوا فما أعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رغيفا مرققا حتى لحق بربه ، ولا شاة سميطا قط . وعن عائشة رضى الله عنها قالت : ما أجتمع في بطن النبي صلى الله عليه وسلم طعامان في يوم قط ، إن أكل لحما لم يزد عليه ، وإن أكل تمرا لم يزد عليه ، وإن أكل خبزا لم يزد عليه . وعن عائشة رضى الله عنها قالت : أرسل أبو بكر رضى الله عنه قائمة شاة ليلا فقطعت ، وأمسك على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو قطع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمسكت عليه ، فقيل لها : على غير مصباح ؟ قالت عائشة : لو كان عندنا مصباح لأتدمننا به ، كان يأتى على آل محمد شهر ما يختبزون خبزا ولا يطبخون قدرا . وعن عمران بن زيد المديني قال : حدثني والدي ، قال : دخلنا على عائشة ، فقلنا : سلام عليك يا أمه ، قالت : وعليك ، ثم بكت ، فقلنا : ما بك يا أمه ؟ قالت : بلغني أن الرجل منكم يأكل من ألوان الطعام حتى يلتمس لذلك دواء ، فذكرت نبيكم صلى الله عليه وسلم ، فذلك الذى أبكاني ، خرج من الدنيا ولم يملأ بطنه في يوم من طعامين ، كان إذا شيع من التمر لم يشيع من الخبز ، وإن شيع من الخبز لم يشيع من التمر ، فذلك الذى أبكاني . وعن أسماء بنت يزيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفى يوم توفى ، وذرعه مرهونة عند رجل من اليهود بوسق من شعير . وسئل سهل بن مسعد :

(١) تهذرون (بذل معجزة) : أى تتوسعون فيها ، قال الخطابي : « يريد تبذير المال وتفريقه في كل وجه » ، وروى : تهذون الدنيا وهو أشبه بالصواب ، معنى تقتطعونها إلى أنفسكم ، وتجمعونها أو تسرهون لإفراقها . (النهاية) .

(٢) مرققا : مليا محسنا ، أو موسعا . (٣) سميطا : مشوية .

أ كانت المناخل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : ما رأيت مُنْخَلاً
في ذلك الزمان ، وما أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم الشعير منخولاً حتى فارق
الدينا . فقيل له : كيف كنتم تصنعون ؟ قال : كنا نَطْعَنُهَا ثُمَّ نَنْفُخُ قَشْرَهَا ،
فيطير ما طار ويستمسك ما استمسك . وعن الأعرج ، عن أبي هريرة أن النبي
صلى الله عليه وسلم كان يجوع ، قال قلت لأبي هريرة : وكيف ذلك الجوع ؟ قال :
لكثرة من يغشاه وأضيافه ، وقوم يلزمونه لذلك ، فلا يأكل طعاماً أبداً إلا ومعه
أصحابه وأهل الحاجة يتبعون من المسجد ، فلما فتح الله تعالى خيبر أَسْعَى الناس
بعض الاتساع ، وفي الأمر بعد ضيق^(١) ، والمعاش شديد في بلاد ظَفٍ ، لا زرع
فيها ، إنما طعام أهلها التمر وعلى ذلك أقاموا . قال مخرمة بن سليمان : وكانت جَفْنَةٌ
سَعْدٌ تدور على رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ يوم نزل المدينة في الهجرة
إلى يوم تُوقى . وغير سعد بن عبادة من الأنصار يفعلون ذلك . وكان أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيراً يواسون ، ولكن الحقوق تكثر والعُدَامُ^(٢)
يكثرون ، والبلاد ضيقة ليس فيها معاش ، إنما تخرج ثمرتهم من ماء تُمدَّ بجمله
الرجال على أكتافهم ، أو على الإبل ، والإبل أقل ذلك ، وربما أصاب نَحْلَهُمُ الْقُشَامُ^(٣)
فذهب ثمرتهم تلك السنة ، والقُشَامُ : شيء يصيب البلح مثل الجلدري فيَنْتَثِرُ ؛
فهذه كانت حاله صلى الله عليه وسلم في عيشه في غالب أوقاته ، وهي سنة الأنبياء
صلوات الله عليهم .

(١) في نسخة أ : « بعض ضيق » .

(٢) المؤلف : الغليظ الصلب من الأرض ، والمراد لا زرع فيها ، كما قال .

(٣) العُدَامُ — كذا في نسخ الأصل — جمع عادم تكادهم وحْدَامُ ، لأنه عديم فعل بمعنى فاعل .

(٤) مُدَّ : الماء القليل الذي لا مادة له . أو ما يظهر في الشتاء ويذهب في الصيف .

(٥) القشام (بالضم) : أن يفقض ثمر النخل قبل أن يصير بلعاً . .

وأما تطيبه صلى الله عليه وسلم

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الطيب ، وكان يتطيب ^(١) بالغالية وبالمسك ، حتى يرى ويصه في مفارقه ، ويتبخّر بالعود ويطرح معه الكافور ، وكان يعرف في الليلة المظلمة بطيب ريحه صلى الله عليه وسلم .

وأما لباسه صلى الله عليه وسلم

وما روى من ألوانه وأصنافه وطوله وعرضه

فقد روى أنه صلى الله عليه وسلم كان يتجمل لأصحابه ، فضلاً عن تجمله لأهله ، ويقول : « إن الله يحب من عبده إذا خرج إلى إخوانه أن يتهاً لهم ويتجمل » ولبس صلى الله عليه وسلم من الثياب البيضاء والخمرة والصفرة والخضرة والسواد .

أما البياض وما جاء فيه - فقد روى عن سمرة بن جندب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « عليكم بالبياض من الثياب فليلبسها أحياناً لكم وكفتموا فيها موتاكم فإنها من خير ثيابكم » وفي رواية عنه « ألبسوا الثياب البيض فإنها أطور وأطيب وكفتموا فيها موتاكم » . وعن أبي قلابة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن من أحب ثيابكم إلى الله البياض ، فصللوا فيها وكفتموا فيها موتاكم » .

وأما الثياب الحر - فروى عن البراء قال : ما رأيت أحداً كان أحسن في حلة حمراء من رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعنه : ما رأيت من ذي لمة ^(٢) أحسن في حلة حمراء من رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعن عون بن أبي جحيفة عن أبيه

(١) الغالية : نوع من الطيب مركب من مسك وعود وعنبر ودهن . (كذا في النهاية) .

(٢) الويص : البريق ، والمفارق جمع مفرق كسجد : وهو من الرأس حيث يفرق فيه الشعر .

(٣) الله : الشعر يلح بالمتكبر .

قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم بالأبطح ، وهو في قبة حمراء ، فخرج وعليه جبة له حمراء وحلة عليه حمراء . وعن جابر بن عبد الله قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس بُردَه الأحمر في العيدين والجمعة .^(١) وعن أبي جعفر محمد بن علي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يلبس يوم الجمعة برده الأحمر، ويعتم يوم العيدين، صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا .

وأما الثياب الصفراء - فقد روى عن قيس بن سعد بن عبادة قال : أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعا له غسلا فاغتسل ، ثم أتينا به بمَلْحَفَةٍ وَرِسِيَةٍ فاشتمل بها ، فكأنني أنظر إلى أمر الورس على عُنَيْنِهِ .^(٢) وعن بكر بن عبد الله المزني قال : كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم مَلْحَفَةٌ مُورَّسَةٌ ، فإذا دار على نسائه رثها بالماء . وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت : ربما صُيِّغَ لرسول الله صلى الله عليه وسلم قميصه وِرْدَاؤُهُ وإِزَارُهُ بزعفران وورس ، ثم يخرج فيها . وعن عبد الله بن مالك قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصيغ ثيابه بالزعفران : قميصه وِرْداءه وِعِمَامَتَهُ . وعن عبد الله بن جعفر عن أبيه قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه رداءً وِعِمَامَةً مصبوغين بالعير،^(٣) والعير عندهم الزعفران . وعن زيد بن أسلم قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصيغ ثيابه كلها بالزعفران حتى العامة .

(١) البرد الأحمر : برد يمانى مخطط بجمرة وسواد ، أما لبس الأحمر الثاني كما يشعر ما هنا فقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم التي عنه كما في الصحيحين ، راجع شرح المواهب ج ٥ ص ٢٧ .
(٢) يعتم : يلبس العمامة .

(٣) ورسية : الورس ثبت أصفر يصيغ به ، والورسية المصبوغة به .

(٤) حكه : جمع عكة وهي الطر في البطن من السنن .

(٥) في نسخة أ : « عير » . والعير والعير هو الزعفران ، أو العير أخلاط من الطيب .

وأما الثياب الخضر — فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمجبه الثياب الخضر . وعن أبي رُمثة قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه بُردان أخضران . والله المتعم .

وأما السَّواد وما ورد فيه — فقد روى عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة ، وعليه عمامة سوداء . وعن حُرَيْث عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب الناس ، وعليه عمامة سوداء . هذا ما وقفنا عليه من ألوان لباسه صلى الله عليه وسلم .

فأما أصناف لباسه صلى الله عليه وسلم وطولها وعرضها ، فإنه عليه الصلاة والسلام لبس الصوف والخَبَرَةَ والقطن ، ولبس السُّنْدُسَ^(١) والحرير ، ثم تركه ، وورد في ذلك أخبار نذكر منها ما أمكن .

أما الصوف وما ورد فيه — فقد روى عن أبي بُردة قال : دخلت على عائشة رضي الله عنها فأخرجت إلينا إزارا غليظا مما يُصنع باليمن ، وكساء من هذه الملبدة ، فأقسمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قُبِضَ فيهما . وعن أبي رُمثة قال : جعل للنبي صلى الله عليه وسلم بُردة سوداء من صوف فلبسها . وعن سهيل بن سعد : قال : جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ببردة منسوجة ، فيها حاشيتها . قال سهيل : وتدرن ما البردة ؟ قالوا : الشَّمْلَة ، قال : نعم ، هي الشَّمْلَة ، فقالت : يا رسول الله ، نسجت هذه البردة بيدي فبخت بها أكسوكها ، قال : فأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم محتاجا إليها ، فخرج علينا وإنها لإزاره ، فحسبها فلان — لرجل من القوم سماه — فقال : يا رسول الله ، ما أحسن هذه البردة !

أُكْسِنِيهَا، فقال : « نعم » فجلس ماشاء الله في المجلس ثم رجع ، فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم طوعا ثم أرسل بها إليه ، فقال له القوم : ما أحسنت ، كَيْسِيهَا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم محتاجا إليها ثم سأله إياها ، وقد علمت أنه لا يرد سائلا ! فقال الرجل : والله ما سألتها إياها لألبسها ، ولكن لتكون كَفَفِي يوم أموت ، قال سهل : فكانت كَفَفَتْهُ .

مَعِينُ التَّارِيخِ
لأهل التَّارِيخِ

وأما الحِجْرَةُ وهي من بُرودِ اليَمَنِ فيها حُرَّةٌ وبياض فكانت من أحبِّ اللباسِ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وروى عن قتادة قال قلت لأنس بن مالك : أى اللباس كان أحبَّ وأعجبَ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : الحِجْرَةُ . وعن محمد بن هلال قال : رأيت على هشام بن عبد الملك بُردَ النبي صلى الله عليه وسلم من حِجْرَةٍ له حاشيتان .

١٠٤
١٦

وأما السُّنْدُسُ والحرير—فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لبس ذلك ثم تركه . روى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : أهدى ملك الروم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مُسْتَقَّةً^(١) من سُندُسٍ فلبسها ، فكأنني أنظر إلى يديها تَدْبِذَانِ^(٢) من طولها . فجعل القوم يقولون : يا رسول الله ، أنزلت عليك من السماء ؟ فقال : « وما تعجبون منها ، فوالذى تقسمي بيده إن منديلًا من مناديل سعد بن معاذ في الجنة خير منها » ثم بعث بها إلى جعفر بن أبي طالب فلبسها ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إني لم أعطكها لتلبسها » قال : فما أصنع بها ؟ قال : « أبعث بها »

(١) مستقَّة : « هي بنتج النساء وضعا : فرو طويل الكمين ، وهي تعريب مشتهرة ، وقوله : من سندس يشبه أنها كانت مكففة بالسندس وهو الرقيق من الحرير والديساج لأن نفس القرو لا يكون سندسا ، وبعدها ماسق » (النهاية) .

(٢) في النهاية : « كأنني أنظر إلى يديها تَدْبِذَانِ ، أى تحركان وتضطربان ، يريد كيه » .

إلى أخيك النجاشي » . وعن عقبة بن عامر قال : أهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قُرُوجٌ — يعنى قَبَاءَ حرير — فلبسه ، ثم صلى فيه ، ثم أنصرف فَنَزَعَهُ نَزْعًا شديدًا كَالكَارِهِ لَهُ ، ثم قال : « لا يَبْنِي هذا للتقين » .

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى في نَحِيصَةٍ لها أعلام ، فنظر إلى أعلامها نظرة ، فلما سلم قال : « أذهبوا بَحِيصَتِي هذه إلى أبي جهنم فإنها ألْهَتْنِي آنفا عن صلاتي وأتوني بِأَنْجِيَانِي أَبِي جَهَنم » ^(١) .

وأما القطن وما ورد في أطوال ثياب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرضها فروى عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كنت يوما أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه بُرْدٌ بَحْرَانِي غليظ الحاشية . وعنه : كان قيص رسول الله صلى الله عليه وسلم قُطْنِيَا قصير الطول قصير الكُتَيْن . وعن بُدَيْل ^(٢) قال : كان كُم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرُشْغ . وعن عُرْوَةَ بن الزبير رضي الله عنهما : أن طول رداء النبي صلى الله عليه وسلم أربع أذرع ، وعرضه ذراعان وشبر .

(١) أنجيان ، كذا في الأصول ، والذي في الصحيحين : « وأتوني بِأَنْجِيَانِي أَبِي جَهَنم » قال : الفسطلاني : نسبة إلى منبج بفتح الميم وكسر الموحدة موضع بالشام ، ويقال نسبة إلى موضع يقال له أنجيان » ثم قال عن ثعلب : « يقال كساء أنجيان » قال : وهذا هو الأقرب إلى الصواب في لفظ الحديث . راجع ج ١ ص ٥١٠ .

(٢) بخراني نسبة إلى البحرين ، على لفظ المتن ، قال في المصباح : يجوز أن تحمل — النون محل الأعراب مع لزوم الياء مطلقا وهي لغة مشهورة ، لأنه صار عليها مفرد الدلالة فأشبه المفردات والنسبة إليه بخراني .

(٣) قال في أسد الغابة : « غير مندوب آفرد ابن مسعدة بإخراجه » وقال : أخرج في الصحابة وذكره أهل المعرفة في التابعين وروى عنه : « كان كُم رسول الله إلى الرسنين » .

وعنه : أن ثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان يخرج فيه إلى الوفد - ورداؤه حَضْرِيَّ - طوله أربع أذرع ، وعرضه ذراعان وشبر ، فهو عند الخلفاء قد خَلَقَ ، فطَوَّه بثوب يلبسونه يوم الأضحى والفطر . وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس قيصا قصيرا اليدين والطول . وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال : كنت مع عمر ، في حديث رواه عنه قال فقال : رأيت أبا القاسم وعليه جبة شامية ضيقة الكُمَيْن .

ذكر صفة إزرة رسول الله صلى الله عليه وسلم

وما كان يقوله إذا لبس ثوبا جديدا

- روى عن يزيد بن أبي حبيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرنى الإزار من بين يديه ، ويرفعه من ورائه . وعن عكرمة مولى ابن عباس ، قال : رأيت ابن عباس إذا أُنْتَرَى أُنْزِي مقدم إزاره ، حتى تتع حاشيته على ظهر قدميه ؛ ويرفع الإزار مما ورائه ، فقلت له : لِمَ تَأْتِرُ هَكَذَا ؟ قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يَأْتِرُ هذه الإزرة . وعن أبي سعيد الخدري قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اسْتَجَدَّ ثوبا سَمَاهُ بِاسْمِهِ ، قَيْصًا أو إِزَارًا أو عِمَامَةً ، وبقول : « اللهم لك الحمد أنت كسوتني ، أسألك من خيره وخير ما صنع له ، وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له » . وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا لبس ثوبا - أو قال - إذا لبس أحداكم ثوبا فليقل الحمد لله الذي كساني ما أُوَارِي به عورتى ، وأُتَجَلَّ به في حياتى » . وكان صلى الله عليه وسلم يلبس الكساء الصوف وخده فيصلى فيه ، وربما لبس الإزار الواحد ليس عليه غيره ، ويعقد طرفيه بين كتفيه يصلّى فيه . وكان يلبس القلائس

تحت العائم ، ويلبسها دونها [ويلبس العائم دونها ^(١)] ويلبس القلانس ذات
الآذان في الحرب ، وربما نزع قلنسوته ، وجعلها سترة بين يديه وصلى إليها ، وربما
مشى بلا قلنسوة ولا عمامة ولا رداء ، راجلاً يهود المرضى كذلك في أقصى المدينة .
وكان يعمّ ويُسَدِّل طَرْف عمامته بين كتفيه . وعن علي أنه قال : عَمَّي
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعمامة ، وسدل طرفها على منكبي ، وقال : « إِنَّ الْعِمَامَةَ
حَاجِزِينَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ » .

ذكر فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم ووسادته

روى عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها ، قالت : دخلت امرأة من الأنصار
عليّ فرأت فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم عباءة مَنِيَّية ، فانطلقت فبعثت
إلى بفراش حَشَوْه صَوْفٌ ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليّ فقال :
« ما هذا ؟ » قلت : يا رسول الله ؛ فلانة الأنصارية ، دخلت عليّ فرأت فراشك
فذهبت فبعثت هذا . فقال : « رُدِّيهِ » فلم أردّه ، وأعجبنى أن يكون في بيتي ، حتى
قال ذلك ثلاث مرات ، فقال : « والله يا عائشة لو شئت لأجرى الله معي جبال
الذهب والفضة » . وعنها : أنها كانت تفرش لرسول الله صلى الله عليه وسلم عباءة
بأثنتين بخاء ليلة وقد ربّعتها فنام عليها ، فقال : « يا عائشة ما لفراشي الليلة ليس
كما كان يكون ؟ » قالت قلت : يا رسول الله ، ربّعتها ، قال : « فأعيديه كما كان » .
وعنها قالت : كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم وسادةٌ من أَدَمٍ محشوة ليفاً ، ودخل
عمر بن الخطاب رضى الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على سرير

(١) ساقطة في أ .

(٢) في ب « إليه » .

(٣) أى اثنتين اثنتين ، كما في رواية حفصة عند الترمذى .

- (١) مَرْمُولٌ بِشَرِيطٍ ، وتحت رأسه مِرْفَقَةٌ (٢) مِنْ أَدَمَ مَحْشُوءَةٌ بَلِيفٌ ، وقد أثر الشَّرِيطُ بِجَنْبِهِ ، فَبَكَى عَمْرٌ ، فَقَالَ : « مَا يَبْكِيكَ » ؟ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ذَكَرْتُ كَيْسَرِي وَقَيْصَرِي يَجْلِسُونَ عَلَى سُرُرِ الذَّهَبِ وَيَلْبَسُونَ السُّنْدُسَ وَالْإِسْتَبْرَقَ ، فَقَالَ : « أَمَّا تَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونَ لَكُمْ الْآخِرَةُ وَلَهُمُ الدُّنْيَا » . وعن عبد الله بن مسعود قال :
- أَضْطَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى حَصِيرٍ فَأَثَرَ الْحَصِيرَ بِجِلْدِهِ ، فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ جَمَلْتُ أَمْسَحَ عَنْهُ وَأَقُولُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَلَا آذَنَتْنَا نَبْسُطَ لَكَ عَلَى هَذَا الْحَصِيرِ شَيْئًا يَبْكِيكَ مِنْهُ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا لِي وَالِدُنْيَا ، وَمَا أَنَا وَالِدُنْيَا ، مَا أَنَا وَالِدُنْيَا إِلَّا كَرَاكِبٍ أَسْتَظِلُّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا » ، وعن المغيرة ابن شعبة قال : كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُرْوَةٌ ، وَكَانَ يَسْتَحِبُّ أَنْ تَكُونَ لَهُ قُرْوَةٌ مَدْبُوعَةٌ يَصَلِّيُ عَلَيْهَا ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصَلِّيُ عَلَى الْحَصِيرِ وَالْمَحْمَرَةِ (٣) ، كَمَا رَوَى فِي الصَّحِيحَيْنِ .

ذكر ما لبسه رسول الله صلى الله عليه وسلم

من الخواتم ، ومن قال لم يتختم

- قد قدّمنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذ الخاتم في سنة سبع من الهجرة
- عند ما بعث رُسُلَهُ إِلَى الْمُلُوكِ ، وَخَتَمَ بِهِ الْكِتَابَ الَّتِي سَيَرَهَا إِلَيْهِمْ ؛ فَلَنَذْكُرْ هُنَا
- مَا لَبَسَهُ مِنَ الْخَوَاتِمِ . وَقَدْ رَوَى أَنَّهُ تَخَتَّمَ بِالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْحَدِيدِ الْمَلُوءِ عَلَيْهِ
- الْفِضَّةُ ، عَلَى مَا نَذْكُرُ ذَلِكَ مِنْ أَقْوَالِهِمْ .

١٠٦
١٦

(١) مرمول بشریط : أى منسوج بما ينسج به الحصير .

(٢) المرفقة : كاللوسادة ، وفي رواية « مرقعة » .

(٣) الخمرة وزان غرفة : حصير صغير قدر ما يسجد عليه ، ولا تكون حمرة إلا في هذا المقدار .

روى عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتماً من ذهب ، فكان يجعل فضه في بطن كفه إذا لبسه في يده اليمنى ، فصنع الناس خواتيم من ذهب ، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فترعه ، وقال : « إني كنت ألبس هذا الخاتم وأجعل فضه من باطن كفي » فرمى به ، وقال : « والله لا ألبسه أبدا » ونبذ النبي صلى الله عليه وسلم الخاتم ، فنبذ الناس خواتيمهم .

ثم أخذ خاتماً من فضة فضه منه ، ونقش عليه « محمد رسول الله » ثلاثة أسطر ، كان يختم به الكتب إلى الملوك . وقد روى أن خاتمه كان من حديد ، ملوى عليه فضة ، وقيل : إنه رآه في يد عمرو بن سعيد بن العاص حين قدم من الحبشة فقال : « ما هذا الخاتم في يدك يا عمرو » ؟ قال : هذه حلقة يا رسول الله ، قال : « فما نقشها » ؟ قال : محمد رسول الله ، فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم منه فتختمه ، فكان في يده حتى قبض ، ثم في يد أبي بكر حتى قبض ، ثم في يد عمر حتى قبض ، ثم في يد عثمان ست سنين ، وفي السابعة وقع في بئر أريس . قال أنس ابن مالك : فطابنا مع عثمان ثلاثة أيام فلم نقدر عليه . وروى عن ابن سيرين : أن نقشه كان « بسم الله ، محمد رسول الله » . وقد روى محمد بن سعد في طبقاته قال : أخبرنا أحمد بن محمد بن الوليد الأزرق ، قال حدثنا عطاء بن خالد ، عن عبد الأعلى بن عبد الله بن أبي فروة ، عن سعيد بن المسيب ، قال : ما تختم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لقي الله ، ولا أبو بكر حتى لقي الله ، ولا عمر حتى لقي الله ، ولا عثمان حتى لقي الله ، هكذا روى . والصحيح أنه تختم صلى الله عليه وسلم ، وتختموا رضوان الله عليهم أجمعين كما ذكرنا .

(١) بئر أريس : بئر معروفة عند مسجد قباء تلقاه في المدينة المنورة .

ذكر نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وخفيه

روى عن أنس بن مالك رضى الله عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لنعله قبالان^(١) . وعن عبد الله بن الحارث قال : كان نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم لها رمالان^(٢) شراكهما مثنى في العقدة . وعن سامة عن هشام بن عروة قال : رأيت نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم محضرة^(٣) معقبة ملبسة لها قبالان . وعن عبيد ابن جريح قال قلت لابن عمر : يا أبا عبد الرحمن ، أراك تستحب هذه النعال السبئية ، قال : إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسهما ويتوضأ فيهما . وعن عبد الله بن بريدة عن أبيه : أن صاحب الحبشة أهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم خفين ساذجين^(٤) فمسح عليهما ، وفي رواية : أن النجاشي أهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم خفين أسودين ساذجين فلبسهما ومسح عليهما .

ذكر سواك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومشطه ، ومكحله ،

ومرآته ، وقَدَحِه ، وغير ذلك من أثائه

روى عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يرقُد ليلاً ولا نهاراً فيستيقظ إلا تسوك قبل أن يتوضأ . وعن قتادة عن

(١) قبالان : القبال زمام النعل ، وهو السير الذي يكون بين الأصبعين .

(٢) رمالان ثنية رمال : وهو سير من الجلد كالقبال .

(٣) المحضرة : لها خصر رقيق ، أو التي قطع خصرها حتى صار مستدين . ومعقبة : لها عقب من سبور يضم به الرجل . والملبسة : ما فيها طول ولطافة على هيئة اللسان ، أو التي لها لسان ، وهو الهيئة الملبنة في مقدمها . (٤) السبئية : المدبوجة بالقرظ ، لأن شعرها انسبت بالدباغ ، أو من السبب وهو الفطع لأنه قطع عنها الشعر وحلق .

(٥) الساذج : قال في المواهب : غير مقوشين ، أو لا شعر عليهما ، أو على لون واحد لا يخالط

سوادهما لون آخر ، قال : الساذج معرب ساذه .

عكرمة قال : آسناك رسول الله صلى الله عليه وسلم يجريد رطب وهو صائم ،
 فقيل لفتادة : إن أنا سا يكرهونه ، فقال : آسناك والله رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يجريد رطب وهو صائم . وعن ابن جريج قال : كان لرسول الله صلى الله عليه
 وسلم مشط عاج يمتشط به . وعن ثور عن خالد بن معدان قال : كان
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يسافر بالمشط والمرأة والذهن والمكحل والسواك .
 وعن أنس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر دهن رأسه ، ويسرح لحيته
 بالماء . وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كانت لرسول الله صلى الله عليه
 وسلم مكحلة يكتحل بها عند النوم ثلاثاً في كل عين . وعن أنس قال : كان رسول
 الله صلى الله عليه وسلم يكتحل في عينه اليمنى ثلاث مرات ، واليسرى مرتين .
 وعن أبي رافع قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتحل بالإثمد وهو صائم .
 وعن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 « عليكم بالإثمد فإنه يجلو البصر ، وينبت الشعر ، وإنه من خير أطعمكم » . وعن
 عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود قال : أهدى المقوقس إلى رسول الله صلى
 الله عليه وسلم قدح زجاج ، كان يشرب فيه . وعن عطاء قال : كان لرسول الله
 صلى الله عليه وسلم قدح زجاج ، فكان يشرب فيه . وعن حميد قال : رأيت قدح

(١) العاج : أنياب الفيل ، وعظم دابة بحرية يتخذ منه الأسورة والأمشاط .

(٢) في الأصول : « ثور بن جابر بن معدان » وهو تصحيف (راجع طبقات ابن سعد

ج ١ : ١٧٠) .

(٣) في طبقات ابن سعد « الكحل » .

(٤) المكحلة بالضم على غير قياس ، فإذا أريد بها الآلة جاز الكسر .

النبي صلى الله عليه وسلم عند أنس فيه فضة، أو شُدُّ بفضة . وقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم كان له رُبْعَةٌ^(١) فيها مرآة ومشط عاج ومُكْحَلَةٌ^(٢) ومِقْرَاضٌ^(٣) وسِوَالِكٌ . وكان له قَدَحٌ^(٤) مُضَبَّبٌ بثلاث ضَبَاتٍ من فضة — وقيل من حديد — وفيه حلقة يُعَلِّقُ بها، وهو أكبر من نصف المِئْدَةِ وأصغر من المِئْدَةِ، وكان له قدح آخر يُدْعَى الرِّيَّانَ، وتور من حجارة يدعى المِخْضَبُ . ومُخَضَّبٌ^(٥) من شِبْهِ^(٦) يكون فيه الحناء والكُمِّ^(٧) توضع عند رأسه إذا وجد فيه حراء ومِغْسَلٌ من صُفْرٍ، وقِصْعَةٌ، وصاع يخرج به فِطْرَتَهُ، ومِئْدَةٌ، وكان له سرير، وقِطِيفَةٌ . وكان له كِساء أسود كساه في حياته، وكان له ثوبان للجمعة، غير سائر ثيابه التي يلبسها في سائر الأيام، وكان له مُنْشَدِلٌ يمسح به وجهه من الوضوء، وربما مسح بطرف رداءه صلى الله عليه وسلم .

١٠ ذكر ماورد في حجامه رسول الله صلى الله عليه وسلم وحجامة

روى عن أنس بن مالك قال : أحْتَجَمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحججه أبو طَيِّبَةَ ، وأمر له بصاعين ، وأمرهم أن يخففوا عنه من ضربته . وأختلف في أسم أبي طَيِّبَةَ ، فقيل : دينار ، وقيل : نافع ، وقيل : بَيْسَرَةٌ ، وهو مولى

(١) رُبْعَةٌ بفتح فسكون : إناء مربع يكونه المطار : هي جلد يجعل فيه طيبه .

(٢) المِقْرَاض : الجلبان وهو المقص .

(٣) مضبب : مشعب ، والإناء يسان إذا جعل له شعب من فضة أو حديد أو صفر .

(٤) التور : إناء من صفر أو حجارة .

(٥) مخضب : إناء يحضر فيه الخضاب وهو الحناء الذي يخبض بها صلى الله عليه وسلم .

(٦) الشبه : النحاس الشبه بالذهب .

(٧) الكُمِّ : ثوب يخالط بالحناء يخبض به الشعر فيبقى لونه .

(٨) الصفر : النحاس .

بنى حارثة . وعن جابر بن عبد الله قول : أخرج إلينا أبو طيبة المحاجم
ثمان عشرة من شهر رمضان نهرا، فقلت : أين كنت ؟ قال : كنت عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم أحجمه . وعن أنس قال : أحجم رسول الله صلى الله
عليه وسلم، حجمه أبو طيبة مولى كان لبعض الأنصار، فأعطاه صاعين من طعام،
وكلم أهله أن يخففوا عنه من ضربته، وقال : « الحجامة من أفضل دوائكم » .
وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : أحجم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
صائم، فغشي عليه يومئذ، فلذلك : كرهت الحجامة للصائم . وعن سمرة بن جندب
قال : كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا حجامه فحجمه بمحاجم من
قرون، وجعل يشرطه بطرف شفرة، فدخل أعرابي فرآه ولم يكن يدري الحجامة،
ففزع وقال : يا رسول الله، علام تعطى هذا يقطع جلدك ؟ فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : « هذا الحجم » قال : يا رسول الله، وما الحجم ؟ قال : « هو خير ما تداوى
به الناس » . وعن عطاء وابن عباس - رضي الله عنهم - قالوا : أحجم رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو مُحْرِمٌ من وَجَع . وعن أنس قال : كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يحجم ثلاثا، على الأخدعين ^(٢) ثنتين، وعلى الكاهل واحدة . وعن سعد
ابن أبي وقاص : أنه وضع يده على المكان الناتئ من الرأس فوق اليافوخ، فقال :
هذا موضع تحجم رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان يحجم ، وجاء
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسميها المغيثة . وكان خالد بن الوليد يحجم

(١) كذا في الأصول والطبقات : أخرج، والذي في أسد الغابة عن ابن عباس : « لقيت أبا طيبة

لسع عشرة من رمضان » الخ .

(٢) الأخدعان : عرقان في جانبي العنق، والكاهل : ما بين الكتفين .

- على هامته وبين كتفيه ، ف قيل له : ماهذه الجحامة ؟ فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحتجمها ، وقال : « من أهرق منه هذه الدماء فلا يضره ألا يتداوى بشيء لشيء » . وروى : أن الأقرع بن حابس دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يحتجم في القمحة : وهي آخر الرأس ، فقال : لم أحتجمت وسط رأسك ؟ قال : « يابن حابس إن فيها شفاء من وجع الرأس والأضراس والنعاس والمرض » وشك الراوى فى الجنون . وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الجحامة فى الرأس هى المِفْيَةِ أمرنى بها جبريل حين أكلت طعام اليهودية » . وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليلة أسرى بى مامرت بملا من الملائكة إلا قالوا يا محمد مر أمتك بالجحامة » . وعن معقل بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الجحامة يوم الثلاثاء لسبع عشرة فى الشهر دواء لداء السنة » . وقد كان صلى الله عليه وسلم يحتجم لسبع عشرة وتسع عشرة وإحدى وعشرين . وعن الأوزاعى ، عن هرون بن رثاب : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم احتجم ، ثم قال لرجل : « أدفنه لا يبحث عنه كلب » .

١٠٨
١٦

ذكر مملكته رسول الله صلى الله عليه وسلم من السلاح

- (١)
كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة أسياف : ذو الفقار تنقله يوم بدر ، وهو الذى رأى فيه الرؤيا فى غزوة أحد ، وكان قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم لمُنْبَةِ بن الحجاج السهمى ، وثلاثة أسياف ، أصابها من سلاح بنى قينقاع ، سيف

(١) تنقله : من الفسل وهو الغنبة ، روى الحاكم عن ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم تنقل ذو الفقار يوم بدر . وسعى سيف النبي صلى الله عليه وسلم ذا الفقار ؛ لأنه كانت فيه حفر صفار حسان .

قَلْبِي^(١) ، وسيف يُدْعَى الْبَتَار ، وسيف يُدْعَى الْحَتَف^(٢) ، وسيفان أصابهما من الفلَس^(٤) ،
سيف يُدْعَى الْمُخْذَم^(٥) ، وآخر يُدْعَى الرُّسُوب^(٦) ، وسيف ورثه من أبيه^(٧) ، وسيف يقال له
الْعَضْب^(٨) ، أعطاه إياه سعد بن عُبَادَة ، وآخر يُدْعَى الْقَضِيب^(٩) ، وهو أول سيف
تَقَلَّد به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال أنس : كان نَعْل سيف رسول الله
صلى الله عليه وسلم فِضَّة ، وقَبِيعَتُهُ فضة ، وما بين ذلك حَلَقُ الفِضَّة^(١٠) .

وكان له صلى الله عليه وسلم أربعة أرماح ، ثلاثة أصابها من سلاح بني قَيْنُقَاع ، وواحد
يقال له الْمُشْنَى . وكان له عَتَرَة : وهى حَرْبَة دون الرِّمْح يمشى بها فى يده ، وتحمل بين
يديه فى العيدين ، حتى تُرَكَّز أمامه فيتخذها مدرة يصلى إليها . وكان له أربعة قِيسَى :
قَوْس من شَوْحَط تدعى الرُّوحَاء ، وأخرى من شَوْحَط تدعى الْبَيْضَاء ، وأخرى

(١) قلبي : نسبت إلى قلع : قلعة بالبادية قريب من حلوان بطريق همدان .

(٢) البتار : القاطع .

(٣) الحتف : الموت .

(٤) الفلَس : صنم لطل .

(٥) المخذم : من الخذم وهو القطع .

(٦) الرسوب : من الرسب وهو الذهاب إلى أسفل لأن ضربته تفوس فى المضروب به .

(٧) يسمى مأثور .

(٨) العضب : أى القاطع .

(٩) القضيب : يراد به اللطيف من السيوف ، ويراد به القاطع .

(١٠) قبيعته : هى التى تكبر على رأس قائم السيف ، وقبيل : هى ماتحت شارب

السيف .

(١١) الذى فى شرح المواهب : سنة ، وزاد : الزوراء ، والساداد .

(١٢) شوحط : شجر جبل يتخذ منه القسى .

(١) من نَبَعَ تُدْعَى الصَّفراء ، وقوس تُدْعَى الكَثُومُ (٢) كُثِرَتْ يوم بدر . وكان له جَبَّة (٣)
 تدعى الكافور ، وكان له مِخْصَرَةٌ تسمى العُرْجُون ، وكان له مِجْنَن (٤) قدر الذراع أو نحوه
 يتناول به الشيء ، وهو الذي استلم به الزَّكْنُ (٥) في حجة الوداع ، وكان له دِرْعَان (٦)
 أصابهما من سلاح بني قَيْنُقَاع : دِرْعٌ يقال لها السَّعدية ، وأخرى يقال لها فِضة .
 وعن محمد بن مسلمة قال : رأيت على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد
 دِرْعَيْن ، دِرْعُهُ ذات الفضول ، ودِرْعُهُ فِضة ، ورأيت عليه يوم حُتَيْن دِرْعَيْن ، ذات
 الفضول والسَّعدية ، ويقال : كانت عنده دِرْعٌ داود عليه السلام التي لبسها
 لما قُتِلَ جَاوُت ، وكان له مِغْفَرٌ يقال له السَّبُوح (٧) ، وكان له صلى الله عليه وسلم
 ثُرْسٌ ؛ روى محمد بن سعد في طبقاته قال : أخبرنا عَتَابُ بن زياد ، قال حدثنا
 عبد الله بن المبارك ، قال أخبرنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، قال سمعت
 مَكْحُولًا يقول : كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثُرْسٌ فيه تَمَثُّالُ رأس
 كَبِش ، فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانه ، فأصبح وقد أذهب الله تعالى .
 وفي رواية أخرى : كان له صلى الله عليه وسلم ثُرْسٌ عليه تَمَثُّالُ عَقَاب ، أُهْدِيَ له
 فوضع يده عليه فأذهب الله ، وكان له مَنَظَقَةٌ من أديمٍ مَبْشُورٍ (٨) فيها ثلاث حِلَقٍ من

(١) نَبَعَ : شجر يخذ منه الزماح والسهام .

(٢) الكَثُوم : سميت بذلك لانخفاض صورتها إذا رمى عنها .

(٣) جبّة : هي الكتانة يجمع فيها ثبله .

(٤) مِخْصَرَةٌ : ما يخنصره يده ، فيمسكه من عصا أو عكازة أو مقرعة أو قضيب ، قد يتوكأ عليه .

(٥) مِجْنَن : عصا معوجة .

(٦) الزَّكْنُ البَاسِي من الكعبة .

(٧) السَّعدية : نسبة إلى جبال السعد ، ويروى بالعين المعجمة وضم السين : ناحية يسمرقند .

(٨) السَّبُوح (بالفتح والضم) : بمعنى السابغ وهو الطويل .

(٩) مَبْشُور : مقشور ؛ وهذه الصفة لا توجد في شرح المواهب .

فِضَّة، والإِزِيم ^(١) من فِضَّة ، والطَّرَف من فِضَّة ، وكان له راية سوداء مُجَمَّلَةٌ ، يقال لها العُقَاب ، ولواء أبيض وربما جعل الألوية من نُحُر نِسَائِهِ صلى الله عليه وسلم ، ورضى عنهم .

ذكر دَوَابِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم

من الخيل والبغال والحمير

أما خيله صلى الله عليه وسلم ، فقد ذكرنا في الباب الأول من القسم الثالث من الفن الثالث من كتابنا هذا ، وهو في السفر التاسع من هذه النسخة ، أن خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم التي ملكها ، على ما ظهر من مجموع الروايات التي أوردناها هناك تسعة عشر فرسا : وهي السَّكْب ^(٢) ، والمُرَيْجِز ^(٣) ، والبحر ^(٤) ، وسبحة ^(٥) ، وذو الألة ^(٦) ، وذو العقال ^(٧) ، والمُخَيِّف ^(٨) ، ويقال فيه : الخفيف بالخاء المعجمة ، وقيل : الخفيف بالنون ، واللِّزَاز ^(٩) ، والطَّرِب ^(١٠) ، والورد ^(١١) ، والسَّجَل ^(١٢) ، والشَّحَا ^(١٣) ، والسرَّحَان ^(١٤) ،

- (١) الإِزِيم بالكسر : الذي في رأس المنطقة وما أشبهه ، وهو ذو لسان يدخل فيه الطرف الآخر .
- (٢) السكب : الصب سمي بذلك لسرعه في الجرى ، كأنما هو ينسكب كالما .
- (٣) المُرَيْجِز : سمي بذلك لحسن صبله ، مأخوذ من الرجز الذي هو ضرب من الشعر .
- (٤) البحر : سماه رسول الله بذلك حين جرى عليه فكان سريعا فقال له : « ما أنت إلا بحر » .
- (٥) سبحة : من قولهم : فرس سابع إذا كان حسن مديدين في الجرى .
- (٦) ذو الألة : سمي بذلك لوفرة شعره حتى ألم بالمكبين .
- (٧) ذو العقال ، بشد الهاء وتخفيفها : سمي بذلك لظلع في قوائمه . ، والظلع : العرج اليسير .
- (٨) الخفيف بالتصغير والتكثير : سمي بذلك لسمه وكبره ، وقيل لطول ذنبه كأنه يلحف الأرض أي يغطيها بذنبه لطوله .

- (٩) اللزاز : المجتمع الخلق ، أو من لزه التزق كأنه يلتزق بالمطلوب .
- (١٠) الطرب : الجليل سمي بذلك لقوته وصلابة حافره .
- (١١) الورد : لون بين الكهيت والأشقر شبه بالورد المشعوم .
- (١٢) السجل : مأخوذ من سجلت الماء صيته . وقيل بكسر السين كما في المواهب .
- (١٣) الشحا : أي بعيد الخطوة .
- (١٤) السرحان : الذئب .

وَالْمُرْتَجِلُ ، وَالْأَدَمُ ، وَمُلَاوِحُ ، وَالْيَعْسُوبُ ^(٤) ، وَالْيَعْيُوبُ ^(٥) ، وَالْمِرْوَاحُ ^(٦) ، وَقَدْ يَكُونُ الْأَدَمُ هُوَ السَّكْبُ أَوْ الْبَحْرُ ، فَتَكُونُ ثَمَانِيَةَ عَشْرَ فَرْسًا .

وَذَكَرْنَا هُنَاكَ أَخْبَارَ هَذِهِ الْخَيْلِ وَمَنْ ذَكَرَهَا . وَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّ خَيْلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَتْ عَشْرَةَ أَفْرَاسٍ : السَّكْبُ ، وَالْمُرْتَجِيزُ ، وَلِرَازُ ، وَالْخَيْفُ ، وَالظَّرِيبُ ، وَالْوَرْدُ ، وَالضَّرِيرُ ^(٧) ، وَمُلَاوِحُ ، وَسَبَّحَةُ ، وَالْبَحْرُ ، وَلَمْ يَذْكُرْ مَا عَدَاهَا ، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَعْلَمُ .

١٠٩
١٦

وَأَمَّا بَقِيَّاتُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحُرَّهُ فَقَدْ ذَكَرْنَا أَيْضًا فِي الْبَابِ الثَّانِي مِنْ الْقِسْمِ الثَّلَاثِ مِنَ الْفَنِ الثَّلَاثِ فِي السَّفَرِ الثَّاسِعِ مِنْ كِتَابِنَا هَذَا ، أَنَّ بَقِيَّاتَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّاتِي مَلَكَهِنَّ كُنَّ سَبْعًا ، عَلَى مَا ظَهَرَ مِنْ مَجْمُوعِ الرِّوَايَاتِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا هُنَا ، وَهِنَّ دُلِّلُ الَّتِي أَهْدَاهَا لَهُ الْمُقَوِّسُ ، وَفِيضَةُ الَّتِي أَهْدَاهَا لَهُ فَرَّوْهَ بْنِ عَمْرٍو ، وَبَقْلَةُ أَهْدَاهَا لَهُ كِسْرَى ، وَبَقْلَةُ الْأَيْلِيَّةِ الَّتِي أَهْدَاهَا لَهُ أَبِي الْعَلَمَاءِ ^(٨) ، صَاحِبُ أَيْلَةٍ ، وَبَقْلَةُ بَعَثَهَا لَهُ صَاحِبُ دُومَةِ الْجَنْدَلِ ،

(١) المُرْتَجِلُ : الَّذِي يَخْلُطُ بَيْنَ تَبَاعُدِ خَطَاوِهِ وَتَوْسُّعِ جَرِيهِ ، وَبَيْنَ تَقَارُبِهَا وَسُرْعَتِهِ .

(٢) الْأَدَمُ : الْأَسْوَدُ .

(٣) مُلَاوِحُ : الضَّامِرُ الَّذِي لَا يَسْمَنُ ، وَالْمَرْجُ الْعَطَشُ ، وَالْعَظِيمُ الْأُلُوحُ .

(٤) الْيَعْسُوبُ : قَالَ الزُّرْقَانِيُّ عَلَى الْمَوَاهِبِ : « وَزَادَ بَعْضُهُمُ الْيَعْسُوبَ بِتَقْدِيمِ الْعَيْنِ عَلَى الْيَاءِ » .

وَفِيهَا أَيْضًا : « الْيَعْسُوبُ » : غُرَّةٌ تَسْتَطِيلُ فِي وَجْهِ الْفَرَسِ ، وَأَمِيرُ النَّحْلِ .

(٥) الْيَعْيُوبُ : الْفَرَسُ الْجَوَادُ .

(٦) الْمِرْوَاحُ : مِنْ أَجْنَبَةِ الْمَالِغَةِ ؛ مُشْتَقٌّ مِنَ الرِّيحِ لِسُرْعَتِهِ كَالرَّيْحِ ، أَوْ مِنَ الرِّوَاكِ ؛ لِتَوْسُّعِهِ فِي الْجَرِيِّ ،

أَوْ مِنَ الرَّاحَةِ ؛ لِأَنَّهُ يَسْتَرَاحُ بِهِ .

(٧) فِي الْأَصُولِ : « الضَّرِيرُ » ؛ وَمَا أُتْبِنَاهُ عَنْ الطَّبَقَاتِ ، وَقَالَ فِي النَّهَايَةِ : إِنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشْتَرَى فَرَسًا اسْمَهُ الضَّرِيرُ فَزَادَ بِهِ يَوْمَ أَحَدٍ وَاسْمَهُ السَّكْبُ .

(٨) الْعَلَمَاءُ : ثَانِيَةُ الْأَعْلَمِ ، بِشَقْوَقِ الشَّقَةِ الْعُلْيَا .

وَبَقْلَة أَهْدَاهَا لَهُ يُوحَنَّا بْنُ رُوزِيهِ ، وَبَقْلَة أَهْدَاهَا لَهُ التَّجَاشِي صَاحِبُ الْحَبْشَةِ ،
وَفِي الْبَقْلَةِ الَّتِي ذَكَرَ أَنَّ كَسْرِي أَهْدَاهَا لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَظَرٌ ، لَمَّا قَدَمْتَاهُ مِنْ
أَنَّهُ مَرَّقَ كِتَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يَجِبْهُ . وَمِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ مَنْ ذَهَبَ
إِلَّا أَنَّهُمْ كُنْ ثَلَاثَةٌ : ذُلُّدِلُ الَّتِي أَهْدَاهَا لَهُ الْمُقَوِّسُ ، وَفَضَّةٌ وَهَبَهَا لِأَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَبَقْلَة أَهْدَاهَا لَهُ صَاحِبُ آيَلَةٍ . وَكَانَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ
الْحُمْرِ : يَعْفُورٌ ، وَعُفَيْرٌ ، وَقَدْ ذَكَرْنَاهُمَا فِي الْبَابِ الْمَقْدَمِ ذَكَرَهُ فِي السُّفَرِ التَّاسِعِ .

ذَكَرْنَا نَعَمَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرُونَ لِقْعَةً بِالْعَابَةِ ، يَرِاحُ لَهُ مِنْهَا كُلُّ لَيْلَةٍ
بِقَرِيَّتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ اللَّبَنِ ، وَكَانَتْ لَهُ لِقْعَةٌ تُدْعَى بُرَّةً ، أَهْدَاهَا لَهُ الضَّحَّاكُ
أَبْنُ سَفْيَانَ ، كَانَتْ تُحْلَبُ كَمَا تُحْلَبُ لِقَحْطَانُ غَيْرِ بَرْتَانَ ، وَكَانَتْ لَهُ مَهْرِيَّةٌ أُرْسِلَتْهَا^(٣)
إِلَيْهِ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ مِنْ نَعَمِ بَنِي عُقَيْلٍ ، وَكَانَتْ لَهُ الْقَصْوَاءُ^(٤) ، وَهِيَ الَّتِي هَاجَرَ طَلِيهَا ،
وَكَانَ لَا يَجْعَلُهُ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ غَيْرَهَا ، وَهِيَ الْعَضْبَاءُ^(٥) ، وَالْجَدْعَاءُ^(٦) ، وَقِيلَ : الْعَضْبَاءُ
غَيْرُ الْقَصْوَاءِ ، وَقَدْ ذَكَرْنَا فِي الْبَابِ الثَّلَاثِ مِنَ الْقِسْمِ الثَّلَاثِ مِنَ الْفَنِّ الثَّلَاثِ نَعْمَةً
بِأَبْسَطِ مِنْ هَذَا .

(١) كَذَا فِي نَسْخَةِ ج ، وَفِي أ : « رُوِيَّة » هَكَذَا ، وَالَّذِي فِي شَرْحِ الْمَوَاهِبِ : « بِحَسَبِ بْنِ رُوِيَّة »
بِضْمِ التَّحْتَانِيَّةِ وَفَتْحِ الْمَهْمَلَةِ وَتَشْدِيدِ النُّونِ ، وَرُوِيَّةُ بِضْمِ الرَّاءِ وَسُكُونِ الْوَاوِ بِعِدْهَا مُوَحَّدَةٌ ، وَقَالَ :
إِنَّهُ صَاحِبُ آيَلَةٍ . وَعَلَى هَذَا تَكُونُ هَذِهِ الْبَقْلَةُ هِيَ الْأَيْلَةُ الْمُتَقَدِّمَةُ لَا رَيْبَ .

(٢) اللَّفْعَةُ : النَّاقَةُ الْقَرِيْبَةُ الْمَهْدُ بِالْتَّاجِ .

(٣) الْمَهْرِيَّةُ : مِنْ كَرَامَتِ الْإِبِلِ تُنْسَبُ إِلَى حَيٍّ مَهْرَةً بَنِي حَيْدَانَ .

(٤) الْقَصْوَاءُ : مِنَ الْقَصْوِ وَهُوَ قَطْعُ طَرَفِ الْأُذُنِ .

(٥) الْعَضْبَاءُ : هِيَ الْمَشْقُوقَةُ الْأُذُنَيْنِ أَوْ مَقْطُوعَتُهُمَا .

(٦) الْجَدْعَاءُ : الْمَقْطُوعَةُ الْأَنْفِ أَوْ الْأُذُنِ أَوْ الشَّفَةِ .

وكان له صلى الله عليه وسلم مائة من الغنم . وكانت له سبع منائح ^(١) : عَجْرَة ، وَزَمْزَم ، وَسُقْيَا ، وَبَرْكَة ، وَوَرِشَة ، وَأَطْلَال . وَأَطْرَاف ، وكانت أُمَ آيْمَنَ ترعاهن ، وكانت له شاة يَخْتَصُّ بِشَرْبِ لَبْنِهَا ، تدعى غَيْثَة ، وكان له ديكٌ أبيض ، هذا ما أمكن إيرادَه في هذه الفصول ، وهو بحسب الاختصار .

- وقد آن أن نأخذ في ذكر معجزاته صلى الله عليه وسلم ، وإنما أترنا ذكر المعجزات إلى هذه الغاية لأُمُور : منها أن معجزاته صلى الله عليه وسلم كانت في مدة حياته ، تقع خلال غزواته ، وغالب أوقاته ، فلو ذكرناها قبل نهاية ذكر أحواله صلى الله عليه وسلم ، لكان قد قدّمنا منها شيئاً قبل وقته الذي وقع فيه . ومنها أن لما ذكرنا صفاته صلى الله عليه وسلم فيما تقدم ، استلزم إيراد أحواله لتلّو صفاته ، وصار الكلام يتلو بعضه بعضاً ، ولو ذكرنا المعجزات في خلال ذلك لانتقطع الكلام وانفرد النظام ، وأهم الأسباب في تأخير ذكر المعجزات إلى هذه الغاية ، أنا أردنا أن تكون معجزاته صلى الله عليه وسلم خاتمة لهذه السيرة الشريفة ، وتالية لهذه المناقب المنيفة ^(٢) لا يجعل بعدها من أخباره صلى الله عليه وسلم إلا أخبار وفاته عليه السلام .

ذكر معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم

- ومعنى المعجزة أن الخلق عجزوا عن الإتيان بمثلها ، ولا تكون معجزة إلا مع وجود التحدى بالنبوة ، وأما مع عدم التحدى فهي كرامة ، كأحوال الأولياء . والمعجزة على ضربين : ضربٌ هو من نوع قدرة البشر فعجزوا عن الإتيان بمثله ، كالقرآن على رأى من رأى أن من قدرة البشر أن يأتوا بمثله ، ولكن الله تعالى

١١٠
١٦

(١) المنائح : جمع منيحة ، وهي الشاة التي تمار لللبنا ، ثم ترد إذا أُنْقَطِعَ لبنها ، وفي شرح المواهب : كانت له سبع أعز منائح ، الخ . (٢) في الأصول والطبقات : «ورسة» وما أُنْتَبَهَ عن المواهب ، وجاء في القاموس : «ورش ككتف الشيط الخفيف من الإبل وغيرها» . (٣) المنيفة : العالية المشرفة .

صَرَفَهُمْ عَنْ ذَلِكَ ، فَعَجَزُوا عَنْهُ ، وَكَصَرَفَ يَهُودَ عَنْ تَمَتُّي الْمَوْتِ ، وَنَحْوِ ذَلِكَ .
وَضَرَبَ هُوَ خَارِجَ عَنْ قُدْرَةِ الْبَشَرِ لِإِحْيَاءِ الْمَوْتَى ، وَتَسْبِيحِ الْحَصَى ، وَأَنْشِقَاقِ الْقَمَرِ ،
وَتَبَعِ الْمَاءِ مِنْ بَيْنِ الْأَصَابِعِ ، وَتَكْثِيرِ الطَّعَامِ ، وَحَبْسِ الشَّمْسِ ، وَرَدِّهَا بَعْدَ
غُرُوبِهَا .

وَمَا نَحْنُ نُورِدُ فِي هَذَا الْفَصْلِ مِنْ مَشَاهِيرِ مَعْجَزَاتِهِ ، وَبَاهِرِ آيَاتِهِ ، مَا تَقِفُ
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ مِنْ مَعْجَزَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَثْنَاءِ هَذِهِ السَّيْرَةِ
مَا تَقَدَّمَ ، مِمَّا نُذَبِّهِ عَلَيْهِ فِي هَذَا الْفَصْلِ ، وَنُحِيلُ عَلَيْهِ فِي مَوَاضِعِهِ ، وَنُشْرِحُ وَنُبَيِّنُ
مَا أَدْبَجْنَاهُ قَبْلُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وَمَعْجَزَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثِيرَةٌ : مِنْهَا الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ ، وَهُوَ أَكْبَرُهَا آيَةً ،
وَأَعْظَمُهَا دَلَالَةً عَلَى صِدْقِ نُبُوَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمِنْهَا أَنْشِقَاقُ الْقَمَرِ ، وَحَبْسُ
الشَّمْسِ ، وَرَدُّهَا ، وَتَفْجِيرُ الْمَاءِ وَأَنْبِعَاثُهُ وَتَبَعُهُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ وَتَكْثِيرُ الطَّعَامِ ،
وَكَلَامُ الشَّجَرِ ، وَسَمْعُهَا لِإِلَهِهِ ، وَحَنِينُ الْجَذَعِ ، وَتَسْبِيحُ الطَّعَامِ وَالْحَصَى ، وَكَلَامُ
الْجَمَادَاتِ ، وَشَهَادَةُ الْحَيَوَانَاتِ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالنُّبُوَّةِ ، وَكَلَامُ الْمَوْتَى ، وَإِبْرَاءُ
الْمَرْضَى ، وَإِجَابَةُ الدُّعَاءِ ، وَأَنْقِلَابُ الْأَعْيَانِ ، وَمَا أَطْلَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ مِنْ عِلْمِ
الْغُيُوبِ ، وَالْإِخْبَارِ بِمَا كَانَ وَيَكُونُ ، وَمَا جَمَعَ لَهُ مِنَ الْمَعَارِفِ وَالْعُلُومِ وَمَصَالِحِ
الدُّنْيَا وَالْدِّينِ ، وَسِيَاسَةِ الْعَالَمِ ، وَالْعِصْمَةِ مِنَ النَّاسِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا نَشْرَحُهُ وَنُبَيِّنُهُ
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

فَأَمَّا الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ وَمَا أَنْطَوَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَعْجَزَاتِ ، فَمَعْجَزَاتُهُ كَثِيرَةٌ نَحْصَرُهَا
فِي عَشْرَةِ أَوْجُهٍ :

الوجه الأول — حُسْنُ تَأْلِيفِهِ وَالتَّامُّ كَلِمُهُ وَفَصَاحَتُهُ، وَوَجْوهُ إِعْجَازِهِ، وَبَلَغَتُهُ
 الْخَارِقَةُ عَادَةُ الْعَرَبِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ خُصَّوْا مِنَ الْبَلَاغَةِ وَالْحُكْمِ مَا لَمْ يُخَصَّ بِهِ غَيْرُهُمْ
 مِنَ الْأُمَمِ، وَحَسِبَكَ أَنَّ الْقُرْآنَ أَنْزَلَ بَلْغَتَهُمْ، وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ قَرَعَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهِ، وَوَجَّهَهُمْ وَسَفَّهُ أَحْلَامَهُمْ، وَسَبَّ أَهْلَتَهُمْ، وَذَمَّ آبَاءَهُمْ، وَشَتَّ
 نِظَامَهُمْ، وَفَرَّقَ جَمَاعَتَهُمْ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ مَا أَنْزَلَ مِنْ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ
 أَفْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(١)
 وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا
 شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ لَنْ
 أَجْتَمِعَ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ
 وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾^(٢) وَغَيْرَ ذَلِكَ، فَتَكْصِبُوا عَنْ مَعَارَضَتِهِ، وَاتَّجَمَعُوا عَنْ
 مِمَّا ثَلَمَتْهُ، وَرَضُوا بِقَوْلِهِمْ ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾^(٣) وَ﴿فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا
 وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ﴾^(٤) وَ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٥)
 وَأَعْتَرَفَ فَصَحَاؤُهُمْ عِنْدَ سَمَاعِهِ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ كَلَامِ الْبَشَرِ؛ كَالْوَلِيدِ بْنِ الْمُعْتَبِرِ وَغُثَّةِ
 أَبِي رَيْبَعَةَ، عَلَى مَا قَدَّمْنَا ذِكْرَ ذَلِكَ.

الوجه الثاني من إعجازه — صورة نظمه العجيب، المخالف لأساليب كلام
 العرب ومنهاج نظمها ونثرها، وتجميعها ورجزها وهزجها وقريضها، ومبسوطها

(١) عادة بالنصب مفعول خارقة، بمعنى خارقة عن عادتهم (شرح الشفا للشهاب ج ٢ : ٥١٠)

(٢) آية ٣٨ سورة يونس . (٣) آية ٢٣٤ سورة البقرة . (٤) آية ٨٨ سورة الأسراء .

(٥) آية ٥ سورة فصلت . (٦) آية ٢٦ سورة فصلت . (٧) الرجز : بحر من الشعر

معروف، فهو كهيئة السجع إلا أنه في وزن الشعر وتسمى قصيدته أربجوزة .

(٨) المزج : الأغاني، وبحر من الشعر، وبه فسر هنا .

(٩) قريضها : هو بمعنى الشعر مطلقا . (١٠) مبسوطها : مطولات قصائدها .

(١) ومقبوضها ، كما قال الوليد بن المغيرة لقريش عند اجتماعهم كما قدمناه ، ومن ذلك جمعه بين الدليل والمدلول ، وذلك أنه احتج بنظم القرآن ، وحسن وصفه وإيجازه وبلاغته ، وأثناء هذه البلاغة أمره ونهيه ووعده ووعيده ، فالتالى له يفهم موضع المجتة والتكليف معاً من كلام واحد .

١١١
١٦

الوجه الثالث من إعجازه — ما أنطوى عليه من الإخبار بالمغيبات ، وما لم يكن ولم يقع فوجد ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ (٢) . وقوله في الروم : ﴿وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِيْمٍ سَيَغْلِبُونَ﴾ (٣) . وقوله : ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ (٤) . وقوله : ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ (٥) الآية . وقوله : ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ (٦) السورة ، فكان جميع ذلك : فتح الله مكة ، وغلبت الروم فارس ، وأظهر الله رسوله ، ودخل الناس في دين الله أفواجا ، واستخلف الله المؤمنين في الأرض ، ومكن دينهم وملكتهم أقصى المشارق والمغارب ، وما فيه من الإخبار بحال المنافقين واليهود ، وكشف أسرارهم ، وغير ذلك .

الوجه الرابع — ما أنبا به من أخبار القرون السالفة ، والأهم البائدة والشرائع الدائرة ، مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلا من مارس العلوم من أهل الكتاب ، وأطلع على الكتب المتزلة القديمة ، كقصص الأنبياء مع قومهم ، وخبر موسى والخضر وذى القرنين ولقيان وأبنة وبدء الخلق ، وغير ذلك مما في كتبهم القديمة مما أعترف بصحته العلماء من أخبار يهود ، فمنهم من آمن به ، ومنهم من صد عنه مع عدم إنكارهم لصحته ، قال الله تعالى : ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ (٨) .

- (١) مقبوضها : مختصر أوزانها . (٢) آية ٢٧ سورة الفتح . (٣) آية ٣ سورة الروم . (٤) آية ٣٣ سورة التوبة و ٤٨ سورة الفتح . (٥) آية ٥٥ سورة النور . (٦) آية ١ سورة النصر . (٧) الدائرة : المدرسة القديمة . (٨) آية ١٥ سورة المائدة .

الوجه الخامس — الزُوعَةُ التي تلحق قلوب سامعيه، وأسماعهم عند سماعه، والهيبة التي تعتبرهم عند تلاوته ؛ قال الله عز وجل : ﴿ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾^(١) ، وقال تعالى : ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾^(٢) هذا في حق المؤمنين به ، وأما من كذب به فكانوا يستنقلون سماعه ، ويودّون أنقطاعه ؛ ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « القرآن صعب مُستصعب على من كرهه ، وهو الحكم » وقد تقدّم أن عتبة بن ربيعة لما سمع القرآن من رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلغ قوله : ﴿ صَاعِقَةٌ مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾^(٣) أمسك على في النبي صلى الله عليه وسلم وناشده بالرحم أن يكف .

الوجه السادس — كونه آية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا، وقد تكفل الله تعالى بحفظه فقال : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾^(٤) . وقال تعالى : ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ﴾^(٥) وسائر معجزات الأنبياء آتت بقتضائهم أوقاتها ، فلم يبق إلا خبرها ، والقرآن العزيز باق منذ أنزله الله تعالى وإلى وقتنا هذا ، وما بعده إن شاء الله إلى آخر الدهر ، حجة قاهرة ، ومعارضته ممتنعة .

الوجه السابع — أن قارئه لا يعمل قراءته ، وسماعه لا تمجّه سماعه ، بل الإكباب على تلاوته وترديده يزيد حلاوة ومحبة ، لا يزال غصًا طريًا ، وغيره من الكلام ولو بلغ ما عساه أن يبلغ من البلاغة والفصاحة يملّ مع الترديد ، ويسأم إذا

(١) آية ٢٣ سورة الزمر . (٢) آية ٢١ سورة الحشر . (٣) آية ١٣ سورة فصلت .

(٤) في : أي فم النبي صلى الله عليه وسلم . (٥) آية ٩ سورة الحجر .

(٦) آية ٤٢ سورة فصلت .

أعيد، وكذلك غيره من الكتب لا يوجد فيها ما فيه من ذلك ، وقد وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن « أنه لا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عبره ، ولا تنفى عجائبه ، هو الفصل ليس بالهزل » .

الوجه الثامن — أن الله تعالى يسر حفظه لمعتابه ، وقربه على متحفظيه ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ ^(٣) فلذلك إن سائر الأمم لا يحفظ كتبها الواحد منها ، وإن لازم قراءتها ، وداوم مدارستها ، لم يسمع بذلك عن أحد منهم ، والقرآن قد يسر الله تعالى حفظه على الغلمان في المدة القريبة والنسوان ، وقد رأينا من حفظه على كبر سنه ، وهذا من معجزاته .

الوجه التاسع — مشاكلة بعض أجزائه بعضا ، وحسن ائتلاف أنواعها ، والنبات أقسامها ، وحسن التلخيص من قصة إلى أخرى ، والخروج من باب إلى غيره على اختلاف معانيه ، وآنقسام السورة الواحدة على أمر ونهى ، وخبر واستخبار ووعد ووعيد ، وإثبات نبوة وتوحيد ، وتقرير وترغيب وترهيب ، إلى غير ذلك ، دون خلل يتخلل فصوله ، والكلام الفصيح إذا أعثوره مثل هذا ضمت قوته ، ولانت جزائته ، وقَلَّ رَوْنُقه ، وتَقَلَّقَت ألفاظه ، وهذا من الأمور الظاهرة التي لا يحتاج عليها إقامة دليل ، ولا تقرير حجة ، ولا بسط مقال .

الوجه العاشر — جمعه لعلوم ومعارف لم تعهدها العرب ، ولا علماء أهل الكتاب ، ولا أشتمل عليها كتاب من كتبهم ، فجمع فيه من بيان علم الشرائع ، والتنبيه على طرق الحجج العقلية ، والرد على فرق الأمم بالبراهين الواضحة ، والأدلة البينة السهلة الألفاظ ، الموجزة المقاصد ؛ لقوله تعالى : ﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِنْهُمْ ^(١)) وقوله : (قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا ^(٢))
أَوَّلَ مَرَّةٍ) وقوله : (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا) إلى غير ذلك مما
أشتمل عليه من المواعظ والحكم وأخبار الدار الآخرة ، ومحاسن الآداب ، وغير ذلك
مما لا يحصى وأصعب ، ولا يعدّه عادٌّ ، قال الله تعالى : (مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ ^(٣) شَيْءٍ) ، وقال تعالى : (وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ) وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله أنزل على القرآن أمراً وزيحاً ، وسنةً خاليةً ،
ومثلاً مضروباً ، فيه نباكُم وخبر ما كان قبلكم ، ونبأ ما بعدكُم ، وحكم ما بينكُم ،
لا يخلقه طولُ الزّد ، ولا تنقضي عجائبه ، هو الحق ليس بالهزل ، من قال به صدق ،
ومن حكم به عدل ، ومن خاصم به فليج ^(٤) ومن قسم به أقسط ، ومن عمل به أحر ،
ومن تمسك به هُدى إلى صراط مستقيم ، ومن طلب الهدى من غيره أضله الله ،
ومن حكم بغيره قصمه الله ، هو الذكر الحكيم ، والنور المبين ، والصراط المستقيم ،
وحبل الله المتين ، والشفاء النافع ، عصمة لمن تمسك به ، ونجاة لمن أتبعه ، لا يعوج
فيقوم ، ولا يزيغ فيستعتب ، ولا تنقضي عجائبه ، ولا يخلق على كثرة الزّد » .
وفي الحديث : « قال الله تعالى لمحمد — صلى الله عليه وسلم — إني منزل عليك توراة
حديثة تفتح بها أعينا عمياً وآذانا صمّاً ، وقلوباً غلفاً ، وفيها ينابيع العلم ، وفهم الحكمة ،
وربيع القلوب » . وقد عدّوا في إعجازه وجوها كثيرة غير ما ذكرناه فلا نطول بسردها .
وأما أنشقاق القمر ، وحبس الشمس ورجوعها — فكان ذلك من معجزات
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال الله تعالى : (أَقْرَبَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ .

(٢) آية ٧٩ سورة يس .

(٤) آية ٣٨ سورة الأنعام .

(١) فليج : غلب وقاز بالتصر على من خاصمه .

(١) آية ٨١ سورة يس .

(٣) آية ٢٢ سورة الأنبياء .

(٥) آية ٢٧ سورة الزمر .

وأقسط : عدل .

وإن يروا آيةً يعرضوا ويقولوا سحرٌ مستمرٌ^(١) . وقد رويت قصة أنشقاق القمر عن ابن مسعود، وأنس بن مالك، وابن عباس، وعلى بن أبي طالب، وعبد الله بن عمر، وحذيفة، وجبير بن مطعم رضى الله عنهم، قال ابن مسعود : أنشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين، فرقة فوق الجبل، وفرقة دونه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أشهدوا » قال ابن مسعود : حتى رأيت الجبل بين فرجتي القمر، وفي بعض طرقه : ومن رواية مسروق عنه أنه كان بمكة، وزاد : فقال كفار قريش سحر كم ابن أبي كبشة، فقال رجل منهم : إن محمدا إن كان قد سحر القمر فإنه لا يبلغ من سحره أن يسحر الأرض كلها، فأسألوا من يأتيكم من بلد آخر هل رأوا هذا ؟ فأتوا فسالوا فأخبروهم أنهم رأوا مثل ذلك . وحكى السمرقندي عن الضحاك نحوه . وقال : فقال أبو جهل هذا سحرٌ فأبعثوا إلى أهل الآفاق حتى ينظروا رأوا ذلك أم لا ؟ فأخبر أهل الآفاق أنهم رأوه مذشقا، فقالوا — يعنى الكفار — : هذا سحر مستمر . وقال على رضى الله عنه ، من رواية أبي حذيفة الأرحبي : أنشق القمر، ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم . وعن أنس : سأل أهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية، فأراهم أنشقاق القمر مرتين ، حتى رأوا حراء بينهما ، وفي رواية معمر ، وغيره عن قتادة عنه : أراهم القمر مرتين أنشقا^(٢) ، فنزلت الآية ﴿ اقتربت الساعة وأنشأ القمر ﴾ . وحكى الإمام أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم الحلبي^(٣) الجرجاني

(١) آية ١ — ٢ سورة القمر . (٢) أنشقاؤه بالنصب بدل اشتقال من القمر .

(٣) في هامش ج : « الحلبي هذا شافعي المذهب ، مولده سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة ، ورحل إلى بخارى وكتب الحديث عن أبي سهل محمد بن أحمد بن يوسف وغيره ، وتفقه على أبي بكر الأودى وأبي بكر القفال ، ثم صار إماما معظما مرجوعا إليه بما وراء النهر وحدثت بنسبته ، وروى عنه الحاكم وتوفى في جمادى الأولى سنة ثلاث وأربعمائة ، وقيل : في ربيع الأول من السنة » .

في منهاجه قال : رأيت يُجَارَى الهلال وهو ابن ليلتين منشقاً بنصفين ، عَرَضَ كل واحد منهما كعرض القمر ليلة أربع أو خمس ، وما زلت أنظر لهما حتى أتصلا ، ثم لم يعودا كما كانا ، ولكنهما صارا في شكل أُرْجَة ، ولم أَمِلْ طرفي عنهما إلى أن غاب ، قال : وكان معي ليلتئذ جماعةٌ كثيفة ، من بين شريف و فقيه و كاتب وغيرهم من طبقات الناس ، وكلُّ رأى مارأيت . قال : وأخبرني من وَثِقَتْ به ، وكان خبره عندي كيميائي أنه رأى الهلال وهو ابن ثلاث منشقا بنصفين ، قال : وإذا كان هكذا ، ظهر أن قول الله عز وجل : ﴿ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ إنما هو على الانشقاق الذي هو من أشرط الساعة ، دون الانشقاق الذي جعله الله تعالى آية لرسوله صلى الله عليه وسلم ، وحجة على أهل مكة . وبالله التوفيق .

- ١٠ وأما رجوع الشمس — فقد روى عن أسماء بنت عميس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يُوحى إليه ورأسه في حجر عليٍّ ، فلم يصل العصر حتى غربت الشمس ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أصليت يا علي ؟ » قال : لا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم إنه كان في طاعتك وطاعة رسولك فآردد عليه الشمس » قالت أسماء : فرأيتها غربت ، ثم رأيتها طلعت بعد ما غربت ، ووقفت على الجبال والأرض ، وذلك بالصَّهْبَاءِ في خَيْبَر . خرجه الطحاوي
- ١٥ في مشكل الحديث عن أسماء من طريقين ، قال وكان أحمد بن صالح يقول : لا ينبغي لمن سبيله العلم التخلف عن حفظ حديث أسماء ؛ لأنه من علامات النبوة .

- وأما حبسها — فقد روى يونس بن بكير في زيادة المغازي عن ابن إسحق : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أسرى به ، وأخبر قومه بالرقعة والعلامة التي في العير ، قالوا : متى تجيء ؟ قال : « يوم الأربعاء » فلما كان ذلك اليوم أشرفت قريش ينظرون ، وقد ولَّى النهار ولم يحن ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزید له في النهار ساعة ، وحبست عليه الشمس صلى الله عليه وسلم .
- ٢٠

وَأَمَّا تَبَعُ الْمَاءِ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

فقد روى عن أنس بن مالك ، وجابر ، وعبد الله بن مسعود ؛ قال أنس من رواية إسحق بن عبد الله بن أبي طلحة : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد حانت صلاة العصر ، فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه ^(١) ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء ^(٢) ، فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الإناء يده ، وأمر الناس أن يتوضؤوا منه ، قال : فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه ، فتوضأ الناس حتى توضؤوا من عند آخرهم . ورواه أيضا عن أنس قتادة ، وقال : بإناء فيه ماء ما يغمر أصابعه ، ولا يكاد يغمر ^(٣) ، قال : كم كنتم ؟ قال : زهاء ثلثمائة ، وفي رواية عنه : وهم بالزوراء عند السوق . وأما ابن مسعود ، ففي الصحيح عنه من رواية حلقمة : بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس معنا ماء ، فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أطلبوا من معي فضل ماء » فأتى بإناء فصبه في إناء ، ثم وضع كفه فيه ، فجعل الماء ينبع من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفي الصحيح عن سالم بن أبي الجعد عن جابر قال : « عطش الناس يوم الحديبية ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة فتوضأ ^(٤) منها ، وأقبل الناس نحوه ، وقالوا : ليس عندنا ماء ، إلا ما في ركوتك ، فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده في الركوة ، فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون ، وفيه : فقلت كم كنتم ؟ قالوا : لو كنا مائة ألف لكفانا ، كنا خمس عشرة مائة . وفي صحيح مسلم

(١) الوضوء (يفتح الوار) : الماء الذي يتوضأ به . (٢) بوضوء أى بإناء وضوء .

(٣) كذا في الأصول ، والذي في الشفا من رواية قتادة عن أنس : « بإناء فيه ماء يغمر أصابعه أو لا يكاد يغمرها » روى أوضاع .

(٤) الركوة : إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء .

في ذكر غزوة بُواط^(١)، قال جابر قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا جابر ناد الوضوء » وذكر الحديث بطوله : وأنه لم يحد إلا قفزة في عزلاء^(٢) شجيب ، فأُتي به النبي صلى الله عليه وسلم فغمزه ، وتكلم بشيء لا أدري ما هو ، وقال : « ناد بجفنة الركب »^(٣) فأُتيت بها فوضعتها بين يديه ، وذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم بسط يده في الجفنة ، وفرق أصابعه ، وصب جابر عليه ، وقال : « بسم الله » قال : فرأيت الماء يفور من بين أصابعه ، ثم فارت الجفنة ، وأستدارت حتى أمثلأت ، وأمر الناس بالاستقاء فاستقوا حتى رَوُوا ، فقالت : هل بقي أحد له حاجة ؟ فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده من الجفنة وهي مَلَأَى . هذا مختصر ما رَوَى من تفجير الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم .

١١٤
١٦

وأما تفجيرها وأنبعائها وتكثيره ببركتها ودعائه

صلى الله عليه وسلم

فمن ذلك ما رواه مالك بن أنس رحمه الله في الموطأ ، عن معاذ بن جبل في قصة غزوة تبوك ، وأنهم وَرَدُوا العين ، وهي تَبَضُّ بشيء من ماء مثل الشراك^(٧) ، فغرفوا من العين بأيديهم حتى اجتمع في شيء ، ثم غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم

- ١٥ (١) بواط : جبال جهينة بقرب ينبع على أربعة برد من المدينة ، هذه الغزوة اعترض فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم لعير قریش . (٢) العزلاء : قم المزادة ، والشجيب : السقاء الذي قد أخلق وبلى وصار شتا . (٣) غمزه : عصره وحركه ، أو وضع يده عليه وكبسه بها . (٤) جفنة : كقصة وزنا ومعنى وهو مجاز ، أى الذى يطعمهم ويشبعهم ، أو مجاز بالخذف ، أى يا صاحب جفنة الركب ، وفي النهاية : « ناد يا جفنة » الركب .
- ٢٠ (٥) فقلت : أى قال جابر ، وهل نافية أى ما بقي ، لهذا قال : فرفع رسول الله يده . ويجوز أن تكون استفهامية . (٦) العين : عين تبوك ، وتبض : أى تقطر وتسيل . (٧) الشراك بالكسر : سِر النمل شبهه به لضغفه وقلة جريه .

فيه وجهه وبديه، وأعاده فيها بفَرت بماء كثير فاستقى الناس . وفي حديث ابن إسحق : فَأَنْخَرَقَ مِنَ الْمَاءِ مَا لَهُ حِصٌّ كَحِصِّ الصَّوَاعِقِ ، ثُمَّ قَالَ : «يُوشِكُ يَا مَعَاذَ (١) إِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةُ أَنْ تَرَى مَا هَا هُنَا قَدْ مُلِيَ جَنَانًا» . ومنه قصة الحُدَيْبِيَّةِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهَا فِي الْغَزَوَاتِ . وَمِنْ ذَلِكَ خَبَرُ صَاحِبَةِ الْمَزَادَتَيْنِ ، وَهُوَ مِمَّا رَوَى عَنْ عُمَرَ بْنِ حُصَيْنٍ ، قَالَ : أَصَابَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابَهُ عَطَشٌ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِمْ ، فَوَجَّهَ رَجُلَيْنِ مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَأَعْلَمَهُمَا أَنَّهُمَا يَجِدَانِ أَمْرَأَةً بِمَكَانٍ كَذَا ، مَعَهَا بَعِيرٌ عَلَيْهِ مَزَادَتَانِ ، الْحَدِيثُ . فَوَجَدَاهَا وَأَتَيَا بِهَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَفَعَلَ فِي إِيَّائِهِمَا مِنْ مَزَادَتَيْهَا ، وَقَالَ فِيهِمَا مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ ، ثُمَّ أَعَادَ الْمَاءَ فِي الْمَزَادَتَيْنِ ، ثُمَّ فُتِحَتْ عَرَّالِيَهُمَا ، وَأَمَرَ النَّاسَ فَلَمَّوْا أُنْقِيتَهُمْ حَتَّى لَمْ يَدْعُوا شَيْئًا إِلَّا مَلَأُوهُ ، قَالَ عُمَرَانِ : وَيَخِيلُ لِي أَنَّهُمَا لَمْ تَزِدَا إِلَّا أَمْتَلَاءَ ، ثُمَّ أَمَرَ بِجَمْعِ الْمَرْأَةِ مِنَ الْأَزْوَادِ حَتَّى مَلَأَ ثَوْبَهَا ، وَقَالَ : « أَذْهَبِي فَإِنَّا لَمْ نَأْخُذْ مِنْ مَائِكَ شَيْئًا وَلَكِنْ اللَّهُ سَقَانَا » . وَعَنْ عُمَرَو بْنِ شُعَيْبٍ أَنَّ أَبَا طَالِبٍ قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ رَدِيْفُهُ يَذِي الْحَجَّازَ : عَطَشْتُ وَلَيْسَ عِنْدِي مَاءٌ ، فَزَلَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَضَرَبَ بِقَدَمِهِ الْأَرْضَ فَخَرَجَ الْمَاءُ فَقَالَ : « أَشْرَبْ » . وَعَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ ؛ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « هَلْ مِنْ وَضُوءٍ ؟ » بَغَاءَ رَجُلٍ يَأْدَاؤُهُ فِيهَا نَظْفَةً (٢) (٣) (٤) (٥)

(١) انخرق : اضمجر .

(٢) وذلك أنه صلى الله عليه وسلم نزل بأقصى الحديبية على ثمد فيها قليل ماء . يأخذه الناس قليلا قليلا فلم يلبث الناس أن زعموه ، فنشكوا إلى رسول الله العطش ، فانتزع مهن من مكانته ثم أمرهم أن يجعلوه فيه ، فما زال يفرق بالماء حتى صدروا عنه . وفي هذه القصة روايات مختلفة فأتراجع في مظنها .

(٣) القصة بتمامها وما فيها من الاختلاف في ج ٥ ص ١٩٦ شرح المواهب . وفي صحيح البخاري في علامات النبوة . (٤) إداوة (بكسر الهمزة) : إناء صغير من جلد يتخذ لهاء كالزردة ونحوها .

(٥) نظفة : قليل من الماء .

فأفرغها في قدح فتوضأنا كلنا، ندغفقه دغفقة أربع عشرة مائة^(١). وفي حديث غزوة تبوك، وما أصاب الناس من العطش، ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن الله تعالى أرسل سحابة فأمطرت حتى ارتوى الناس، وأحتملوا حاجتهم من الماء، وقد تقدم ذكره. ومن طريق آخر في هذه القصة عن عمر: وذكر ما أصابهم من العطش في جيش العسرة، حتى إن الرجل لينجر بعيره فيعصر فرثه فيشربه، فرغب أبو بكر رضي الله عنه إلى النبي صلى الله عليه وسلم في الدعاء، فرفع يديه فلم يرجعهما حتى قالت السماء، فانسكبت فلاًوا مامعهم من آنية، ولم يجاوز العسكر. والحديث في هذا الباب كثير.

وأما تكثير الطعام ببركته ودعائه صلى الله عليه وسلم

- فقد روينا من ذلك أحاديث كثيرة بأسانيد صحيحة متصلة، رأينا حذفها هاهنا اختصاراً لأشتهارها وانتشارها، منها ما روينا عن جابر رضي الله عنه: أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم يستطعمه فأطعمه شطر وسق شعير، فما زال يأكل منه وأمرأته وضيغه حتى كآله، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال: «لو لم تكله لأكلتم منه وقام بكم». ومن ذلك حديث أبي طلحة المشهور، وإطعام رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانين أو سبعين رجلاً من أقراص من شعير جاء بها أنس تحت يده — أى إبطه — فأمر بها ففقت، وقال فيها ما شاء الله أن يقول. وحديث جابر — رضى الله عنه — في إطعام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق ألف رجل من صاع شعير، وعناق^(٢)، قال جابر: فأقسم بالله لا تكلوا حتى تركوه وأخرفوا، وإن

١١٥
١٦

(١) أى ونحن أربع عشرة مائة، والدغفقة: الصب الشديد، يقال: فلان في نعم دغفق أى واسع.
(٢) قالت السماء: غيمت وظهر فيها سحب، من قولهم: قال كذا إذا تهاى له وأستمد. (شرح الشفا ٢٩: ٣).
(٣) عناق: أى المزلم بتم لحاسة. (٤) أخرفوا: أى مالوا عن الطعام.

بُرْمَتَا لَنَفِطٍ كَمَا هِيَ ، وَإِنْ عَجِينَا لِيُخَبَّرَ ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصُقِي
 فِي الْعَجِينِ وَالْبُرْمَةِ وَبَارِكُ . وَمِنْ ذَلِكَ حَدِيثُ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ : أَنَّهُ صَنَعَ لِرَسُولِ
 اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلِأَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنَ الطَّعَامِ زُهَاءً مَا يَكْفِيهِمَا ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ
 اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَدْعُ ثَلَاثِينَ مِنْ أَشْرَافِ الْأَنْصَارِ » فَدَعَاهُمْ فَأَكَلُوا حَتَّى
 تَرَكُوهُ ، ثُمَّ قَالَ : « أَدْعُ سِتِينَ » فَكَانَ مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ قَالَ : « أَدْعُ سَبْعِينَ »
 فَأَكَلُوا حَتَّى تَرَكُوهُ ، وَمَا خَرَجَ مِنْهُمْ أَحَدٌ حَتَّى أَسْلَمَ وَبَايَعَ ، قَالَ أَبُو أَيُّوبَ : فَأَكَلَ
 مِنْ طَعَامِي مِائَةً وَثَمَانُونَ رَجُلًا . وَعَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ قَالَ : أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقِصْمَةٍ فِيهَا لَحْمٌ فَتَعَاقَبُوهَا مِنْ غَدَاةٍ حَتَّى اللَّيْلِ يَقُومُ قَوْمٌ وَيَقْعُدُ آخَرُونَ .
 وَمِنْ ذَلِكَ حَدِيثُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثِينَ وَمِائَةً ، وَذَكَرَ فِي الْحَدِيثِ : نَحْنُ صَاعٌ مِنْ طَعَامٍ ، وَصُنِعَتْ
 شَاةٌ قُشْوَى سَوَادَ بَطْنِهَا ، قَالَ : وَأَيُّمُ اللَّهِ مَا مِنْ الثَّلَاثِينَ وَالْمِائَةِ إِلَّا وَقَدْ حُرِّلَهُ حَرْقًا
 مِنْ سَوَادِ بَطْنِهَا ، ثُمَّ جُعِلَ مِنْهَا قِصْعَتَانِ فَأَكَلْنَا أَجْمَعُونَ ، وَفُضِّلَ فِي الْقِصْعَتَيْنِ فَعَمَلَتَهُ
 عَلَى الْبَعِيرِ . وَمِنْ ذَلِكَ حَدِيثُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ وَسَلَمَةَ بْنِ الْأَخْوَعِ
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، فَذَكَرُوا تَحْمِصَةَ أَصَابَتِ النَّاسَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ
 مَغَازِيهِ ، فَدَعَا بِبَقِيَةِ الْأَزْوَادِ ، بِغَاءِ الرَّجُلِ بِالْحَنِيَّةِ مِنَ الطَّعَامِ وَفَوْقَ ذَلِكَ ، وَأَعْلَاهُمْ
 الَّذِي أَتَى بِالصَّاعِ مِنَ التَّمْرِ ، بِجَمْعِهِ عَلَى نِطْعٍ ، قَالَ سَلَمَةُ : فَحَزَرْتُهُ كَرِبْضَةِ الْبَعِيرِ ،
 ثُمَّ دَعَا النَّاسَ بِأَرْبَعِيَّتِهِمْ ، فَمَا بَقِيَ فِي الْجَيْشِ وَعَاءٌ إِلَّا مَلَأُوهُ وَبَقِيَ مِنْهُ . وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ أَدْعُو لَهُ أَهْلَ الصُّفَّةِ
 فَتَبْتَعْتُهُمْ حَتَّى جَمَعْتُهُمْ ، فَوُضِعَتْ بَيْنَ أَيْدِينَا صَحْفَةٌ فَأَكَلْنَا مَا شِئْنَا وَفَرَعْنَا ، وَهِيَ مِثْلُهَا

(١) قَطَط : تَفَلُّ . (٢) زُهَاءٌ : مَقْدَارٌ . (٣) سَوَادَ بَطْنِهَا : أَيْ الْكَبِدَ .

(٤) رِبْضَةُ الْبَعِيرِ ، الَّذِي فِي النِّهَايَةِ : كَرِبْضَةُ الْعِزِّ : أَيْ مَقْدَارُ جِئْتَهَا إِذَا بَرَكْتَ .

حين وضعت ، إلا أن فيها أثر الأصابع . وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه
قال : جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى عبد المطلب وكانوا أربعين ، منهم
قوم يأكلون الجذعة ويشربون الفرق^(١) فصنع لهم مِدا من طعام ، فأكلوا حتى شبعوا^(٢)
وبقي كما هو ، ثم دعا بعس فشربوا حتى رَوُوا وبقي كأنه لم يشرب . وقال أنس
ابن مالك : إن النبي صلى الله عليه وسلم لما آتني بزئب أمره أن يدعوه قوما
تمامهم ، وكل من لقيت حتى أمتلأ البيت والمُجرة ، وقدم إليهم تورا فيه قدر مِدا^(٣)
من تمر جُعِلَ حِيساً ، فوضعه قدامه ونَحَس ثلاث أضباعه ، وجعل القوم يتغذون^(٤)
ويخرجون ، وبقي التور نحو ما كان ، وكان القوم أحداً أو اثنين وسبعين .
وفي رواية أخرى في هذه القصة أو مثلها : أن القوم كانوا زهاء ثلثمائة ، وأنهم
أكلوا حتى شبعوا ، وقال لي : « ارفع » فلا أدري حين وضعتُ كان أكثر
أم حين رَفَعْتُ . وفي حديث جعفر بن محمد عن آلِه ، عن علي رضي الله عنهم أن
فاطمة رضي الله عنها طبخت قدراً لغدائها ، ووجهت علياً إلى النبي صلى الله عليه وسلم
ليتغذى معها ، فأمرها فغَرَفَتْ منها لجميع نساءه صحفةً صحفةً ، ثم له عليه السلام
ولعليٍّ ، ثم لها ، ثم رفعت القدر ، وإنها لتفيض ، قالت : فأكلنا منها ما شاء الله .
ومن ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن
يزود أربعائة راكب من أحمس ، فقال : يا رسول الله ، ماهي إلا أضوع ، قال :
« أذهب » فذهب فزودهم منه ، وكان قدر الفَصِيل الترابض من التمر وبقي بحاله .

(١) الفرق بفتحين : مِكْال يسع ستة عشر رطلاً على خلاف فيا يسع . (انظر التاية) .

(٢) العس (بالضم) : القدح الكبير يروى الثلاثة والأربعة .

(٣) التور : إناء يشرب فيه من صقر أو حجارة وقد يتوضأ منه .

(٤) الحيس : خليط من تمر ومن وأفط ، وهو في شرح المواهب كذلك عن الصبحيين .

ومن ذلك حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنه في دين أبيه ، وقد كان يَدُلُّ لِرَمَاءِ أبيه أصل ماله فلم يقبلوه ، ولم يكن في ثمرها سنين كَقَافُ دِينِهِمْ ، فأمره النبي صلى الله عليه وسلم بِجَدِّهَا وجعلها بَيَادِرَ فِي أَصُولِهَا ^(١) ، ثم جاءه فَنَشَى فِيهَا ودعا ، فأوفى جابر غُرَمَاءَ أبيه من ذلك ، وفضل مثل ما كانوا يَحْذُونَ كل سنة . وفي رواية : مثل ما أعطاهم . قال : وكان الغرماء يهوداً فعجبوا من ذلك . وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : أصاب الناس تَخَمُّصَةٌ فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم « هل من شيء » ؟ قلت : نعم ، شيء من التمر في المزود ، قال : « فأتني به » فأتيته به فأدخل يده فأخرج قبضة فبسطها ، ودعا بالبركة ، ثم قال : « أدع لى عشرة » فاكلوا حتى شبعوا ، ثم عشرة كذلك ، حتى أطعم الجيش كلهم وشبعوا ، قال : « خذ ما جئت به وأدخل يدك وأقبض منه ولا تنكبه » فقبضت على أكثر مما جئت به فأكلت منه وَأَطْعَمْتُ منه حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر ، إلى أن قتل عثمان فَأَتَيْتُ منى فذهب . وفي رواية : فقد حملت من ذلك التمر كذا وكذا من وسق في سبيل الله . وذكر مثل هذه الحكاية في غزوة تبوك ، وإن التمر كان بضع عشرة ثمرة . ومنه أيضا حديث أبي هريرة رضى الله عنه حين أصابه الجوع ، فأستبغى النبي صلى الله عليه وسلم فوجد لبنا في قَدَحٍ فدأهدى إليه ، وأمره أن يدعو أهل الصُّفَّة ، قال فقلت : ما هذا اللبن فيهم ! كنت أحتق أن أصيب منه شربة أُنَقِّى بها ، فدعوتهم ، وذكر أمر النبي صلى الله عليه وسلم له أن يسقيهم ، قال : بفعلت أعطى الرجل فيشرب حتى يروى ، ثم يأخذ الآخر حتى يروى جميعهم ، فأخذ النبي

(١) بيادر (جمع يدر) : موضع تخفيف التمر والبر ونحوه ليخلص من تبه . والمراد أنه كثره

في غلبة نخله . (٢) أطعمت منه : أى أهل ومن أردت إطعامه .

(٣) تعجب من لقطة اللبن ، وأنه لا يكفهم .

صلى الله عليه وسلم القَدَح وقال : « بقيتُ أنا وأنت أفعد فأشرب » فشربت ثم قال : « أشرب » وما زال يهوها وأشرب حتى قلت : لا والذي بعثك بالحق ما أجد له مسلكا، فأخذ القَدَح فحمد الله وسمى وشرب الفضلة ، صلى الله عليه وسلم .

وأما كلام الشجر وشهادتها له بالنبوة

وأقياها إليه وإجابتها دعوته صلى الله عليه وسلم

- فمن ذلك ما روينا به بسند متصل عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ، قال :
 كما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فدنا منه أعرابي ، فقال : « يا أعرابي
 أين تريد » ؟ قال : إلى أهلي ، قال : « هل لك إلى خير » ؟ قال : وما هو ؟ قال :
 « تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله » قال : من يشهد
 لك على ما تقول ؟ قال : « هذه الشجرة السمرة ^(١) » وهى بشاطئ الوادى ، فأقبلت
^(٢) تحض الأرض حتى قامت بين يديه ، فأمنتشدها ثلاثا فشهدت أنه كما قال ،
 ثم رجعت إلى مكانها . وعن بريدة قال : سأل أعرابي النبي صلى الله عليه وسلم
 آية فقال له : « قل لملك الشجرة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يدعوك »
 قال : فالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها فتقطعت عروقها ،
 ثم جاءت تحض الأرض ، تجز عروقها مغيرة ^(٣) حتى وقفت بين يدي رسول الله صلى
 الله عليه وسلم ، فقالت : السلام عليك يا رسول الله ، قال الأعرابي : مرها فلترجع إلى
 متبها فأستوت ، فقال الأعرابي : إيدن لى أسجد لك ، قال : « لو أمرت أحدا

(١) السمرة (فتح السين وضم الميم) : شجرة عظيمة ذات شوك من الطلع ، وأشار إليها لقربها منه .

(٢) تحض الأرض : تنقها .

(٣) مغيرة : مسرعة في مشيا من أغار ، ويروى : مغيرة ياء مشددة مكسورة ، اسم فاعل ، يقال :

أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها » قال : فأذن لي أقبل يديك ورجليك ، فأذن له .

ومن ذلك ما روى في الصحيح من حديث جابر بن عبد الله قال : ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضى حاجته فلم ير شيئاً يستتر به ، فإذا بشجرتين بشاطئ الوادى ، فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى إحدهما فأخذ بغصن من غصانها فقال : « أتقادت على بإذن الله » فأقادت معه كالبعير المخشوش الذى يصانع قائده . وذكر أنه فعل بالأخرى مثل ذلك ، حتى إذا كان بالمستصف بينهما قال : « التئما على بإذن الله » فالتأمتا . وفى رواية أخرى ؛ فقال : « يا جابر قل لهذه الشجرة يقول لك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الحق بصاحبك حتى أجلس خلفكما » ففعلت فرجعت حتى لحقت بصاحبتهما ، فجلس خلفهما ، فخرجت أحضر^(١) ، وجلست أحدث نفسي ، فالتفت فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبل^(٢) والشجرتان قد آقرتنا ، فقامت كل واحدة منهما على ساق ، فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقفة فقال برأسه - هكذا - يمينا وشمالا .

وروى أسامة بن زيد نحوه ، قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض مغازيه : « هل^(٣) ؟ » يعنى مكانا لحاجة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقلت :

(١) المخشوش : الذى وضع فى أنفه خشاش بكسر المعجمة حود لينقاد بسهولة .

(٢) المستصف : أى حل فى وسط المكان . (٣) أحضر : أسرع فى العدو .

(٤) مقبل : أى جاء . « مقبلا » بالنصب على الحالية من مقدر ، أى جاء مقبلا ، والجملة خير المبتدأ . (٥) قال هنا بمعنى أشار ، وأشار الراوى برأسه ، كما أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى الشجرتين يمينا وشمالا . (٦) هل : استفهام حذف المستفهم عنه للعلم به أو استهجان ذكره . والمعنى هل ترى مكانا لاحتياجنا . الحاجة (شرح الشفا للشهاب ٣ : ٥٢ طبع الآستانة) .

إن الوادى ما فيه موضع بالناس^(١)، فقال : « هل ترى من نخل أو حجارة ؟ »
قلت : أرى نخلات متقاربات ، فقال : « أنطلق وقل لمن إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركن أن تأتين لمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقل للحجارة مثل ذلك » فقلت ذلك لمن ، فوالذى بعثه بالحق لقد رأيت النخلات يتقاربن حتى اجتمعن ، والحجارة يتعاقدن حتى صرن ركاما خلفهن ، فلما قضى حاجته قال لى :
« قل لمن يفترقن » فوالذى نفسى بيده لראيتهن والحجارة يفترقن حتى عذبن إلى مواضعهن . وعن ابن مسعود مثله فى غزاة حنين . وعن يعلى بن مرة — وهو ابن سريانة^(٢) — وذكر أشياء رآها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر أن طلحة — أو سمرة — جاءت فاطمات به ، ثم رجعت إلى منتهى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنها استأذنت أن تسلم على » . وفى حديث
ابن مسعود : أذنت النبي صلى الله عليه وسلم بالحن ليلة استمعوا له شجرة . وذكر أبو بكر بن فورك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سار فى غزوة الطائف ليلا وهو وسن^(٣) ، فأعرضته سدرة فأفترجت له نصفين ، حتى جاز بينهما ، وبقيت على ساقين إلى وقتنا هذا ، وهى هناك معروفة . وقد روى فى مثل ذلك أحاديث كثيرة .

ومن ذلك قصة حنين الجذع ، والخبر بذلك مشهور منتشر خرجه أهل الصحيح ، ورواه جماعة من الصحابة رضى الله عنهم ، قال جابر بن عبد الله : كان المسجد مسقوفا على جذوع نخل ، فكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خطب يقوم على جذع منها ، فلما صنع له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العيشار ، وفى رواية أنس :

(١) بالناس : أى بسبب الناس . (٢) سيانة أمه .

(٣) أذنت (بالذ) : بمعنى أعلت ، وفاعله شجرة الآتى . (٤) الوسن : العناب .

(٥) العيشار ، بكسر الميم : النوق الخوامل التى تلفت عشرة أشهر حملها ، جمع عيشار ، بضم الميم .

حتى أرتج المسجد يحوَّره^(١) . وفي رواية سهل بن سعد : وكثر بكاء الناس لما رأوا به . وفي رواية المطلب بن أبي وداعة : حتى تصدع وأنشَقَ ، حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه فسكت . وزاد غيره : فقال النبي صلى الله عليه وسلم « إن هذا بكى لما فقد من الذكر » . وزاد غيره : « والذي نفسى بيده لو لم ألزمه^(٢) لم يزل هكذا إلى يوم القيامة تحزُّنا على رسول الله » صلى الله عليه وسلم ، فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفن تحت المنبر . وفي حديث أبي بن كعب : فكان إذا صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلى إليه ، فلما دُيِّم المسجد أخذه أبي فكان عنده إلى أن أكلته الأرض وعاد رُفَاتَا . وذكر الإسفرائيني : أن النبي صلى الله عليه وسلم دعاه إلى نفسه فجاءه يحرق الأرض فألزمه ، ثم أمره فعاد إلى مكانه . وفي حديث بريرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إن شئت أردك إلى الحائط الذي كنت فيه ، تنبت لك عُروُك ، ويكتمل خلُقك ويُحدِّد لك خُوص وثمره ، وإن شئت أغرسك في الجنة فيأكل أولياء الله من ثمرك » ، ثم أصغى له النبي صلى الله عليه وسلم يستمع ما يقول فقال : بل تغرسني في الجنة فيأكل مني أولياء الله وأكون في مكان لا أبل فيه . فسمعه من يله^(٣) ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « قد فعلت — ثم قال — أخار دار البقاء على دار الفناء » .

ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم نطق الجمادات

كتسبيح الطعام في جوفه ، وتسبيح الحصى في كفه وكف من صلبه في كفه من أصحابه ، وسلام الجبال والأحجار والأشجار عليه ، وسجودها له ، وغير ذلك مما يلتحق به على ما نشرحه إن شاء الله تعالى .

(١) في شرح المواهب : لجواره ، وهو بمعنى الأول ؛ أي صياحه . (٢) هو أبو يعلى في مسنده ، والذي في شرح المواهب عنه : « والذي نفس محمد بيده » . (٣) ألزمه : اعتنقه وأضمه . (٤) أي فسمع الجذع من يلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو القريب منه .

(١) فن ذلك ما روينا به بإسناد متصل عن البخارى بسنده، عن علقمة [عن] عبد الله قال : لقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل ، وفى غير هذه الرواية عن عبد الله ابن مسعود قال : كنا نأكل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الطعام ، ونحن نسمع تسبيحه . وقال أنس بن مالك : أخذ النبي صلى الله عليه وسلم كفاً من حصي فسبحن فى يد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعنا التسبيح ، ثم صبهن فى يد أبى بكر فسبحن ، ثم فى أيدينا فما سبحن . وروى أبو ذر مثله ، وذكر أنهم سبحن فى كف عمر وعثمان . وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه : كنا بمكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نفرج إلى بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا جبل إلا قال : السلام عليك يا رسول الله . وعن جابر بن سمرّة عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم على » قيل : إنه الحجر الأسود . وعن عائشة أُم المؤمنين رضى الله عنها ، عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لما استقبلني جبريل بالرسالة جعلت لا أمر بمحجر ولا شجر إلا قال السلام عليك يا رسول الله » . وعن جابر بن عبد الله قال : لم يكن صلى الله عليه وسلم يمر بمحجر ولا شجر إلا سجد له . وفى حديث العباس بن عبد المطلب إذ أشتمل^(٢) عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعلى بنه بملاّته فأمنت^(٣) أسكفة الباب وحوائط البيت آمين آمين . وعن جعفر ابن محمد عن أبيه قال : مرض النبي صلى الله عليه وسلم فأتاه جبريل يطبق فيه رُمان وعِنب ، فأكل منه صلى الله عليه وسلم فسبح . وعن أنس رضى الله عنه قال : صعد

١١٨

١٦

(١) فى الأصول « ابن » والتصويب من الشفاء ، وعبد الله هو ابن مسعود .

(٢) أشتمل عليه : أى ضمه ، والتصدير للعباس رضى الله تعالى عنه .

(٣) كذا فى الأصول ، والحديث فى الشفاء : « وفى حديث العباس إذ أشتمل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم وبنيه بملاّته ردعا لهم بالسر من النار كسّره إياهم بملاّته فأمنت ... الخ » والأسكفة : حنية الباب التى يوطأ عليها .

النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان أحدًا فرَجَف بهم فقال: «أَبْتُ أَحَدٌ،
فإنما عليك نبيٌّ وصديق وشهيدان» ، ومثله عن أبي هريرة في حراء^(١) : وزاد فيه : ومعه
عليّ وطلحة والزبير ، وقال : «إنما عليك نبيٌّ أو صديق أو شهيد»^(٢) ، والخبر في حراء
أيضا عن عثمان قال : ومعه عشرة من أصحابه أنا فيهم ، وزاد عبد الرحمن وسعدا ،
قال : ونسيت الاثنين . وقد روى أنه صلى الله عليه وسلم حين طلبته قريش قال
له نبيّر : أهبط يا رسول الله ، فإنني أخاف أن يقتلوك على ظهري فيعذبني الله ،
فقال حراء : إلىّ يا رسول الله . وقد تقدّم ذكر خبر الأصنام ، وسقوطها عند ما أشار
إليها بالقضيب ، حين فتح الله تعالى مكة عليه ، صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا
أبدا دائما .

٥

ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم
كلام الحيوانات وسكونها وثباتها إذا رآته ؛ كقصّة الداجن ، وكلام الضَّب
والذئب ، والطائر والطّيبة ، وسجود الغنم والبعير ، وخبر سفينة مولاة مع الأسد ،
وخبر العنز ، وغير ذلك مما نوره إن شاء الله تعالى .

١٠

فمن ذلك ما روينا به سند متصل عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان عندنا داجنٌ ،
فإذا كان عندنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قروثت مكانه ، فلم يجئ ولم يذهب ،
فإذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء وذهب .

١٥

ومنه ما روى عن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
في مخيّل من أصحابه إذ جاء أعرابي قد صاد ضبا فقال : من هذا؟ قالوا : نبيّ

(١) حراء : جبل بمكة كان يتحنّث صلى الله عليه وسلم في غار فيه .

(٢) أرحنا بمعنى الواو للتسليم . (٣) نبيّر : جبل على يمين الذهاب من منى إلى مكة .

(٤) الداجن : الحيوان الذي يألف البيوت ، من دجن بمعنى أقام كالطير والشاة .

٢٠

الله ، فقال : والآلات والعزى لا آمنن بك أو يؤمن هذا الضَّئِبُ . وطرحه بين
يذى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « يا ضَّئِبُ » فأجابه
بلسان مُبين يسمعه القوم جميعا : كَلَيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا زَيْنَ مِنْ وَاقَى الْقِيَامَةِ ، قال :
« من تعبد » ؟ قال : الذى فى السماء عرشه ، وفى الأرض سلطانه ، وفى البحر سبيله ،
وفى الجنة رحمته ، وفى النار عقابه ، قال : « فمن أنا » ؟ قال : رسول رب العالمين ،
وخاتم النبيين ؛ وقد أفلح من صدَّقك ، وخاب من كذَّبك . فأسلم الأعرجاني .

ومن ذلك قصة كلام الذئب المشهورة عن أبى سعيد الخدرى قال : بينما راع
يرعى غنما له ، عرض الذئب لشاة منها فأخذها الراعى منه ، فأقعى الذئب وقال
للراعى : ألا تتقى الله ، حُلَّتْ بَنِي وَبَيْنَ رِزْقٍ ! قال الراعى : العجب من ذئب
يتكلم بكلام الإنس ، فقال الذئب : ألا أخبرك بأعجب من ذلك ؛ رسول الله بين
الحزَين يحدث الناس بأنباء ما قد سبق^(٢) ، فأتى الراعى النبي صلى الله عليه وسلم
فأخبره ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « قم فخذْهم » ؛ ثم قال : « صدَقَ » .
وروى حديث الذئب عن أبى هريرة . وفى بعض الطرق عنه قال الذئب : أنت
أعجب ! واقفا على غنمك ، وترك نبياً لم يبعث الله نبياً قط أعظم منه عنده قدراً ،
قد فُتحت له أبواب الجنة ، وأشرف أهلها على أصحابه ينظرون قتالهم ، وما بينك
وبيننا إلا هذا الشَّعْبُ فتصير فى جنود الله ، قال الراعى : من لى بغنمى ؟ قال الذئب :
أنا أراها حتى ترجع ، فأسلم الرجل إليه غنمه ومضى ، وذكر قصته وإسلامه
ووجوده النبي صلى الله عليه وسلم يقاتل ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « عد
إلى غنمك تجدها بوَفْرِها^(٣) » فوجدوها كذلك ، وذبح للذئب شاة منها .

٢٠ (١) ينصب يؤمن ، أى إلا أن يؤمن . (٢) فى نسخة من الشفا للفاضى عياض : « من سبق » .

(٣) وفرها : بنامها وكما لم ينقص منها شيء ؛ من قولهم : أرض وفرة لم يرع نباتها .

وروى أن أهبان بن أوس هو صاحب القصة ومكلم الذئب . وروى أيضا أن صاحب القصة سلمة بن عمرو بن الأكوع ، وأنها سبب إسلامه . وحكى أبو عمر بن عبد البر في ترجمة رافع بن عميرة الطائي أنه كلمه الذئب ، وهو في ضائن له يراها ، فدعاه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمحاق به . قال : وزعموا أن رافع بن عميرة قال في كلام الذئب لما به .

رَعَيْتُ الضَّانَ أَحْمِيهَا بِكَلْبِي * مِنْ الضَّعِجِ الْحَفِيِّ وَكُلْ ذَبِيبٌ^(١)
فَلَمَّا أَنَّ سَمِعْتُ الذَّئْبَ نَادَى * يَشْرُرْنِي بِأَحَدٍ مِنْ قَرِيبٍ
سَعَيْتُ إِلَيْهِ قَدْ شَمَرْتُ ثَوْبِي * عَلَى السَّاقَيْنِ قَاصِدَةَ الزَّكَايِبِ
فَالْقَيْتُ النَّبِيَّ يَقُولُ قَوْلًا * صَدُوقًا لَيْسَ بِالْقَوْلِ الْكَذُوبِ
يُشْرُرْنِي بِيَدَيْنِ الْحَقِّ حَتَّى * تَبَيَّنَتِ الشَّرِيعَةُ لِلْمُنِيبِ^(٢)
وَأَبْصَرْتُ الضِّيَاءَ يُضِيءُ حَوْلِي * أَمَا مَيَّ إِنْ سَعَيْتُ وَمِنْ جَنْوِي
فِي آيَاتٍ أُخَرِ .

وروى ابن وهب : أن مثل هذه القصة وقع لأبي سفيان بن حرب ، وصفاً وأن ابن أمية مع ذئب وجداه قد أخذ ظيما ، فدخل الظبي الحرم فأنصرف الذئب فعجبا من ذلك ، فقال الذئب : أعجب من ذلك محمد بن عبد الله بالمدينة يدهوكم إلى الجنة وتدعونهم إلى النار . فقال أبو سفيان : والآت والعزى لئن ذكرت هذا بمكة لتركنا خلوقا^(٣) . وقد روى أيضا مثل هذا الخبر ، وأنه جرى لأبي جهل وأصحابه .

(١) الحفّ ، وفي نسخة أ : « الحفّ » والحفّ بالخاء المهملة : المبالغ في الطلب .

(٢) المنيب : الراجع إلى الله .

(٣) الخلوّف (بضم المعجمة واللام) : هو مصدر أو جمع خالف ؛ والمراد تركها خالية من أهلها بأن يسلبوا جميعا ويرتحلوا إليه صلى الله عليه وسلم . (الشفا) . وبعبارة الأصل : « لتركنا » ، والضمير للمكة .

وعن عباس بن مرداس السلمي أنه لما تعجب من كلام صنم ضمّار ، وإنشاده الشعر الذي ذكرناه ، فإذا طائر سقط ، فقال : يا عباس ، أنعجب من كلام ضمّار ، ولا تعجب من نفسك ؟ إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الإسلام ، وأنت جالس !

- وعن أنس رضي الله عنه قال : دخل النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر ورجلٌ من الأنصار حائطاً أنصاري^(١) ، وفي الحائط غنم ، فسجدت له فقال أبو بكر : نحن أحقُّ بالسجود لك منها ... الحديث . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : دخل النبي صلى الله عليه وسلم حائطاً بفاءٍ يعبرُ فسجد له ، وذكر مثله . ومثله في الجمل عن ثعلبة بن مالك ، وجابر بن عبد الله ، ويعلى بن مرة ، وعبد الله بن جعفر قال : وكان لا يدخل أحد الحائط إلا شدَّ عليه الجمل ، فلما دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم دعاه ، فوضع مشفره في الأرض وبرك بين يديه فخطمته ، وقال : « ما بين السماء والأرض شيء إلا يعلم أني رسول الله إلا عاصي الجن والإنس » . وفي حديث آخر : أن النبي صلى الله عليه وسلم سألهم عن شأنه فأخبروه أنهم أرادوا ذبحه . وفي رواية : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم : « إنه أشتكى كثرة العمل وقلة العلف » . وفي رواية : « إنه شكّا إلى أنكم أردتم ذبحه بعد أن استعملتموه في شاق العمل من صغره » فقالوا : نعم . وقد روى في قصة العَضْبَاءِ وكلامها النبي صلى الله عليه وسلم ، وتعرفها له بنفسها ، ومبادرة العُشْبِ إليها في الزرع ، وتجنّب الوحوش عنها ، وندائهم لها أنك لمحمد ، وأنها لم تأكل ولم تشرب بعد موته حتى ماتت . ذكره الإسفرائني . وروى ابن وهب : أن حمام مكة أظلت
- ١٠

(١) حائط : المراد به هنا البستان .

(٢) قال : أي كل منهم ، أو عبد الله بن جعفر .

النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتحها، فدعا لها بالبركة . وقد ذكرنا قصة الغار وخبر الحماتين والعنكبوت .

وعن عبد الله بن قُرط قال : قُرِبَ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بدَنَات خمس أو ست أو سبع لينحرها يوم عيد، فأزْدَلَقْن^(١) إليه بَأَيْتِهِنَّ مَبْدَأ . وعن أم سلمة قالت : كان النبي صلى الله عليه وسلم في صحراء فنادته ظبية : يا رسول الله، قال : « ما حاجتك » ؟ قالت : صَادَنِي هَذَا الْأَعْرَابِيُّ وَلِي خِشْفَان فِي ذَلِكَ الْجَبَل ، فَأُطْلِقْنِي حَتَّى أَذْهَبَ فَأَرْضِعَهُمَا وَأَرْجِعَ ، قال : « وتفعلين » ؟ : قالت : نعم ، فَأُطْلِقْهَا فَذَهَبَتْ وَرَجَعَتْ فَأَوْثَقَهَا ، فَأَنْتَبَهَ الْأَعْرَابِيُّ . فقال : يا رسول الله ، أَلَمْ أَكُ حَاجَةً ؟ قال : « تُطْلِقُ هَذِهِ الظُّبْيَةَ » فَأُطْلِقْهَا ، فخرجت تـ . وفي الصحراء وتقول : أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله .

ومنه ما روى من تسخير الأسد لسفينة

مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم

إذ وجهه إلى معاذ باليمن ، فلقى الأسد فعرفه أنه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه كتابه ، فهَمَّهم وتحتى عن الطريق ، وذكر في منصرفه مثل ذلك . وفي رواية أخرى عنه : أن سفينة تكسرت به ، فخرج إلى جزيرة فإذا الأسد ؛ قال فقلت : أنا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يَغْمِزُنِي بِمَتَكِبِهِ حَتَّى أَقَامَنِي عَلَى الطَّرِيق . وروى أنه صلى الله عليه وسلم أخذ بأذن شاة لقوم من عيد القيس بين إضبيته ثم خلاها ، فصار لها ميساً ، وبقي ذلك الأثر فيها وفي نسلها . وقد روى عن إبراهيم بن حماد بسنده كلام الحمار الذي أصابه بخير ، وقال له :

(١) أزْدَلَقْن : تقربن منه .

(١) [ما أَسَمَكُ قال] : أَسَمَى يَزِيدُ بْنُ شَهَابٍ ، فَسَمَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْفُورًا
 وأنه كان يوجهه إلى دور أصحابه فيضرب عليهم الباب برأسه ويستدعيهم ، وأن
 النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما مات ، تَرَدَّى فِي بَرْجَزَا وَخُرْنَا فَمَاتَ . وخبر الناقية
 التي شهدت عند النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لصاحبها أنه ما سرقها وأنها ملكه . وخبر
 العنز التي أتت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في عسكره ، وقد أصابهم عطش ونزلوا
 على غير ماء وهم زُهَاءُ ثَلَاثَةٌ ، فحلبها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَرَوَى الْجُنُودَ ،
 ثم قال لرائع : « املكها وما أَرَاكَ » فربطها فوجدتها قد أنطلقت . رواه ابن قانع
 وغيره ، وفيه : فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إن الذي جاء بها هو الذي
 ذهب بها » . وقال عليه السلام لفرسه ، وقد قام إلى الصلاة في بعض أسفاره :
 « لَا تَبْرَحْ بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ حَتَّى تَفْرَغَ مِنْ صَلَاتِنَا » وجعله قِبْلَةً فَمَا حَرَّكَ عُضْوًا
 حَتَّى تَفْرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ومن معجزاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما روى من كلام السموات والأطفال
 وشهادتهم له بالنبوة .

فمن ذلك ما روى عن فُهَيْدِ بْنِ عَطِيَّةٍ (٤) : أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أتى بصبي
 قد شَبَّ لَمْ يَتَكَلَّمْ قَطُّ ، فقال له : « مَنْ أَنَا » ؟ فقال : رسول الله .
 وعن مُعَرَّضِ بْنِ مُعَيْقِبٍ قال : رأيت من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عجبا ، جيء

(١) الزيادة من الشفا للقاضي عياض .

(٢) أملكها : أى أخذها مذكلا لأنها وجدت بأرض الصدر ، ويحتمل أن يكون معناه :
 شدها وأوثقها من ممالك الأمر ، أو من ملك العجين ونحوه . وما أراك : أى لا أظنك تملكها أو تحفظها .

(٣) جعله قبلته : أى جعله في جهة قبلته ، مانعا وساترا لمن يمر بين يديه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(٤) فُهَيْدٌ (بفاء وهاء ودال) : قال في شرح المواهب : ليس في الصحابة من يسمى بذلك .

وفى البيهقي : شمر بن عطية الأسدي من تابع التابعين .

بصبي يوم ولد ، فذكر مثله ، وهو حديث مبارك الإمامة ، ويعرف بحديث شاصونه أسم راويه ، وفيه ؛ فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « صدقت بارك الله فيك » ثم إن الغلام لم يتكلم بعدها حتى شب ، فكان يسمى مبارك الإمامة ، وكانت هذه القصة بمكة في حجة الوداع .

وعن الحسن رضى الله عنه : أتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له أنه طرَح بُنْيَّة له في وادى كذا ، فأنطلق معه إلى الوادى وناداه بأسمها « يا فلانة أحيى بإذن الله » فخرجت وهى تقول : لبيك وسعديك ، فقال لها : « إن أبويك قد أسلما فإن أحببت أن أردك عليهما » قالت : لا حاجة لى فيهما ، وجدت الله خيرا لى منهما .

وعن أنس رضى الله عنه أن شابا من الأنصار تُوفى وله أُم عجوز عمياء قال : فسَجَّيناه وعزَّيناها فقالت : مات أبني ؟ قلنا : نعم ، قالت : اللهم إن كنت تعلم أنى هاجرت إليك وإلى نبيك رجاء أن تعيننى على كل شدة ، فلا تُحمِلَنَّ على هذه المصيبة ، قل : فإبرحنا أن كشف الثوب عن وجهه فطعم وطعمنا . وروى عن عبد الله بن عبيد الله الأنصارى قال : كنت فيمن دفن ثابت بن قيس ابن شماس — وكان قتل بالإمامة — فسمعناه حين أدخلناه القبر يقول : محمد رسول الله ، أبو بكر الصديق ، عمر الشهيد ، عثمان البرّ الرحيم ، فنظرنا فإذا هو ميت . وذكر عن النعمان بن بشير : أن زيد بن خزيمة نحر ميتا فى بعض أزقة

(١) فى الأصول « شاصويه » والتصويب عن الشفا ٣ : ١٠٥

(٢) أى لا تكلفنى حلها ؛ كقوله تعالى : « لا تحمِلنا ما لا طاقه لنا به » ؛ لأن التكليف كالحمل الثقيل .

(٣) أى ذوال البر والإحسان .

(٤) الذى فى أسد الغابة : « أنه أغمى عليه قبل موته فظنوه ميتا فسجروا عليه نوبة ، ثم راجعه .

ففسه بكلام حفظه فى أبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم ثم مات » .

المدينة ، فرفع وُصِّي إِذ سمعوه بين العشاءين والنساء يصرخن حوله يقول : أنصتوا .
 أنصتوا ، فحُسِر عن وجهه ، فقال : محمد رسول الله ، النبي الأُمِّي ، وخاتم النبيين ،
 كان ذلك في الكتاب الأول ، ثم قال : صدق صدق ، وذكر أبا بكر وعمر وعثمان
 ثم قال : السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ، ثم عاد ميتا . ومن ذلك
 قصة الذراع وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : أرفعوا أيديكم فإنها
 أخبرتني أنها مسمومة . وقد تقدّم خبر الذراع . والله مُنْجِي المتقين ووليهم .
 ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم إبراء المرضى وذوى العاهات ، كردّ عَيْن
 قتادة ، وكشف بصر الضرير ، وتقله صلى الله عليه وسلم على جراحات فبرأت ،
 وغير ذلك مما نشرحه إن شاء الله تعالى .

أما عَيْن قتادة بن النعمان فقد رويناه بإسناد متصل عن سعد بن أبي وقاص :
 أن قتادة بن النعمان أصيبت عينه يوم أحد حتى وقعت على وجهه ، فردّها
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت أحسن عينه . وذكر الأصمعي عن أبي معشر
 المدني قال : أوفد أبو بكر محمد بن عمرو بن حزم ، بديوان المدينة إلى عمر بن عبد العزيز
 رجلا من ولد قتادة بن النعمان ، فلما قدم عليه قال له : ممن الرجل ؟ قال :
 أنا ابن الذي سألت على الخدّ عينه * فرُدّت بكفّ المصطفى أحسن الرد^(١)
 فمادت كما كانت لأقول أمرها * فباحسن ما عيّن وباحسن ما ردّ^(٢)
 فقال عمر بن عبد العزيز :

تلك المكارم لا قعبان من لبّ * شيئا يمّا فعادا بعد أبو الـ^(٣)

(١) يروى أبونا الذي ... الخ . (٢) يروى : وباحسن ماخذ ، ورواية الأصل

هي رواية الأصمعي وليس فيها إبطاء ، وهو تكرار الفافية ، لاختلافهما تعريفاً وتشكيكاً .

(٣) البيت لأمية بن أبي الصلت ، وتمثل به عمر بن عبد العزيز ، وقعبان ثنية قعب : القدح الضخم ،

أو الصغير الذي يروى الرجل ، شيئا : خلطا .

حكاه ابن عبد البر . وروى النسائي عن عثمان بن حنيف أن أعمى قال : يا رسول الله ، أَدع الله أن يكشف لي عن بصرى . قال : ^(١) « فَأَنْطَلِقْ فتوضاً ثم صلّ ركعتين ، ثم قل اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبي محمد نبي الرحمة يا محمد إني أتوجه بك إلى ربك أن يكشف عن بصرى اللهم شفّعه في » قال : فرجع وقد كشف الله عن بصره .

وروى أن ابن مَلّاب الأسيّة أصابه استسقاء فبعث إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فأخذ بيده حثوة من الأرض فتفل عليها ، ثم أعطاها رسول الله ، فأخذها متعجباً — يرى أنه قد هزئ به — فأناها بها وهو على شفا فشربها فشفاه الله . وذكر العقيل — عن حبيب بن فديك — ويقال فؤيك — أن أباه أبيضت عيناه ، فكان لا يبصر بهما شيئاً ، ففَتَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه فأبصر ، فرأيته يدخل الخيط في الإبرة وهو ابن ثمانين .

وأنته امرأة من خنتم معها صبي به بلاء لا يتكلم ، فأثي بماء فضمض فاه وغسل يديه ثم أعطاها إياه وأمرها بسقيه ومسه به ، فبرأ الغلام ، وعقل عقلاً ، يفضّل عقول الناس . وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : جاءت امرأة بآبن لها به جنون ، فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره ففتح نعمة ^(٢) نفخج

(١) أى قال النبي صلى الله عليه وسلم . (٢) ويروى : « بنيك » .

(٣) ابن ملاعب الأسيّة ، كذا في الأصول والثقا ؛ والذي في الإصابة ابن أخ ملاعب الأسيّة وأن الذي أرسله إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم هو عكة عسل ، وكان به وجع بطن ، فسقاه فبرأ ، وهذا هو المشهور في القصة . وملاعب الأسيّة هو أبو البراء عامر بن مالك الكلابي ، والصحيح أنه لم يسلم . (٤) قوله : « فشربها » يدل على أن المرسل إليه هو مشروب كما في الإصابة وأسد الغابة . (٥) ويقال : « فريك » بالراء .

(٦) البلاء : عدم القدرة على الكلام أو الذهول وعدم العقل للكلام .

(٧) ثع : ق ، والثمة المرة الواحدة ، والجرو الكلب الصغير ، وفي المصباح : والصغير من كل شيء .

من جوفه مثل الجرو الأسود فُسِنِي . وكانت في كَفِّ شُرْحِيل الجعني سلعة ،
 تمتعه القبض على السيف وعنان الدابة ، فشكاها إلى النبي صلى الله عليه وسلم ،
 فما زال يطحنها بكفِّه حتى رفعها ولم يبق لها أثر . وسألته جارية طعاما وهو
 يأكل ، فناولها من بين يديه ، وكانت قليلة الحياء ، فقالت : إنما أريد من
 الذي في فيك ، فناولها ما في فيه ، ولم يكن يسأل شيئا فيه منه ، فلما استقر في جوفها
 ألقى عليها من الحياء ما لم تكن امرأة بالمدينة أشد حياء منها .

وأما الجراحات التي تَقَلَّ عليها فبرأت فكثير

منها أنه صلى الله عليه وسلم بَصَقَ على أثر سهم في وجه أبي قتادة ، في يوم ذي
 قَرْدٍ ، قال : فما ضرب على ، ولا قَاح . ^(١) ومنها أن كُثُومَ بن الحُصَيْنِ رُمِيَ يوم أُحُدٍ
 في نحره ، فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه فبرأ ، وتَقَلَّ على شجرة عبد الله
 ابن أبيس فلم يَمُتْ . ^(٢) وتَقَلَّ في رجل زيد بن معاذ حين أصابها السيف إلى الكعب
 حين قَتَلَ ابن الأشراف فبرت ، وعلى ساق علي بن الحكم يوم الخندق ، إذ أنكسرت
 فبرئ مكانه وما نزل عن فرسه . وقطع أبو جهل يد معوذ بن عفراء في يوم بدر ،
 بغاء يحمل يده فبصق عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصقها فلصقت . رواه
 ابن وهب ، ومن روايته : أن خبيب بن يساف ^(٣) أصيب يوم بدر مع رسول الله
 صلى الله عليه وسلم بضربة على عاتقه حتى مَالَ شِقُّهُ ، فردّه رسول الله صلى الله عليه

(١) ذو قرد : موضع قرب المدينة أناروا فيه على لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزاهم .

(٢) ما ضرب : أي ما ألقي الجرح ، ولا قاح : أي ولا تقيح .

(٣) لم يمتد : أي لم تصب بمدة وتقيح .

(٤) عفراء : أمه ، وهو معوذ بن الحارث بن رفاعه .

(٥) خبيب : قال في أسد الغابة : إنما هو بالمعجمة وضما ، ويروي : خبيب بن يساف .

وسلم ، ونَفَث عليه حتى صَح . ونَفَث على ضربة سِاق سَلَمَةَ بن الأَكْوَع يوم خَيْبَر فَبُرْتُ . ونَفَث في عَيْنِي على بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يوم خَيْبَر وكان رَمِداً فأَصْبَحَ بارِئاً . وأَشْتَكِي على مرةً بِفَعْلٍ يَدْعُو ، فقال النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اللَّهُمَّ أَشْفِهِ أَوْ عَافِهِ »^(١) ثم ضربه بِرِجْلِهِ فما أَشْتَكِي ذلك الوجع بعد ذلك .

ومن معجزاته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إجابة دعائه

وهذا فصل متسع جداً ، نذكر منه ما اشتهر وأنتشر ، وتواترت به الأخبار وتداولته الرواة ، ونقله أصحاب السِّيَر ، ولا شك ولا خلاف بين أحد من الأئمة في إجابة دعائه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ وقد روى عن حُدَيْفَةَ أَنَّهُ قَالَ : كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا دعا لرجل أدركت الدعوة ولده وولد ولده . روى عن أنس بن مالك قال : قالت أمي يا رسول الله ، خادمك أنس أدع الله له ؛ قال : « اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وولده وبارك له فيما آتَيْتَهُ » قال أنس : فوالله إن مالى لكبير ، وإن ولدى وولد ولدى ليعاذون اليوم على نحو المائة ، وما أعلم أحداً أصاب من رخاء العيش ما أصبت ، ولقد دفنت بيدي هاتين مائة من ولدى ، لا أقول سقطاً ولا ولد ولدي . ودعا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعبد الرحمن بن عوف بالبركة ، قال عبد الرحمن : فلورفعت حجرا لرجوت أن أصيب تحته ذهباً ، ولما مات خسر الذهب من تَرِكَتِهِ بِالْفُؤْسِ حَتَّى بَجَلَتْ فِيهِ الْإِيْدَى^(٢) ، وأخذت كل زوجة ثمانين ألفاً ، وكن أربعاً ، وقيل : مائة ألف ، وقيل : بل صولحت إحداهن — لأنه طلقها في مرضه — على نيف وثمانين ألفاً ، وأوصى بخمسين ألفاً بعد صدقاته الفاشية في حياته . ودعا لمعاوية بالتمكين في البلاد فقال الخلافة . ولسعد بن أبي وقاص أن

(١) أَرَعَفَهُ : شك من الراوى .

(٢) الجِل : تغير يكون في اليد من كثرة العمل .

يحبب الله دعوته ، فادع على أحد إلا استجيب له . ودعا أن يعز الله الإسلام
بعمرو أو بأبي جهل فاستجيب له في عمر رضى الله عنه ؛ قال ابن مسعود : ما زلنا
أعززة منذ أسلم عمر . وقال لأبي قتادة : « أفلح وجهك ، اللهم بارك له في شعره
وَبَشْرِهِ » ^(١) فمات وهو ابن سبعين سنة وكأنه ابن خمس عشرة . وقال للناطقة :
« لَا يَفْضِيضُ اللَّهُ فَاك » ^(٢) قال : فما سقطت له سنن ، وكان ، أحسن الناس نفرا ،
إذا سقطت له سنن نبتت له أخرى ، وعاش عشرين ومائة سنة ، وقيل : أكثر .
ودعا لعبد الله بن عباس رضى الله عنهما : « اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل »
فسمى بعد الخبر وترجمان القرآن . ودعا لعبد الله بن جعفر بالبركة في صفقة يمينه ؛
فما أشتري شيئا إلا ربح فيه . ودعا للمقداد بالبركة ؛ فكان عنده غنائم من المال .
ودعا كذلك لعروة بن أبي الجعد ، قال : فلقد كنت أقوم بالكفاة ^(٣) فما أرجع حتى
أربح أربعين ألفا . ودعا لعلى أن يكفى الحز والقر ، فكان يلبس في الشتاء ثياب
الصيف ، وفي الصيف ثياب الشتاء ، ولا يصيبه حر ولا برد . ودعا على مضر
فأحيطوا حتى استعطفته فريش فدعا لهم فسقوا . وتقدم خبره في دعائه في الاستسقاء
والاستضعاء . ودعا على كسرى أن يمزق ملكه فلم يبق له باقية ، ولم تعد لفارس
مملكة . وقال لرجل رآه يأكل بشماله : « كُلْ بيمينك » قال : لا أستطيع ، فقال :
« لَا أَسْتَطَعْتُ » ^(٤) فلم يرفعها إلى فيه بعد . وقال في عتبة بن أبي لهب : « اللَّهُمَّ سَلِّطْ

(١) البشر : ظاهر الخلد واليد ، والمراد الدعاء له بأن يبقى معمرًا على أحسن تقويم ، كاملا جميع أعضائه . (٢) لا يفضيض : لا يسقط الله أسنانه ، من فضه إذا كره .

(٣) النفر : الفم . (٤) الترجمان : الذى ينقل الكلام من لغة إلى لغة ، فمفسر ابن عباس لكلام الله فنقل لمعانيه إلى فهم الناس . (٥) أى في بيعه وشرائه ، وخص البين لأن الأخذ والمطاء بها . (٦) الكفاة : سوق مشهورة بالكوفة . (٧) الاستضعاء : بروز الأرض للشمس ، وظهورها بدم النبات فيها . (٨) إنما دعا صلى الله عليه وسلم عليه لأنه كان معتما إذ كان مستطعيا الأكل بيمينه ، ولم يرفعها لأنها شلت ، وهذا كذلك الذى خطب أبته منه فقال له : إنما برصاء ولم يكن بها برص فلما ذهب إليها وجدها قد برصت .

عليه كلبا من كلابك » فأكله الأسد كما تقدم . ودعا غل ^(١)مُحَلِّم بن جَنَامَة ، فمات
لَسِجَ فَلَقَطْنَتْهُ الْأَرْضُ ثُمَّ وُورِي فَلَقَطْنَتْهُ ، فَأَلْقَوْهُ فِي صُدَيْنِ وَرَضَمُوا عَلَيْهِ بِالْحِجَارَةِ ،
وَالصَّدَّ جَانِبِ الْوَادِي . ودعواته صلى الله عليه وسلم كثيرة عليه أفضل
الصلاة والسلام .

ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم انقلاب الأعيان

فما اسمه أبو بasherه ، كسيف عكاشة بن محصن ، وعبد الله بن جحش ، وغير
ذلك ، وكان من خبر عكاشة أن سيفه أنكسر يوم بدر فأعطاه رسول الله صلى الله
عليه وسلم جذل حطيط ^(٢) ، وقال : « أضرب به » فعاد في يده سيفاً صارماً طويلاً
أبيض شديد المتن ، فقاتل به ، ثم لم يزل عنده يشهد به المواقف إلى أن استشهد
في قتال أهل الردة ، وكان هذا السيف يسمى العون . ودفع لعبد الله بن جحش
— وقد ذهب سيفه يوم أحد ^(٣) — عسيب نخل فرجع في يده سيفاً . ومن ذلك
أنه صلى الله عليه وسلم مر على ماء فسأل عنه ، فقيل له اسمه بيسان وماءه ملح ،
فقال : « بل هو نعمان وماءه طيب » فكان كذلك . ومنه أنه صلى الله عليه
وسلم أعطى قتادة بن النعمان — وكان قد صلى معه العشاء في ليلة مظلمة مطيرة —
عرجونا ، وقال : « أنطلق به فإنه سيضيء لك من بين يديك عشراً ، ومن خلفك
عشراً ^(٤) ، فإذا دخلت بيتك فسترى سواداً فأضربه به حتى يخرج فإنه الشيطان »

(١) الرض : وضع الصخور بعضها فوق بعض كالبناء .

(٢) الجذل : عود غليظ أو أصل من أصول الشجرة ، والمشهور أنه صلى الله عليه وسلم أعطاه

عرجونا فعاد في يده سيفاً .

(٣) العسيب : جريدة النخل لاخوص عليها . وفي رواية : كان عرجون نخلة .

(٤) هو الذي مر به النبي صلى الله عليه وسلم في غزاة ذي قرد .

(٥) أى مقدار عشر أذرع .

فانطلق فأضاء له العُرجون ، ووجد السواد فضر به حتى خرج . ومن ذلك أنه صلى الله عليه وسلم زود أصحابه سقاء من ماء بعد أن أُرِكَاه ودعا فيه ، فلما حضرتهم الصلاة نزلوا فخلوه فإذا به لبن طيب وفي فيه زبدة . رواه حماد بن سلمة .

ومما يلتحق بهذا الفصل

- ٥ أنه صلى الله عليه وسلم ركب فرسا لأبي طلحة ، كان يقطف^(١) - أو به قطاف ، فلما رجع قال : وجدنا فرسك بجرا ، فكان بعد لا يجارى . ونخس^(٢) جمل جابر بن عبد الله ، وكان قد أعيا فنشيط حتى كان ما يملك زمامه ، وقد تقدم خبره . وخقق فرس جعيل الأنشجى بمخفقه^(٣) معه وبرك عليها فلم يملك رأسها نشاطا ، وباع من بطنها بأثنى عشر ألفا . وركب صلى الله عليه وسلم حمارا قطوفا لسعد بن عباد فرده هملاجا لا يساير^(٤) .
- ١٠ ومن ذلك بركة يده صلى الله عليه وسلم فيما لمسه كقصص سلمان في كتابته ، وما غرس له صلى الله عليه وسلم من الودى^(٥) فأطعمت كلها من عامها ، والذهب الذي أعطاه ، وقد تقدم ذكر ذلك في إسلام سلمان . ومنه أنه صلى الله عليه وسلم مسح على رأس عُمير بن سعد وبرك فمات وهو ابن ثمانين سنة وما شاب . وكذلك السائب ابن يزيد ، ومدلوك^(٦) ، وكان يوجد لعُتْبَةَ بن فرقد طيب يغلب طيب نسائه ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح بيده على بطنه وظهره . ومسح على

(١) يقطف : يبطئ في السير .

(٢) النخس : الطعن في جنبه أو نحوه بعدد أو ما يشبهه .

(٣) الخقق : الضرب ، والمخفقة : الدرة ، وقيل إنها عصا ، وبرك عليه : دعا له بالبركة .

(٤) الهملجة : حسن سير الدابة في سرعة .

(٥) الودى : صفار النخل واحدتها ودية ، وأطعمت : أثمرت .

٢٠

(٦) مدلوك : هو أبرسقيان الفزاري ، قال : قدمت على رسول الله مع موالى فسح على رأسي ودعا

لي بالبركة ، فكان موضع يد رسول الله صلى الله عليه وسلم أسود وساثر شعره أبيض . (أسد الغابة) .

رأس قيس بن زيد الجُدَامِيّ، ودعاه فهلك وهو ابن مائة سنة، ورأسه أبيض، وموضع كَفِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما مَرَّتْ يَدُهُ عَلَيْهِ من شعره أسود، فكان يُدْعَى الْأَغْزَرُ. وروى مثل ذلك لعمر بن تَعْلَبَةَ الْجُهَنِيّ. ومسح وجه آخر فزال على وجهه نور. ومسح وجه قَتَادَةَ بْنِ مِلْحَانَ، فكان لوجهه بريقٌ، حتى كان ينظر فيه كما ينظر في المرأة. ونضح في وجه زَيْنَب بنت أم سلمة نَضْحَةً من ماء، فما نعرف كان في وجه امرأة من الجمال ما بها. ومسح على رأس صبي به عاهة فبرا وأستوى شعره، وعلى غير واحد من الصبيان المرضى والمجانين فبروا. وأتاه رجل به أذرة^(١) فأمره أن ينضحها بماء من عَيْنِ حِجٍّ فيها ففعل فبرا. وعن طاوس: لم يؤت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأحد به مَسٌّ فَصَكَ في صدره إلا ذهب. والمس: الجنون. وحَجٌّ في دَلُومَن بَرَثْمِ صُبَّ فيها ففاح منها ريح المسك. وشكا إليه أبو هريرة النسيان فأمره أن يسط ثوبه، وغرف بيده فيه ثم أمره بضمه ففعل فما نسى شيئا بعد. ومن ذلك دُرُورُ الشَّيَاطِينِ الْحَوَائِلِ بِاللَّيْلِ الْكَثِيرِ؛ كَقِصَّةِ شَاةِ أُمِّ مَعْبَدٍ، وَأَعْزُ مَعَاوِيَةَ بْنِ ثَوْرٍ، وشَاةِ أُنْسٍ، وَغَمِّ حَلِيمَةَ، وَشَارْفَهَا، وشَاةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، وشَاةِ الْمُقَدَّادِ، والله أعلم.

ومن معجزاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما أخبر به من الغيوب، وما يكون قبل وقوعه، فكان كما أخبر به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ روى عن حُذَيْفَةَ قَالَ: قام فينا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مقاما، فما ترك شيئا يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حَدَّثَهُ، حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ وَنَسِيَ مَنْ نَسِيَ، قد علمه أصحابي هؤلاء،

(١) الأذرة: انتفاخ في الخصىين معروف. (٢) حَجٌّ فيها: تفل ريقه فيها. (٣) الحوائل (جمع حائل): وهي التي لم تحمل مطلقا. (٤) شارفها: الشارف الناقة المسة. (٥) إلا حَدَّثَهُ: أي إلا حدثناه، وفي نسخة من الشفا: «إلا حدث به».

- وإنه ليكون منه الشيء، فأعرفه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه، ثم إذا رآه عرفه، ثم قال حذيفة : ما أدرى أنسى أصحابي أم تناسوه، والله ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قائد فتنة إلى أن تنقضي الدنيا ، يبلغ من معه ثلاثمائة فصاعدا إلا قد سماه لنا باسمه وأسم أبيه وقيلته . وقال أبو ذر : لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا ذكرنا منه علما^(١) .
- وما أخبر به صلى الله عليه وسلم مما يكون فكان ، ما أخرجه أهل الصحيح والأئمة ، مما وعد به رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه من الظهور على أعدائه ، وفتح مكة وبيت المقدس واليمن والشام والعراق ، وظهور الأمن حتى تظعن المرأة من الحيرة إلى مكة لا تخاف إلا الله ، وأن المدينة متغزى ، وتفتح خير على يدي على في غد يومه ، وما يفتح الله على أمته من الدنيا ، وما يؤتون من زهرتها ، وقسمتهم كنوز كسرى وقبصر ، وما يحدث بينهم من الفتون والاختلاف والأهواء ، وسلوك سبيل من قبلهم وآفاتهم على ثلاث وسبعين فرقة ، الناجية منها واحدة ، وأنه ستكون لهم أنماط ، ويفدو أحدهم في حلة ويروح في أخرى ، وتوضع بين يديه صحيفة وترفع أخرى ، ويسترون بيوتهم كما تستر الكعبة ، ثم قال آخر الحديث : « وأتم اليوم خير منكم يومئذ » وأنهم إذا مشوا المطيطاء ، وخدمتهم بنات

(١) أي تذكرنا من طيرانه علما يتعلق به ، فكيف بغيره مما يهتنا في الأرض .

(٢) تظعن : تسافر . (٣) يشير إلى رقعة الحرة ، أيام يزيد بن معاوية سنة ٦٣ هـ .

(٤) زهرة الدنيا : حسناتها وبعثتها وكثرة خيرها .

(٥) الفتون . الافتتان . وفي نسخة أ : « الفتن » .

(٦) أنماط جمع نمط : وهو ضرب من البسط له نخل رقيق .

(٧) الصحيفة : القصة ، أي تتدد أصناف ما لهم .

(٨) المطيطاء : مشية المتبحر ومد الدين .

فارس والروم ، رد الله بأسهم بينهم ، وسلط شرارهم على خيارهم ، وما أخبر به
 صلى الله عليه وسلم من قتلهم الترك والخزر والروم ، وذهاب كسرى وفارس ،
 حتى لا كسرى ولا فارس بعده ، وذهاب قيصر حتى لا قيصر بعده ، وأن الروم
 ذات قرون إلى آخر الدهر ، وأخبر بذهاب الأمل فالأمل من الناس ، وتقارب
 الزمان ، وقبض العلم ، وظهور الفتن والهرج ، وقوله صلى الله عليه وسلم :
 « زويت لى الأرض فأريت مشارقها ومغاربها ، وسيلغ ملك أمتى مازوى لى منها »
 فكان كذلك ؛ أمتدت فى المشارق والمغارب ، ما بين أرض الهند أقصى
 المشرق إلى بحر طنجة حيث لا عمارة وراءه ، ولم تمتد فى الجنوب والشمال
 مثل ذلك . وقوله صلى الله عليه وسلم : « ويل للعرب من شرّ قد أقرب » .
 وقوله : « لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة » ذهب
 ابن المدينى إلى أنهم العرب ؛ لأنهم المختصون بالسقى بالغرب وهو الذلوع ، وقيل :
 بل هم أهل المغرب ، ومن رواية أبى أمّامة : « لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين
 على الحق قاهرين لعدوهم حتى يأتهم أمر الله وهم كذلك » قيل : يا رسول الله
 وأين هم ؟ قال : « بيت المقدس » . وأخبر صلى الله عليه وسلم بملك بنى أمية ،
 وولاية معاوية ، ووصاه ، وأتخاذ بنى أمية مال الله دولا .

وأخبر بخروج ولد العباس بالرايات السود ، وملكهم أضعاف ما ملكوا ،
 وأخبر بقتل على رضى الله عنه ، وأن أشقاها الذى يخضب هذه من هذه ؛ أى
 لحيته من رأسه . وقال : يُقتل عثمان وهو يقرأ المصحف ، وأن الله عسى أن

(١) زويت : جمعت ؛ أى جمعت لى أطراف الأرض فأراني الله مشارقها ومغاربها ، يروى :

« فرأيت » . (٢) طنجة : المينة المشهورة بالمغرب على المحيط .

(٣) دولا (جمع دولة) : وهو ما يتداول من المال ، فيكون لقوم دون قوم .

يلبسه قيصاً، وأنهم يريدون خلعه، وأنه سيقطر دمه على قوله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكُمْ﴾^(١) الله . وأن الفتن لا تظهر مادام عمر حياً، وأخبر بحاربة الزبير لعلّى، ونُبّاح كلاب^(٢) الحوَّاب على بعض أزواجه ، وأنه يقتل حولها قتلى كثيرة ، وتجبر بعد ما كادت ، وأن عمّاراً تقتله الفئة الباغية ، وقال لعبد الله بن الزبير : « ويل للناس منك ، وويل لك من الناس » وقال في قُرْمان^(٣) وقد أبلى بلاء حسناً مع المسلمين : « إنه من أهل النار » فقتل نفسه . وقال صلى الله عليه وسلم : « يكون في تقيف كذاب ومبير^(٤) » فكان الكذاب المختار بن أبي عبيد، والمبير الحجاج بن يوسف . وأخبر بالردة ، وأن الخلافة بعده ثلاثون ، ثم ملكا ، وقال : « إن هذا الأمر بدأ نبوة ورحمة ، ثم يكون رحمة وخلافة ، ثم يكون ملكاً عضوضاً^(٥) ، ثم يكون عتواً وجبروتاً وفساداً في الأئمة » فكان كل ذلك كما أخبر . وأخبر أن سيكون في أمته ثلاثون كذاباً فيهم أربع نسوة ، وفي حديث آخر : « ثلاثون دجالاً كذاباً آخرهم الدجال الكذاب كلهم يكذب على الله ورسوله » . وقال صلى الله عليه وسلم : « يوشك أن يكثر فيكم العجم يا كلون فيئكم^(٦) ، ويضربون رقابكم » فكان كذلك . وقال : « لا تقوم الساعة حتى يسوق الناس بعصاه رجل من حُطّان^(٧) » . وقال : « هلاك أمتي على يدي أغنيمة من قريش » قال أبو هريرة راوى الحديث : لو شئت سميتهم لكم ،

(١) آية ١٣٧ سورة البقرة . (٢) الحوَّاب : ماء ، في طريق البصرة نجت كلابها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها حين ذهبت إلى البصرة في رقعة الجل . (٣) قُرمان : هو ابن الحارث العبسي المناق . (٤) كان كذاباً لأنه ادعى النبوة بالكوفة ، ومبير : مهلك يسرف في القتل بغير حق . (٥) عضوضاً : أى يصيب الرعية فيه عسف وظلم كأنهم يعضون فيه عضا ، وفي رواية : « ثم يكون ملوك عضوض » : جمع عض بالكسر وهو الخليث النرس . (النهاية لابن الأثير) . (٦) في الشفا : « أفياءكم » بصفة الجمع ، واحده في . ، والفي : الغنيمة . (٧) أى من عرب اليمن ، وحطّان أبو اليمن .

بنو فلان وبنو فلان . وأخبر بظهور القَدَرِيَّة والرافضة ، وسب آخر هذه الأمة
أولها . وأخبر بشأن الخوارج وصفتهم ، والمُخَدِّج ^(١) الذي فيهم ، وأن سِيَّاهم ^(٢) التحليق .
وقال : « خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، ثم يأتي بعد ذلك قوم يشهدون
ولا يُسْتَشْهَدُونَ ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يَفُونَ » . وقال : « لا يأتي
زمان إلا والذي بعده شر منه » . وأخبر صلى الله عليه وسلم بالموتان ^(٣) الذي يكون بعد
فتح المقدس . وما وعد من سكنى البصرة ، وأن أمته يغزون في البحر كالملوك على
الأسرة ؛ فكان في زمن يزيد بن معاوية . وقال : « إن الدين لو كان منوطا
بالثريا لئاله رجال من آبناء فارس » . وقال صلى الله عليه وسلم في الحسن بن علي
رضي الله عنهما : « إن آبي هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين » . وأخبر بقتل
الحسين ^(٥) بالطف ، وأخرج بيده تربة ، وقال : فيها مضجعه . وقال في زيد بن
صوحان : يسبقه عضو منه إلى الجنة ، فُتِطِعَ يده في الجهاد . وقال لسرافقة :
« كيف بك إذا لبست سوارى كسرى » فلما أتى بهما لعمر ألبسهما إياه ، وقال :
الحمد لله الذي سلبهما كسرى وألبسهما سرافقة . وقال : « تبني مدينة بين دجلة
ودُجَيْل وقَطْرَبِل ^(٦) والصرّة تجي إليها خزائن الأرض يُخَسَفُ بها » . فبنيت بغداد .
وقال : « لا تقوم الساعة حتى تقتتل طائفتان دعواهما واحدة » . وقال لعمر
في سُمَيْل بن عمرو : « عمى أن يقوم مقاما يسرك يا عمر » . فقام بمكة مقام أبي بكر
يوم بلغهم موت النبي صلى الله عليه وسلم ، وخطب بنحو خطبته ، وثبت الناس

(١) المخدج : النافس الخلق . (٢) سيّاهم : علامتهم ، والتحليق قيل : حلق الروس ،
وقيل غير ذلك . (٣) الموتان : الموت الكبير ، وكان ذلك في خلافة عمر بقرية عمواس من
قري بيت المقدس ، نزل بها عكره ، وهو أول طاعون وقع في الإسلام سنة ١٦ هـ

(٤) منوطا : معلقا ، والحديث المشهور في هذا « لو تعلق الدين بالثريا » ويرى « لو تعلق العلم » .
(٥) الطف : موضع قرب الكوفة . (٦) قطربل : قرية بالعراق . والصرّة : نهر بالعراق أيضا .

وقَوَّى بصائرهم ، وقال لخالد حين وجهه إلى أُكَيْدِر : « إنك مجذبه يصيد البقر » فكان كذلك . وقد تقدّم خبره . وأخبر صلى الله عليه وسلم بوقائع نحن نترقب وقوعها ؛ كقوله : « عمران بيت المقدس خراب يَرب ، وخراب يَرب خروج الملحمة ، وخروج الملحمة فتح القُسْطَنْطِينِيَّة » . وأخبر بنسب ذلك من الأمور التي وقعت في حياته في أماكن بعيدة ، وأخبرها حال وقوعها كموت النجاشي ، وقتل أمراء مؤمنه ، وغير ذلك صلى الله عليه وسلم .

ومن معجزاته عصمة الله تعالى له من الناس

وكفايته إياه مع كثرة أعدائه وتحزبهم واجتماعهم على أذاه

قال الله عز وجل : ﴿ وَاللَّهُ يَنْصِبُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ . وقال تعالى : ﴿ وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ . وقال : ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾ . وقال : ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَمِزِينَ . الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ . وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ . روى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت هذه الآية : ﴿ وَاللَّهُ يَنْصِبُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ فأخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من القُبَّة ، فقال لهم : « يا أيها الناس أنصرفوا فقد عصمني الله ربي عز وجل » . وقيل : كان النبي صلى الله عليه وسلم يخاف قريشا ، فلما نزلت هذه الآية آسأقي ، ثم قال : « من شاء فليخذلني » . وقد تقدم من عصمة الله له وكفايته قصتا دُعُورٍ وَغُورَثٍ ، وخبر

(٢) آية ٤٨ سورة الطور .

(١) آية ٦٧ سورة المائدة .

(٤) آية ٩٥ — ٩٦ سورة الحجر .

(٣) آية ٣٦ سورة الزمر .

(٥) آية ٣٠ سورة الأَنْفَال .

تحالة الخطب ، وأخذ الله تعالى على بصرها حين أرادته بالفهر^(١) ، وخبر أبي جهل حين أرادته بالهجر ، وغير ذلك .

وها نحن نورد في هذا الموضع من ذلك خلاف ما قدّمناه ؛ فمن ذلك ما روى عن الحكم بن العاص أنه قال : تواعدنا على النبي صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا رأيناه سمعنا صوتا خلقنا ما ظننا أنه بقي بتهامة أحد ، فوقعنا مغشيا علينا ، فأنقنا حتى قضى صلاته ورجع إلى أهله ، ثم تواعدنا ليلة أخرى ، فخرجنا حتى إذا رأيناه جاءت الصفا والسروة فحالت بيننا وبينه . وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : تواعدنا أنا وأبوجهم بن حذيفة ليلة قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجئنا منزله فسمعنا له ، فافتتح وقال : ﴿ الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ ﴾ إلى : ﴿ فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ ﴾^(٢) فضرب أبو جهم على عضد عمر وقال : آئج ، وقرا هارين ، فكانت من مقدّمات إسلام عمر . ومن ذلك خروجه صلى الله عليه وسلم على قريش حين اجتمعوا لقتله ، فأخذ الله على أبصارهم حتى ذرأ^(٣) التراب على رؤوسهم وخلص منهم . وقبسة الغار ، وأخذ الله على أبصارهم ، وخبر سراقبة بن مالك بن جعشم ، وقد تقدّم ذكر ذلك . وفي خبر آخر أن راعيا عرف خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر حين هاجرا ، فخرج يشستد^(٤) ليعلم قريشا بشأتهما ، فلما دخل مكة ضرب على قلبه فما يدرى ما يصنع ، وأنشئ ما خرج له حتى رجع إلى موضعه . وذكر السمرقندي : أن رجلا من بني المغيرة أتى النبي صلى الله عليه وسلم ليقتله ، فطمس الله بصره فلم

(١) النهر : الحجر قدر ما يملأ الكف . (٢) في شرح الشفا للشهاب : « ليلة منصوب

على الطرفة منون ، وتدل منصوب على أنه مفعول له أو بزعم الخافض ؛ أى على قتله أو لقتله ، أو بمقدور

أى وأضرنا قتله » . (٣) آية ١ — ٨ سورة الحاقة . (٤) ذرأ : تثر .

(٥) يشند : يسرع في مشيه .

ير النبي صلى الله عليه وسلم وسمع قوله ، فرجع إلى أصحابه ولم يره حتى نادوه ، وذكر
أن فيه وفي أبي جهل نزلت : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ
مُقْمَحُونَ . وَجَعَلْنَا مِ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾^(١) .

وقد روى عن أبي هريرة أن أبا جهل وعد قريشا : لن رأى محمداً — صلى الله

عليه وسلم — يُصَلِّي لِيَطَّأَنَّ رَقَبَتَهُ ، فلما صلى النبي صلى الله عليه وسلم أعلموه فأقبل ،

فلما قرب منه ولَّى هارباً ناكصاً على عقبيه متّقياً بيديه ، فسئل فقال : لما دنوت

منه أشرفت على خندق مملوء ناراً كدت أهوى فيه ، وأبصرت هولاً عظيماً ، وخفقت

أجنحة قدمائت الأرض . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تلك الملائكة لودنا

لاختطفته غُضُوهَا عُضُوهَا » ثم أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ كَلَّا إِنَّ

الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَآيَظُنِّي ﴾^(٢) إلى آخر السورة . وقد ذكرنا أيضاً قصة شيبَةَ بن عثمان بن أبي طلحة

في غزوة حُنين . وعن فضالة بن عمرو قال : أردت قتل النبي صلى الله عليه وسلم

عام الفتح وهو يطوف بالبيت ، فلما دنوت منه قال : « أفضالة » ؟ قلت : نعم ،

قال : « ما كنت تُحَدِّثُ به نفسك » ؟ قلت : لا شيء ، فضحك واستغفر لي ووضع

يده على صدرى فسكن قلبي ، فوالله ما رفعها حتى ما خلق الله شيئاً أحبَّ إلىَّ منه .

ومنه خبر عامر بن الطفيل ، وأربد بن قيس ، وقد تقدم ذكر قصتهما .^(٣)

ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم ما جمعه الله تعالى له من المعارف

والعلوم ، وخصه به من الإطلاوع على جميع مصالح الدنيا والدين ، ومعرفة

بأمور الشرائع وغير ذلك ، كاطلاعه صلى الله عليه وسلم على أخبار من

سلف من الأمم ، وقصص الأنبياء والرسل ، وأخبار الجبابرة والقرون

(١) آية ٨ ، ٩ سورة يس . (٢) آية ٦ سورة العلق .

(٣) راجع ص ٥١ من هذا الجزء .

الماضية ، وحفظ شرائعهم ، وسرد أنبائهم ، وأيام الله فيهم ، ومعارضة كل فرقة من أهل الكتاب بما في كتبهم ، وإعلامهم بأسرارها ومخبات علومها ، وإخبارهم بما كتبه من ذلك وغيره ، وأحوائه صلى الله عليه وسلم على لغات العرب وغريب ألفاظها ، والحفظ لأيامها وأمثالها وحكمها ، ومعاني أشعارها ، وما خصه الله تعالى به من جوامع الكلم ، وما علمه من ضروب العلوم وفنون المعارف ؛ كالطب والعبارة والفرائض والحساب والأنساب وغير ذلك ، مما جعل أهل هذه العلوم كلامه صلى الله عليه وسلم فيها قدوة وحجة وأصولا يرجعون إليها في علومهم ؛ كقوله عليه السلام : « الرؤيا لأقول عابر وهي على رجل طائر » وقوله : « الرؤيا ثلاث ؛ رؤيا حق ، ورؤيا يحدث بها الرجل نفسه ، ورؤيا تحزين من الشيطان » . وقوله : « إذا تقارب الزمان لم تكدر رؤيا المؤمن تكذب » . وقوله : « أصل كل داء البردة »^(٢) وقوله : « المعدة حوض البدن ، والعروق إليها واردة » وقوله : « خير ما تدأوتم به السعوط ، والدود ، والحجامة ، والمشي »^(٣) ، وخير الحجامة يوم سبع عشرة وتسع عشرة وإحدى وعشرين ، وفي العود الهندي سبعة أشقية » وقوله : « ما ملاء ابن آدم وعاء شرا من بطنه » . وقوله لكتابه : « ضع القلم على أذنك فإنه أذكر لأملي » . وقد وردت آثار بمعرفته حروف

(١) العبارة : تعبير الرؤيا . (٢) البردة : النخمة وتقل الطعام على المعدة ، سميت بذلك لأنها تبرد المعدة فلا تستمرى الطعام . (٣) السعوط بالفتح : ما يجعل من الدواء في الأنف . (٤) الدود بالفتح : ما يسقاه المريض في أحد شقي الفم ، ولديدا انقم جانباه . (٥) المشي : الدواء الممهل سمى بذلك لأنه يحمل شارب على المشي والتردد إلى الخلاء . (٦) العود الهندي : قيل هو القسط البحري ، وقيل هو العود الذي يتغير به ، قال في النهاية : القسط عقار (بالند) : معروف في الأدوية طيب الريح ، والحديث يروى : « عليكم بهذا العود الهندي فإنه فيه سبعة أشقية » الحديث .

الخط، وحسن تصويرها؛ كقوله : « لا تمدوا بسم الله الرحمن الرحيم » رواه
 ابن شعبان من طريق ابن عباس، وقوله في الحديث الآخر الذي يروى عن معاوية
 أنه كان يكتب بين يديه - صلى الله عليه وسلم - فقال له : « أَلَيْسَ الذَّوَاءُ، وَحَرْفُ الْقَلَمِ،^(١)
 وَأَقَمِ الْبَاءَ، وَفَرَّقِ السَّيْنِ، وَلَا تُعَوِّرِ الْمِيمَ، وَحَسِّنِ اللَّهَ، وَمُذِّهِمِ الرَّحْمَنَ، وَجَوِّدِ الرَّحِيمَ »
 وإن لم تصح الرواية أنه صلى الله عليه وسلم كتب، فلا يبعد أن يكون قد رُزِقَ
 علم الخط، ومنع الكتابة والقراءة . وكذلك حفظه صلى الله عليه وسلم لكثير من
 لغات الأمم؛ كقوله صلى الله عليه وسلم : « سَنَةُ سَنَةٍ » وهي حسنة بالحبشية،
 وقوله : « يَكْثُرُ الْهَرْجُ » وهو القتل بها، وقوله في حديث أبي هريرة : « أَشْكَبُ^(٢)
 دَرْدَمَ » أى وجع البطن بالفارسية، وغير ذلك مما لا يعلمه إلا من دارس العلوم،
 ومارس الكتب، وداوم المطالعة، وعكف على الاشتغال . وكان صلى الله عليه
 وسلم بخلاف ذلك لا يقرأ ولا يكتب؛ كما أخبر الله تعالى عنه بقوله عز وجل :
 « وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ يَمِينُكَ إِذَا لَارْتَابَ الْمُطَلِّونَ^(٣) »
 وفي هذا أكبر آية، وأعظم دلالة، وأبين حجة، وأبهر معجزة له صلى الله عليه وسلم.

١٢٧
١٦

وقد رأينا أن نختم هذه الفصول بذلك

- ١٥ القصيدة التي أبتسمت ثغورها بوصف معجزاته، وتحتل ثغورها بمجواهر
 صفاته، ورَفَلَتْ في حُلَّالِ الفَخَارِ من باهر آياته، وسجبت ذُيُولُ الْاِفْتِخَارِ بإشارات
 إلى غزواته، وفاح أَرْجُهَا فَأَخْجِلُ الْمِسْكَ الذَّارِيَّ^(٦)، وأشرقت أنوارها على النيرين

(١) ألقى الدواة : اجعل لها ليفة وهي صوفة تجعل في الدواة للزق بالمداد .

(٢) لا تعور الميم : لا تغمسها . (٣) الرواية كما في النهاية : ألبس أم خالد الخبيصة ،

بفعل يقول : « يا أم خالد سناستنا »، ثم قال : وتخفف نونها وتشدد .

(٤) أشكب : يزداد فيها هاء، فيقال : أشكبه . (٥) آية ٨ : سورة العنكبوت .

(٦) الذاري : نسبة إلى دارين، فريضة بالبحرين ينسب إليها المسك .

فأظنك بالدراري^(١)، وهى قصيدة الشيخ الإمام العلامة أبى محمد عبد الله بن زكريا الشقراطيسى^(٢) رحمه الله تعالى، وإنما أقتصرنا عليها وصرفنا الرغبة دون غيرها إليها لأشتمالها على جمل من أخباره السنية، ونكت من آثاره التى هى بكل خير مليّة، وهى :

- الحمد لله منّا باعث الرسل * هدى بأحمد منّا أحمد السبل^(٣)
 خير البرية من بدو ومن حضر * وأكرم الخلق من حاف ومتعل^(٤)
 توراة موسى أتت عنه فصدها * إنجيل عيسى بحق غير مفتعل^(٥)
 أخبار أخبار أهل الكتب قد وردت * عما راوا ورووا فى الأعصر الأول^(٦)
 ضاعت لمولده الآفاق وأنصلت * بشرى الهوائى فى الإشراق والطفل^(٧)
 وصرح كسرى تداعى من قواعده * وأنقاض منكمسر الأرجاء ذا ميل^(٨)
 وثار فارس لم توفد وما نحدث * مذ ألف عايم ونهر القوم لم يسيل
 خترت لمبعثه الأوثان وأنبعثت * ثواقب الشهب ترمى الحن بالشعل^(٩)
 ومنطق الذئب بالتصديق معجزة * مع الذراع ونطق العير والجمل^(١٠)
 وفى دعائك بالأشجار حين أتت * تسعى بأمرىك فى أغصانها الدليل
 وقلت عودى فسادت فى منابتها * تلك العروق بلاذن الله لم تميل

(١) الشقراطيسى : نسبة إلى شقراطيسه من بلاد الجريد بتونس . (شرح القصيدة لأبى شامة) .

(٢) منّا بكسر الميم : جار ومجرور متعلق بياعث، ومنّا : تفضلا وإحسانا، أحمد السبل : الإسلام .

(٣) يريد بالحق والمتمثل جميع الخلق .

(٤) فى نسخة (١) « بقول غير مفتعل » .

(٥) الطفل : العتي . (٦) آقاص : أنهار، وروى : « آقاص » بالصاد المهملة . الأرجاء :

النواحي، ميل بفتح الياء : ما كان فى أصل الحلقة كميل العتي، وبالسكون : ما كان فى الحادث .

(٧) العير : الحمار .

والسرح بالشام لما جئتها سجدت * شَمَّ الذوائب في أغصانها الخضيل^(١)
والجذع حنَّ لأن فارقه أسفا * حينَ تكلَّى شَجَّتْهَا لَوْعَة النُّكُلِ^(٢)
ما صبرَ من صار من عينٍ على أثر * وحالٌ من حالٍ من حالٍ إلى عَطِيلِ^(٣)
حيّ فمات سُكُونًا ثم مات لَدُنْ * حيّ حَبِينًا فأضحى غاية المُنْـلِ^(٤)
والشاة لما مسحت الكف منك على * جَهْدِ الهُزَالِ بأوصالٍ لها قُلْ^(٥)
صحت ودرت يشكر الضرع حافلة * فروتِ الركب بعد النهل بالعللِ^(٦)
وآية الغار إذ وقّيت في حُجْبٍ * عن كل رجسٍ لرجسٍ الكفر متحلٍ^(٧)
وقال صاحبك الصديق كيف بنا * ونحن منهم بمرأى الناظر العجِلِ^(٨)
فقلت لا تحزن بالله الله ثالثنا * وكنت في حُجْبٍ ستر منه مُنْـدِلِ^(٩)
حمت لَدَيْكَ حمَامُ الوحشِ جائمة * كَيْدًا لكل غَوِيٍّ القلبِ مُحْتَبِلِ^(١٠)
والعنكبوت أجادت حوك حلما * فما يُخال خلال النسيج من خللِ^(١١)
قالوا: وجاءت إليه سراحة سترت * وجه النبي بأغصان لها هُدُلِ^(١٢)

(١) السرح : الشجر العظيم ، شم الذوائب : مرتفعات الأغصان التي في أطرافها ، الخضيل
بالضاد المعجمة : الناعمة ، ويرى بالصاد : أي تحصل الشعر في التفافها واسترسالها .

(٢) التكلّى : التي فقدت ولدها ، شجتها : أحزنتها ، لوعة : حرق ، النكل : الحزن .

(٣) معنى هذا البيت : كيف يصبر الجذع بعد أن انتقل من مشاهدة رسول الله إلى هدمها فصار
بالحنين في حال موته ، بعد أن كان موته بالسكون في حال حياته وهذا عجيب . (٤) قُلْ : يابسة .

(٥) صحت : صبت صبا متباجا ، ودرت ، هكذا في الأصول ، والذي في الشرح لأبي شامة : صحت
بذرة شكرى الضرع ، وقال : المعنى : بذرة شاة شكرى الضرع أي مثله الضرع . حافلة : ترك حلما حتى
انزلا الضرع ، العنكبوت : الشرب الأول ، والعلل : الشرب الثاني .

(٦) متحل : معتقد ، أي معتقد لرجس الكفر .

(٧) حمت : قدرت وأحضرت . وجائمة : ملازمة للكان لازمة به بغير نوم الطير كبروك الإبل ،
والكيد : الخداع ، ومُحْتَبِل : مخيل العقل . (٨) هدل : متدلية .

- (١) وفي سُرَافَةِ آيَاتٍ مُبَيَّنَّة * إِذْ سَاخَتْ الْجَحْرُفِي وَحَلَّ بِلَا وَحَلَّ
(٢) عَرَجَتْ تَحْتَرِقُ السَّيْعَ الطَّبَاقِ إِلَى * مَقَامٍ زُلْفَى كَرِيمٍ قَمَتْ فِيهِ عَلَى
(٣) عَنْ قَابِ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى هَبَطَتْ وَلَمْ * تَسْتَكِلَ اللَّيْلَ بَيْنَ الْمَرِّ وَالْقَفْلِ
(٤) دَعَوَتْ لِلخَلْقِ عَامَ الْمُحَلِّ مَبْتَهَلًا * أَفِيدِكَ بِالْخَلْقِ مِنْ دَائِعٍ وَمُبْتَهَلٍ
(٥) صَعِدَتْ كَفِّكَ إِذْ كَفَّ الْغَمَامُ فَمَا * صَوَّيْتُ إِلَّا بِصَوْبِ الْوَائِكِ الْهَاطِلِ
(٦) أَرَاكَ بِالْأَرْضِ نَجْمًا صَوْبُ رَيْقِهِ * فَحَلَّ بِالْأَرْضِ نَسْجًا رَائِقَ الْحَلِّ
(٧) زُهِرَ مِنَ النُّورِ حَلَّتْ رَوْضَ أَرْضِهِمْ * زَهْرًا مِنَ النُّورِ ضَافِي النَّبْتِ مُكْتَهَلٍ
(٨) مِنْ كُلِّ غُصْنٍ نَضِيرٍ مُورِقٍ خَضِيرٍ * وَكُلِّ نَوْرٍ نَضِيدٍ مُوْنِقٍ خَضِيلِ
(٩) تَحِيَّةٍ أَحْيَتْ الْأَحْيَاءَ مِنْ مُضِيرٍ * بَعْدَ الْمَضَرَّةِ تَرَوِي السُّبُلَ بِالسُّبُلِ
دَامَتْ عَلَى الْأَرْضِ سَبْعًا غَيْرَ مُقْلَعَةٍ * لَوْلَا دَعَاؤُكَ بِالْإِفْلَاحِ لَمْ تَزَلْ

- (١) سُرَافَة : هوابن مالك كان دليل المشركين في اقتصاص أثر رسول الله حين هاجر، ثم أسلم بعد حين، ساخت : دخلت وغابت قوائمه، الجحر : أنحى الخليل، جرد من البياض، لأنه من الأوصاف الخاصة، الوحل : الطين الرقيق . (٢) الطباقي : السموات ، لأنها متطابقة ، أو بعضها فوق بعض ، زلغى كقري وزنا ومعنى ، وحل : من العلونمت ثان لقام . (٣) قاب : قدر ، أو أدنى : أقرب ، المر : الذهاب ، القفل : الرجوع . (٤) المحل : الذحط ، المبتل : المتضرع . (٥) صعدت بالتشديد : رفعت ، كف : امتنع ، أوبض الكاف : منع ، والصوب : النازل ، الواكف : القاطر ، والهطل : المنسكب . (٦) النجج : الاندناق ، الرقيق من كل شيء . أفضله ، حل : نزل ، وفي الأصول : حل بالأرض ولعله بالروض كما يستفاد من شرح أبي شامة ، نسجا : ناسجا ، رائق : معجب ، الحل جمع حلة : يريد النبات المختلف الألوان . (٧) زهر : بيض مضيفة جمع أزهر ، من النور : أى الضوء ، والزهر الثانى : زهر النبات ، وحلت : من التحلية . (٨) نضير : ناعم حسن ، والنضيد : المتراكب ، المونق : المعجب ، خضيل : الندى المبلل ، أو الخضيل : الناعم . (٩) السبل الأول : الطرق ، والسبل الثانية : المطر .

وَيَوْمَ زُورُوا بِالزُّورِ إِذْ صَدَرُوا * مِنْ يَمِينٍ كَفَّكَ عَنْ انْجُوبَةٍ مِثْلِ (١)
وَالْمَاءِ يَنْبَعُ جَوْدًا مِنْ أَنْامِلِهَا * وَسَطَ الْإِنَاءِ بِلَا تَهَرٍّ وَلَا وَشَلٍ (٢)
حَتَّى تَوْضَا مِنْهُ الْقَوْمَ وَأَعْتَرَوْا * وَهُمْ ثَلَاثٌ مِثِينَ جَمْعٌ مُحْتَفِلٍ
أَشْبَعَتْ بِالصَّاعِ أَلْفَا مِثْرَيْنِ كَمَا * رَوَيْتَ أَلْفَاوَنِصْفَ الْأَلْفِ مِنْ سَمَلٍ (٣)
وَعَادَ مَا شَبِعَ الْأَلْفُ الْجِبَاعُ بِهِ * كَمَا بَدَّوْا فِيهِ لَمْ يَنْقُصْ وَلَمْ يَحُلْ
أَعْجَزَتْ بِالْوَحْيِ أَصْحَابُ الْبَلَاغَةِ فِي * عَصْرِ الْبَيَانِ فَضَلَّتْ أَوَّجُهُ الْحَيْلَ
سَأَلْتَهُمْ سُورَةَ فِي مِثْلِ حِكْمَتِهِ * قَتَلَهُمْ عَنْهُ حِينَ الْعَجْزِ حِينَ تَلَى (٤)
وَرَامَ رِجْسٌ كَذُوبٌ أَنْ يِعَارِضَهُ * بَيْئٌ غَيٌّ فَلَمْ يُحْسِنْ وَلَمْ يَطْلُ (٥)
مُتَّبِعٌ بِرِيكِ الْإِفْكِ مَلْئِيسٍ * مُلْجَاجٌ بِزَرَى الزُّورِ وَالْخَطَلِ (٦)
يَمِجُّ أَوَّلَ حَرْفٍ مِنْهُ سَامِعُهُ * وَيَعْتَرِيهِ كَلَالُ الْعَجْزِ وَالْمَلَلِ (٧)
كَأَنَّهُ مِنْطَقُ الْوَرَهَاءِ شَذْبُهُ * لَبَسَ مِنَ الْخَبِيلِ أَوْمَسُّ مِنَ الْخَيْلِ (٨)
أَمَرَّتِ الْبِئْرُ وَأَعْوَزَتْ لِمَجَّتِهِ * فِيهَا وَأَعْمَى بِصِيرِ الْعَيْنِ بِالتَّغْلِ (٩)

(١) الزور : الزائر ؛ ويستعمل هذا اللفظ في الواحد وغيره بلفظ واحد ، أى يوم جاءك الزائرون بالزوراء : موضع بالمدينة ، وهو المكان الذى ينبع فيه الماء من بين أحابيه صلى الله عليه وسلم فتوضأ جميع أصحابه ، وصدروا بعد الورد ، واليمين : البركة . (٢) الضمير فى أناملها ليد الشريفة ، والوشل : القليل من الماء . (٣) السمل : القليل من الماء . يبق فى أسفل الإناء . (٤) تلهم : صرعهم ، والحين بالفتح : الحلاك . (٥) الرجس : القدر ، وهو مسيلة الكذاب ، المي : العجز والانتقطاع عند الكلام ، وضد الفصاحة ، والغي : الضلال ، ويطل : من طال امتد ، أو استظهر على القرآن ، أو : يطل من أطال أى بطائل . (٦) متبع : مضطرب فاسد ، ملجج : متردد فى الكلام غير مفسح ، الزرى : الحفسير ، والزور : الكذب ، والخطل : المنطق الفاحش المضطرب . (٧) يمج : يطرحه ويلقيه . (٨) الورهاء : المرأة الحفقاء تتكلم بما لا يفهم ، شذبه : فرقه وقطعه ، الخبل بسكون الباء : الفساد ، والخبل بفتح الباء : الجنون . (٩) أمرت : صارت ذات مرارة بعد العذوبة ، وغار ماؤها بمجته .

وأيس الضرع منه شؤم راحته * من بعد إرساله بالرسل منهمل^(١)
 برئت من دين قوم لا قوام لهم * عقولهم من وثاق النقي في غل^(٢)
 يستخبرون خفي الغيب من حجر * صليد ويرجون غوث النصير من هبل^(٣)
 نالوا أذى منك - لولا حلم خالقهم * وحجة الله بالإندار لم تنل^(٤)
 وأستضعفوا أهل دين الله فأصطبروا * لكل معضل خطيب فادج جذل^(٥)
 لاقى يلال بلاء من أمية قد * أحله الصبر فيه أكرم التزل^(٦)
 إذا جهدوه بضيك الضيك وهو على * شدائد الأزل تبث الأزر لم يزل^(٧)
 ألقوه بطحا يرمضاء البطاح وقد * عالوا عليه صخورا جمعة الثقل^(٨)
 فوحد الله إخلاصا وقد ظهرت * بظهيره كندوب الطل في الطلل^(٩)
 إن قد ظهر ولي الله من دبر * قد قد قلب عدو الله من قبل^(١٠)
 فقرت في نقر لم ترض أنفسهم * إذ نافروا الرجس إلا القدس من نقل^(١١)

- (١) الشؤم : نقيض البين والراحة : الكف . الرسل بالكسر : اللبن ، المنهل : الفائض .
 (٢) قوام الأمر : نظامه وعماده وملاكه ، والغل جمع غلة : خرقة يشدها قم الإبريق ، وفي شرح
 أبي شامة : في عقل جمع عقال : وهو الحبل الذي يعقل به البعير . (٣) هبل : أعظم
 أصنام قريش في الكعبة . (٤) في شرح أبي شامة : « حجة الله بالإعذار » .
 (٥) معضل : شديد ، فادج : يقال أمر فادج إذا أثقله وبهظه وبجزعته . الجلل : العظيم .
 (٦) أجهدوه : حملوه فوق طاقتهم من العذاب ، والضنك : الضيق ، وفي انشراح : بضك الأمر
 وهو الصواب ، والأزل : الحبس ، والضيق : والأزر : القوة ، والبت : ثابت القلب . وفي الأصول
 « شدائد الأزر بيت الأزل » وهو خطأ ، والتصويب من شرح أبي شامة . (٧) بطحا : مبطوحا ،
 الرمضاء : الأرض الشديدة الحرارة بالشمس ، والأودية : عالوا : أعلاها ، جمعة : كثيرة .
 (٨) الندوب : الآثار ، الطل : المطر الخفيف ، والطلل : ما شخص من آثار الله يار على وجه الأرض .
 (٩) قد : قطع بالعذيب . (١٠) نافروا الرجس : جانبوا الأوثان والشرك ، القدس :
 الجنة ، النفل : الغنيمة .

بأنفُسٍ بُدِّلَتْ فِي الْخُلْدِ إِذْ بَدَّلَتْ * عَنْ صِدْقٍ بَدِّلَ بِدَرٍ أَكْرَمَ الْبَدَلِ
 قَالُوا : مَجْدٌ قَبْدٌ حَلَّتْ كُتَابُهُ * كَلَامُ سِدِّ تَزَارُ فِي أَنْبِيَائِهِ الْعُصَلِ^(١)
 فَوَيْلٌ مَكَّةَ مِنْ آثَارِ وَطَائِهِ * وَوَيْلٌ أُمَّ قُرَيْشٍ مِنْ جَوَى الْهَبْلِ^(٢)
 بَحَّدَتْ عَقْوًا بِفَضْلِ الْعَفْوِ مِنْكَ وَلَمْ * تُلَيْمُ وَلَا بِالْإِيمِ الْيَوْمَ وَالْعَدَلِ
 أَضْرَبَتْ بِالصَّفْحِ صَفْحًا عَنْ طَوَائِلِهِمْ * طَوَلَا أَطَالَ مَقِيلَ النَّوْمِ فِي الْمَقِيلِ^(٣)
 رَحِمَتْ وَاشْتَجَّ أَرْحَامُ أُتْبَحَ لَهَا * تَحْتَ الْوَشِيحِ تَشِيحَ الرُّوعِ وَالْوَجَلِ^(٤)
 عَاذُوا بِظِلِّ كَرِيمِ الْعَفْوِ ذِي لَطْفٍ * مُبَارَكِ الْوَجْهِ بِالْتَوْفِيقِ مُشْتَمِلِ^(٥)
 أَحْسِبْ بِجَحِيلٍ مِنَ التَّكْوِينِ قَدْ جُنِبَتْ * لِحَايِبٍ عَنْ جَنَابِ الْحَقِّ مُعْتَرِلِ^(٦)
 أَتَعْمِيتُ جَبِيشًا بِكَفٍّ مِنْ حَصَى بَحَثُوا * وَعُطِّلُوا عَنْ حَرَكَ النَّقْلِ بِالنَّقْلِ^(٧)
 وَدَعَاؤُهُ بِفَنَاءِ الْبَيْتِ صَادِقَةٌ * غَدَا أُمِيَّةٌ مِنْهَا شَرٌّ مُنْخَزِلِ^(٨)

١٢٩
١٦

- (١) الكتاب جمع كتيبة : طائفة من الجند ، تزار : تصيح في غضب ، العذل : الشديدة .
 (٢) الجوى : الحزن . الهبل : الشغل . (٣) الصفح : الإعراض ، صفحا : جانبا ،
 طوائهم جمع طائفة : العداوة ، طولاً : مآ وفضلاً ، المقيل : النوم في القائلة ، رمى وقت الهاجرة ،
 المقل جمع مقلة : الحدة ، والمراد العين ، أى صفحك منهم راحة النوم .
 (٤) واشج أرحام : الرحم المشبكة ، أتبح : تبا ، الوشيح : اشباك القراية ، التشيح : النصبة
 بالبكاء ، فى الحق من غير انتخاب ، الروع : الفزع ، الوجل : الخوف . (٥) عاذوا : التجثوا
 واعتصموا ، لطف : رفق ، مبارك الوجه : أى ثبت فيه الخير الإلهى ، وهو رسول الله عليه الصلاة والسلام .
 (٦) هكذا ترتيب الأبيات فى الأصول ، وهذا البيت بعد قوله : يبيض من العون ... فى ترتيب
 أبى شامة إلى قوله : من كل مهتصر... ورتيب أبى شامة هو المناسب . من التكوين : تكوين الله لها ،
 جنبت : قيدت ، الجناب : القناء ، المعنى : قيدت هذه الخليل لئلا تحية أهل الكفر المعززين للحق .
 (٧) جثا : قعد على ركبتيه ، والنقل بالتحريك : الهجرة ، أى رماهم عليه السلام بحصى فتزل دلائهم
 حجارة عطلت حركتهم . (٨) فناء البيت : السعة التى أمامه ، والمراد البيت الحرام ، انخزل :
 انقطع ، أمية : هو أمية ابن خلف الحمصى .

- (١) غادرت جهل أبى جهل بمجهلة * وشاب ثيبة قبل الموت من وجل
(٢) وعتبة الشر لم يعتب فتعطفه * منك العواطف قبل القوت في مهل
(٣) وعقبة العمر عقباه لشفوته * قد ظل من غمرات النقى في ظل
(٤) وكل أشوس عانى القلب متقلب * جعلته بقلب البئر كالجعل
(٥) وجائم بمشار النقع مشغول * بجاحم من أوار النار مشعل
(٦) عقدت الخزى في عطني مقلدهم * طوق الحمامة باق غير متقل
(٧) أمسى خايل صغار بعد نخوته * بالأمس في خيلاء الخيل والحدول
(٨) دام يديم زفيراً في جوانحه * جنح من الشك لم يجنح ولم يمل
(٩) يقاد في القد خنقا مشرباً حنقا * يمشى به الذعر مشى الشارب الثمل

(١) غادرت : زكت ، مجهلة : أمر حمله على الجهل .

(٢) في الشرع « قبل الحين » : وهو الهلاك ، ومهل : رفق .

(٣) العمر : الجاهل الذي لم يجرب الأمور ، غمرات : شدائد ، النقى : الضلال ، ظل : جمع ظلة .

(٤) الشوس : النظر بمؤخر العين في تكبر وغيظ وحقد ، أو رفع الرأس تكبراً ، العاني : الذي بلغ الغاية في النسوة ، المنقلب : المنصرف ، أى عن الحق ، القلب : البئر ، والإضافة للبيان ، الجعل كصرد :

درية سوداء . تكون في المواضع البتدية . (٥) جائم : جالس على ركبته ، النقع : الغبار ،

الجاحم : الجمر الشديد الاشتعال ، الأوار : اللهب ، وفي الشرع : « أوار النكل » .

(٦) الخزى : الذل والفضيحة ، عطقا الإنسان : جانيه من لدن رأسه إلى وركه . ومقدم :

الذى يقتدون به ، طوق الحمامة : ما استدار بعنفها ، أى طوقاً كطوق الحمامة .

(٧) الخليل : الصديق ، الصغار : الدل والهوان ، النخوة : العظمة والتكبر ، الخيلاء : الكبر

والإنجاب ، الخول : الخدم والحشم . (٨) دام : دامياً أى جريح يسيل دمه ، يديم : من

الدوام ، والزفير : تنفس الصعداء ، والجوانح : الأضلاع ، والجنح : الظلمة ، لم يجنح : لم يمل .

(٩) القد : السير ، خنقا : مخنوقاً ، مشرباً : أدخل فيه حتى خالطه ، الحق : الغيظ ، الذعر :

الفرع ، الثمل : السكران ، أى يتأبل في مشيه خوفاً .

أَوْصَالُهُ مِنْ صَلِيلِ الْغُلِّ فِي عِلَالٍ * وَقَلْبُهُ مِنْ غَلِيلِ الْغُلِّ فِي غُلِّ^(١)
 يَظَلُّ بِمَجْلٍ سَاحِي الطَّرْفِ خَافِضُهُ * بِمَسْكَةِ الْمَجْلِ لَا مِنْ مَسْكَةِ الْمَجْلِ^(٢)
 أَرَحَتْ بِالسِّيفِ ظَهَرَ الْأَرْضِ مِنْ نَفِيرٍ * أَزَحَتْ بِالصَّدَقِ مِنْهُمْ كَاذِبِ الْعَلَلِ^(٣)
 تَرَكْتَ بِالْكَفْرِ صَدْعًا غَيْرَ مُلْتَمِمْ * وَأَبَ مِنْكَ بَقْرَجٍ غَيْرِ مُنْدَمِلِ^(٤)
 وَأَقَلَّتِ السِّيفُ مِنْهُمْ كُلَّ ذِي أَسْفٍ * عَلَى الْحِمَامِ حَمَاهُ آجِلُ الْأَجَلِ^(٥)
 قَدْ أَعْقَفْتَهُ عِتَاقُ الْخَلِيلِ وَهُوَ يَرَى * بِهِ إِلَى رِقِّ مَوْتٍ رِقَّةَ الْغَزَلِ^(٦)
 فَكَمْ بِمَكَّةَ مِنْ بَالِكٍ وَبَاكِيَةٍ * بِفَيْضِ تَجَلٍّ مِنَ الْأَمَاقِ مُنْسَجِلِ^(٧)
 وَكَاسَفَ الْبَالِ بِالِي الصَّبْرِ جُدَّتْ لَهُ * يَوَابِلُ مِنْ وَبَالِ الْخَزْيِ مُتَّصِلِ^(٨)
 فَوَادَهُ مِنْ سَعِيرِ الْفَيْظِ فِي غُلِّ * وَعَيْنُهُ مِنْ غَيْرِ الدَّمْعِ فِي غُلِّ^(٩)

- ١٠ (١) أوصاله : أعضاؤه ومفاصله ، الغل : القيد ، الملل جمع غلة : المرض ، والغلل بالكسر : الحقد ، وظلّه حرارته والتهابه . الغلل : جمع غلة وهي مثل الدليل .
 (٢) مجل : يقفز في المجل وهو القيد ، ساجي : ساكن ، العارف : العين ، المسكة : الإمساك . المجل : المجال ، وهي قباب العروس تزين بالستور الواحد جملة ؛ يقول : إنما سجا طرفه من ذلة الأسر ، لا كما تنجو لحاظ النساء من لزوم الحجاب ، وإمساكهن في المجال .
 ١٥ (٣) أزحت : أزلت وأذهبت ، الملل : الأعذار . (٤) بالكفر : في الكفر أو في أهله ، صدنا : شقا ، ملتم : مجتمع ، آب : رجع ، والقرح : الجرح ، والاندمال : البر .
 (٥) أقلت السيف حملهم السيف على الهرب ، الأسف : الحزن ، الحمام : الموت ، حماء : منه ، الآجل : المأثر ، الأجل : أمد العمر . (٦) أعقفته : أنجمه ، عتاق الخليل : جياذما ، الرق : العبودية ، والزقة : الطاقة ، والغزل : مداعة النساء ومازحتن .
 ٢٠ (٧) السجل : الدلو العظيمة المملوءة ماء ، الآماق : أطراف الآيين التي يخرج منها الدمع ، منسجل : منصب . (٨) كاسف البال : متغير الحال سببها ، بل الصبر : فنى ، الوابل : الشديد الانصباب ، وبال الخزي : مضربه وأذاه وثقله ، والخزي : الهلاك . وفي الجودتهم ؛ كقوله تعالى : « فبشرهم بذاب أليم » . (٩) الفؤاد : القلب ، السعير : الاشتعال ، الفَيْظ : الغضب ، الغلل بالضم جمع غلة : الحرارة في الصدر من الحزن أو العطش ، والغلل بالفتح : الماء بين الشجر ، والماء الذي ليس له جرى .

قد أسعرت منه صدرا غير مضطرب * وحمّلت منه قلبا غير محتمل^(١)
 ويوم مكة إذ أشرقت في أمم * يضيق عنها فجاج الوعر والسمل^(٢)
 خوافي ضاق ذرع الخافقين بها * في قائم من عجاج الخيل والإبل^(٣)
 ويحفّل قذف الأرجاء ذي لحب * عرمرم كرهاء الليل منسمل^(٤)
 وأنت - صلى عليك الله - تقدّمهم * في بهو إشراق نور منك مكتمل^(٥)
 يسير فوق أغر الوجه متجب * متوج بعزير النصير مقتبل^(٦)
 تسمو أمام جنود الله مرتديا * ثوب الوقار لأمر الله ممثّل^(٧)
 خشعت تحت لواء العزّحين سمّت * بك المهابة فعل الخاضع الوجّل^(٨)
 وقد تباشر أملاك السماء بما * ملّكت إذ نلب منه غاية الأمل^(٩)
 والأرض ترجف من زهو ومن فرق * والجو يزهر إشراقا من الجدل^(١٠)
 والخيّل تخال ميلا في أعنيها * والعيس تنثال رهوا من ثنى الجدل^(١١)

- (١) في رواية : أسعرت بالمعجمة . (٢) في الشرح : أشرقت ، وفي الأصول : أشرقت ،
 الفجاج : الطرق الواسعة بين الجبال ، وفي الشرح الوعث ، وهو المكان اللين تنوح فيه الأقدام ،
 والسمل بفتح الهاء للضرورة . (٣) خوافي : أي ألوية وبسود ، بالكسر بدل من الأم
 في البيت السابق ، أو بالضم ، وفي الأصول : حوافر ، قال الشارح : تصحيف لأنه أراد المجافسة ،
 والخافقان : ألقا المشرق والمغرب : أي ضاق وسهما بها ، القاتم : المنبر الأسود .
 (٤) الحفّل : الجيش العظيم ، قذف : تباعد ، الأرجاء : النواحي ، الحب : اشتباك الأصوات ،
 عرمرم : كثير ، زهاء : قدر ، في الشرح : « السيل منسجل » . (٥) اليهو : البناء
 المقدم أمام البيوت . (٦) الأغر : الأبيض المنير ، المتجب : المختبر .
 (٧) في الشرح : « بها العز » : وهو حسه وجماله ، سمّت : علت . في نسخة : « الخفاف الوجّل » .
 (٨) ترجف : تضطرب ، الزهو : خفة الطرب ، والفرق : الفزع ، والجدل : الفرج والسرور .
 (٩) تخال : تبحر ، العيس : الإبل ، تنثال : تنصب من كل جهة ، الزهو : ضرب من السير ،
 الجدل جمع جدل : الزمام ، في شرح أبي شامة : « زهوا » بدل « ميلا » .

لولا الذى حطّيت الأقدام من قدّر * وسابق من قضاء غير ذى حول
أهلّ ثلّان بالتهليل من طرب * وذاب يذبل تكبيرا من الذبل^(١)
الملك لله هذا عز من عسدت * له النبوة فوق العرش فى الأزل^(٢)
شعبت صدع قريش بعدما قدفت * بهم شعوب شعاب الممل والقبل^(٣)
من كل مهتير لله متخير * بالسيف مختير بالرخ معتقل^(٤)
يمشى إلى الموت على الكعب معتقلا * أظمى الكعوب كنى الكعب الفضل^(٥)
قد قاتلوا دونك الأقيال عن جلد * وجالدوا بجلاء البيض والجدل^(٦)
وصلتهم وقطعت الأفرين معا * فى الله لولاه لم تقطع ولم تصل
وجاء جبريل فى جنيد لهم عدد * لم يتذّلها أكف الخلق بالعمل^(٧)
بيض من العون لم تستل من محمد * خيل من الكون لم تستن فى طيل

- (١) ثلّان و يذبل جيلان، والذبل : الراح الدوابل ، فى الشرح : * وذاب يذبل تهللا ... *
فالتهيل أولا : لا إله إلا الله ، وثانيا : الجين والفسع . (٢) شعبت : جمعت ، وهو من
الأضداد ، الصدع : الشق ، شعوب : من أسماء الموت ، القل : أعالى الجبال .
(٣) هذا البيت والخمسة الأبيات التى بعده المناسب كما فى شرح أبى شامة أن تكون قبل قوله :
بأفنى بدلت فى انكسار إذ بدلت * عن صدق بذل بيدرا كرم البدل
ومختصر : أى كاسر للأفان ، فى شرح أبى شامة : « بالبيض مختصر بالسر ، تنقل » اختصر الشئ :
مسكه بيده كأنما يمس خصره ، والسر : الراح ، المنقل : الذى جعل رمحه بين سافه وركابه .
(٤) على الكعب : وصف بالشرف والظفر ، أظمى الكعوب : أسمى الراح ، أو الكعوب الظل أى
والكعاب : الجارية الناهدة ، الفضل : المتفضلة فى ثوب واحد من غير قناع ، والوجه أن الفضل
هنا وصف لثنى الكعاب لا لها . (٥) الأقيال : الملوك ، وفى رواية « الأفعال » : الأعداء ،
برعلها الشرح : الجلد : الصبر ، الجلاذ : المضاربة ، وفى الشرح « جادلوا » خاصوا ، بجلاء البيض :
كذا فى الأصول ، وفى الشرح بجلاذ البيض : أى جمعوا بين حجة اللسان ، والمضاربة بالسيف .
(٦) بيض : سيف ، من العون : من عون الله ، الكون : قوله سبحانه : كن فكانت ، لم تستن :
لم تخرج ، فى طيل : فى جبل ، سمى بذلك لأن الدابة تطول فيه وتمتد فى المرمى .

أزكى البرية أخلاقاً وأطهرها * وأكثر الناس صفحاً عن ذنوب الزلل
 زان الخشوع وقاراً منه في خفير * أرق من خفير المذراء في الكليل^(١)
 وطفت في البيت محبوراً وطاف به * من كان عنه قبيل الفتح في شغل
 والكفر في ظلمات الرجس مرتكس * ثار بمثلة البهموت من زحل^(٢)
 حجت بالأمن أقطار الحجاز معاً * وميت بالخوف عن خيف وعن ملل^(٣)
 وحل آمن ويمن منك في يمن * لما أجابت إلى الإيمان في عجل
 وأصبح الدين قد حقت جوانبه * بعزة النصر وأسئل على الملل^(٤)
 قد طاع منحرف منهم لمعترف * وأقناد متعبد منهم لمعتدل
 أحبيب بحلة أهل الحق في الخليل * وعز دولته الغزاة في الدول
 أم اليمامة يوم منه مضطلم * وحل بالشام شؤم غير مرتحل^(٥)
 تعرفت منه أعراق العراق ولم * يترك من الترك عظاماً غير منتحل^(٦)

(١) خفر : حياء ، الكلل جمع كلة : السر الرقيق يخاط كالبيت يتوق فيه من البوض .

(٢) الرحس : القدر ، وفي نسخة الشرح : « الخزي » ، الركن : قلب الشيء على رأسه ورد أوله على آخره ، ثار : مقيم ، البهموت : الحوت الذي يزعمون أنه يحمل النور الحامل للأرض ، وزحل : أعلى النجوم السيارة ، يريد أن الكفر في غاية السفلى .

(٣) حجت : منعت ، وميت : نحيب وأذهيت ، والخليف : منى ، وخيف بنى كانه الذي نزل فيه النبي صلى الله عليه وسلم عام حجة ، وفي نسخة « حيف » بدل « خوف » والخيف الجور والظلم ، والخوف أحسن ، وذل : موضع بين مكة والمدينة ، وتكبر الخيف مع عليه للضرورة .

(٤) في الشرح : « واستول على المال » .

(٥) أم : قصد ، مضطلم : متأصل بالهلاك ، يشير إلى القضاء على وسيلة الكذاب وقومه . والنشوم : قبيض الين ، أي لازمها الشؤم حتى قضى على ممالكها ، وعمها الإسلام .

(٦) تفرقت : أخذ ما عليها من اللحم ، الأعراق جمع عرق بالفتح : العظيم ، وهذا مثل ، إشارة إلى امتباحة الإسلام لكونها وممالكها ، مثلاً : مستخرج ، من انتابت البر إذا استخرجت ترابها .

لم يسبق للفارس ليث غير مفترس * ولا من الحبش جيش غير متجفل^(١)
 ولا من الصين صون غير مبتذل^(٢) * ولا من الروم مرمى غير متضفل^(٣)
 ولا من النوب جذم غير منجذم * ولا من الزنج جذل غير منجذل^(٤)
 ونيل السيف سيف النيل واتصلت * دعوى الجنود فكل بالجلاد ضل^(٥)
 وصل بالغرب غرب السيف إذ شرفت * بالشرق قبل صدور البيض والأسل^(٦)
 وعاد كل عدو عز جانبه * قد عاذ منك ببذل منه مبتذل^(٧)
 يفتة الله والإيمان متصل * أو من شيا النصيل بالأموال متصيل^(٨)
 يا صفوة الله قد صافيت فيك صفا * صفو الوداد بلا شوب ولا دخل^(٩)
 ألت أكرم من يمضي على قدم * من البرية فوق السمل والجبل
 وأزلف الخلق عند الله منزلة * إذ قيل في مشهد الأشهاد والرسل
 قم يا محمد فاشفع في العباد وقُل * تُسمع وسل تعط وأشفع عائدا وسل^(١٠)
 والكوثر الحوض يروي الناس من ظما * برح وينقع منه لايح الغلل^(١١)

- (١) المتجفل : انهزم . (٢) مبتذل : غشيم ، ومتضفل : مرمى ، يقال : تناضلوا تزاوما بالنال .
 (٣) الجذم : الأصل ، منجذم : منقطع ، والجذل بمعجمة : الأصل أيضا ، منجذل : منقطع .
 (٤) سيف : شاطئ . النيل : نهر مصر ، والجلاد : المضاربة ، وأشار إلى أن الأنظار التي
 ذكرها فتحت بالسيف وعمها الإسلام . (٥) الغرب : المغرب ، غرب السيف : حده ،
 شرفت : غصت ، البيض : الديوف ، الأسل : الزماح ؛ يريد أن المسلمين لما فرغوا من فتح بلاد
 الشرق ودرويت منها سيوفهم ورماحهم حتى شرفت بدماء أهل الشرك قصدا نحو المغرب ففتحوا بلادهم .
 (٦) عاد : صار ، وعاد : تعوذ واستجار . (٧) الذمة : الأمان ، أى ما بذله لنجاة
 من القتل إما إيمان بالله وإما جزية ، وشيا النصل : حده وطرفه ، والنصل : الديف .
 (٨) صافيت فيك : في زائدة ، أى صافيتك ، صفا بالمد ؛ قصره للضرورة ، والشوب : الخلط
 والدخل : الدغل والفساد . (٩) برح : شديد ، يتقع : يسكن ، لايح : شديد الحرارة ،
 الغلل جمع غلة : شدة العطش .

أصغى من الثلج إشرافاً مذاقته * أحلى من اللبن المضروب بالعسل
 نَحْلُتَكَ الْوُدَّ مَلَّ إِذْ نَحْلُتَكَه * أَحْبَى بِفَضْلِكَ مِنْهُ أَفْضَلَ النَّحْلِ^(١)
 فَا لِحَلْدِي يَنْضِجُ النَّارُ مِنْ جَلْدٍ * وَلَا لِقَلْبِي يَهْوِي الْحَشِيرُ مِنْ قَبْلِ^(٢)
 يَا خَالِقَ الْخَلْقِ لَا تُخْلِقْ بِنَا أَجْرَمْتُ * يَدَايَ وَجْهِي مِنْ حُوبٍ وَمِنْ زَلَلٍ
 وَأَصْحَبَ وَصَلٍّ وَوَاوَصَلْ كُلَّ صَالِحَةٍ * عَلَى صَفِيكَ فِي الْإِصْبَاحِ وَالْأَصْلِ
 صلى الله عليه وسلم

وقد آن أن نأخذ في ذكر أخبار وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونبدأ من ذلك بما أنزل عليه عند اقتراب أجله، ثم نذكر ابتداء وجعه والحوادث التي آنفقت في أثناء مرضه إلى حين وفاته صلى الله عليه وسلم .

ذكر ما أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم

عند اقتراب أجله ، وما كان يقوله مما استبدل به على اقترابه

كان مما استبدل به على اقتراب أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نزول سورة الفتح ، وتناجى الوحي ، وتكرار عرض القرآن على جبريل ، واستغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل البقيع والشهداء . روى عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما : أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه سأل عن قول الله عز وجل : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ . وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴾^(٣) فقال بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا الله وفتح علينا . وقال بعضهم : فتح المدائن والفصور . وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً ، قال عمر : كذلك تقول يا بن عباس ؟ فقلت : لا ، قال : فما تقول ؟ قلت : هو

(١) نحل : أعطى ، والنحلة العطية ، حياه : أعطاه ، فى الشرح : « أحبى بحبك » .

(٢) خلق : بلى ، الحوب : الذنب . (٣) آية ١ ، ٢ سورة النصر .

أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه له ؛ قال : (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ)
وذاك علامة أجلك (فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا)^(١) فقال عمر رضي
الله عنه : ما أعلم منها إلا ما تقول . وعن عائشة رضي الله عنها قالت : ما صلى
النبي صلى الله عليه وسلم صلاة بعد أن نزلت عليه : (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ)
إلا يقول فيها : « سبحانك ربنا وبحمدك اللهم أغفر لي » . وعن ابن عباس
رضي الله عنهما قال : (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ) دأب من الله ووداع من الدنيا .
وعنه رضي الله عنه قال : لما نزلت (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ) دعا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاطمة فقال : « إنه نُعيت إلى نفسي » قالت : فبكيت ،
فقال : « لا تبكي فإنك أول أهلي لحوقا » فضحك . وروى محمد بن سعد
بسندته إلى أنس بن مالك : أن الله تبارك وتعالى تابع الوحي على رسول الله صلى
الله عليه وسلم قبل وفاته حتى توفي ، وأكثر ما كان الوحي في يوم توفي رسول الله
صلى الله عليه وسلم . وروى ابن سعد أيضا بسندته إلى عكرمة قال قال العباس :
لأعلم بقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا ، فقال له : يا رسول الله ، أو أخذت
عرشا فإن الناس قد آذك ، قال : « والله لا أزال بين ظهرانيهم ينازعوني رداي
ويصيني غبارهم حتى يكون الله يريحي منهم » قال العباس : فعرفنا أن بقاء
رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا قليل . وعن واثلة بن الأسقع قال : خرج علينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « أترعون أتي من آخركم وفاة ، ألا وإني من
أولكم وفاة ، وتبعوني أفنادا^(٢) يهلك بضمكم بمضا » . وعن أبي صالح قال : كان جبريل
يعرض القرآن كل سنة مرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما كان العام الذي

(١) آية ٣ سورة النصر .

(٢) أفنادا : أي جماعات متفرقين قوما بعد قوم ، وإحدهم فند . (النهاية)

قُبِضَ فِيهِ عَرْضُهُ عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ . وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَكَبَّفُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ الْعَشْرَ الْأَوَّلَ ، فَلَمَّا كَانَتِ السَّنَةُ الَّتِي قُبِضَ فِيهَا أَعْتَكَفَ عَشْرِينَ يَوْمًا . وَعَنْ عَائِشَةَ وَأَبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا نَحْوَهُ .

ذَكَرَ اسْتِغْفَارَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
لَأَهْلِ بَقِيعِ الْفَرَقَدِ وَالشُّهَدَاءِ ، وَمَا رَوَى مِنْ تَخْيِيرِهِ بَيْنَ الْبَقَاءِ
وَلِقَاءِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَأَخْيَارِهِ لِقَاءَ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ

رَوَى عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَلَبِسَ ثِيَابَهُ ثُمَّ خَرَجَ ، فَأَمَرَتْ جَارِيَتِي بَرِيرَةَ فَتَبِعَتْهُ ، حَتَّى إِذَا جَاءَ الْبَقِيعَ وَقَفَ فِي أَدْنَاهُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقِفَ ، ثُمَّ أَنْصَرَفَ فَسَبَقَتْهُ بَرِيرَةُ فَأَخْبَرَتْنِي فَلَمْ أَذْكُرْ لَهُ شَيْئًا حَتَّى أَصْبَحَ ، ثُمَّ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ : « إِنِّي بُسِئْتُ لِأَهْلِ الْبَقِيعِ لِأَنْصَلِيَ عَلَيْهِمْ » . وَعَنْهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : أَفْتَقَدْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ اللَّيْلِ فَتَبِعْتُهُ فَلَإِذَا هُوَ بِالْبَقِيعِ فَقَالَ : « السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ أُنْتُمْ لَنَا قُرُطٌ ، وَإِنَّا بِكُمْ لَاحِقُونَ ، اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُمْ وَلَا تَفْتِنَّا بَعْدَهُمْ » قَالَتْ : ثُمَّ التَفْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ : « وَيَحْجَاهُ لَوْ تَسْتَطِيعُ مَا فَعَلْتُ » . وَعَنْهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : وَثَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَضْجَعِهِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ ، فَقُلْتُ : إِلَى أَيْنَ يَا أَبَى أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « أَمَرْتُ أَنْ أَسْتَغْفِرَ لِأَهْلِ الْبَقِيعِ » قَالَتْ : فَخَرَجَ وَخَرَجَ مَعَهُ مَوْلَاهُ أَبُو رَافِعٍ ، وَكَانَ أَبُو رَافِعٍ يَحْكُثُ قَالَ : أَسْتَغْفِرُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُمْ طَوِيلًا ثُمَّ أَنْصَرَفَ ، وَجَعَلَ يَقُولُ : « يَا أَبَا رَافِعٍ إِنِّي خُيِّرْتُ بَيْنَ خَزَائِنَ

(١) الْبَقِيعُ فِي الْأَصْلِ : الْمَكَانُ الْمُبْتَسِعُ الَّذِي فِيهِ شَجَرٌ ، وَالْفَرَقَدُ : شَجَرٌ عَظِيمٌ كَانَ يَنْبْتُ فِي الْمَكَانِ الَّذِي فِي الْمَدِينَةِ الْمَذْكُورَةِ فَزَالَ فَسُمِيَ بِهِ .

(٢) الْفَرَطُ فِي الْأَصْلِ : مَقْدَمُ الْقَوْمِ لِمَرَّةٍ دَلِمَ الْمَلِكُ وَيَبِيَّ لَهُمْ وَصَالَهُ .

الدنيا والخلد ثم الجنة، وبين لقاء ربي والجنة فأخبرت لقاء ربي . وعن أبي مؤيَّبه
 مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم
 من جوف الليل : « يا أبا مؤيَّبه إني قد أمرت أن أستغفر لأهل البقيع فأناطلق
 معي » فخرج وخرجت معه حتى جاء البقيع فاستغفر لأهل طويلا، ثم قال : « ليهشكم
 ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع بعضها
 بعضها، يتبع آخرها أولها، الآخرة شر من الأولى » ثم أقبل على فقال : « يا أبا مؤيَّبه
 إني قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها، ثم الجنة، فخيرت بين ذلك وبين
 لقاء ربي والجنة » فقلت : يا بى أنت وأمى، فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها
 ثم الجنة، فقال : « لا والله يا أبا مؤيَّبه لقد اخترت لقاء ربي والجنة » ثم استغفر
 لأهل البقيع وأنصرف . والجمع بين هذه الأحاديث كلها غير متناف، لأن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ربما استغفر لأهل البقيع ليالى، ويؤيد هذا ويعضده ما رواه
 عطاء بن يسار عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
 كلما كانت ليلتها منه يخرج من آخر الليل إلى البقيع فيقول : « السلام عليكم دار قوم
 مؤمنين، أنا وإياكم ما توعدون، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون، اللهم أغفر لأهل
 بقيع القرقدة » . وعن عطاء بن يسار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى قبيل له :
 أذهب فصل على أهل البقيع، ففعل ذلك ثم رجع قرقدة، فقيل له أذهب فصل على
 الشهداء، فذهب إلى أحد فصل على قتل أحد، فرجع معصوب الرأس، فكان بدو
 الوجع الذى مات فيه صلى الله عليه وسلم .

وعن عتبة بن عامر الجهني : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى على قتل
 أحد بعد ثمان سنين كالمودع للأحياء والأموات، ثم طلع المنبر فقال : « إني بين
 أيديكم قرط وأنا عليكم شهيد، وإن موعدكم الحوض، وإني لأنظر إليه وأنا فى مقامى
 هذا، وإني لست أخشى عليكم أن تشركوا ولكن أخشى عليكم الدنيا إن تناسوها » .

ذكر ابتداء وجع رسول الله صلى الله عليه وسلم

وأستأذنه نساء أن يمرض في بيت عائشة رضي الله عنها

كان ابتداء وجع رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم الأربعاء، قيل : لإحدى عشرة بقيت من صفر سنة إحدى عشرة من الهجرة . وقيل : لليلة بقيت من صفر .

روى عن ابن شهاب، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود — دخل

حديث أحدهما في حديث الآخر — عن عائشة رضي الله عنها قالت : بدا برسول

الله صلى الله عليه وسلم شكوه الذي توفى فيه وهو في بيت ميمونة، فخرج في يومه ذلك

حتى دخل على، قال ابن مسعود عنها : رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من البقيع

فوجدني وأنا أجد صداعاً في رأسي، وأنا أقول : وارأساه، فقال : « بل أنا يا عائشة

وارأساه » قالت ثم قال : « وما ضرك لو مت قبل فقمْتُ عليك وكففتك وصليتُ

عليك ودفنتك » قالت قلت : والله لكأنني بك لو قد فعلت ذلك لرجعت إلى بيتي

فأعزمت فيه ببعض نساءك . قالت : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم،

وتأتم به وجعه وهو يدور على نسائه، حتى استعزبه وهو في بيت ميمونة،

فدعا نساءه فاستأذنهن أن يمرض في بيتي فأذن له، قالت : فخرج يمشي بين

رجلين من أهله، أحدهما الفضل بن العباس ورجل آخر، عاصب رأسه تحط

قدماه حتى دخل بيتي، قال عبيد الله : فحدث بهذا الحديث عبد الله بن عباس

فقال : هل تدري من الرجل الآخر؟ قال قلت : لا، قال : علي بن أبي طالب

قالت عائشة : ثم غمَّر رسول الله صلى الله عليه وسلم، واشتد به وجعه، فقال :

(١) تأتم به : تابع .

(٢) استعزبه : اشتد به المرض، وأشرف على الموت .

(٣) غمَّر : أغمر عليه .

« هيريقوا عليّ من سبع قَرَب من آبارِ شَتَّى » وفي رواية: « لم تُحَلَّلْ أو كَيْتَمَنْ لعلّي أعهد إلى الناس » قالت : فأجلسناه في مَحْضَبٍ لحفصة بنت عمر ، ثم طَفِقْنَا نَصَبُ عليه من تلك القَرَب حتى جعل يشير إلينا بيده أن قد فعلت ، ثم خرج إلى الناس وصلى بهم وخطبهم صلى الله عليه وسلم .

١٣٣
١٦

ذكر خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم

وما أمر به من سد الأبواب التي تشرع إلى مسجده إلا باب أبي بكر الصديق ووصيته بالانصار

- روى عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قال : خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « إن الله خير عبدا بين الدنيا وبين ما عنده فأختار ذلك العبد ما عند الله » فبكى أبو بكر فقلت في نفسي : ما يُبكي هذا الشيخ أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرنا عن عبدٍ خَيْرٌ فأختار ؟ قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المختير ، وكان أبو بكر أعلمنا به ، قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أبا بكر لا تبك ، أيها الناس ، إن أَمَّنَّ النَّاسُ عليّ في صحبته وماله أبو بكر ، ولو كنت متخذا من الناس خليلا كان أبو بكر ، ولكن أخوة الإسلام وودّته ، لا يبقين في المسجد باب إلا سُدَّ إلا باب أبي بكر » . وعن قُتَيْبَةَ بن سعيد عن الليث بن سعد ، عن يحيى بن سعيد ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن أعظم الناس عليّ مناً في صحبته وذات يده أبو بكر ، فأغلقوا هذه الأبواب الشارعة كلها في المسجد إلا باب أبي بكر » قال قُتَيْبَةُ : قال الليث بن سعد ، قال معاوية ابن صالح ، فقال ناس : أغلق أبوابنا وترك باب خليله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) وأركبها جمع ركاب : رباط فم القرية . (٢) الخضب : إناء. فصل فيه الباب .

عليه وسلم : « قد بلغني الذي قلتم في باب أبي بكر ، وإني أرى على باب أبي بكر نورا ، وأرى على أبوابكم ظلمة » رواه محمد بن سعد في طبقاته الكبرى . وروى بسنده إلى عكرمة عن ابن عباس قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي مات فيه طاصبا رأسه في خرقة ، فقع على المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال : « إنه ليس أحد آمن عليّ في نفسه وماله من أبي بكر بن أبي خُفافة ، ولو كنتُ مُتَّخِذاً من الناس خليلاً لآتخذت أبا بكر خليلاً ، ولكن خُلة الإسلام أفضل ، سُدُّوا عني كلّ خَوْخَةٍ في هذا المسجد غير خَوْخَةِ أبي بكر » وعن أبي الحويرث قال : لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأبواب تُسدُّ إلا باب أبي بكر ، قال عمر : يا رسول الله ، دعني أفتح كُوة أنظر إليك حين تخرج إلى الصلاة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا » . وعن أبي البَدَّاح بن عاصم بن عدى ، قال قال العباس بن عبد المطلب : يا رسول الله ، ما بالك فتحت أبواب رجال إلى المسجد ، ومالك سدّدت أبواب رجال ؟ فقال : « يا عباس ، ما فتحتُ عن أمرى ولا سدّدتُ عن أمرى » قالت عائشة رضي الله عنها في حديثها : وأوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأنصار ، فقال : « يا معشر المهاجرين ، إنكم أصبحتم تزيدون والأنصار لا تريد على هيئتها [التي هي عليها] اليوم ، هم عَيْبَتِي التي أويت إليها ، أكرموا كريمهم ، وتجاوزوا عن مسيئهم » . ومن رواية : « أحفظوني فيهم ؛ أقبِلُوا من مُحْسِنهم وتجاوزوا عن مُسِيئهم » .

(١) الزيادة من ابن سعد ج ٢ ق ٤٢٢ وفي أ « هيئتهم » .

(٢) عَيْبَتِي : أي خاصتي وأهل سري ؛ أراد أنهم بطائفة وموضع أمانته والذين يعتمد عليهم

ذكر ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر الصديق

رضي الله عنه ، وفيه

رُوى عن أبي أمامة ، عن كعب بن مالك قال : إن أحدث عهدى بنبىكم صلى الله

عليه وسلم قبل وفاته بخمس ، فسمعتة [يقول] ويحرك كفه « إنه لم يكن نبى قبلى

إلا وقد كان له من أمته خليل ، ألا وإن خليلي أبو بكر ، إن الله اتخذنى خليلاً كما اتخذ

إبراهيم خليلاً » . وعن أبي مليكة قال قال النبى صلى الله عليه وسلم فى مرضه الذى

مات فيه : « أدعوا إلى أبا بكر » فقالت عائشة : إن أبا بكر رجل يغلبه البكاء ، ولكن

إن شئت دعونا لك ابن الخطاب ، قال : « أدعوا إلى أبا بكر » قالت : إن أبا بكر يرقى ،

ولكن إن شئت دعونا لك ابن الخطاب . فقال : « إنكن صواحب يوسف ، أدعوا

إلى أبا بكر وأبنته ، فليكتب أن يطعم فى أمر أبى بكر طامع أو يمتنى ممتن » ثم قال :^(١)

« يابى الله ذلك والمؤمنون ، يابى الله ذلك والمؤمنون » قالت عائشة : فابى الله ذلك

والمؤمنون ، فابى الله ذلك والمؤمنون . وروى محمد بن سعد بسنده إلى عروة ،

وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، والقاسم بن محمد ، كلهم يحدث عن

عائشة رضى الله عنها — دخل حديث بعضهم فى حديث بعض — قالت : بدئ

برسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيت ميمونة فدخل على وأنا أقول : وأرأساه ،^(٢)

فقال : « لو كان ذلك وأنا حى فاستغفر لك وأدعوك وأكفئك وأدفنك » فقلت :

وانكلاه ، فوالله إنك لتحب موتى ، ولو كان ذلك لظالت يومك معسراً ببعض

(١) الزيادة من ابن سعد ج ٢ ق ٢ : ٢٤

(٢) فى شرح المواهب : هو عبد الرحمن .

(٣) فى شرح المواهب : « فأعهد أن يقول القائلون » .

(٤) أى أن تكون الخلافة لفلان أو لقوم غير أبى بكر .

(٥) عبارة الطبقات : « بدئ برسول الله فى رجمه فى بيت ميمونة ... الخ » .

أزواجك . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « بل أنا وأرأساه لقد هممت —
أو أردت — أن أرسل إلى أبيك وإلى أخيك فأفضي أمرى ، وأعهد عهدي ، فلا
يطمع في الأمر ، بطامع ولا يقول القائلون : أو يتمنى المتمنون » . وقال بعضهم في حديثه :
« ويأبى الله إلا أبا بكر » . وعن محمد بن جبير قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله
عليه وسلم يذاكره في الشيء ، فقال : إن جئت فلم أجذك ؟ قال : « فأت أبا بكر » .
وعن عاصم بن عمرو بن قتادة ، قال : أتباع النبي صلى الله عليه وسلم بعيرا من
رجل إلى أجل فقال : يا رسول الله ، إن جئت فلم أجذك ؟ يعنى بعد الموت ،
قال : « فأت أبا بكر » ، قال : فإن جئت فلم أجد أبا بكر ، بعد الموت ؟ قال : « فأت
عمر » ، قال : فإن جئت فلم أجد عمر ؟ قال : « إن استطعت أن تموت إذا
مات عمر فمت » .

ذكر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر أن يصلي

بالناس في مرضه ، وخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم وما كلم به الناس ، وكم
صلى أبو بكر بالناس صلاة ، وما روى من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتم
بأبي بكر رضى الله عنه

عن عائشة رضى الله عنها قالت : لما ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء
بلال يؤذنه بالصلاة فقال : « مُرُّوا أبا بكر يصلي بالناس » فقلت : يا رسول الله ،
إن أبا بكر رجل أسيف ، وأنه متى ما يقوم مقامك لا يُسمع الناس ، فلو أمرت
عمر ، فقال : « مُرُّوا أبا بكر يصلي بالناس » فقلت لحفصة : قولى له إن أبا بكر
رجل أسيف ، وأنه متى يقوم مقامك لا يُسمع الناس ، فلو أمرت عمر ، فقال :
« إنكن لأنتن صواحب يوسف ، مُرُّوا أبا بكر يصلي بالناس » فلما دخل أبو بكر

(١)
 في الصلاة وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفسه خفة فقام يهادى بين
 رجلين ، ورجلاه تخططان في الأرض حتى دخل المسجد ، فلما سمع أبو بكر حسه
 ذهب أبو بكر يتأخر ، فأومأ إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بخاء النبي صلى الله
 عليه وسلم حتى جلس عن يسار أبي بكر ، فكان أبو بكر يصلي قائماً ، وكان رسول
 الله صلى الله عليه وسلم يصلي قاعداً ، يقتدى أبو بكر بصلاة رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ، والناس يقتدون بصلاة أبي بكر . رواه البخاري في صحيحه . وروى محمد
 ابن سعد بسنده عن عبيد بن عمير الليثي نحوه . وقال : فلما فرغا من الصلاة قال
 أبو بكر : أي رسول الله ، أراك أصبحت بحمد الله صالحاً ، وهذا يوم آتية حارِجة
 — امرأة لأبي بكر من الأنصار — فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجلس
 رسول الله صلى الله عليه وسلم في مُصَلَّاهُ أو إلى جنب المنبر ، فحذر الناس الفتن ،
 ثم نادى بأعلى صوته ، حتى إن صوته ليخرج من باب المسجد ، فقال : « إني
 والله لا يمسك الناس على شيء ، لا أحل إلا ما أحل الله في كتابه ، ولا أحرم
 إلا ما حرم الله في كتابه » ثم قال : « يا فاطمة بنت محمد ويا صفية عمة رسول
 الله أعمالاً لما عند الله فإني لا أغني عنكما من الله شيئاً » ثم قام من مجلسه ذلك ،
 فلما أنتصف النهار حتى قبضه الله تعالى . وعن سعيد بن المسيب قال قال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم : « يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئاً ، يا عباس
 ابن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئاً ، يا فاطمة بنت محمد لا أغني عنك من
 الله شيئاً ، سلوني ما شئتم » . وعن حبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود قال :
 دخلت على عائشة فقلت لها حدثيني عن مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
 قالت : لما نفل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « أصلي الناس » ؟ فقلت :

(١) يهادى بين رجلين : أي يمشي بينهما معتمدا عليهما من ضعفه وتمايله .

لا، هم ينتظرونك يا رسول الله، قال : « ضعوا لي ماء في المِخَضَبِ » قالت :
ففعلنا فأغتسل ثم ذهب لينوء ^(١) فأغمى عليه ثم أفاق، فقال : « أَصَلَّى النَّاسُ » ؟ فقلت :
لا، هم ينتظرونك، فقال : « ضعوا لي ماء في المِخَضَبِ » قالت : ففعلنا فذهب
فأغتسل فقال : « أَصَلَّى النَّاسُ » ؟ قلت : لا، هم ينتظرونك، والناس عُكُوف
في المسجد ينتظرون رسول الله صلى الله عليه وسلم لصلاة العشاء الآخرة، قالت :
فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي بكر بأن يصلي بالناس، فاتاه الرسول
فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرُك أن تصلي بالناس، فقال أبو بكر
— وكان رجلا رفيقا — : يا عمر، صلَّ بالناس، فقال له عمر : أنت أحقَّ بذلك،
فصلى أبو بكر تلك الأيام . ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم وجد في نفسه خِفة فخرج
بين رجلين أحدهما العباس، فصلى الظهر وأبو بكر يصلي بالناس، قالت : فلما رآه
أبو بكر ذهب ليتأخر، فأومأ إليه النبي صلى الله عليه وسلم ألا يتأخر، وقال لهما :
« اجلساني إلى جنبه ». فأجلساه إلى جنب أبي بكر فجعل أبو بكر يصلي، وهو قائم
بصلاة النبي صلى الله عليه وسلم، والناس يصلون بصلاة أبي بكر، والنبي صلى الله
عليه وسلم قاعد، قال عبيد الله : فدخلت على عبد الله بن عباس فقلت له :
ألا أعرض عليك ما حدثتني به عائشة عن مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟
قال : هات، فعرضتُ [حديثها] ^(٢) عليه فما أنكر منه شيئا غير أنه قال : سمَّيت لك
الرجل الذي كان مع العباس ؟ قلت : لا، قال : هو علي بن أبي طالب .

وروى محمد بن سعد، عن محمد بن عمر، عن عبد الرحمن بن عبد العزيز،
وعبد العزيز بن محمد عن عمارة بن غزيرة عن محمد بن إبراهيم قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو مريض لأبي بكر : « صلَّ بالناس » فوجد رسول الله صلى الله

(١) ينوء : ينهض . (٢) الزيادة من صحيح مسلم .

- عليه وسلم خفة نخرج وأبو بكر يصلي بالناس، فلم يشعر حتى وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده بين كتفيه، فنكص أبو بكر، وجلس النبي صلى الله عليه وسلم عن يمينه، فصلى أبو بكر وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بصلاته، فلما أنصرف قال: «لم يقبض نبي قط حتى يؤمّه رجل من أمته». وروى نحوه عن أبي معشر، عن محمد بن قيس. وعن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في وجعه إذا خف عنه ما يجد نخرج فصلى بالناس، وإذا وجد نقله قال: «مروا الناس فليصلوا» فصلّى بهم ابن أبي خافة يوماً الصبح فصلّى ركعة، ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بغاس إلى جنبه قائم بأبي بكر، فلما قضى أبو بكر الصلاة أتم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فاتّه. وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى في مرضه بصلاة أبي بكر ركعة من الصبح ثم قضى الركعة الباقية. قال الواقدي: ورأيت هذا الثبت عند أصحابنا؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى خلف أبي بكر. وروى محمد بن سعد بسنده إلى عبد الله بن زعنة بن الأسود قال: عدت رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي توفى فيه، بغاه بلال يؤذنه بالصلاة، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مروا الناس فليصلوا» قال عبد الله: فخرجت فلقيت ناساً لا أكلهم، فلما لقيت عمر بن الخطاب لم أبع من وراءه، وكان أبو بكر غائباً فقلت له: صل بالناس يا عمر، فقام عمر في المقام وكان عمر رجلاً مجبوراً، فلما كبر سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوته، فأخرج رأسه حتى أطلعه للناس من حجرته، فقال: «لا، لا، لا، لا، ليصل بهم ابن أبي خافة» قال: يقول ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم مغضباً، قال: فأنصرف عمر فقال لعبد الله بن زعنة: يا ابن أخي أمرك رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تأمرني؟ قال فقلت: لا، ولكني لما رأيته لم أبع من وراءك، فقال عمر: ما كنت أظن حين أمرتي

إلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرك بذلك، ولولا ذلك ما صليتُ بالناس، فقال عبد الله: لمَّا لم أَر أبا بكر رأيتك أحقَّ من حضر بالصلاة. وعن عبد الله ابن عباس قال: حضرت الصلاة فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «مُرُوا أبا بكر يصلي بالناس» فلما قام أبو بكر مقام النبي صلى الله عليه وسلم اشتدَّ بكاءه وأفتن، واشتدَّ بكاء من خلفه، لفقد نبيهم صلى الله عليه وسلم، فلما حضرت الصلاة جاء المؤذن إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: قولوا للنبي صلى الله عليه وسلم يأمر رجلا يصلي بالناس، فإن أبا بكر قد أفتن من البكاء والناس خلفه، فقالت حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم: مروا عمر يصلي بالناس حتى يرفع الله رسوله، قال: فذهب إلى عمر فصلى بالناس، فلما سمع النبي صلى الله عليه وسلم تكبيره قال: «من هذا الذي أسمع تكبيره؟» فقال له أزواجه: عمر بن الخطاب، وذكروا له ما قاله المؤذن، وما قالت حفصة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنكنَّ لصواحب يوسف، قولوا لأبي بكر فليصل بالناس» قال: فلم لم يستخلفه ما أطاع له الناس. وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: لم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجهه إذا وجد خفة خرج، وإذا ثقل وجاء المؤذن قال: «مروا أبا بكر يصلي بالناس» فخرج من عنده يوما الأمر يأمر الناس يصلون وآبن أبي خفافة غائب، فصلى عمر بن الخطاب بالناس فلما كبر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا، لا، أين آبن أبي خفافة؟» قال: فانتقضت الصفوف وأنصرف عمر، قال: فما برحنا حتى طلع آبن أبي خفافة وكان بالسَّحْ (١) فتقدم فصلى بالناس. وعن أنس بن مالك: أن أبا بكر رضي الله عنهما - كان يصلي بهم في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي توفى فيه، حتى إذا كان يوم الاثنين

(١) السح: موضع قرب المدينة.

وهم صفوف في الصلاة، كشف رسول الله صلى الله عليه وسلم ستر الحجرة ينظر إلينا،
ودع قائم كأن وجهه ورقة مصحف، ثم تبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ضاحكا
ونحن في الصلاة من الفرح . قال : ونكص أبو بكر على عقبيه ، فأشار إليهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم « أن أتموا صلاتكم » قال : ثم دخل وأرني الستر،
فتوفى من يومه صلى الله عليه وسلم . وقال محمد بن سعد : أخبرنا محمد بن عمر، قال
سألت أبا بكر بن عبد الله بن أبي سبرة : كم صلى أبو بكر بالناس ؟ قال : صلى بهم
سبع عشرة صلاة، قلت : من حدثك ذلك ؟ قال قال : حدثني أيوب بن عبد الرحمن
ابن صَعَصَعَة ، عن عباد بن تميم ، عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، قال : صلى بهم أبو بكر ذلك .

١٠ ذكر ما آتفق في مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم
خلاف ما ذكرناه ، من اللُدود الذي لُد به ، والكتاب الذي أراد أن يكتبه ،
والوصية التي أمر بها ، والدنانير التي قسمها ، والسواك الذي آستن به صلى الله
عليه وسلم .

فأما اللُدود الذي لُد به صلى الله عليه وسلم وما قال فيه — روى عن أم سلمة
رضي الله عنها قالت : تخوفنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات الجنب وتقل
فَلَدَدْنَاهُ ، فوجد خشونة اللد فافاق ، فقال : « ما صنعتم بي » ؟ قالوا : لَدَدْنَاكَ ،
قال : « بماذا » ؟ قلنا : بالعود الهندي ، وشيء من وَرَس وقطرات زيت ، فقال :
« من أمركم بهذا » ؟ قالوا : أسماء بنت حميس ، قال : « هذا طِبُّ أصابته
بارض الحبشة ، لا يبقى أحد في البيت إلا أَلُدَّ إلا ما كان من عم رسول الله

٢٠ (١) اللودود : ما يصفاه المريض في أحد شقي القدم .

(٢) ذات الجنب : علة صعبة ، وهي ورم حار يمرض للجناب المستطين للأضلاع .

صلى الله عليه وسلم « يعنى العباس ، ثم قال : « ما الذى كنتم تخافون على » ؟ قالوا : ذات الجنب ، قال : « ما كان الله ليسلطها على » . وفى رواية عن أمّ يشر بن البراء ، قال : « ما كان الله ليسلطها على رسوله ، إنها همزة من الشيطان ، ولكنها من الأكلة التى أكلتها أنا وأبوك ، هذا أو أن قطعت أبهرى » . ومن حديث عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : بفعل بعضهم يلدّ بعضا . وعن هشام قال : كانت أم سلمة وأسماء بنت عميس هما لذاته ، قال : فالتذت يومئذ ميمونة وهى صائفة ، لقسم النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : وكان منه عقوبة لهم .

وأما الكتاب الذى أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم

أن يكتبه ثم تركه لما وقع عنده من الازع

فقد اختلفت الروايات فى هذا الحديث عن عبد الله بن عباس وغيره ، فمن رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهم أنه قال : أشتكى النبي صلى الله عليه وسلم يوم الخميس بفعل - يعنى ابن عباس - يبكى ويقول : يوم الخميس وما يوم الخميس ، أشتد بالنبي صلى الله عليه وسلم وجعه فقال : « آيتونى بدواة وصحيفة أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده أبدا » قال فقال بعض من كان عنده : إن نبي الله هجر ، قال فقبل له : ألا تأتيك بما طلبت ؟ قال : « أو بعد ماذا » ؟ فلم يدع به . ومن طريق آخر عن سليمان بن أبى مسلم عن سعيد بن جبير قال : فتنازعوا ولا يذنبى عند نبي تنازع . فقالوا : ما شأنه أهر ؟ استفهيموه ، فذهبوا

(١) الأهر : عرق إذا انقطع مات صاحبه . (٢) كذا فى الأصل ، وسند الحديث

فى ابن سعد : « عن الزمى عن أبى بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام » .

(٣) لا تضلوا : هوفى وجزم بخذف النون لأنه يدل من جواب الأمر . وروى : « لا تضلون »

و « لن تضلوا » . (٤) هجر : اختلف كلامه بسبب المرض .

(٥) فى الأصول : « سلان » والتصويب من الطبقات ، وتهذيب التهذيب .

يعيدون عليه . فقال : « دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعونني إليه » . قال :

وأوصى بثلاث ، قال : « أخرجوا المشركين من جزيرة العرب ، وأجيزوا الوفد

بنحو ما كنت أجيزهم » وسكت عن الثالثة ، فلا أدري قالها فنسيتها ، أو سكت عنها

عمدا ؟ . ومن رواية طلحة بن مُصَرِّف عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله

عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « آيتوني بالكثف والدِّوَاة أكتب

لكم كتابا لا تَضِلُّوا بعده أبدا » . قال فقالوا : إنما يَهْجُرُ رسول الله صلى الله عليه

وسلم . هذه الروايات عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما . وروى

عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن ابن عباس قال : لما حضرت

رسول الله صلى الله عليه وسلم الوفاة ، وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب ،

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هَلُمَّ أكتب لكم كتابا لن تضلُّوا بعده » فقال

عمر : * إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غلبه الوجع ، وعندكم القرآن ، حسبنا

كتاب الله . فاختلف أهل البيت واختصموا ، فمنهم من يقول : قَرَّبُوا يَكْتُبُ لكم

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومنهم من يقول ما قال عمر ، فلما كثر اللَّفْظُ والاختلاف

وَعُثِرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « قوموا عني » . قال عبيد الله :

فكان ابن عباس يقول : إن الرِّزْيَةَ كُلَّ الرِّزْيَةِ ما حال بين رسول الله صلى الله

عليه وسلم وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغظهم . وعن عِكْرَمَةَ

عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في مرضه : « آيتوني بدواة

وصحيفة أكتب لكم كتابا لن تضلُّوا بعده أبدا » . فقال عمر بن الخطاب رضي الله

عنه : من لقانة وفلانة — من مدائن الروم — إن رسول الله صلى الله عليه وسلم

لن يموت حتى يفتتحها ، ولو مات لانتظرناه كما انتظرت بنو إسرائيل موسى ؛

(١) ١ : « أقالها » . (٢) عمر : أغشى عليه .

فقلت زينب زوج النبي صلى الله عليه وسلم : ألا تسمعون للنبي صلى الله عليه وسلم يعهد إليكم ؟ فلقطوا فقال : « قوموا » فلما قاموا قبض النبي صلى الله عليه وسلم مكانه . وعن جابر بن عبد الله الأنصاري قال : لما كان في مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي توفي فيه ، دعا بصحيفة ليكتب فيها لأمتيه كتابا لا يضلون ولا يضلون ، فكان في البيت لفظ وكلام ، وتكلم عمر بن الخطاب ، قال : فرفضه النبي صلى الله عليه وسلم .

وعن محمد بن عمر الواقدي عن هشام بن سعيد عن زيد بن أسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبيننا وبين النساء حجاب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أغسلوني بسبع قرب وأتوني بصحيفة ودواة أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا » فقال النسوة : آيتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحاجته . قال عمر فقلت : أسكتن فإنكن صواحبه إذا مرض عَصَرْتُنَّ أعينكن ، وإذا صح أخذتن بمنقه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هُنَّ خير منكم » .

هذا ما وقفنا عليه من الروايات المسندة في هذا الحديث ، وقد تذرعت به طائفة من الروافض ، وتكلموا فيه وطعنوا على من أقط عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أمتنع من الكتابة .

وقد تكلم القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض رحمه الله على هذا الحديث ، وذكر أقوال العلماء وما أبدوه من الاعتذار عن عمر رضي الله عنه فيما قال ، فقال رحمه الله تعالى ، قال أمتنا في هذا الحديث : النبي صلى الله عليه وسلم غير معصوم من الأمراض ، وما يكون من عوارضها من شدة وجع وغشى ونحوه ، مما يطرأ على جسمه ، معصوم أن يكون منه من القول أثناء ذلك

ما يطمئن في معجزته، ويؤدى إلى فساد في شريعته، من هذيان أو اختلال في كلام، وعلى هذا لا يصح ظاهر رواية من روى في الحديث «هَجَرَ» إذ معناه هذى يقال : هَجَرَ هَجْرًا إِذَا أَخْشَى ، وأهجر تعدية هجر، وإنما الأصح والأولى «أَهَجَرَ»؟ على طريق الإنكار على من قال لا نكتب ، قال : وهكذا روايتنا فيه في صحيح البخارى من رواية جميع الرواة في حديث الزهرى ومحمد بن سلام عن ابن عيينة ، قال : وكذا ضبطه الأصيل بخطه في كتابه وغيره من هذه الطرق، وكذا روينا عن مسلم في حديث سفيان وعن غيره، قال : وقد نُحْمِلُ عليه رواية من رَوَاهُ هَجَرَ على حذف ألف الاستفهام، والتقدير : أهجر؟ أو أن يُحْمَلَ قول القائل : «هَجَرَ» أو أَهَجَرَ دهشةً من قائل ذلك وحيرة ؛ لعظيم ما شاهد من حال الرسول صلى الله عليه وسلم وشدة وجعه ، وهول المقام الذى اختلف فيه عليه ، والأمر الذى هم بالكتاب فيه ، حتى لم يضبط هذا القائل لفظه وأجرى الهجر مجرى شدة الوجع ؛ لأنه اعتقد أنه يجوز عليه الهجر، كما حملهم الإشفاق على حراسته، والله تعالى يقول : (وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ) ونحو هذا . وأما على رواية : «أَهَجَرَ» ، وهى رواية أبى إسحاق المستملى فى الصحيح، فى حديث ابن جبير، عن ابن عباس من رواية قُتَيْبَةَ ، فقد يكون هذا راجعا إلى المختلفين عنده صلى الله عليه وسلم ، ومخاطبة لهم من بعضهم ، أى جئتم بأختلافكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين يديه هَجْرًا ومنكرًا من القول ! والهَجْر بضم الهاء الفتحش فى المنطق .

وقد اختلف العلماء فى معنى هذا الحديث ، وكيف اختلفوا بعد أمره لهم عليه السلام أن يأتوه بالكتاب ، فقال بعضهم : أوامر النبى صلى الله عليه وسلم يفهم إيجابها من ندها من إباحتها بقرائن ، فلعل قد ظهر من قرائن قوله صلى الله عليه وسلم لبعضهم ما فهموا أنه لم يكن منه عَزَمَةٌ ، بل أمرٌ رَدُّهُ إلى اختيارهم ، وبعضهم

لم يفهم ذلك ، فقال : أستفهموه ، فلما اختلفوا كف عنه إذ لم تكن عزيمة ،
ولما رآوه من صواب رأى عمر رضى الله عنه . ثم هؤلاء قالوا : ويكون امتناع
عمر إما إشفاقا على النبي صلى الله عليه وسلم من تكليفه في تلك الحال ، وإما إملاء
الكتاب ، وأن يدخل عليه مشقة من ذلك كما قال : إن النبي ^(١) اشتد به الوجع .
وقيل : خشى عمر أن يكتب أمورا يعجزون عنها فيحصلون في الحرج بالمخالفة ،
ورأى أن الأرفق بالامة في تلك الأمور سعة الاجتهاد ، وحكم النظر ، وطلب
الصواب ، فيكون المصيب والمخطئ مأجورا ، وقد علم عمر تقرر الشرع وتأسيس
الملة ، وأن الله تعالى قال : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ ^(٢) وقوله صلى الله عليه وسلم :
« أوصيكم بكتاب الله وعترتي » . وقول عمر : حسبنا كتاب الله ، رد على من نازعه ،
لا على أمر النبي صلى الله عليه وسلم . وقد قيل : إن عمر خشى تطاير المنافقين ،
ومن في قلبه مرض لما كتب في ذلك الكتاب في الخلوة ، وأن يقولوا في ذلك
الأقوال كادعاء الرافضة الوصية وغير ذلك . وقيل : إنه كان من النبي صلى الله عليه
وسلم على طريق المشورة والاختبار ، هل يتفقون على ذلك أم يختلفون ، فلما اختلفوا
تركه . وقالت طائفة أخرى : إن معنى الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان
مجيبا في هذا الكتاب لما طلب منه لا أنه ابتداء بالأمر به ، بل اقتضاه منه بعض
أصحابه ، فأجاب رغبتهم وكره ذلك غيرهم للعلل التي ذكرناها ، وأستدل في مثل
هذه القضية بقول العباس لمولى : انطلق بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا
كان الأمر فينا علمناه ، وكرهه على هذا وقوله : « والله لا أفعل » الحديث .
وأستدل بقوله : « دعوني فإن الذي أنا فيه خير » ^(٣) أى الذى أنا فيه خير من إرسال

(١) يحصلون : يعقون . (٢) آية ٣ سورة المائدة .

(٣) زيادة لفظ « خير » في الحديث من كتاب الشفا وليس بالأصول .

الأمر وترككم، وكتاب الله^(١). وأن تدعوني مما طلبتم. وذكر أن الذي طلب كتابه^(٢) في أمر الخلافة بعده وتعيين ذلك. هذا ما أورده في معنى هذا الحديث. والله تعالى أعلم.

وأما ما وصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه

الذي مات فيه

فقد روى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : كان عامة وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حضره الموت « الصلاة، وما ملكت أيمانكم »، حتى جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يفرغ بها في صدره، وما يكاد يفيض بها لسانه . وعن أم سلمة نحوه . وعن كعب بن مالك قال : أغمى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة ثم أفاق، فقال : « الله الله فيما ملكت أيمانكم ، ألبسوا ظهورهم ، وأشبعوا بطونهم ، وألبسوا لهم القبول » . وعن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر عهده أوصى ألا يترك بأرض العرب دينان . وعن مالك بن أنس عن إسماعيل بن أبي حكيم ، عن عمر بن عبد العزيز قال : آخر ما تكلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، لا يقين دينان بأرض العرب » . وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أنه كان آخر ما عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصى بالرَّهاويين الذين هم من أهل الرَّهَاء، قال : وأعطاهم من خيبر وجعل يقول : « لئن بقيتُ لا أدع بحزيرة العرب دينين » . وعن علي بن عبد الله بن عباس رضى الله عنهم أنه قال : أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالداريين والرَّهاويين

١٣٩
١٦

(١) كتاب الله : بالنصب مفعول معه ؛ أى مصاحين بكتاب الله والتمسك به، فإنه حسبكم .

(٢) في الشفا : « كتابته أمر الخلافة ... الخ » .

وبالدُّوسيين خيرا . وعن جابر بن عبد الله قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاث وهو يقول : « أَلَا لَا يَمُوت أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يَحْسُنُ بِاللَّهِ الظَّنَّ » . وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : نَعَى لَنَا نَبِينَا وَحَبِيبَنَا نَفْسَهُ قَبْلَ مَوْتِهِ بِشَهْرٍ ، بِأَبِي هُوَ وَأُمِّي وَنَفْسِي لَهُ الْفِدَاءُ ، فَلَمَّا دَنَا الْفِرَاقَ جَمَعَنَا فِي بَيْتِ أُمِّنَا عَائِشَةَ وَتَسَدَّدَ لَنَا فَقَالَ : « مَرْحَبًا بِكُمْ ، حَيَّاكُمْ اللَّهُ بِالسَّلَامِ ، رَحِمَكُمُ اللَّهُ ، حَفَظَكُمُ اللَّهُ ، جَبَّرَكُمُ اللَّهُ ، رَزَقَكُمُ اللَّهُ ، رَفَعَكُمُ اللَّهُ ، نَفَعَكُمُ اللَّهُ ، آدَاكُمْ اللَّهُ ، وَقَاكُمْ اللَّهُ ، أَوْصِيَكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَأَوْصَى اللَّهُ بِكُمْ ؛ وَاسْتَخْلَفَهُ عَلَيْكُمْ ، وَأَحْذَرَكُمْ اللَّهُ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَى اللَّهِ فِي عِبَادِهِ وَبِلَادِهِ فَإِنَّهُ قَالَ لِي وَلَكُمْ : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلَّهِ مُبِينٌ ﴾ ^(١) . وَقَالَ : ﴿ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ ^(٢) قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى أَجْلُكَ ؟ قَالَ : « دَنَا الْفِرَاقُ ، وَالْمُنْقَلَبُ إِلَى اللَّهِ ، وَ إِلَى جَنَّةِ الْمَأْوَى ، وَ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ، وَ إِلَى الرِّفْقِ الْأَعْلَى وَ الْكَأْسِ الْأَوْفَى وَ الْحِظِّ وَالْعَيْشِ الْمُهِنِّ » قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ يَقْبَلُكَ ؟ قَالَ : « رَجَالٌ مِنْ أَهْلِ الْأَدْنَى فَلَا أَدْنَى » قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ فَنَقِمْ نَكْبَتَكَ ؟ قَالَ : « فِي ثِيَابِي هَذِهِ إِنْ شِئْتُمْ أَوْ فِي ثِيَابِ مِصْرَ أَوْ فِي حُلَّةِ يَمَانِيَّةٍ » قَالَ قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَنْ يَصَلِّي عَلَيْكَ ؟ وَ بَكِينَا وَ بَكِي ، فَقَالَ : « مَهْلًا رَحِمَكُمُ اللَّهُ وَ جَزَاكُمْ عَنْ نَبِيِّكُمْ خَيْرًا ، إِذَا أَتَمَّ غَسَلْتُمُونِي وَ كَفَفْتُمْ وَ نِي فَضَعُونِي عَلَى سَرِيرِي هَذَا عَلَى شَفَةِ قَبْرِي فِي بَيْتِي هَذَا ، ثُمَّ أَخْرِجُوا عَنِّي سَاعَةً ، فَإِنْ أَوَّلَ مَنْ يَصَلِّي عَلَيَّ حَبِيبِي وَ خَلِيلِي جَبْرِيلُ ثُمَّ مِيكَائِيلُ ثُمَّ إِسْرَافِيلُ ثُمَّ مَلَكَ الْمَوْتِ مَعَهُ جُنُودُهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ بِأَجْمَعِهِمْ ، ثُمَّ أَدْخَلُوا عَلَيَّ قَوْجًا قَوْجًا ، فَصَلُّوا

(١) فِي آيَةِ سَدَدَ : « حَيَّاكُمْ » . (٢) آدَاكُمْ اللَّهُ : قَوَّاهُمْ وَأَعَانَكُمْ عَلَى عَدُوِّكُمْ .

(٣) آيَةُ ٨٣ سُورَةِ الْقَصَصِ . (٤) آيَةُ ٦٠ سُورَةِ الزَّمَرِ .

(٥) الْأَدْنَى : الْأَقْرَبُ .

(١) على وسلموا تسليماً، ولا تؤذوني بتركية ولا برئة، وليبدأ بالصلاة على رجال من أهل ثم نساؤهم ثم أتم بعد، وأقروا السلام على من غاب من أصحابي، وأقروا السلام على من يتبعني على ديني من قومي إلى يوم القيامة». قلنا: يا رسول الله، فمن يدخلك قبرك؟ قال: «أهل مع ملائكة كثيرة يرونكم من حيث لا ترونهم».

وأما الدنانير التي قسمها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مرضه الذي مات فيه

فقد روى عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم دنانير فقسمها إلا ستة، فدفعت الستة إلى بعض نسائه، فلم يأخذها النوم حتى قال: «ما فعلت الستة؟» قالوا: دفعناها إلى فلانة، قال: «آيتوني بها» فقسم منها خمسة في خمسة أبيات من الأنصار، ثم قال: «أستنفقوا هذا الباقي» وقال: «الآن أسترحمت» فرقد. وعن المطلب بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعائشة، وهي مُسْنِدَةٌ إلى صدرها: «يا عائشة ما فعلت تلك الذهب؟» قالت: هي عندي، قال: «فأنفقها» ثم غشى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على صدرها، فلما أفاق قال: «هل أنفقت تلك الذهب يا عائشة؟» قالت: لا والله يا رسول الله، قالت: فدعا بها فوضعها في كَنَنِهِ، فعَظَمَهَا فإذا هي ستة دنانير، فقال: «ما ظنُّ مجدِّ برِّه أن لولِى الله وهذه عنده»! فأنفقها كلها، ومات من ذلك اليوم.

(١) في الطبقات والمواهب: «رجال أهل».

(٢) المشار إليه مقدر؛ أي تلك الدنانير الذهب.

وأما السَّوَّاءُ الَّذِي آسَتَنَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ مَوْتِهِ
فَقَدْ رَوَى عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : دَخَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ
أَبِي بَكْرٍ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي شَكْوَاهُ ، وَأَنَا مُسْتَنَدَتُهُ إِلَى صَدْرِي ، وَفِي يَدِ
عَبْدِ الرَّحْمَنِ سِوَاكُ فَأَمَرَهَا أَنْ تَقْضِمَهُ ، فَقَضِمْتُهُ ثُمَّ أَعْطَيْتُهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ . وَمِنْ حَدِيثٍ آخَرَ عَنْهَا قَالَتْ : فَظَنَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِ
وَهُوَ فِي يَدِهِ نَظْرًا عَرَفْتُ أَنَّهُ يَرِيدُهُ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، تَرِيدُ أَنْ أُعْطِيَكَ هَذَا
السَّوَّاءُ ؟ فَقَالَ : « نَعَمْ » فَأَخَذْتُهُ فَمَضِغْتُهُ حَتَّى لَبِئْتُهُ ثُمَّ أَعْطَيْتُهُ إِيَّاهُ ، فَآسَتَنَ بِهِ
كَأَشَدِّ مَا رَأَيْتُهُ آسَتَنَ بِسِوَاكُ قَبْلَهُ ثُمَّ وَضَعَهُ ، فَكَانَتْ عَائِشَةُ تَقُولُ : كَانَ مِنْ نِعْمَةِ
اللَّهِ عَلَيَّ وَحَسَنَ بِلَاغِهِ عِنْدِي ، أَنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَاتَ فِي بَيْتِي ،
وَفِي يَوْمِي وَبَيْنَ تَحْرِيٍّ وَتَحْرِيٍّ ^(١) ، وَجَمَعَ بَيْنَ رَيْقٍ وَرَيْقِهِ عِنْدَ الْمَوْتِ . فَقَالَ لَهَا
الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ : قَدْ عَرَفْنَا كُلَّ الَّذِي تَقُولِينَ ، فَكَيْفَ جَمَعَ بَيْنَ رَيْقِكَ وَرَيْقِهِ ؟
قَالَتْ : دَخَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أُمِّ رُومَانَ أَخِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
يَعُودُهُ ، وَفِي يَدِهِ سِوَاكُ رَطْبٌ ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُوَلَعًا بِالسَّوَّاءِ ،
فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَشْخَصُ بِصَرِّهِ إِلَيْهِ ، فَقُلْتُ : يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ ،
أَقْضِمِ السَّوَّاءُ فَنَاولْنِيهِ ، فَمَضِغْتُهُ ثُمَّ أَدْخَلْتُهُ فِي فِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فَتَسَوَّكَ بِهِ ، فَجَمَعَ بَيْنَ رَيْقٍ وَرَيْقِهِ .

(١) السَّحْرُ الرَّتَّةُ ؛ أَيْ إِنَّهُ مَاتَ وَهُوَ مُسْتَنَدٌ إِلَى صَدْرِهِ وَمَا يَحَافِظُ سَحْرَهُ مِنْهُ ، وَقِيلَ : السَّحْرُ مَا لَصِقَ
بِالْخَلْقِ مِنْ أَعْلَى الْبَطْنِ ، وَحَكَى الْقَتَنِيُّ عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ بِالشَّيْنِ الْمَعْجَمَةِ وَالْجِيمِ ، وَأَنَّهُ سَلَّ عَنْ ذَلِكَ فَشَبَّكَ
بَيْنَ أَصَابِعِهِ وَقَدَمَيْهَا عَنْ صَدْرِهِ كَأَنَّهُ يَضُمُّ شَيْئًا إِلَيْهِ ، أَيْ إِنَّهُ مَاتَ وَقَدْ ضَمَّتْهُ يَدَايَاهُ إِلَى نَحْرِهِ وَصَدْرِهِ ،
وَالشَّجَرُ التَّشْبِيكُ وَهُوَ الذَّقْنُ أَيْضًا ، وَالْمَحْفُوظُ الْأَوَّلُ . « النَّهَايَةُ » .

ذكر تخيير رسول الله صلى الله عليه وسلم

بين الدنيا والآخرة عند الموت

رَوَى عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : كُنْتُ سَمِعْتُ أَنَّهُ لَا يَمُوتُ نَبِيٌّ حَتَّى يُخَيَّرَ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، فَأَصَابَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُجَّةٌ شَدِيدَةٌ فِي مَرَضِهِ ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : ﴿ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ۚ ﴾^(١) فَظَنَنْتُ أَنَّهُ خَيْرٌ . وَعَنْ الْمُطَّلَبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ قَالَتْ عَائِشَةُ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ « مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا تُقْبَضُ نَفْسُهُ ثُمَّ تُرَدُّ إِلَيْهِ فَيُخَيَّرُ بَيْنَ أَنْ تُرَدَّ إِلَيْهِ أَوْ أَنْ يُلْحَقَ » قَالَتْ : فَكُنْتُ قَدْ حَفِظْتُ ذَلِكَ مِنْهُ ، فَإِنِّي لَأَسْتَدِينُهُ إِلَى صَدْرِي فَتَنْظُرُ إِلَيْهِ حَتَّى مَالَتْ عُنُقُهُ ، فَقُلْتُ قَدْ قَضَى وَعَرَفْتُ الَّذِي قَالَ ، فَتَنْظُرْتُ إِلَيْهِ حَتَّى أَرْتَفِعَ وَنَظَرُ ، قَالَتْ : قُلْتُ إِذَا وَاللَّهِ لَا تَخْتَارُنَا ، فَقَالَ : « مَعَ الرَّفِيقِ الْأَعْلَى فِي الْجَنَّةِ » ﴿ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ۚ ﴾ . وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ وَغَيْرِهِ أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « إِنَّهُ لَمْ يُقْبَضْ نَبِيٌّ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ ثُمَّ يُخَيَّرُ » قَالَتْ عَائِشَةُ : فَلَمَّا نَزَلَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَأَسَهُ عَلَى تَخْدِي غُشْيِي عَلَيْهِ سَاعَةً ، ثُمَّ أَفَاقَ فَأَشْخَصَ بَصَرَهُ إِلَى السَّقْفِ سَقْفِ الْبَيْتِ ، ثُمَّ قَالَ : « اللَّهُمَّ الرَّفِيقُ الْأَعْلَى » قَالَتْ : قَتَلْتُ الْآنَ لَا يَخْتَارُنَا ، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَدِيثُ الَّذِي كَانَ يُحَدِّثُنَا وَهُوَ صَحِيحٌ ، فَكَانَتْ تِلْكَ آخِرَ كَلِمَةٍ نَكَلَمُ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَعَنْ أَبِي بُرْدَةَ بْنِ أَبِي مُوسَى قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَسْنَدَتْهُ عَائِشَةُ إِلَى صَدْرِهَا فَأَفَاقَ ، وَهِيَ تَدْعُو لَهُ بِالشِّفَاءِ فَقَالَ : « لَا ، بَلْ أَسْأَلُ اللَّهَ الرَّفِيقَ الْأَعْلَى الْأَسْعَدَ مَعَ جَبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ » .

(١) آية ٦٩ سورة النساء . (٢) نزل برسول الله : أى الموت .

ذكر ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم عند

نزل الموت به

روى عن جعفر بن محمد عن أبيه قال : لما نزل بالنبي صلى الله عليه وسلم الموت دعا بقدر من ماء فجعل يمسح به وجهه ، ويقول : « اللهم أغنى على سكرات الموت » وجعل يقول : « أذن مني يا جبريل ، أذن مني يا جبريل ، أذن مني يا جبريل » . وعن عبد الله بن عباس وعائشة رضى الله عنهم قالا : لما نزل بالنبي صلى الله عليه وسلم طفق يلقى تحميمته على وجهه ، فإذا أغتم بها ألقاها عن وجهه ويقول : « لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » .

ذكر وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم

روى عن محمد بن جعفر عن أبيه قال : لما بقى من أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث نزل عليه جبريل فقال : يا أحمد ، إن الله أرسلني إليك إكراما لك ، وتفضيلا لك ، وخاصة لك ، يسألك عما هو أعلم به منك ، يقول لك : كيف تجدك ؟ قال : « أجدني يا جبريل مغموما ، وأجدني يا جبريل مكروبا » فلما كان في اليوم الثانى هبط إليه جبريل فقال له مثل ذلك ، وأجابه رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل ما أجابه به بالأمس ، فلما كان اليوم الثالث نزل إليه جبريل ، وهبط معه ملك الموت ، ونزل معه ملك يقال له إسماعيل ، يسكن الهواء لم يصعد إلى السماء قط ولم يهبط إلى الأرض منذ يوم كانت الأرض على سبعين ألف ملك ، ليس منهم ملك إلا على سبعين ألف ملك ، فسبقهم جبريل ، فقال : يا أحمد ، إن الله أرسلني إليك إكراما لك ، وتفضيلا لك ، وخاصة لك ، يسألك عما هو أعلم به منك ، يقول لك : كيف

١٤١
١٦

- تجده؟ قال : « أجدني يا جبريل مغموما ، وأجدني يا جبريل مكروبا » ثم استأذن ملك الموت فقال جبريل : يا أحمد ، هذا ملك الموت يستأذن عليك ، ولم يستأذن على آدمي كان قبلك ، ولا يستأذن على آدمي بعدك ، قال : « أئذن له » فدخل ملك الموت فوقف بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « يا رسول الله ، يا أحمد ، إن الله أرسلني إليك وأمرني أن أطيعك في كل ما تأمرني به ، إن أمرتني أن أقبض نفسك قبضتها ، وإن أمرتني أن أتركها تركتها ، قال : « وتفعل يا ملك الموت » ؟ قال : بذلك أمرت أن أطيعك في كل ما أمرتني ، فقال جبريل : يا أحمد ، إن الله قد اشتاق إليك ، قال : « فامض يا ملك الموت لما أمرت به » قال جبريل : السلام عليك يا رسول الله ، هذا آخر موطني الأرض إنما كنت حاجتي من الدنيا ، فتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجاءت التعزية يسمعون الصوت والحس ، ولا يرون الشخص : السلام عليكم يا أهل البيت ورحمة الله وبركاته « كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أجوركم يَوْمَ الْقِيَامَةِ » إن في الله عزاء من كل مصيبة ، وخلفا من كل هالك ، ودركا من كل ما فات ، فبالله فتقوا ، وإياه فأرجوا ، إنما المصاب من حرم الثواب ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

١٥

- وكانت وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما جاء في الأحاديث الصحيحة في حجر عائشة وبين سحرها ونحرها . وقد قيل : إنه توفى في حجر علي ، والصحيح الأول . وذلك في يوم الاثنين حين آسئت^(١) الضحى ، لآلتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول ، وقيل : لليلتين خلتا منه . ولما مات صلى الله عليه وسلم سجدت شوب حبرة ، كما روى عن عائشة وأبي هريرة رضى الله عنهما ، ودخل أبو بكر رضى الله عنه على

٢٠

(١) في جـ « استند » وهما بمعنى تقزى ، والمراد : أرفع .

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : بأبي وأمي ما أطيب نحيك ومآتك . وفي لفظ : طبت حيا وميتا . وعن عائشة رضي الله عنها قالت : لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء أبو بكر فدخل عليه فرفعت الحجاب ، فكشف الثوب عن وجهه ، فاسترجع فقال : مات والله رسول الله ، ثم تحول من قبل رأسه فقال : وانياه ، ثم حذر فيه فقبل وجهه ثم رفع رأسه ، فقال : واخليلاه ، ثم حذر فيه فقبل جبهته ثم رفع رأسه ، فقال : واصفيآه ، ثم حذر فيه فقبل جبهته ، ثم سجد بالثوب ثم خرج . وعن عبد الرحمن بن عوف : أن عائشة أخبرته أن أبا بكر أقبل على فرس من مسكنه بالسج حتى نزل ، فدخل المسجد فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة فتييم رسول^(١) الله صلى الله عليه وسلم وهو مسجى يرد حبة فكشف عن وجهه ثم أكب عليه يقبله وبكى ، ثم قال : بأبي أنت ، والله لا يجمع الله عليك موتتين أبدا ، أما الموتة التي كتبت عليك فقد ميتا .

ذكر ما تكلم به الناس حين شئوا في وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم

وخطبة أبي بكر رضي الله عنه

روى عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكى الناس فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه في المسجد خطيبا فقال : لا أسمعن أحدا يقول إن محمدا قد مات ، ولكنه أرسل إليه كما أرسل إلى موسى ابن عمران ، فلبث عن قومه أربعين ليلة ، وإني والله لأرجو أن تقطع أيدي رجال وأرجلهم يزعمون أنه مات . وعن عكرمة قال : لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : إنما عرج بروحه كما عرج موسى ، قال : وقام عمر خطيبا فوعد

(١) المنح بضم السين والتون ، وقيل : بسكون النون : موضع بهو إلى المدينة فيه منازل بني الحارث ابن الخزرج . (٢) تيمم : قصد .

- المنافقين ، وقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يميت ، ولكن إنحما عيرج بروحه كما عيرج روح موسى ، لا يموت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يقطع أيدى أقوام وألسنتهم ، قال : فما زال عمر يتكلم حتى أزيد شدقه ، فقال العباس : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأسن^(١) كما يأسن البشر ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات فادفنوا صاحبكم ، أيميت أحدكم إمامة ويميته إمامتين ؟ هو أكرم على الله من ذلك ، فإن كان كما تقولون فليس على الله بغريز أن يبحث عنه التراب فيخرجه إن شاء الله ، ما مات حتى ترك السبيل نهجا واضحا ، أحل الحلال ، وحرم الحرم ، ونكح وطلق ، وحارب وسالم ، وما كان راعى غم يتبع بها صاحبها رءوس الجبال ، يخبط عليها العضة^(٢) تخبطه ويمدح حوضها بيده ، بأنصب ولا أراب من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فيكم . وعن عائشة رضى الله عنها قالت : لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم استأذن عمر والمغيرة بن شعبة فدخلا عليه فكشفا الثوب عن وجهه فقال عمر : أغشياً ؟ ما أشد غشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ! ثم قاما فلما آتيا إلى الباب ، قال المغيرة : يا عمر ، ات والله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال عمر : كذبت ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكك رجل تحوسك^(٣) فنته ، ولن يموت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يفنى المنافقين ، ثم جاء أبو بكر وعمر فيخطب الناس فقال له أبو بكر : أسكت ، فسكت ، فصعد أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قرأ : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾^(٤) ثم قرأ : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى

(١) يأسن : يتغير . (٢) في الطبقات : « النضاة » .

(٣) « تحوسك » بالسين المهملة رواية ابن الأثير لقول عمر بمعنى تحاطك وتحنك على ركوبها . وفي الأصول والطبقات « تحوشك » بالسين المعجمة . (٤) آية ٣٠ سورة الزمر .

أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَتَّقِلْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ^(١) ثم قال :
 من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت .
 فقال عمر : هذا في كتاب الله ؟ قال : نعم ، قال : أيها الناس ، هذا أبو بكر وذو شعبة
 المسلمین فبايعوه فبايعه الناس . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : دخل أبو بكر
 المسجد وعمر بن الخطاب يكلم الناس ، فمضى حتى دخل بيت النبي صلى الله عليه
 وسلم الذي توفي فيه ، وهو بيت عائشة ، وكشف عن وجه النبي صلى الله عليه وسلم
 برد حبرة ، كان مسجى به فنظر إلى وجهه ثم أكتب عليه فقيل له ، فقال : بأبي أنت ؛
 والله لا يجمع الله عليك موتين ، لقد مت الموتة التي لا تموت بعدها ، ثم خرج أبو بكر
 إلى الناس ، وعمر يكلمهم فقال : أجلس يا عمر ، فأبى عمر أن يجلس ، فكلمه
 أبو بكر مرتين أو ثلاثاً ، فلما أبى عمر أن يجلس قام أبو بكر فتشهد ، فأقبل الناس
 إليه وتركوا عمر ، فلما قضى أبو بكر تشهده قال : أما بعد ؛ فمن كان منكم يعبد محمداً
 فإن محمداً قد مات ، ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حي لا يموت ، قال الله تبارك
 وتعالى : « وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ
 عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَتَّقِلْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ » .
 قال : فلما تلاها أبو بكر أيقن الناس بموت النبي صلى الله عليه وسلم ،
 وتلقاها الناس من أبي بكر حين تلاها أو كثير منهم ، حتى قال قائل من الناس :
 والله لكانت الناس لم يعلموا أن هذه الآية أنزلت حتى تلاها أبو بكر . فزعم سعيد
 ابن المسيب أن عمر بن الخطاب قال : والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر يتلوها
 فعقرت وأنا قائم حتى خردت إلى الأرض ، وأيقنت أن النبي صلى الله عليه وسلم قد

(١) آية ١٤٤ سورة آل عمران .

(٢) المقر (فتحين) : أن تسلم الرجل قوائمه إلى الخوف ، فلا يقدر أن يمشی من الفرق والدهش .

مات . وعن الحسن قال : لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم أنثر أصحابه فقالوا : تربصوا بنبينا صلى الله عليه وسلم لعله عرج به ، قال : قتر بصوابه حتى ربأ بطنه ، فقال أبو بكر : من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت . وعن القاسم بن محمد بن أبي بكر رضى الله عنه أنه لما

شك في موت النبي صلى الله عليه وسلم قال بعضهم : قد مات ، وقال بعضهم : لم يموت ، وضعت أسماء بنت عميس يدها بين كتفيه ، وقالت : قد توفى رسول الله

صلى الله عليه وسلم ، قد رُقع الخاتم من يمين كتفيه . وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخرس عن الكلام لما رآه من موت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما تكلم إلا برد الفصد ، وأقعد آخرون ، منهم علي بن أبي طالب ، ولم يكن

فيهم أثبت من أبي بكر والعباس رضى الله عنهما ، قالوا : وعزى الناس بعضهم بعضاً برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ذكر

ذلك للناس قبل موته ، كما روى عن سهل بن سعد ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سيعزى الناس بعضهم بعضاً من بعدى التّعزية بي » فكان الناس

يقولون ما هذا ؟ فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم لقي الناس بعضهم بعضاً يعزى بعضهم بعضاً برسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم معين التارح
ومن غسله ، وتكفينه وحنوطه

رُوى أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ذكروا غسله سمعوا من باب الحجر : لا تغسلوه فإنه طاهر مطهر ، ثم سمعوا صوتاً بعده : أغسلوه فإن

ذلك إبليس وأنا الخضر ، وعزاهم فقال : إن في الله عزاءً من كل مصيبة ، وخلفاً من كل هالك ، ودرجاً من كل فائت ، فبأنه فتنوا وإياه فأرجوا ، فإن المصاب من

حُرِّمَ الثَّوَابُ . وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : لما تَوَقَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلف الذين يغسلونه ، فسمعوا قائلاً لا يدرون من هو ، يقول : أغسلوا نبيكم وعليه قيصره ، فغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم في قيصره . وعن عباد بن عبد الله عن عائشة قالت : لو استقبلت من أمرى ما استدبرت ، ما غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا نسائه ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قُبِضَ اختلف أصحابه في غسله ، فقال بعضهم : أغسلوه وعليه ثيابه ، فبينما هم كذلك إذ أخذتهم نَعْسَةٌ ، فوقع لِحْيُ كُلِّ إنسان منهم على صدره ، فقال قائل منهم لا يُدْرَى من هو : أغسلوه وعليه ثيابه ، قالوا : وكان الذى تولى غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبى طالب ، والفضل بن العباس ، وأسامة بن زيد ، وكان علي يغسله ويقول : بأبى أنت وأُمِّى ، طُبْتُ مَيْتاً وَحِياً . وقيل : كان علي يغسل النبي صلى الله عليه وسلم والفضل وأسامة يحجبانه ، وقيل : غسل والعباس قاعد والفضل مُحْتَضِنُهُ ، وعلي يغسله ، وأسامة يختلف ، وقيل : ولَّى غسله العباس بن عبد المطلب وعلي بن أبى طالب رضي الله عنه ، والفضل بن العباس وصالح مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعن علي بن أبى طالب رضي الله عنه : أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا يغسله أحد غَيْرِي ، فإنه « لا يرى أحد عورتى إلا طُمَسَتْ عَيْنَاهُ » . قال علي : فكان الفضل وأسامة يناولاني الماء من وراء السترة ، وهما معصوبَا العين . قال علي : فما تناولت عضواً إلا كأنما يقلبه معى ثلاثون رجلاً حتى فرغت من غسله . وقيل : كان معهم شُقران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعن سعيد بن المسيَّب قال : غسل النبي صلى الله عليه وسلم ، وكفنه أربعة علي والعباس والفضل وشُقران ، وقيل : لم يحضره العباس ، بل كان بالباب ،

(١) لعله سقط هنا لفظ قال .

- وقال: لم يعنى أن أحضر غسله إلا أنى كنت أراه يستحي أن أراه حاسرا . وقيل :
 حضره عقيل بن أبي طالب ، وأوس بن خولي ، وذلك أن أوس بن خولي قال :
 يا على ، أنشدك الله في حفظنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له على : أدخل ،
 فدخل بفأس ، وقيل : إنما دخل لأن الأنصار قالت : نناشدكم الله في نصيبنا من
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فادخلوا رجلا منهم يقال له أوس بن خولي يحمل
 جرة بإحدى يديه . والذي أثبتته الشيخ أبو محمد عبد المؤمن بن خلف الديماطي
 رحمه الله في مختصر السيرة قال : تولى غسله على والعباس والفضل وقثم أبنا العباس
 وأسامة بن زيد وشقران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : وحضره أوس
 ابن خولي الأنصاري . وعن علي رضي الله عنه قال : لما أخذنا في جهاز رسول
 الله صلى الله عليه وسلم أغلقنا الباب دون الناس جميعا ، فنادت الأنصار نحن
 ١٠ أخواله ، ومكاننا من الإسلام مكاننا ، وناذت قريش نحن عصبته ، فصاح
 أبو بكر : يا معشر المسلمين ، كل قوم أحق بمجازتهم من غيرهم ، فنشدتكم الله فإنكم
 إن دخلتم أحرمتهم عنه ، والله لا يدخل عليه أحد إلا من دعى . وعن أبي جعفر
 محمد بن علي قال : غسل النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث غسلات بماء وسدر ،
 ١٥ وغسل في قميص ، وغسل من بثر يقال لها الغرس لسعد بن خيثمة بقاء ، وكان
 يشرب منها وولى [غسل] ^(١) سقائه على ، والعباس يصب الماء ، والفضل محضنه
 يقول : أرخني أرخني ، قطعت وتبني ! إني أجد شيئا ينزل على مرتين . وعن عبد الله
 ابن الحارث : أن عليا غسله ، يدخل يده تحت القميص ، والفضل يمسك الثوب
 عليه ، والأنصاري ينقل الماء وعلى يد علي خرقة تدخل يده وعليه القميص . وعن
 ٢٠ عبد الله بن جعفر الزهرى عن عبد الواحد بن أبي عون ، قال قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم لعلَّ في مرضه الذي توفي فيه : « أغسلني يا علي إذا مت » فقال :
يا رسول الله ، ما غسلت ميتاً قط ، بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنك ستُهيأ ،
أو يُيسر » قال علي : ففعلته فما أخذ عضواً إلا تبعني ، والفضل أخذ مُحَضَّته يقول :
أعجل يا علي - أنقطع ظهري . وعن سعيد بن المسيب قال : التمس عليٌّ من النبي صلى
الله عليه وسلم عند غسله ما يلمس من الميت فلم يجد شيئاً ، فقال : بأبي أنت
وأُمي ، طُبت حيا وميتاً . هذا ما لخصناه في غسله صلى الله عليه وسلم مما أورده
محمد بن سعد في طبقاته على سبيل الاختصار وحذف الأسانيد . والله أعلم .

وأما تكفينه صلى الله عليه وسلم

فقد اختلف فيه ؛ فقيل : كُفِّن في ثلاثة أثواب بيض ^(١) كُرسف ، وقيل :
في ثلاثة أثواب أحدها حبرة ، وقيل : في رِيَطَتَيْن ^(٢) وَرْدَ نَجْرَانِي ^(٣) . وقيل : في ثلاثة
أثواب بُرود يمانية غِلَظٌ لَزَارٌ وَرْدَاءٌ وَلِفَافَةٌ . وقيل : في حُلَّة حمراء وقِطْطِيَّة ^(٤) .
وقيل : في حُلَّة يمانية وقيص . وقيل : في حُلَّة حَبَرَةٍ وقيص . وقيل : في سبعة
أثواب . والذي ورد في الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم كُفِّن في ثلاثة أثواب
بيض سَحُولِيَّة من ثياب سَحُول — بلدة باليمن — ليس فيها قيص ولا عمامة ،
بل لفائف من غير خياطة . وحَنَطَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان في حَنُوطه
المِسْك ، وأبقى منه عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه شيئاً آذَنَهُ لِحَنُوطه إذا مات .

(١) الكرسف : القطن .

(٢) الرِطَّة : كل ملءة ليست بلغمين ، وقيل : كل ثوب رقيق لين .

(٣) نجران : موضع معروف بين الحجاز واليمن .

(٤) قِطْطِيَّة : ثوب من ثياب مصر رقيق أبيض . وفي الطبقات : « رِطْطِيَّة » .

ذكر الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم

- رَوَى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَوَّلُ مَنْ صَلَّى عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَبَنُو هَاشِمٍ، ثُمَّ خَرَجُوا، ثُمَّ دَخَلَ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ، ثُمَّ النَّاسُ رِفْقًا رِفْقًا^(١)، فَلَمَّا أَنْقَضَى النَّاسُ دَخَلَ عَلَيْهِ الصَّبِيَّانُ صَفُوفًا، ثُمَّ النِّسَاءُ، وَقِيلَ: النِّسَاءُ وَالصَّبِيَّانُ. وَذَكَرَ الْبَيْهَقِيُّ عَنِ الْوَاقِدِيِّ عَنْ مُوسَى بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْحَارِثِ التِّيمِيِّ قَالَ: وَجَدْتُ هَذَا فِي صَحِيفَةٍ بِخَطِّ أَبِي، فِيهَا: لَمَّا كُنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوُضِعَ عَلَى سَرِيرِهِ، دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ فَقَالَا: السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، وَمَعَهُمَا نَفَرٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ قَدَّرَ مَا يَسِعُ الْبَيْتَ، فَسَلَّمُوا كَمَا سَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ [وَعُمَرُ]^(٢) وَصَفَّوْا صُفُوفًا لَا يُؤْتِمُّهُمْ عَلَيْهِ أَحَدٌ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَهُمَا فِي الصَّفِّ الْأَوَّلِ حَيَّالَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللَّهُمَّ إِنَّا نَشْهَدُ أَنْ قَدْ بَلَغَ مَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ، وَنُصَِّحَ لِأَمَّتِهِ، وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى أَعَزَّ اللَّهُ بِهِ دِينَهُ، وَتَمَّتْ كَلِمَاتُهُ، فَأَوْفَيْنَ بِهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، فَاجْعَلْنَا يَا إِلَهَنَا مِنْ يَتْبَعُ الْقَوْلَ الَّذِي أَنْزَلَ مَعَهُ، وَاجْمَعْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ حَتَّى يَعْرِفَنَا وَنَعْرِفَهُ بِنَا فَإِنَّهُ كَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَعُوفًا رَحِيمًا، لَا نَبْتَغِي بِالْإِيمَانِ بَدَلًا، وَلَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا أَبَدًا. فَيَقُولُ النَّاسُ آمِينَ آمِينَ، ثُمَّ يَخْرُجُونَ وَيَدْخُلُ آخَرُونَ حَتَّى صَلَّوْا عَلَيْهِ: الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ ثُمَّ الصَّبِيَّانُ. وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قَالَ: لَمَّا وَضِعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى السَّرِيرِ قَالَ عَلِيٌّ: لَا يُؤْتَمُّ أَحَدٌ، هُوَ إِمَامُكُمْ حَيًّا وَمَيِّتًا، فَكَانَ يَدْخُلُ النَّاسُ رَمَلًا

(١) رِفْقًا: جَمَاعَاتٍ.

(٢) الزِّيَادَةُ مِنَ الطَّبَقَاتِ.

(٣) فِي ج: «تَعْرِفُ بِنَا» وَفِي الطَّبَقَاتِ «حَتَّى يَعْرِفَنَا وَنَعْرِفَهُ».

رَسُولًا^(١) ، فيصلّون عليه صَفًّا صَفًّا ، ليس لهم إمام ويكبرون ، وعلى قائم يحبال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : سلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، اللهم إنا نشهد أنه قد بلغ ما أنزل إليه ونصح لأمة ، وجاهد في سبيل الله حتى أعز الله دينه وتمت كلمته ، اللهم فأجعلنا ممن يتبع ما أنزل إليه ، وثبتنا بعده وأجمع بيننا وبينه . فيقول الناس : آمين ، آمين . وقد قيل في سبب صلاة الناس عليه أفذاذاً : إنما فعلوا ذلك ليكون كل منهم في الصلاة أصلاً لا تابعا لأحد . وقيل : ليطول وقت الصلاة فيلحق من يأتي من حول المدينة .

ذكر قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولحده

وما فرش تحته ومن قرشه ، ومن دخل قبره ، ووقت . فنه ، ومدة حياته

صلى الله عليه وسلم

رُوى أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بيته اختلفوا في مكان دفنه ، فقال بعضهم : ندفنه في مُصَلَّاه . وقال بعضهم : عند المنبر . وقال بعضهم : آدفنوه مع أصحابه بالبقيع . فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما دُفن نبي قط إلا في المكان الذي توفى فيه » . وقيل : قال « ما مات نبي إلا دفن حيث يُقبَض » فرفع فراش النبي صلى الله عليه وسلم الذي توفى عليه وحفر له تحته ، وذلك في بيت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها . ثم اختلفوا أيلحد له أم لا ؟ وكان في المدينة حَقَّاران أحدهما يُلحد وهو أبو طلحة ، والآخر لا يُلحد وهو أبو عبيدة . فاتفقا على أن من جاء منهما أولاً يحل عمله^(٢) ، بخاء الذي يلحد فلحد لرسول الله صلى الله

(١) رسلا رسلا : أى فرقا ، ويروى : أرسالا : أى أفواجا .

(٢) في ١ : « عمل عليه » .

عليه وسلم . وروى عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما أرادوا أن يحفروا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان بالمدينة رجلان : أبو عبيدة ابن الجراح يَصْرَحُ حُفَرَاءَ أَهْلِ مَكَّةَ ، وأبو طلحة الأنصاري هو الذى يحفر لأهل المدينة ، وكان يُلَحِد . فدعا العباس رجلين فقال لأحدهما : أذهب إلى أبي عبيدة ، وقال للآخر : أذهب إلى أبي طلحة ، وقال : اللهم خر لرَسُولِكَ ، فوجد صاحب أبي طلحة أبا طلحة بجاء به فلَحِدَ له . وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « التَّحْدِ لَنَا وَالشَّقَّ لغيرِنَا » . وقيل قال : « والشَّقَّ لأهل الكتاب » . قيل : وكان صلى الله عليه وسلم يرى الحَدَّ فيعجبه فألحِدَ له ، وأطبق له تسع لَبَنَاتٍ وقُرْشٍ تحته في قبره قَطِيفَةً حمراء كان يُنْطَى بها صلى الله عليه وسلم نزل بها شُقران . وأما من نزل قبره صلى الله عليه وسلم فالعباس بن عبد المطلب ، وعلى بن أبي طالب ، والفضل وقُمَّ أبنا العباس ، وشُقران مولاه ، وقيل : أدخلوا معهم عبد الرحمن ابن عوف ، قيل : وعَقِيلُ وأسامة بن زيد ، وصالح ، وأوس بن خَوْلِيَّة . والذى صححه الشيخ أبو محمد عبد المؤمن بن خلف رحمه الله : العباس وعلى والفضل وقُمَّ وشُقران . وزعم المغيرة بن شعبة أنه نزل قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، وأنه آخر الناس عهدا برسول الله صلى الله عليه وسلم في قبره . روى عن الشعبي قال : كان المغيرة يحدثنا ها هنا ، يعنى [بالكوفة] قال : [أنا] آخر الناس عهدا بالنبي صلى الله عليه وسلم لما دُفِنَ ونُحِرَ عَلَى من القبر أَلْقَيْتُ خَاتَمِي فَقُلْتُ : يَا أَبَا الْحَسَنِ خَاتَمِي ، قال : أَنْزِلْ نَحْذِ خَاتَمَكَ ، فَتَزَلْتُ فَأَخَذْتُ خَاتَمِي ، وَوَضَعْتُ يَدِي عَلَى اللَّيْنِ ثُمَّ نَحَرْتُ . وعن هشام بن عروة عن أبيه أنه قال : لما وُضِعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وسلم في لحده، التي المغيرة بن شعبة خاتمه في القبر، ثم قال : خاتمي، خاتمي ! فقالوا :
أدخل نفذه، فدخل ثم قال : أهيلوا علي التراب، فأهالوا عليه التراب حتى بلغ
أنصاف ساقيه فخرج، فلما سوي على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أخرجوا
عني حتى أغلق الباب، فإني أحدثكم عهدا برسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا :
لعمري إن كنت أردتها لقد أصبتها . وأنكر على بن عبد الله بن عباس هذا،
وقال : كان آخر الناس عهدا برسول الله صلى الله عليه وسلم قُتِمَ بن العباس، كان
أصغر من كان في القبر، وكان آخر من صعد . والله أعلم .

وأما وقت دفنه صلى الله عليه وسلم ومدة مرضه

فقال : دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الأربعاء، وقيل : ليلة الثلاثاء،
وقيل : يوم الثلاثاء حين زاغت الشمس . والله أعلم . وسُمِّيَ قبره ورث عليه الماء .
وكانت مدة مرضه اثني عشر يوما . وقيل : أربعة عشر يوما . وكان مرضه
بالصداع صلى الله عليه وسلم .

وأما سنُّه صلى الله عليه وسلم

ومدة مقامه بالمدينة من حين هجرته إلى يوم وفاته صلى الله عليه وسلم
فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي، وقد بلغ من السن ثلاثا
وستين سنة، وقيل : خمسا وستين، وقيل : ستين . وروى محمد بن سعد قال :
أخبرنا هشام بن القاسم، قال حدثنا أبو معشر عن يزيد بن زياد قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لعائشة في السنة التي قبض فيها : « إن جبريل كان يعرض علي »

(١) لفظ « عني » ليس في ج ولا الطبقات .

(٢) سنم : جعل له سنم أي رفع عن الأرض .

القرآن في كل سنة مرة ، فقد عَرَضَ على العام مرتين ، وأنه لم يكن نبي إلا عاش نصف عمر أخيه الذي كان قبله ، عاش عيسى بن مريم مائة ونحسا وعشرين سنة ، وهذه اثنتان وستون سنة » ومات في نصف السنة . والذي نقلناه أولاً هو الذي صححه العلماء . والله أعلم .

وكان مقامه بالمدينة من لدن الهجرة إلى أن توفي صلى الله عليه وسلم عشرين .

ذكر ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم

وما روى فيه

رُوى عن أبي بكر الصديق رضى الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله

عليه وسلم يقول : « إنا لا نُورث ، ما تركناه صدقة » . وروى محمد بن سعد قال :

أخبرنا محمد بن عمر بن واقد ، قال حدثنا معمر ومالك وأسامة بن زيد عن الزهري

عن عروة عن عائشة ؛ قال محمد بن عمر : وحدثني معمر وأسامة بن زيد وعبد الرحمن

أبن عبد العزيز عن الزهري عن مالك بن أوس بن الحَدَثَانِ عن عمر بن الخطاب

وعثمان بن عفان وعلى بن أبي طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص وعباس بن

عبد المطلب قالوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا نورث ما تركناه فهو صدقة »

يريد بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه . وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تَقْسَمُ^(١) ورثتي ديناراً ولا درهماً ، ما تركتُ

بعد نفقة نسائي ومؤنة عاملي فإنه صدقة » . وعن عائشة : إن فاطمة بنت

رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنها أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من

رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أفاء الله على رسوله ، وفاطمة حينئذ تطلب صدقة

النبي صلى الله عليه وسلم التي بالمدينة وقدك ، وما بقي من خمس خيبر ، فقال أبو بكر

(١) في الطبقات : « يقسم » .

رضى الله عنه : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا نورث ، ما تركنا صدقة »
 إنما يأكل آل محمد في هذا المال ، وإني والله لا أغير شيئا من صدقات رسول الله
 صلى الله عليه وسلم عن حالها التي كانت عليها في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
 ولا عمن فيها بما عمل فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأبى أبو بكر أن يدفع
 إلى فاطمة منها شيئا ، فوجدت فاطمة على أبي بكر ، فهجرته ولم تكلمه حتى
 توفيت ، وعاشت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة أشهر . وعن أبي جعفر^(١)
 قال : جاءت فاطمة إلى أبي بكر تطلب ميراثها ، وجاء العباس بن عبد المطلب
 يطلب ميراثه ، وجاء معهما علي بن أبي طالب ، فقال أبو بكر : قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم « لا نورث ، ما تركنا صدقة » وما كان النبي يعمل فعلى ، فقال
 علي : « وورث سليمان داود » وقال زكريا : « يرثني ويرث من آل يعقوب »^(٢)
 قال أبو بكر : هو هذا ، والله تعلم مثل ما أعلم . فقال علي : هذا كتاب الله ينطق ،
 فسكتوا وأنصرفوا . وعن زيد بن أسلم عن أبيه ، قال سمعت عمر بن الخطاب
 يقول : لما كان اليوم الذي توفي فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيع لأبي بكر
 في ذلك اليوم ، فلما كان من الغد جاءت فاطمة إلى أبي بكر - رضى الله عنهما -
 معها علي رضي الله عنه فقالت : ميراثي من رسول الله أبي ، صلى الله عليه
 وسلم ، فقال أبو بكر : أمن الرثة أو من العقد ؟ قالت : فدك وخيبر وصدقاته^(٣)
 بالمدينة أرضها كما تركت بناتك إذا مت ، فقال أبو بكر : أبوك والله خير مني ، وأنت
 والله خير من بناتي ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا نورث ، ما تركنا

(١) كذا في الأصول ؛ وفي الطبقات « جعفر » . (٢) آية ١٦ سورة النمل .

(٣) آية ٥ سورة مريم . (٤) الرثة : الردي . من متاع البيت .

(٥) العقد (جمع عقدة) : الأرض الكثيرة النخل .

صدقة» يعنى هذه الأموال القائمة ، فعلمين أن أباك أعطاكها ؟ فوالله لئن قلت نعم لأقبل قولك ولأصدقك . قالت : جاءنى أم أيمن فأخبرتني أنه أعطانى فذلك . قال : فسمعتي يقول هي لك ؟ فإذا قلت قد سمعته فهى لك ، فانا أصدقك وأقبل قولك . قالت : قد أخبرتك ما عندى . وعن عمرو بن الحارث ختن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنى ميمونة قال : والله ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته درهما ولا دينارا ، ولا عبدا ولا أمة ، ولا شيئا إلا بغلته البيضاء وسلاحه ، وأرضا تركها صدقة . وعن زير بن حنيش : أن إنسانا سأل عائشة رضى الله عنها عن ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : عن ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم تسألني ؟ لا أبالك ! توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يدع دينارا ولا درهما ، ولا عبدا ولا أمة ولا شاة ولا بعيرا . وعن ابن عباس نحوه ، قال : وترك درعه رهنا عند يهودى بثلاثين صاعا من شعير . وقد روى أنه صلى الله عليه وسلم ترك يوم مات ثوبى حبرة وإزارا عثمانيا ، وثوبين صخاريين ، وقيضا صخاريا ، وجبة يمنية ، وخيصة وكساء أبيض ، وقلانس صفارا لاطئة ثلاثا أو أربعة ، وإزارا طوله خمسة أشبار ، وملحفة مؤرسة . صلى الله عليه وسلم . هذا الذى أورده الشيخ محب الدين الطبرى فى مختصر السيرة .

ذكر ما نال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

وآله من الحزن على فقده ، ونبذة مما رتوه به صلى الله عليه وسلم
 روى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : لما ثقل النبي صلى الله عليه وسلم جعل يتغشاه الكرب ، فقالت فاطمة : واكرب أبنا ، فقال لها صلى الله عليه وسلم :

(١) فى نسخة ١ : عتابا وهو تصحيف .

(٢) اللاطئة : اللاصقة ؛ أى ملتزمة بالرأس .

« ليس على أبيك كرب بعد اليوم » . فلما مات صلى الله عليه وسلم قالت فاطمة :
يا أبتاه أجاب رباً دعاه ، يا أبتاه جنة الفردوس مأواه ، يا أبتاه إلى جبريل ينعاه ،
يا أبتاه من ربه ما أدناه ! قال : فلما دفن قالت فاطمة : يا أنس أطابت أنفسكم
أن تحنوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم التراب ؟ . وعن عكرمة قال : لما
توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم بكى أُمّ أيمن ، فقيل لها أتبكين على رسول
الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالت : أما والله ما أبكي عليه ألا أكون أعلم أنه ذهب
إلى ما هو خير له من الدنيا ، ولكن أبكي على خبر السماء أنقطع . وعن عبد الرحمن
أبن سعد بن يربوع قال : جاء علي بن أبي طالب يوماً متقنعا متحازنا ، فقال أبو بكر :
أراك متحازنا ، فقال علي : إنه عَنَانِي ما لم يَبْعِكَ ، قال يقول أبو بكر : أسمعوا
ما يقول ! أَنشدكم الله أترون أحداً كان أحزن على رسول الله صلى الله عليه وسلم
منّي ؟ . وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : سمعت عثمان بن عفان يقول :
توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فحزن عليه رجال من أصحابه حتى كاد بعضهم
يُوسِس . وعن القاسم بن محمد : أن رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم ذهب بصره فدخل عليه أصحابه يعودونه ، فقال : إنما كنت أريد ههنا لأُنظر
بهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأما إذ قبض الله نَبِيَّه فإيْسُرْنِي أن ما بهما
بظبي من ظِبَاء تَبَالَةٍ^(٢) . وأما عائشة أُمّ المؤمنين رضى الله عنها فإنها لازمت قبره
صلى الله عليه وسلم .

ورثي رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة من أصحابه وعماته رضى الله عنهم
فقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه :

(١) في الأصول : « ما يسونى » وما أئتناه عن الطبقات .

(٢) تبالة : موضع باليمن خصب .

يا عينُ فَاَبْكِي وَلَا تَسَامِي * وَحَقُّ الْبُكَاءِ عَلَى السَّيِّدِ
 عَلَى حَتَرِ خِنْدِفٍ عِنْدَ الْبَلَا * ^(١) أَمْسَى يُغِيبُ فِي الْمُلْحَدِ
 فَصَلِّ الْمَلِيكَ وَلِيَّ الْعِبَادِ * وَرَبُّ الْبِلَادِ عَلَى أَحَدِ
 فَكَيْفَ الْحَيَاةُ لِفَقْدِ الْحَبِيبِ * وَزَيْنُ الْمَعَاشِرِ فِي الْمَشْهَدِ
 فَلَيْتَ الْمَمَاتَ لَنَا كُلَّنَا * وَكُنَّا جَمِيعًا مَعَ الْمُهْتَدِي

١٤٨
١٦

وقال أيضا رضوان الله عليه :

لَمَّا رَأَيْتُ نَبِيَّنَا مُتَجَدِّلاً * ضَاقَتْ عَلَى بَعْضِ مَنَ الدُّورِ
 وَأَرْتَعْتُ رَوْعَةً مُسْتَهَامٍ ^(٢) وَالْعَظْمُ مَنِيَّ وَاهِنٌ مَكْسُورُ
 أَعْتِيقُ وَيَحْكُ إِنَّ حَبْلَكَ قَدْ ثَوَى * وَبَقِيَتْ مَنَفَرْدًا وَأَنْتَ حَسِيرُ ^(٣)
 بِالْبَيْتِي مَن قَبْلِ مَهْلِكِ صَاحِبِي * غُيِبْتُ فِي جَدَثٍ عَلَى صُخُورِ ^(٤)
 فَلْتَحْدِثْ بَدَائِعُ مَن بَعْدِهِ * تَعْبًا بَيْنَ جَوَانِحٍ وَصُدُورِ

وقال أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطاب :

أَرِقْتُ فَبَاتَ لَيْلِي لَا يَزُولُ * وَلَيْلُ أُنْحَى الْمَصِيبَةِ فِيهِ طُولُ ^(٥)
 وَأَسْمَدُنِي الْبُكَاءُ وَذَاكَ فِيمَا * أُصِيبَ الْمُسْلِمُونَ بِهِ قَلِيلُ
 لَقَدْ عَظُمَتْ مَصِيبَتُنَا وَجَلَّتْ * عَشِيَّةَ قَيْلٍ قَدْ قُبِضَ الرَّسُولُ
 وَاضْطَحَّتْ أَرْضُنَا مِمَّا عَرَّاهَا * نَكَادُ بَنَاءَ جَوَانِبِهَا تَمِيلُ
 فَقَدْنَا الْوَحْيَ وَالتَّنْزِيلَ فِينَا * يَرْوَحُ بِهِ وَيَفْدُو جِبْرِئِيلُ

(١) ختلف : ولد إلياس بن مضر ، أحد أجداد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٢) الروعة : الفزة ، المستهام : الذي أسفنه الحزم ، الرواله : الذاهب عقله حزناً ، والوهن :

الضعف . (٣) الحب بالكسر : المحبوب ، والحبير : المتألف .

(٤) الحدث : القبر . (٥) في نسخة : الصباية .

وذاك أحق ما سألت عليه * نفوس الناس أو كربت تسيل
نبي كان يخلو الشك عنها ^(١) * بما يوحى إليه وما يقول
ويهدينا فلا نخشى ضللا * علينا والرسول لنا دليل
أفأطم إن جرعت فذاك عذر * وإن لم تجزعي ذاك السبيل
فقد أهلك سيد كل قبر * وفيه سيد الناس الرسول
وقال عبد الله بن أنيس :

تطاول لي وأعترت القوارع * وخطب جليل لليلة جامع
غداة نعى الناعى إلينا محمدا * وتلك التي تستك منها المسامع
فلورد ميتا قتل نفسى قتلتها * ولكنه لا يدفع الموت دافع
فأليت لا آسى على هلك هالك * من الناس ما أوفى نبي وفارح
ولكننى بالك عليه ومتبع * مصيبتته إني إلى الله راجع
وقد قبض الله النبيين قبله * وعاد أصيبت بالرزي والتبايع ^(٢)
فيا ليت شعري من يقوم بأمرنا * وهل في قریش من إمام ينزع
ثلاثه رهط من قریش هم هم * أزمة هذا الأمر والله صانع ^(٣)
على أو الصديق أو عمر لها * وليس لها بعد الثلاثة رابع
فإن قال منّا قائل غير هذه * أبينا وقلنا الله راء وسامع
فيا لقریش قلّدوا الأمر بعضهم * فإن صحیح القول للناس نافع
ولا تبطنوا عنها فوفا فإنها * إذا قطعت لم تمن فيها المطامع ^(٤)

(١) الضمير يعود على النفوس ؛ وفي المراحب « عنا » .

(٢) التبايع : ملوك اليمن جمع تبع . (٣) أزمة : جمع زمام .

(٤) فواف : من الزمن مقدار ما بين الحلتين .

وقال حسان بن ثابت الأنصاري :

آلَيْتُ حِلْفَةً بِرٍّ غَيْرِ ذِي دَخَلٍ * مَنِيَّ إِلَيْسَةَ حَقٍّ غَيْرِ إِفْنَادٍ ^(١)
 تَالَهُ مَا حَمَلْتُ أَنْثَى وَلَا وَضَعْتُ * مِثْلَ النَّبِيِّ نَبِيَّ الرَّحْمَةِ الْهَادِي
 وَلَا مَنَشَى فَوْقَ ظَهْرِ الْأَرْضِ مِنْ أَحَدٍ * أَوْفَى بِذِمَّةِ جَارٍ أَوْ بِمِعَادٍ
 مِنَ الَّذِي كَانَ نُورًا يُسْتَضَاءُ بِهِ * مُبَارَكَ الْأَمْرِ ذَا حَزْمٍ وَإِشَادٍ
 مُصَدِّقًا لِلنَّبِيِّينَ الْأَلَى سَلَفُوا * وَأَبْدَلَ النَّاسِ لِلْعُرُوفِ الْفَادِي ^(٢)
 خَيْرَ الْبَرِيَّةِ إِنِّي كُنْتُ فِي نَهْرٍ * جَارٍ فَاصْبَحْتُ مِثْلَ الْمُفْرَدِ الصَّادِي ^(٣)
 أَمْسَى نِسَاؤُكَ عَطْنَانَ الْبُيُوتِ فَا * يَضْرِبُنْ خَلْفَ قَفَا سَيْثَرٍ بِأَوْتَادٍ
 مِثْلَ الرَّوَاهِبِ يَلْبَسْنَ الْمُسُوحَ وَقَدْ * أَيْقَنَ بِالْبُؤْسِ بَعْدَ النِّعَةِ الْبَادِي ^(٤)

وقال أيضا :

مَا بَالُ عَيْنِكَ لَا تَنَامُ كَأَنَّمَا * كَحَلَّتْ مَا فِيهَا بِكُحْلِ الْأَرْمَدِ
 جَزَمًا عَلَى الْمَهْدَى أَصْبَحَ ثَاوِيًا * يَا خَيْرَ مَنْ وَطِئَ الْحَصَى لَا تَبْعُدِ
 يَا وَجْجَ أَنْصَارِ النَّبِيِّ وَرَهْطِهِ * بَعْدَ الْمَغِيبِ فِي سَوَاءِ الْمُتَحَدِ
 جَنِّي يَبْقِيكَ الثَّرْبَ لَهْفِي لَيْتَنِي * غُيِبْتُ قَبْلَكَ فِي بَقِيعِ الْفَرَقْدِ ^(٥)
 يَا يَكْرَ أَمْنَةِ الْمُبَارَكِ ذِكْرُهُ * وَلَدَّتْهُ مُحْصَنَةً بِسَعْدِ الْأَسْمَدِ ^(٦)
 نُورًا أَضَاءَ عَلَى الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا * مِنْ يُهْدِ لِلنُّورِ الْمُبَارَكِ يَهْتَدِي

(١) دخل : خديعة ومكر . إفناد : كذب .

(٢) الجادى : طالب الجدوى وهى العطية .

(٣) الصادى : من الصدى وهو العطش الشديد .

(٤) البادى : أى الظاهر ، نعمت للبؤس .

(٥) فى ديوان حسان : وجهى بقيق ، وبقيع الفرقد : مقبرة المدينة .

(٦) محصنة : عفيفة ، وسعد السعود : منزلة من منازل القمر ، والمراد العين والبركة .

أَفِيمُ بِمَدَكِ بِالْمَدِينَةِ بَيْنَهُمْ * يَاهُفَ نَفْسِي لَيْتَنِي لَمْ أُولَدْ
 أَبِي وَأُمِّي مِنْ شَهْدَتِ وَفَاتِهِ * فِي يَوْمِ الْأَشْيَنِ النَّبِيُّ الْمُهْتَدِي
 وَظَلَمْتُ بِمَدِّ وَفَاتِهِ مُتَبَلِّدًا ^(١) * يَالَيْتَنِي صُبَّحْتُ مَعَ الْأَسْوَدِ ^(٢)
 أَوْ حَلَّ أَمْرُ اللَّهِ فِينَا عَاجِلًا * فِي رَوْحَةٍ مِنْ يَوْمِنَا أَوْ فِي غَدٍ
 فَتَقُومَ سَاعَتُنَا فَنَقَاتِي سَبْدًا * مَحْضًا مُضَارِبُهُ كَرِيمَ الْمُحْتَدِ ^(٣)
 يَا رَبِّ فَاجْمَعْنا مَعًا وَنَيْنَا * فِي جَنَّةِ نَفَقِ عِيُونِ الْحَسَدِ ^(٤)
 فِي جَنَّةِ الْفَرْدَوَسِ فَأَكْتُبْهَا لَنَا * يَاذَا الْجَلَالِ وَذَا الْعَلَا وَالسُّودِ
 وَاللَّهِ أَتَمَّعَ مَا حَيَّيْتُ بِهِالِكَ * إِلَّا بَكَيْتُ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
 ضَاقَتْ بِالْأَنْصَارِ الْبِلَادُ فَاصْبَحُوا * سُودًا وَجُوهُهُمْ كَلَوْنَ الْإِنَّمَدِ
 وَلَقَدْ وَلَدَنَاهُ وَفِينَا قَبْرُهُ * وَفُضُولُ نَعْمَتِهِ بِنَا لَمْ يُجْحَدِ ^(٥)
 وَاللَّهُ أَهْدَاهُ لَنَا وَهَدَى بِهِ * أَنْصَارَهُ فِي كُلِّ سَاعَةٍ مُشْهَدِ
 صَلَّى إِلَهُهُ وَمَنْ يَحْفَ بِعَرْشِهِ * وَالطَّيِّبُونَ عَلَى الْمُبَارَكِ أَحْمَدِ
 وَوَقَفَتْ فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَلَى قَبْرِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ :
 مَا ضَرَّ مَنْ قَدْ شَمَّ ثُرْبَةَ أَحْمَدِ * أَلَا يَشْمُ مَدَى الزَّمَانِ غَوَالِيَا ^(٦)
 صُبَّتْ عَلَى مَصَائِبٍ لَوْ أَنَّهَا * صُبَّتْ عَلَى الْأَيَّامِ صِرْنَ لَيَالِيَا
 وَقَالَتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا :

أَغْشَبَ آفَاقُ السَّمَاءِ وَكُتِرَتْ * شَمْسُ النَّهَارِ وَأَظْلَمَ الْعَصْرَانِ

(١) متبدا : متغيرا مطلقا ، وضد التجديد . (٢) الأسود : الحية العظيمة .

(٣) المحض : الخالص ، ومضاربه : أصله وقومه وأبوه وشرفه ، وفي ديوانه : ضرائبه وهي السجايا ،

والمجند : الأصل . (٤) خلق : قلع ، وفي الديوان : خلق : أي تصرف .

(٥) يريد لا أتمتع . (٦) « لا تمجد » في الأصول ، وفي الديوان : لم يمجّد .

(٧) الغواليبا جمع غالية : وهي خلاط من الطيب .

والأَرْضُ مِنْ بَعْدِ النَّبِيِّ كَثِيْبَةٌ * أَسْفًا عَلَيْهِ طَكِيْرَةُ الرَّحْمَانِ
فَلْتَبْكِيْهِ شَرْقُ الْبِلَادِ وَغَرْبُهَا * وَلْتَبْكِيْهِ مُضَرٌّ وَكُلُّ يَمَانِيٍّ^(١)
وَلْيَبْكِيْهِ الطُّوْدُ الْمَعْظَمُ جَوْهَ * وَالْبَيْتُ ذُو الْأَسْنَانِ وَالْأَرْكَانِ
يَا خَاتِمَ الرُّسُلِ الْمُبَارَكَ صَنُوهُ * صَلِّ هَلْبَسَكَ مُنَزَّلَ الْفُرْقَانِ^(٢)
نَفْسِيْ فِدَاؤُكَ مَا لِرَأْسِكَ مَائِلًا * مَا وَسَدُوكِ وَسَادَةُ الْوَسْتَانِ

وقالت صفية بنت عبد المطلب :

أَفَاطِلُمُ بَنِي وَلَا تَسْأَلِي * بَصُحْبِكَ مَا طَلَعَ الْكَوْكَبُ^(٣)
هُوَ الْمَرْءُ يُبْكِي وَحُقَّ الْبُكََا * عَلَى الْمَاجِدِ السَّيِّدِ الطَّيِّبِ^(٤)
فَاَوْحَشَتِ الْأَرْضُ مِنْ فَقْدِهِ * وَأَيُّ الْبَرِيَّةِ لَا يُنْكَبُ^(٥)
فَمَا لِي بِفَدَاكَ حَتَّى الْمَتَا * تِلْكَ إِلَّا الْجَوَى الدَّخِلُ الْمُنْصَبُ^(٦)
فَبَكَى الرَّسُولَ وَحَقَّتْ لَهُ * شُهُودُ الْمَدِينَةِ وَالْغَيْبُ^(٧)
لَتَبْكِكَ شَمَطَاءُ مَضْرُورَةٍ * إِذَا حُجِبَ النَّاسُ لَا تُحْجَبُ^(٨)
لَيْبِكَ شَيْخُ أَبُو وَلَدَةٍ * يَطُوفُ بِعَقْوَتِهِ أَشْهُبُ^(٩)
وَيَبْكِكَ رَكْبٌ إِذَا أَرْمَلُوا * فَلَمْ يُلَفَّ مَا طَلَبَ الطَّلَبُ^(١٠)
وَتَبْكِي الْأَبَاطِخُ مِنْ فَقْدِهِ * وَتَبْكِيهِ مَكَّةُ وَالْأَخْشَبُ^(١١)
فَعِنِّي مَالِكٌ لَا تَذْمَعِينَ * وَحُقَّ لَدَمْعِكَ يُسْتَسْكَبُ

(١) الطود : الجبل ، والجو هنا : الأودية . (٢) الصور : المثل .

(٣) في ج : « فصحبك ... » . (٤) كذا في الأصول وفي الطبقات : « هو الماجد ... » .

(٥) الجوى : الحزن ، المنصب : المتعب . (٦) الشمطاء : المعجوز الميضة الشعر ،

المضرورة التي أصيبت بالضرر . (٧) الولدة بكسر الواو : الأولاد ، والعقوة : الساحة ،

والأشهب : الجهد وال فقر . (٨) أرملا : قد زادهم . (٩) الأخشب : بجبل

مشرف على مكة ، وهما أخشان : أبو قيس والأحر مطبقان بمكة .

وقالت صبية أيضا :

عين جودي بدمعة تسكاب * للنبي المطهر الأواب
عين من تدينين بعد نبي * خصه الله ربنا بالكتاب
فاتح خاتم رءوف رحيم * صادق القيل طيب الأنواب
مشفق ناصح شفيق علينا * رحمة من إلهنا الوهاب
رحمة الله والسلام عليه * وجزاه المليك حسن الثواب

وقالت أروى بنت عبد المطلب :

ألا يا عين ويحك أسعديني * بدمعك ما بقيت وطاوعيني
ألا يا عين ويحك وأستهلّ * على نور البلاد وأسعديني
فإن عدلتك عاذلة فقولِي * علام وفيم ويحك تهذلي^(١)
على نور البلاد معا جميعا * رسول الله أحمد فأتركيني
فإلا تقصرى بالمدل عني * فلومي ما بدالك أودعيني
لأمر هذر وأذل ركني * وشيب بعد جذتها قروني

وقالت عائكة بنت عبد المطلب :

يا عين جودي ما بقيت بعترة * تحا على خير البرية أحمد
يا عين فأحفظي وسعي وأسمحي * فأبكي على نور البلاد محمد^(٢)
أنى لك الويلات مثل محمد * فى كل نائبة تنوب ومشهد
فأبكي المبارك والموفق ذا التقى * حامى الحقيقة ذا الرشاد المرشد
من ذا يفك عن المغل غله * بعد المعيب فى الضريح الملعبد

(١) العاذلة : اللاتمة .

(٢) آسمى : جودي . فى الطبقات : وآسمى : من عجم الدمع إذا سال .

أَمْ مَنْ لِكُلِّ مُدْفَعٍ ذِي حَاجَةٍ * وَمُسْلَسِلٍ يَشْكُو الْحَدِيدَ مُقِيدٍ^(١)
 أَمْ مَنْ لَوْحَى اللَّهِ يَنْزِلُ بَيْنَنَا * فِي كُلِّ مُنْمَسِي لَيْلَةٍ أَوْ فِي غَدٍ
 فَعَلَيْكَ رَحْمَةُ رَبِّنَا وَسَلَامُهُ * يَا ذَا الْفَوَاضِلِ وَالنَّدَى وَالسُّؤْدِ

وقالت هند بنت أُنثانة بن عَبَّاد بن الْمُطَّلِب بن عبد مَنَافِ أختِ مِسْطَح :

أَشَابَ ذَوَائِبِي وَأَذَابَ رُكْنِي * بُكَاءُكِ فَاطِمُ الْمَيْتِ الْفَقِيدِ^(٢)
 فَأَعْطَيْتَ الْعَطَاءَ فَلَمْ تُكْذَرْ * وَأَخْدَمْتَ الْوَلَانِدَ وَالْعَيْدِ^(٣)
 وَكُنْتَ مَلَاذَنَا فِي كُلِّ زَنْبٍ * إِذَا هَبَّتْ شَامِيَةٌ بَرُودًا^(٤)
 وَإِنَّكَ خَيْرٌ مِنْ رَكِبِ الْمَطَايَا * وَأَكْرَمُهُمْ إِذَا تُسَبَّحُوا جُدُودًا
 رَسُولُ اللَّهِ فَارَقَنَا وَكُنَّا * نُرَجَّى أَنْ يَكُونَ لَنَا خُلُودًا
 أَفَاطِمُ فَاصْبِرِي فَلَقَدْ أَصَابَتْ * رَزِيئَتِكَ التَّهَانِمُ وَالنُّجُودَا^(٥)
 وَأَهْلَ الْبَرِّ وَالْأَنْبَارِ طُرًّا * فَلَمْ تُخْطِئْ مَصِيبَتُهُ وَحِيدًا
 وَكَانَ الْخَيْرُ يُصْبِحُ فِي ذُرَاهُ^(٦) * سَعِيدًا لِحَدِّ قَدِّ وَلَدِ السُّعُودَا

ورثاه صلى الله عليه وسلم غير هؤلاء مما لو استقصينا ذلك لطال، وآتسع فيه
 المجال، ومراثيه صلى الله عليه وسلم ومدامحه كثيرة تزداد في كل عصر، وتتضاعف
 في كلِّ دهر، صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا دائما أبدا .

(١) المدفع : الفقير الدليل .

(٢) الذوائب (جمع ذؤابة) : شعر الناصية ، وازكن : الجانب الأخرى

(٣) الولائد : الجوارى .

(٤) اللزب : الطريق الضيق ، والمراد الشدة . وفي أ : « كرب » .

(٥) التهانم : المنخفضات من الأرض ، والنجود : المرتفعات ، أى جميع البلاد .

(٦) ذراه : أعلاه ، والجد : الحظ .

[صورة ما هو مكتوب بآخر هذا الجزء بنسخة ١]

كل الجزء السادس عشر من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب، للنويرى رحمه الله تعالى .

وكان الفراغ منه في يوم الاثنين المبارك تاسع جمادى الأولى سنة سبع وستين وتسعمائة، على يد كاتبه أفقر الخلق إلى رحمة ربه نور الدين بن شرف الدين العاملى، غفر الله له ولوالديه، ولمن يقرأ له ولهم الفاتحة آمين .

[صورة ما هو مكتوب في آخر هذا الجزء

أيضا بنسخة ج]

كل الجزء السادس عشر من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب على يد مؤلفه فقير رحمة ربه : أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم البكرى التيمى القرشى المعروف بالنويرى عفا الله عنهم .

ووافق الفراغ من كتابته في يوم السبت المبارك لأربع بقين من شهر رمضان المعظم عام اثنين وعشرين وسبعمائة ؛ أحسن الله تقضيها، بالقاهرة المعزية عمرها الله تعالى .

يتلوه إن شاء الله تعالى في أول الجزء السابع عشر الباب الثانى من القسم الخامس من الفن الخامس في أيام الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم أجمعين .

والحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

وحسبنا الله ونعم الوكيل .

أتمننا بعون الله تعالى تحقيق الجزء الثامن عشر من كتاب « نهاية الأدب
في فنون الأدب » من تجزئة طبعة الدار ، في يوم السبت ١٤ من ربيع الثاني
سنة ١٣٧٤ هـ (١١ من ديسمبر سنة ١٩٥٤ م) .

يتلوه إن شاء الله تعالى الجزء التاسع عشر ، وأوله : « الباب الثاني من القسم
الخامس في أخبار الخلفاء الراشدين » ما

إبراهيم إطفيش
المصحح بالقسم الأدبي

محمد محمد حسين
المصحح بالقسم الأدبي

معين التارح
لأهل التارح

فهرس المراجع

شرح أبي شامة على القصيدة الشقراطيسية مخطوط رقم ٢٤٧

أدب بدار الكتب . ورقم ١٦١١٦ ز .

سيرة ابن هشام ، جوتحين ١٨٥٨ م . والحلبي بمصر

١٣٥٥

شرح بانت سعاد لابن هشام ، بولاق سنة ١٢٩٠

شرح البخارى للقسطاني ، بولاق ١٢٩٣

شرح ديوان زهير بن أبي سلمى ، دار الكتب ١٣٦٣

شرح ديوان كعب ، دار الكتب ١٣٦٩

شرح ديوان ليد برواية الطوسي ، فيثا ١٨٨٠ م .

شرح السيرة النبوية لأبي ذر ، الخشنى ، مطبعة هندية

١٣٢٩

شرح الشفا للشهاب الخفاجى ، الآستانة ١٢٦٧

شرح قصيدة الأعشى الدالية مخطوط رقم ١٧٣٦ أدب بدار

الكتب .

شرح المواهب للزرقانى ، المطبعة الأميرية بولاق ١٢٧٨

الشفا للقاضى عياض ، الآستانة ١٢٩٠

صحيح البخارى ، المطبعة الأميرية ١٢٩٦

صحيح الترمذى ، بولاق ١٢٩٢

صحيح ابن ماجه ، مصر ١٣١٣

صحيح مسلم : بولاق ١٢٩٠ والآستانة ١٣٣١

الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد ، ليدن ١٣٢٢

عقد الجمان ، فى تاريخ أهل الزمان نسخة مصورة بدار الكتب

ورقم ٧١ م .

أسباب النزول الواحدى ، هندية ١٣١٥

الاستيعاب لأبي عمر بن عبد البر ، حيدرآباد ١٣١٨

أسد الغابة فى معرفة الصحابة لابن الأثير ، الوهية سنة ١٢٨٠

الاشتقاق لابن دريد ، جوتحين ١٨٥٤ م .

الإصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر ، السعادة والشرية

سنة ١٣٢٣

الأصنام لابن الكلبي دار الكتب ١٣٤٣

البداية والنهاية لابن كثير ، السعادة ١٣٤٨

تاريخ الطبرى ، ليدن ١٨٨٩ م .

تفسير الثعلبي مخطوط ، رقم ١٢٤٦ تفسير .

تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني ، حيدرآباد ١٣٢٧

الجامع لأحكام القرآن تفسير القرطبي ، دار الكتب المصرية .

الجامع الصغير للسيوطي ، بولاق سنة ١٢٨٦

دلائل النبوة للبيهقي مخطوط ، رقم ٢١٢ حديث .

دلائل النبوة لأبي نعيم الأصفهاني ، حيدرآباد

١٣٢٠

ديوان الأعشى ، بيانة ١٩٢٧ م .

ديوان حسان بن ثابت الأنصاري ، الرحانية ١٣٤٧

ديوان ليدن ربعة ، ليدن ١٨٩١ م . ومخطوط دار

الكتب ٥٤٧ أدب .

الروض الأنف لأبي القاسم السبيل ، الجالية ١٣٣٢

سنن النسائي ، الميمنية ١٣١٢

السيرة الحلية ، بولاق ١٢٩٢

المقدرات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ، الحلبي

مصر ١٣٢٤

المقتضب من كتاب جمهرة النسب لياقوت الحموي - مخطوط

بدار الكتب رقم ٢٧٨٥ تاريخ .

الموطأ في الحديث للإمام مالك بن أنس ، السعادة ١٣٣١

النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ، مصر ١٣١١

الكتاب لسيويه ، بولاق ١٣١٦

لباب القول ، في أسباب النزول للسيوطي ، الحلبي ١٣٠٢

مجمع الأمثال لليداني ، بولاق ١٢٨٤

المعارف لابن قتيبة ، جوتنجن ١٨٥٠ م .

معجم البلدان لياقوت الحموي ، ليزنج ١٨٦٨ م .

مغني المنيب لابن هشام ، الحلبي سنة ١٣٠٢

الخطأ والصواب

الصواب	الخطأ	ص	ص
وإنا	وأنا	١١	٣٣
ولم نثرها	ولم نسرهما	١٢	٣٧
ولإنه	وأنه	٣٠٢	٤٤
لَقِيتَ اللَّهَ أَوَّلَ لَقِيَتَ	لَقِيتَ اللَّهَ أَوَّلَ لَقِيَتُ	٣	٤٦
الأخزم	الأخزم	١٣	٤٩
النبي	النبي	١٠	٦٧
ابن عكابة	ابن عتابه	١٣	٦٨
أُرْعِدَت	أُرْعِدَت	٤	٧٤
قَرَدَة	قَرَدَه	٢	٧٧
أخو بلي بن عمرو	وأخو بلي بن عمرو	٢١	٩٠
مَعْقُوصَا	مَقُوصَا	٢٠	١٠١
أَشْهَد	أَشْهَد	٩	١٠٣
الْفَجَّ	الْفَجَّ	١٤	١١٠
التبابعة	التبابعة	١٢	١١٣
أبو حارثة بن علقمة	أبو حارثة ابن علقمة	١٦	١٢١
أبو حارثة بن علقمة	أبو حارثة ابن علقمة	٥	١٢٢

الصواب	الخطأ	س	س
إنه ابن الله	أنه ابن الله	٦	١٢٤
بنحلة	بنحلة	١٥	١٣٨
الجن	الجن	١	١٤٢
دلائل النبوة لأبي نعيم	مختصر الدلائل	١٣	١٤٤
فَرَاضًا	فَرَاضًا	٣	١٥١
لحياض	بحياض	٩	١٥٢
البيت	البيت	٦	١٥٤
القوم الذين	القوم الذى	٣	١٥٧
دحية	دحية	٣	١٦١
الاستيعاب	الاستيعان	١٨	١٧١
حين قتل	حتى قتل	١٨	١٧٣
تتقرب	تقرب	٥	١٨٢
جَذِيمَةً	حُذِيمَةً	١٠	١٨٢
حُرْفَةً	حُرْفَةً	٦	١٩٨
الخالق	الخالق	٥	٢٣٨، ٢٣٩
طَبِيبًا	طبيها	٩	٢٤٢
وَلَا يُؤْوِسُ	ولا يؤنس	١	٢٥٨
أَلَا	أَلَا	٧	٢٥٨
رَعُوفٌ ، α	رَعُوفٌ	٩	٢٥٩
الجدع	الجدع	١٥	٢٢٠

خطاً	ص	خطاً	ص
خطاً	س	الصواب	س
على ماءٍ	١٢	على ماءٍ	٣٣٥
قَطْرُ بِل	١٤	قَطْرُ بِل	٣٤١
لا تحزن إن	٩	لا تحزن إن	٣٤٨
منجذِم	٣	منجذِم	٣٥٨
جِذَل	٣	جِذَل	٣٥٨

بمؤن الله وجميل توفيقه قد تم طبع الجزء الثامن عشر من كتاب
”نهاية الأرب في فنون الأدب“ بمطبعة دار الكتب المصرية في شهر رمضان
سنة ١٣٧٤ هـ (مايو سنة ١٩٥٥ م) ما

عبد الحميد نديم

ملاحظ المطبعة بدار الكتب المصرية